

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

جامعة الأزهر  
كلية أصول الدين بالقاهرة  
قسم الدعوة والثقافة الإسلامية

مبحث بعنوان:

# «موقف الإسلام من العقل وأثره في الدعوة إلى الله»

رسالة مقدمة إلى قسم الدعوة لنيل درجة العالمية  
(الدكتوراه)

إعداد الطالب:

جلال سعد البشار - مدرس مساعد بكلية الدعوة بالقاهرة  
إشراف:

الأستاذ الدكتور / عمارة نجيب محمد  
عميد كلية أصول الدين والدعوة بالمنصورة  
الأستاذ الدكتور / محمد شوقي نصار  
أستاذ الدعوة بكلية أصول الدين والدعوة بطنطا  
(مستأجراً)

١٩٨٧م - ١٤٠٧هـ

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

خطة رسالة ( دكتوراه ) بعنوان ( موقف الاسلام من العقل وأثره في الدعوة الى الله )  
اعداد الطالب / جلال سعد محمد البشار

المقدمة : وتشمل عرضاً لأبواب الموضوع وفصوله - منهج البحث - اسباب اختيار الموضوع .

الباب الأول : ( مكانة العقل في الرسائل السماوية السابقة ) ويشتمل على :-

١ - الفصل الأول : فصل تمهيدى في معنى العقل وفهمه :

١ - في اللغة ، ب - عند الفلاسفة والصوفية ، ج - المتكلمين ، د - علم النفس الحديث  
هـ - في القرآن الكريم ، و - في السنة النبوية ، ز - مركز العقل في كيان الانسان .

٢ - الفصل الثاني : " وظيفة العقل في فهم الدعوات وادراكها " . ويشتمل على :-

١ - تمهيد ، ب - مبحث في بيان اتفاق الرسل في الدعوة الى التوحيد وعدم طلب الأجر .  
ج - الجدول من رسائل الدعوة ، د - الاعتماد على الآيات الكونية والنعم في التمرسيف بالخالق . هـ - معارضة جامدى العقل من المثمنين والمتعصبين ، و - التردد بالمعجزات كأدلة وراهين عقلية على صدق الرسالة والنبوة ، وفيه عدة مطالب : معنى المعجزه - شروطها دلالتها - نماذج توضيحية .  
ز - بيان اتفاق الدعوة المحمدية مع غيرها في الأمور السابقة .

٣ - الفصل الثالث : " وظيفة العقل وأثره في الوصول الى حقائق الايمان " ويشتمل على :

١ - دور العقل في فهم المواعظ ومواطن الاعتبار ، ب - دور العقل في فهم المعجزات . .  
ودالتها ، ج - ارتباط العقل بالسلوك .

الباب الثاني : ( علاقة العقل بالدعوة الى الله ) ويشتمل على :-

١ - تقديم ، ب - مبحث تمهيدى في معنى الفطرة والدعوة .

الفصل الأول " مكانة العقل في الدعوة الاسلامية ورعايته " ويشتمل على :

١ - اعتباره وسيله لمعرفة اصول العقيدة ، ب - تعهده بالتشريعات التي تصونه وتحفظه

كبحرهم الخمر وما في حكمها ، ج - تحريره من التقليد والجمود والتعصب المومي للمناد  
د - اغاؤه من التفكير في القضايا التي لا يستطيع ادراكها بجمل جزء من العقيدة  
سمعا ، ه - اعتباره مصدرا للتشريع فيما لم يرد فيه نص ، وفيه مطالب : الاجتهاد  
والقياس كمصدرين من مصادر التشريع وشرطيهما ، وضمانج من الاجتهاد ، مع اد لسة  
في زمن النبوته والخلافة •

الفصل الثاني : " اثر العقل في الدعوة الى الله وسائلها " هـشتمل على :- تمهيد

- ١ - دوران وسائل الدعوة حول الحكمة والموظفه الحسنه والمجادلة بالحسنى •
- ٢ - اثر العقل ودوره في الدعوة عن طريق المجادلة بالحسنى •
- ٣ - اثر العقل ودوره في الدعوة عن طريق تأمل الآيات الكونية •
- ٤ - اثر العقل ودوره في الدعوة عن طريق القصة وتأمل اخبار السابقين •
- ٥ - اثر العقل ودوره في الدعوة عن طريق ضرب المثل •
- ٦ - دور العقل في الاتصال بالعقل الفردي والجمعي في الدعوة •
- ٧ - اثر العقل ودوره في استغلال وسائل الاعلام المتاحة في الدعوة •
- ٨ - اثر العقل في تحديد نوع وسيله الدعوة •

الفصل الثالث : " من آثار العقل وعلاقته بالوحي هـشتمل على :-

- أ - تقرير علاقة العقل بالوحي والشرع •
- ب - نشأة الفرق الاسلاميه وتعدد ها •
- ج - ظهور البدع •
- د - إثراء الدعوة بالابحاث والمناقشات العقلية •
- هـ - النهي عن الجدال المقيم سدا لايوباب الخلاف والفتن •

الخاتمة ••

( بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ )

( لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم ) " صدق الله العظيم "

( مقدمة البحث )

الحمد لله الذي خلق الانسان وسواه ، وعرفه بالعقل عن كل ما سواه ، وهداه الى طريق العزة والكرامة بما شرعه له ، ما أنزله على رسله الكرام المبلغين عن الله هدى الى خلقه ليفوزوا بسعادته العاجلة والآجلة بما يتعمون ويلتزمون بما أنزل الله من كتاب : " كتاب أنزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور باذن ربهم الذى صراط العزيز الحميد " ( ١ ) ما منحهم من سلطان العقل والشرع ، لتلبية حاجات فطرة التوحيد والايمان ، والعبادة والامثال ، والخشوع والخضوع لله رب العالمين .

ولما كان الشيطان في صراع حاد مع الانسان ليهرفه عن طريق الهدى والصواب والخير والرشاد ، ويعدده عن فطرته وأصل خلقته من الامثال والطاعة لله ، وقد تبين لنا ذلك بوضوح حيث قال : ( قال فما اغويتنى لأقعدن لهم صراطك المستقيم . ثم لا آتهم من بين أيديهم من خلفهم ومن أيمانهم ومن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين ) ( ٢ ) .

وقال أيضا : ( قال رب بما اغويتنى لأزنيبن لهم في الارض ولا غصنهم اجمعين ) ( ٣ )  
 روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله راديا عن الله : ( انى خلقت عبادى حنفاء كلهم ، وانهم أتتهم الشياطين فاضلتهم عن دينهم ، وحرمت عليهم ما احللت لهم وأمرتهم ان يشركوا بى ما لم أنزل به سلطانا ) ( ٤ ) ولا عجب في هذا فان تلك هى المداورة

( ١ ) ابراهيم ( ١ ) . ( ٢ ) الاعراف ١٦ ، ١٧ .

( ٣ ) الحجر ٢٩ .

( ٤ ) الحدیث رواه مسلم من حدیث عیاض بن حمار - کتاب صفة القيامة والجنة والنار

باب الصفات التى يعرف بها اهل الجنة ج ٥ ص ٧١٦ ط الشعب .

وهذه هي أعمال العدو واللدود الذي حذرنا الله منه في محكم تنزيله فقال : ( ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا ، إنما يدعو حزبه ليكونوا من اصحاب السعير ) ( ١ ) فالشيطان عدو ومضل يدعو حزبه الى ما يهضب الله بمخالفة دينه . . . فتلك دعوة شيطانية مخالفة لمقتضى الفطرة والعقل . . . . لَمَّا كان كل هذا الصراع بين الشيطان والانسان . . . ولَمَّا كانت هذه الدعوة الشيطانية . . . فإن هذه الدعوة اللعينة يجب أن تواجهها دعوة حق . . . فإزاء هذه الدعوة الى الشر والضلال هناك دعوة الحق والهدى ، وهو <sup>صلى الله عليه وسلم</sup> رسل الله ينزل الله النور والهداية ليبلغوه الى الخلق ، وليهدوا واطلما الضلال ودحض دعوة الشيطان . . . . وتتأكد مسئولية الدعوة الى الخير في كل العصور ليردوا كبد الشيطان ان كبد الشيطان كان ضعيفا ، وقال تعالى : ( ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ) وقال ( من أحسن قولا ممن دعا إلى الله وصلا صالحا وقال اننى من المسلمين ) ( ٢ )  
فهذا تأكيد لدور الدعوة .

ولَمَّا كان الشيطان يعتمد في غوايته على إثارة الشهوات والأهواء التى تسيطر على العقل فتكون مهمته تحرير أعمال الشهوات وأوامر الأهواء . . . فقد دعا القرآن العقل إلى الفكر الحر المتأمل المشعر الواعى للآيات ، المتفهم للأحكام . . . كما حذر من اتباع الهوى فى أحكامه لتسلم للعقل مهمته ، هو مرمى رسالته فى التمييز بين الحق والباطل ، والاهتداء الى الصواب والهدى فتعددت الآيات التى تحدث على التفكير فى الخلق ، والتدبر فى الآيات الكونية وكثرت آيات المدح لاولى الالهاب وأصحاب العقول ، وأصحاب الفقه والفتاوى ، كما تعددت آيات ذم التقليد والجمود والتعصب . . . وهذا يعنى اطلاق العنان للعقل فى الفكر والتأمل والاستنتاج وتقرير الحقيقة ، ولا عجب . . . فان العقل الحر يساهم الفطرة بلجى حاجتها فى الدين والعبادة حتى قبل ان العقل هو الفطرة ذاتها . . . فى بعض الأقوال . . .

( ١ ) فاطر ٦ .

( ٢ ) فصلت ٣٣ .

ولما كان للعقل هذه الخاصية في الوصول الى الصواب والانصاف مالم يكن متأثراً  
ببهوى أو تعصب . فان الدعوة الى الله تعالى ترتكز وسائلها على العقل . .

١ - في هذه الدراسة نهدف الى بيان لمدى عقلانية الدعوة الى الله ، كتبليغ

وعقلانيتها كتشريع ودين يضع اسلوب الحياة .

٢ - وكذلك ابصار ابراز لدور العقل في عملية الدعوة الى الله عن طريق دراسة

حوار الرسل صلوات الله عليهم كدعاة مع أقوامهم كدعويين . . في حد ود ما قصه

القرآن الكريم من قصصهم . .

٣ - واهضاح لاستخدام الدعاه العملى للعقل في دعوة الخلق الى الحق اذ أن . .

العقل رسول بين جميع الناس . . وتتجلى مهمة الداعية في تقدير الجرعة

العقلية المناسبة لعقلية المدعو . .

ماختصار فإن هدف هذه الدراسة هو ابراز المنهج العقلى في الدعوة الى الله

ليسير الدعاة فيها على بينه بصيرة ، واهضاح لمدى توافق جميع الوسائل مع العقل

واعتمادها عليه . .

وليس معنى ذلك التقليل من شأن الجوانب الأخرى في الكيان الانسانى كالجانب

الوجدانى والماعطى ، وانما هو بيان لمدى ارتباط العقل بها ، فان العاطفة - مثلا

تتكون من مجموعة انفعالات حول موضوع واحد والدرك للملاقة بين الاشياء في الانفعالات

هو العقل ، فهو استقراء عقلى لموضوع الانفعالات المتعلقة بموضوع العاطفة . . وهذه

محتجبه في الدعوة ولكن العقل هو السهد والقائد لها والموجه لدقتها ، والترهيب

والترغيب جناحان للموظة بغاطسبان الوجدان ، ولكن ادراك موطن الرهبة والخوف

أو الرغبة والشوق بالعقل والتأمل . . وحتى يتحقق الهدف من الدراسة فقد اشتملت

على الابواب والفصول التالیه والتي أعرضها باهجاز مینا الهدف من ذكر كل منها فسی

الرسالة . . .

تتكون الرسالة من :-

أ - مقدمة : وهي التي نحن بصدد ها الآن وهي عبارة عن مدخل الى الموضوع بيان الهدف من الدراسة وسبب اختياره ، بيان لمنهج البحث .. وسأنتي ذلك بعد عرض بقية ابواب الموضوع .

ب - الباب الأول : عنوانه ( مكانة العقل في الرسائل السماوية السابقة ) .. والهدف المنشود من هذا الباب هو إبراز دور العقل في دعوات الرسل السابقين ، هدى اعتمادهم على العقل في دعواتهم وكذلك بيان لسدور العقل في الوصول الى حقائق الايمان وضمهم مواطن العظة والاعتبار .. ولذا فقد اشتمل على الفصول التالية :-

١ - فصل تمهيدى لبيان معنى العقل وفهمه عند بعض المفكرين القدامى والمحدثين ، ليكون حديثنا على بينة ، ومن نماذج الفكر التي اخترتها لتحدد مفهوم العقل عندها : علماء اللغة ، والفلاسفة والصوفية ، والمتكلمين وفي علم النفس الحديث ، ثم كان الحكم الفاصل في القرآن الكريم والسنة النبوية ، واتماما للفائدة فقد انتهيت الفصل بمبحث عن مركز العقل في الكيان الانسانى ..

٢ - الفصل الثانى ، وعنوانه ( دور العقل في فهم الدعوات وادراكها ) والهدف من هذا الفصل إيضاح أن أصل الدعوات واحد ، وأن جميع الرسل الذين أخبرنا القرآن بهم ، وقص علينا قصصهم اتفقوا جميعا على سمات عقلية وهى دلالات في دعواتهم محور إدراكها العقل كاعتمادهم على الجدول ، واعتمادهم على الآيات الكونية ، والتذكير بنعم الله ، كما تعرضوا جميعا لنماذج بشرية متشابهة حيث تعرضوا لأقوام أصبوا بأفات عقلية واحدة هم المتمسكون والمقلدون جامد والمقول ، وقد زودهم الله جميعا بالمجزات كبراهمين وأدلة عقلية على صدق دعواتهم ..

وحتى عن الاشارة أن هذه الجوانب العقلية في المدعىين تعنى تحقق الدعاء  
في الناحية العقلية أيضا ، هدى فطانتهم في الحوار والجدال مهارتهم في الانتقال  
من دليل الى دليل . . . كالطبيب الماهر الذي ينتقل من الحقنة الى الاقراص مع  
أن مادة الدواء واحدة ولكن بنوع أسلوب تغذيها تبعاً لحالة المريض هدى تقبله  
لها . . .

٣ - الفصل الثالث : عنوانه ( دور العقل في الوصول لحقائق الايمان ) يهدف  
الى ابراز دور العقل عمها في التوصل الى الحق معرفة التشريعات ، وإدراك  
الدلالات العقلية في المعجزات و دوره في السلوك وتقويمه تبعاً لما اقتنع به . . .  
ج - الباب الثاني : عنوانه ( علاقة العقل بالدعوة الى الله ) والهدف من  
هذا الباب هو اجلاء العلاقة بين العقل والدعوة . . . الدعوة كد بين منهج  
والدعوة كشر وتبليغ . . . وبان لموقف الاسلام بمنهج من العقل ، ودور  
العقل واثره في الدعوة الى الاسلام بعد ان صانه الاسلام وحافظ عليه  
هدى امكانية استخدامه في الدعوة الى الله ، وتمسك الدعاء بمحبت انسه  
هو الرسول بين الداعي والمدعى ، وقد صدرت هذا الباب بمبحث عن  
معنى ( الفطرة والدعوة ) لتكتمل الفائدة . . .

وقد اشتمل هذا الباب على الفصول التالية :-

١ - الفصل الاول : عنوانه ( مكانة العقل في الدعوة الاسلامية ورعايته ) يهدف  
هذا الفصل الى تقرير وبان موقف الرعاية والهداية الذي وقفه الاسلام من  
العقل ، بأن شرع له من التشريعات ما يصونه ويحفظه ما يوجوه عليه نفسها  
ويجسد بها ويحفظه من التلف ، وهو هله ليقوم بمهامه التي خلق من أجلها ، واعتباره  
وسيله لمعرفة أسس العقيدة ، وقد كرمه الاسلام باعتباره كذلك مصدرًا من  
مصادر التشريع ، حيث إنه مع الشرع وسيله الاجتهاد والاستنباط ومعرفة  
الاحكام فيما لم يرد فيه نص وهذا اقصى تكريم للعقل في اطار الاسلام . . . يتميز



به عن العقل غير المسلم . .

٢ - الفصل الثاني : عنوانه ( أثر العقل ودوره في الدعوة الى الله ووسائلها )  
والهدف من هذا الفصل هو بيان ارتباط العقل بوسائل تبليغ الدعوة  
الى الله تعالى في الوسائل التقليدية والحديثة . . ورسم الخط العقلي  
الجلي في المجادلة بالحسنى ، وايضا في الآيات الكونية ، والقصة  
واخبار السابقين والمثل ، ثم بيان دور عقل الداعية في مخاطبة العقل  
الجمعي ومن الاتصال به ، وعلاقة العقل بوسائل الاعلام الحديثة  
مبرزاً الدلالة العقلية في كل وسيلة من الوسائل . .

ثم بيان أن كل طائفة من الناس تناسبها وسيلة معينة ولذا فقد بينت دور العقل  
في تحديد نوع الوسيلة المناسبة للدعوى ، عارضا نماذج بشرية معينة كالمتمسكين  
والمقلدين ، وغير المسلمين بعد ان عرضت لتكوين العاطفة وتأثر أحكام العقل بها  
مبيناً أسلوب تعامل الدعاة معها ، مشيراً الى طريقة الدعوة معهم ودور العقل في  
أسلوب دعوة كل منهم . .

٣ - الفصل الثالث : عنوانه ( من آثار العقل وعلاقته بالوحي ) بهدف هذا  
الفصل الى بيان الآثار المترتبة على علاقة الوحي بالعقل والعلاقة بينهما  
هي التوافق التام ، والشرع قائد وهاد للعقل ، وعند الانقسام المتوهم  
لتلك الصلة بينهما تم الخلافات وتباين الآراء والأهواء بلا محكم ولا مرجع  
فتمددت الفرق الغالية الخارجة عن الشرع والعقيد ، كما راجت البسود  
لانتشار فوضى التأهل بيان ان ذلك له جانبان : مظلم ، وهو الاختلاف  
والفرقة ، وتكفير الفرق بعضهم بعضاً ، وجانب منفي : وهو إثراء الدعوة  
والاسلام بثروة فكرية نتجت من احتكاك الافكار وقد المناظرات بين أهل  
السنة والجماعة بين رؤس الفرق الغالية . .

ولأن الجدل غير المشرع مضيع للوقت مهدد لطاقة العقل وضيق للقدرة الفكرية  
فقد سد الإسلام هذا الباب لمنع أسباب الفتنة والفرقة والاختلاف فمنه عن الجدل  
لتسير الدعوة وتخلد إلى بهم القيامه في ظل العقل المهتدي بالوحي وجهد الدعاء  
العقلي البناء المستنير بأصول الشريعة والمعقده . . .

د - ثم الخاتمة : وقد ضمنها نتائج هذا البحث وأبرز هدفه وغايته . . . مشيراً  
إلى طريق تحقيقه في واقع الدعوة ليكون جهدا متواضعا في خدمة الدعوة  
إلى الله . . .

وقد التزمت في بحثي المنهج التالي :-

- ١ - الاعتماد على الكتاب والسنة في كخطان مرحهما ، هما كتب في علم النفس المعاصر  
والم النفس الاجتماعي . . . قدما وحديثا - لتحديد المعنى المطلوب
- ٢ - اخذت ببيان معنى العقل في القرآن في موضعه ليكون حكما على ما سبقه -  
آراء وتصورات في فكر البشر . . .
- ٣ - عند توافق الأقوال في مسألة من المسائل - اكتفى بعرض نموذج واحد نفس  
أي مفهوم أو تعريف - مع الإشارة إلى بقية المصادر في الهامش .
- ٤ - عند اتفاق جميع المراجع في موضوع لعرض الموضوع بأسلمى الخاص ثم الإشارة  
في الهامش إلى مصادر الفكرة . . .
- ٥ - عند الرجوع إلى التفسير المختلفة لم آخذ منها إلا ما تواتر لبناء القاعد على  
أساس لا خلاف فيه . . . وإذا وجد رأي آحاد مخالف لأذكره إلا إذا كان  
في ذكره فائدة للبحث . . .
- ٦ - ذكرت السنة بعد القرآن - ولم أذكرها من جملة الفكر البشري لأنها وحسب  
أوحى الله به إلى النبي صلى الله عليه وسلم .
- ٧ - التركيز في قصص الانبياء على مواقف الجدل أو الحوار فقط وليس كل القصة جريها  
على منهج القرآن في ذلك . . . مع مناقشة الحوار حسب الموازين العقلية القرآنية . . .

وانتهاه بهان ما التزمت به في البحث ومنهجى فيه اكون قد انتهيت من تلك المقدمة العاجلة التي قدمت لهذا الموضوع بها - عارضا موضوعاته مبينا اسباب اختياره . . . وقد استفدت كثيرا من البحث في هذا الموضوع حيث افادنى في منهج الدعوة الى الله كواقع عملى امارسه في المساجد حيث اطبق النظرى على الجانب العملى كما انه ربطنى بكتب العلم المتنوعه التي عكفت عليها طلبا لبغيتى . . . . . واستفدت اكثر من التوجيهات المخلصة التي شرفنى بها استاذنا الدكتور / عمارة نجيب محمد - عميد كلية أصول الدين والدعوة بالمنصورة واستاذ الدعوة والثقافة الاسلامية الذي تفضل بقبول الاشراف على الرسالة واسداء توجيهاته وارشاداته القيمة ، ولمحاته الفطنة التي انتفعت بها في بحثى كثيرا . . . وهذا رغم كثرة شواغله وارتباطاته العلمية والدعوة الى الله تعالى وهو لا يألو جهدا في الدعوة والنصح والارشاد لكل طالبى العلم ، او الباحثين عن الحقيقة ، او مبتغى الهداية والتوجيه . . . فشكر الله له وجزاه عنا خيرا وجعله له في ميزان حسناته . . .

كما اتقدم بخالص شكرى وتقديرى الى فضيلة الاستاذ الدكتور / محمد شوقى نصار - استاذ ورئيس قسم الدعوة بكلية اصول الدين والدعوة بطنطا والذي تفضل مشكورا بالاشراف على الرسالة كمشرف متابع رغم مسئولياته العديدة في مجال الدعوة الى الله والذي لم يدخر وسعا في اخلاص النصح والتوجيه فجزاه عنا خير الجزاء . . . فشكر الله لاساتذتنا الذين امدونا بنصائحهم الغالية . . . ولم يضمنوا علينا بشىء وجزاهم عنا خير الجزاء ووفقهم لما فيه الخير والرشاد والله هو الهادى الى سوا السبيل ، ونسأله الهداية والتوفيق والسداد . . .

✍️

# ألباب الأول

مكانة العقل في الرسائل  
السموية السابقة..

ويشمل الفصول الآتية :-

▲ الفصل الأول : فصل تمهيدى فى معنى العقل  
ومفهومه .

▲ الفصل الثانى : دور العقل فى فهم الدعوات  
وإدراكها ..

الفصل الثالث :-  
▲ دور العقل وأثره فى الوصول إلى الحقائق

---

## الفصل الأول

### معنى العقل ومفهومه

ويشتمل على :- • مقدمة - تمهيد ..

- معنى العقل في اللغة .
- معنى العقل عند الفلاسفة والصوفية .
- معنى العقل عند المتكلمين .
- معنى العقل في علم النفس الحديث .
- معنى العقل في القرآن الكريم .
- معنى العقل في السنة النبوية .
- مركز العقل في كيان الإنسان .

( بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ )

( تَقْدِیْمٌ )

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء وخاتم المرسلين  
سيدنا محمد صادق الوعد الأمين . . . . . ومعهد  
لما كان موضوع الدراسة يدور حول العقل موقوف الاسلام منه ورعايته له ، وأشير  
هذا العقل في الدعوة الى الله من حيث فطنة الداعي ، وفقهه في الدعوة ، واختيار  
الوسيلة التي بدعوتها بدته ، وتحدد به المقال المناسب للمقام الذي هو فيه . . . . .  
وكذا من حيث الاجتهاد في القضايا الاسلامية المتنوعة والمتجددة بتطور الاحداث  
وتوالي الازمان لبيان أحكامها ، مما يضمن الخلود للدعوة حتى يأتي امر الله  
وذلك لمرزقتها وتجاورها مع العقل والفطرة في اطار التوجيه من الوحي الالهي بأوامره  
السامية . . . . . ولذلك ، ولما كان محور الدراسة هو " العقل " من تلك النواحي كان  
لا بد من معرفته والوقوف على المراد من لفظة " عقل " في فكر العلماء وكتاباتهم ، ثم  
في القرآن الكريم ، والسنة النبوية الشريفة ، وقبل ذلك بدأت بمبحث تمهيدى لبيان  
أن العقل عنصر من عناصر الشخصية الانسانية في ختام الفصل أنهيته بمبحث عن  
مركز العقل في جسم الانسان . . . . . راجيا التوفيق من الله .

.....

.....

.....

.....

.....

..

## المبحث الأول

( تمهيدى )

### ( المقتبل والمختصة )

خلق الله الانسان <sup>سواء</sup> سواء ، وخلق فيه من روحه ، وزوده بوسائل العلم والادراك والتميز والوعي ، وجعله فى اكمل صورة وأشرفها ، وأسمى هيئة وأعلاها ، وقصد قال تعالى ( والتين والزيتون وطور سينين . وهذا البلد الأيمن لقد خلقنا الانسان فى احسن تقويم ) ( ١ ) وقال ( يا أيها الانسان ماغرك بربك الكريم الذى خلقك فسواك فعد لك فى أى صورة ماشاء ركبك ) ( ٢ ) وهذا التقويم الحسن والصورة المعتدلة الشريفة التى خلق عليها الانسان ، من جملة التكريم الذى كرم الله به نبي آدم ويميزهم به على سائر خلقه ( ولقد كرما <sup>كرما</sup> بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا ) ( ٣ ) وهذا التفضيل يتضح عندما جعل الله للانسان شخصية متكاملة العناصر مترابطة الاجزاء ، سليمة الضبط والتميز ، وطلق الباحثون لفظ " الشخصية " على : ذلك النظام المتكامل لعمل الجسم والروح فى اتساق وتوافق . . والشخصية فى الاسلام تعنى الانسان ككيان جسمى ، ووجدان وشعور ، ونشاط عقلى ، وكل ذلك يعمل متكاملًا متصلًا - كلا واحدا ، وينتج عنه سلوك ثابت فى نواحي الحياة هجالاتها فى استقرار وتوازن " ( ٤ ) . . وهى ذلك فان الشخصية تتكون من عناصر أساسية هى : الجانب الجسمى وهو الكيان المادى ، الذى ينمكس عليه آثار العناصر الأخرى ، والجانب الوجدانى المزاجى وهو يمثل الكيان الشعورى من انفعالات ، وهواطف وهول واتجاهات .

- ( ١ ) التين ١ - ٤ . ( ٢ ) الانفطار ٦ - ٨ . ( ٣ ) الاسراء ٧٠ .  
 ( ٤ ) رياض معوض علم النفس التربوى ص ١٤٥ د / محمد خليفه بركات علم النفس العام ص ٢٣٣ د / عبد المجيد عبد الرحيم علم النفس التربوى والتوافق الاجتماعى ص ٢٦٦ د / ساميه الطفاى الثقافة والشخصية ص ١٤٠ د / ريتشارد لازاروس الشخصية ص ١٠١ د / محمد عثمان نجاتى القرآن و علم النفس ص ١٠١ .

والجانب العقلى وهو الكيان الفكرى ، والعملات العقلية العليا ، الفارقة بين الاسان وسائر الحيوانات ، والجانب الخلقى الذى ينشأ عليه الشخص من تربية عقائدية ودينية واجتماعية ، فما يرسخ فى نفس الطفل فى الطفولة يصب عليه صبح سلوكا له . وهذه الجوانب تختلف فى الأشخاص هذة وضعفا ، وظهورا وخفا ، لا يلزم تساهبا فى الكم والكيف عند جميع الاشخاص فهناك القوى والضعيف ، وشدهد الانفعال وارده ، وحاد العقل وضعيفه كما أن نوع الثقافة فى البيئة له أثره فى تكهن الجانب الخلقى . . وهذه العناصر كلها توثر فى بعضها ، وتتأثر ببعضها أيضا ، فالعقل والانفعالات والمواطف توثر فى السلوك تهورا أو هدا ، وشذوذا أو استواء . . كما توثر فى الحكم على الاشياء ، فكثيرا ما تتحكم العاطفة والهوى والتعصب فى قبول أو رفض الأمر ، والقرآن يحكى موقفا للكفار من اعراضهم عن الحق ورفضهم حتى مجرد سماعه من الرسول صلى الله عليه وسلم تعصبا منهم لفكرة الاصنام والتعاطف مع آباءهم ، يقول تعالى ( وكذلك ما ارسلنا من قبلك فى قرية من نذير الا قال مترفوها انا وجدنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون . قال أولو جئنكم باهدى ما وجدتم عليه آباءكم قالوا انا بما ارسلتم به كافرين ) ( ١ ) فهم متمصبون لما كان عليه الآباء من عبادة الاصنام ، ورفضوا الهدى الذى جاءهم رسول الله صلى الله عليه وسلم دون أن يعلموا ماهو ؟ . . ومع هذة الصورة من التعصب الأعمى واتباع الهوى الا أن هناك من العرب من حور عقله من ذلك وفكر وتأمل و عرف الحق وآمن به ، فكان التخلى عن الهوى واطلاق حرية العقل سهيلا الى الهدى والايمان بصحفة الحق . . ولذلك دعا الاسلام الى النظر والفكر والتأمل صدح أولى الاليل وأصحاب العقول المتحرره الواعية . من هذا اتضح لنا مدى تأثير العقل على الشخصية والسلوك من حيث الاستجابة للحق . . ولذلك تساملنا عن حقيقة تلك القوة السامة بالعقل ؟ أهو ذات قدر<sup>ت</sup>ك بالحواس المعادية ؟ أم معنى من المعانى يدرك بآثاره والمظاهر الدالة عليه ؟



من هنا كان لابد من بيان ذلك في الفصل التمهيدي من ابضاح معنى كلمة  
 " عقل " ولبه و نظره و فقهه و فكره . . . في مفهوم العلماء والباحثين ، والقرآن الكريم  
 والسنة النبوية الشريفة .

ولأن القرآن الكريم حَكَمَ في جميع الأمور فقد اخترته ذكرا ليكون آخر الكلام فسي  
 ذلك ، وليكون حكما وحسما لجميع الأقوال والتصورات . . . وقد أحتلت هذه المباحث  
 على مهالي <sup>بابي</sup> .

- ١ - معنى العقل في اللغة العربية .
- ٢ - معنى العقل عند الفلاسفة والصوفية .
- ٣ - معنى العقل عند المتكلمين .
- ٤ - مفهوم العقل في علم النفس الحديث .
- ٥ - العقل ومظاهره في القرآن الكريم .
- ٦ - العقل في السنة النبوية الشريفة .
- ٧ - مبحث ختامي للفصل ، في محل العقل هل القلب أو الدماغ . . . وقد عرضت هذه  
 المفاهيم بأبجاذ غير مغل ، متعرضا لأقوال المفسرين ، عارضا المعاني المتشابهة . . .  
 بأسلوب معبرا عن فكرتها ، مشيرا الى مراجعها ، وكذا في القرآن ، في السنة  
 ذكرت المعاني مستشهدا عليها من الأحاديث مع التعليق عليها ان دعت الضرورة  
 الى ذلك . . . حتى لا تخرج بالفصل التمهيدي على طبيعته وطالبه بسبب الاطناب  
 والتطويل .

والله الموفق والهادي الى سواء السبيل .

## ” البهت الثاني ”

( مفهوم ” العقل ” في اللغة العربية )

يذكر لفظ العقل في اللغة العربية حول معنى الامساك والتمسك والحجر ففى  
 المختار : العقل : الحجر والسنهي ، والعقل ايها : الدبة ، والمعقول : الدوا  
 الذى يمسك البطن ، والمعقل : اللجا . . . . . وعقل البعير من باب ضرب اى شنى  
 وظيفته مع ذراعه فشد هما وسط الزراع ، وذلك الحبل هو العقال ، والجمع عقل وقال  
 عقل الدوا بطنه أمسكه . . . . . واعتقل الرجل حبس ، واعتقل لسانه اذا لم يقدر على الكلام  
 كلاهما بضم التاء ، وتعقل تكلف العقل ، وتعقل أرى من نفسه ذلك وليس به ( ١ )  
 فى لسان العرب : ” رجل عاقل وهو جامع لامره ورأيه مأخوذ من عقلت البعير اى جمعت  
 قوائمه ، وقيل : العاقل الذى يحبس نفسه ويردها عن هواها . . . . . والعقل التثبيت  
 فى الأمر ، والعقل : القلب ، والقلب العقل ، وسمى العقل عقلا لانه يحقل صاحبه  
 عن التورط فى المهالك اى يحبسه ، وقيل العقل هو التمييز الذى به يتميز الانسان  
 من سائر الحيوان ، وقال : لفلان قلب عقول ، ولسان شول ، وقلب عقول : فهم  
 وعقل الشئ بعقله عقلا : فهمه . . . . . والعقل : الدبة ، وعقل القتل بعقله  
 عقلا : ودا ، وعقل عنه : أدى جنايته ، وذلك اذا لزمته دبه ما عطاها عنه .

وأصل العقل مصدر عقلت البعير بالعقال اعقله عقلا وهو حبل تثنى به يد البعير  
 الى ركبته فتشد به ، . . . . . والعقل ضرب من المشط ، يقال : عقلت المرأة شعرها عقلا  
 . . . . . والعقل ضرب من الوعى الأحمر وقيل هو ثوب أحمر يجلل اليهودج . . . . . والعقل  
 اللجا ، والعقل : الحصن . . . . . ( ٢ ) .

- ( ١ ) الرازى - مختار الصحاح - طبعسى الحلبي بدون سنة طبع ص ٤٠٩ ، ٤١٠  
 بتصرف . وهذا بالنسبة للعقل الفردى وسوف يأتي الحديث عن العقل  
 الجمعي فى الحديث فى الباب الثانى .  
 ( ٢ ) ابن منظور - لسان العرب ط دار المعارف ج ٤٣ باب اللام فصل العين .

في القاموس : العقل : العلم ، أو بصفات الاشياء من حسنها وقبحها وكمالها ونقصانها ، أو العلم بخير الخيرين ، وشر الشرين أو مطلق الامور . . . أو القوة التي بها يكون التمييز بين القبح والحسن . وللعانِ مجتمعة في الذهن يكون بمقدورات يستتب بها الاغراض والمصالح ، ولهيئة محددة للانسان في حركاته وكلامه . . . . .  
 " والحق انه نور روحاني به تدرك النفس العلم الضرورية والنظرية وابتداء وجوده عند اجتنانك الولد ثم لا يزال إلى أن يكمل عند البلوغ والجمع عقول . . . والعقل : الدبسة والحسن والملجأ والقلب . . . " (١) فدار معنى العقل في اللغة بمعنى الامسك والمنع والضبط والتمييز والادراك لسائر العلوم فهو الضابط المميز المانع عن التهور سواء في الاستعمال الحسن او المعنوي . . .

(١) احمد طاهر الزاوي ترتيب القاموس المحيط على طريقة الصباح النير واسباس البلاغف - الباهي الحلبي طثالثه ج٣ ص ٢٧٦ .

## " المبحث الثالث "

( مفهوم العقل في فكر الفلاسفة ) و ( المفهوم )

بعد بيان معنى العقل في اللغة العربية اتضح ان هذا المعنى يدرج حوله القوة المدركة العامة المميّزة في الانسان ، الغابطة لسلوكه ، القارعة بينه وبين سائر الحيوانات ، وهو وسيلة للدراک والعلم . . في هذا الاطار لمعنى العقل كان مفهوم الفلاسفة له والدوران حوله على اختلاف الازمنة . . قلم يختلف مفهوم العقل عندهم من زمن الى آخر بل كان هناك قدر ثابت ، وقاسم مشترك في تصور الفكرة في كل المصنم "فالعقل ليس الا قوة فيك تكشف لك عن الواقع او عن هيء من جوانبه لتدركه فتدرك باذراكه الحد الفاصل بين الحق والباطل والخطأ والصواب لتأخذ بالصواب والحق وتتمد عن الخطأ والباطل ، فأين منه اباحية معرودة لا تهتم لحق ولا لباطل ، ولا ترى لصواب افضلية على خطأ ولكنها اندفاع عابت وبعث مندفع . . . العقل نور يكشف مواقع اقداسك قبل ان تثير صورك مبداء السير ونهايته . . . العقل - ايها الشاب - هو سر الله فيك ، ورسوله اليك ، وهلاقة بينك وبينه ، به تعرفه وتعرف نفسك ومنتهاك - وتعرف مكانك من الوجود الذي أنت فيه . . ." (١) والا قدمون والمحدثون متفقون على تلك المعانى لمفهوم العقل البشري ذلك السر المدع في الانسان ، وتلك القوة الهادية الى الحق فيحد ثنا تاريخ اليونان الفكرى عن السوفسطائيين كجماعة اشتهروا بالجدل والغالطات العقلية قادرين على اثبات المتناقضات العقلية " كانوا مجادلين مغالطين متجهذين بالعلم ، اما الجدال فقد وقفوا عليه جهدهم كله ، خرجوا من مختلف المدارس الفلسفية لا يرمون لتغيير تخريج تلاميذ يحد قوته وكانوا يفخرون بتأييد القول الواحد وبقضه على السوا" واهراد الحجج الخلافة في مختلف المسائل ، من كانت

(١) د / سليمان دنيا الدين والعقل من سلسلة دراسات اسلامية ص ٦٠٧ .

(٢) العنارة - السيرة - سيرة الامام الدكتور سليمان دنيا

هذه غايته فهو لا يبحث عن الحقيقة بل عن وسائل الاقتناع والتأثير الخطابى ، ولم يكن ليقتر لهم غرضهم بخير النظر في الالفاظ ودلالاتها والقضايا وانواعها والحجج وشروطها والمخالطة واساليبها فخلقوا في هذه الناحية أثرا حقيقيا بالذكر . . . ( ١ ) وهذا كله نتاج عقلى خلفه هو <sup>١</sup> في اثبات المتناقضات والاضداد حتى تطرقوا الى الدين والاخلاق حيث سخروا من شعائر الدين ، وقوانين الاخلاق . . . وقد تأثر بمنهجهم هذا سقراط " حيث أفاد من مناهجهم حتى كون لنفسه منهجا ولم يأخذ بشكوكهم . . . واقتنع بأنسه انما هو العلم بالنفس لأجل تقويمها واتخذ شعارا كلمة قرأها في معبد دلف : " اعرف نفسك بنفسك " . . . ومن الناحية الخلقية كان يخالف مزاجه الحاد وقسوة على جسمه القوي ليروضه على طاعة العقل " ( ٢ ) فالمقل اذن هو جانب الضبط وكبح جموح النفس والشهوة عند الانسان . . . وفيما يلي تصور لهذا المعنى لدى بعض فلاسفة اليونان من عصر سقراط والمرحلة التالية له بعرض نماذج من التصورات لهذه القوة الضابطة في الانسان بايجاز وتلخيص .

١ - رأى سقراط : يرى سقراط أن العقل قوة في النفس تدبر الحس ، وتهد به للحق والصواب والعدل ، محترم القوانين المعادلة من يحترم العقل . . . فالانسان روح . . . وعقل يسيطر على الحس ويدبره والقوانين المعادلة صادرة عن العقل مطابقة للطبيعة الحقة ، وهو صورة من قوانين غير مكتوبة رسمها الآلهة في قلوب البشر . فمن يحترم القوانين المعادلة يحترم العقل والنظام الالهى وقد يحتال البعض في مخالفتها بحيث لا يناله أذى في هذه الدنيا ، ولكنه مأخوذ بالقصاص المعدل لامحالة في الحياة المقبلة " ( ٣ ) وهذا الذى نقل عن سقراط يؤكد المعنى السابق في اللغة حيث رأى ان " العقل يسيطر على الحس " وهذا المعنى يساوى العقل : بمعنى القيد

( ١ ) د / يوسف كرم تاريخ الفلسفة اليونانية ص ٤٥ .

( ٢ ) المرجع نفسه .

( ٣ ) د / يوسف كرم تاريخ الفلسفة اليونانية ص ٥٣ وانظر د / هموش اللبى حجازى الفلسفة الاسلاميه ص ٤٣ د / سامى النشار نساء التفكير الفلسفى فى الاسلام ص ١٩٨ - ٢٠١

أو الامسك . . فهو يمسك النفس من انطلاقها بالشهوات الى المخالفات والاطغى .  
 وهذا النع والامسك ناتج من ادراك وجه الحق ووجه الباطل ، والخطأ والصواب  
 يميز بينهما فيوجه الحس الى الحق والصواب ، ويمسكه عن الخطأ والباطل . .

ب - رأى افلاطون : يرى افلاطون ان النفس الانسانية فيها جزء الهى وهو  
 العقل . . حيث يقسم النفس وافعالها الى ثلاثة : الادراك والغضب والشهوة  
 وسأل هل يفعل الانسان بمبادئ ثلاثة مختلفة ام أن مبدأ واحدا يعينه هو الذى  
 يدرك ويغضب ويمسك لذات الجسم ، فيقرر أن المبادئ عدة لأن شيئاً ما لا يحدث  
 ولا يقبل فعلين متضادين في وقت واحد من جهة واحدة فلا يضاف اليها حالات متضادة  
 الا بتميز أجزاء فيه ، فيجب أن نميز في النفس جزءاً ناطقاً وجزءاً غير ناطق لما نحسه  
 فينا من صراع بين الشهوة تدفع الى موضوعها ، والعقل ينهى عنه ، ولنفس السبب  
 يجب أن نميز في الجزء غير النطقى بين قوتين هما الغضب والشهوة ، والغضب متوسط  
 بين الشهوة والعقل ، فيحار تاره الى هذا وطورا الى ذلك ، ولكنه يثور بالطبع  
 للمعدلة . . ويشبه العقل في النفس الأولى بمركبة مجنحة الحوى فيها العقل  
 والحواد اية الارادة والشهوة . . والنفس الشهوانية والغضب صانعها الآلهة  
 للحياة الارضية والوظائف البدنية " ( ١ ) يفهم من كلام افلاطون ان النفس الناطقة  
 وهو العقل - متعلقة بالناحية الروحية ، وهذا متفق مع الفهم الاسلامى للعقل  
 حيث عرفه البعض بأنه " لطيفه نورانية " .

" وقد استقصى افلاطون انواع المعرفة فكانت أربعة ، الأولى الاحاطس وهو ادراك  
 عوارض الاجسام او اشباحها في اليقظة او صورها في المنام ، الثانى الظن وهو الحكم  
 على المحسوسات بما هى عليه ، الثالث الاستدلال وهو علم الماهيات الرياضية المتحققه  
 فى المحسوسات ، الرابع التعقل وهو ادراك الماهيات المجردة من كل مادة . وهذه

( ١ ) د / يوسف كرم تاريخ الفلسفة ص ٨٩ ، وانظر د / سامى النشار نشاء التفكير

الانواع مترتبة بعضها فوق بعض تنادى النفس من الواحد الى الذى يلمه بحركة ضرورية الى ان تطمئن عند الاخير " (١) فيجعل هنا المعرفة العقلية ارقى درجات . . . المعرفة وأسماها ، صيغ دور العقل في ادراك المعقولات بعد تأملها فيقول " ان شيئاً من التأمل يدلنا على اننا نستكشفها - - - معنى المثل - - في النفس بالتفكير . فحينما تعرض لنا مسألة نقع في حيرة وتشعر بالجهل ثم يتبين لنا ظن صادق يتحول الى علم بتفكيرنا الخاص اى يجدل باطن ، او بالاسئلة التى يلقىها علينا و علم . . . . . واذا كنا نستطيع ان نستخرج من انفسنا معارف لم يلقىها لنا أحد ، فلا بد ان تكون النفس اكتسبتها في حياة سابقة على الحياة الراهنة " .

فالعقل على ضوء ماسبق وسيله العلم والادراك والمعرفة وهو منحة إلهية اودعها الله القوة التى تهدي صاحبها الى الحقائق والمعارف والى اكتساب العلم بالفكر والتأمل والتجريب ، والمعرفة الحقة هى المعرفة العقلية .

د - رأى أرسطو : يرى ارسطو ان العقل من صفات الاله حيث انه - - اى الاله - عقل وعاقل ومعقول ، اما انه عقل فلانه صورة محضة وليس فيه شئ من المادة ولا ثقتها ، اما انه عاقل فلان ذاته بسيطة غير مركبة من اجزاء حتى يكون الجزء العاقل غير الجزء المعقول ، وان فالذات التى هى عقل هى بنفسها العاقل واما انه هو المعقول فلان علمه كامل موضوع هذا العلم الكامل لا يكون الا كاملاً فهو لهذا لا يحقل الا ذاته لان ذاته اكمل الموجودات اما ماسوى ذلك فهو بالنسبة اليها - الى ذاته - ناقص . . . " (٢) .

" ويقسم ارسطو النفس الى قسمين : ناطقة ، وغير ناطقة ولكل منهما فضائل فضائل فضائل النفس الناطقة تسمى الفضائل العقلية كالحكمة والذكاء وأسماها فضيلة التفكير التى هى من خصائص الفلاسفة والآلهة . . . " (٣) فهو يرى ان العقل من سمات

(١) المرجع السابق ص ٦٥ ، ٧٤ .  
(٢) د / عوض الله حجازى تاريخ الفلسفة الاسلامية ، محمد السيد نعيم ص ٧٦ - ٨٠ بتصرف ط ثانية دار الطباعة المحمدية .

الآله من صفاته ، وهو النفس الناطقة المفكره احد قصى النفس وهو وسيلة التفكير والمعرفة ، وهو وسيلة للسيادة والسعادة : " حيث إن السعادة في الحكمة التي هي عمل العقل ذلك لأن الانسان يمتاز عن الحيوان بالعقل فوجب ان تكون سعاده من جنس ما يمتاز به وهو العقل وعلى ذلك تكون سعادة الانسان في حياة التفكير والفلسفة " (١) كما يرى أرسطو ان في النفس عقلا فعالا ، وآخر منفعلا وهما مفارقان على السواء لنفس السبب اى روحان ، العقل الفعال مجرد الصورة المعقوله ويتيح للعقل المنفعل ان يتحد بها كما يتحد الحس بموضوعه فالمنفعل هو المتعقل ، والفاعل هو المجرد ، وذلك طبقا للبدا الكلى " إن ما هو بالقوه يصير بالفعل بتأثير شئ " هو بالفعل . . . وهذا العقل الفعال هو الفاعل للمفارقة وهو غير منفعل أصلا غير ممتزج بمادة لأن ماهيته انه فعل ، والفاعل أشرف د ائسا من المنفعل والبدا أى العلة أشرف من المادة " هذا الكلام لأرسطو يشعر بأن العقل الفعال وحده قابل للمفارقة " (٢) ومن ذلك نلمس مفهوم العقل وهو أنه قوة كانه في نفس الانسان يتعقل الأمور ويميزها بوجه سلوكه نحو الصواب بعد تأمله وهو سبيل السعادة والسيادة . . .

وهو لا الفلاسفة المذكورون من مشاهير الفلسفة اليونانية قبل الميلاد ولكن امتدت فلسفتهم ونظرياتهم بعد الميلاد . . . وحفظها عنهم التاريخ الفكرى وفيما يلى أعرض لفهم العقل لنماذج من فلاسفة ما بعد الميلاد الخارجين لمن سبقهم من كبار الفلاسفة . . . من ذلك . . .

اسكندر الافروديسى : وهو من شراح أرسطو - قال : يشرح مذهب أرسطو ونفس النفس والعقل كما يأتي : النفس صورة الجسم وليس للصورة والهولى في المركب

(١) د / عوض الله حجازى تاريخ الفلسفة الاسلامية محمد السيد نعيم —

٧٦ - ٨٠ بتصرف ط ثانية دار الطباعة المحمدية .

(٢) د / يوسف كرم تاريخ الفلسفة اليونانية ص ١٦٥ .



وجود خاص أو مفارق ، وجميع وظائف النفس مرتبطة بتغييرات عضوية ، فالنفس شئ من الجسم وعلى ذلك فالمقل الهبولاى فاسد بفساد الجسم أما العقل الفعال فلما كان هو الذى يجعل صورة الماديات محقولة فيجب أن يكون محقولا فهو مفارق وليس جزءا من النفس ولكنه يُقَمَل في النفس من خارج هو الله العله الاولى . . . ( ١ )  
ف نجد انه يميل الى أن العقل جانب الهى في النفس . . .

رأى أوريجينى الاسكندرى : وهو مسيحى حدد بين العقل والوحى - وهو تلميذ كليمان ، ومتاز أوريجين على المفكرين المسيحيين بفهم صحيح لروحانية النفس واستدلال عقلى عليها ، فالنفس الانسانية عند لا مادة بالمره وتبين موضوعها باعتبار موضوعات الفكر وكيفية إدراكنا لإلهها ، كما جاء عند افلاطون وأرسطو ويقول لولم تكن لنا نفس روحية فكيف كنا ندرك الامور السامية المعسرة وكيف نحكم عليها ؟ هل التذكر وتأمل اللاجسميية وظيفة جسمية ؟ ماذا نقول في تعقلنا عقائدنا الالهية وهى لاجسمية كما هو معلوم . . . ( ٢ ) فهو يرى ان النفس غير الجسم والعقل من والادراك مودع فيها لإدراك موضوعات الفكر المختلفة ، فالعقل من النفس هجبال من مجالاتها . . .

#### مفهوم العقل في الفلسفة الاسلاميه :

بعد العرض السابق لمفهوم العقل كقوة بها الادراك والتمييز والملم والهداية في فكر بعض فلاسفة اليونان يجب أن نعرض لنفس المفهوم في فكر بعض فلاسفة الاسلام حيث نميز فكرهم بتأثير القرآن الكريم ومنهجه في مناقشة القضايا المختلفة . . . والتالى تصورهم لمثل قضايا العقل والروح والنفس والكون . . . الخ - من هؤلاء الفلاسفة : ابن مسكويه : يرى ابن مسكويه أن العقل أو النطق إحدى قوى النفس الانسانية حيث يقول " قد تبين للناظر في أمر هذه النفس وقواها انها تنقسم الى ثلاثة أقسام

( ٢٠١ ) د / يوسف كرم تاريخ الفلسفة اليونانية ص ٢٨٠ ، ص ٣٠٣ .

أعنى القوة التى يكون بها الفكر والتمييز والنظر فى حقائق الأمور . . . والقوة التى يكون بها الغضب والنجدة والاقدام على الأهوال ، والشوق الى التسلط والترفع وضروب الكرامات . . . والقوة التى بها الشهوة وطلب الغذاء والشوق الى الملاذ التى فى المآكل والمشارب والمناجح وضروب اللذات الحسية وهذه الثلاث متباينة - ولعله أراد بالقوة الأولى والثى يكون بها الفكر والتمييز ( العقل ) حيث يقول عنها بعد ذلك : " فالقوة الناطقة - العاقلة - هى التى تسمى الملكة وآلتها التى تستعملها من البدن الدماغ . . فمتى كانت النفس الناطقة معتد له وتسير خارجة عن ذاتها وكان سوقها إلى المعارف الصحيحة لا المظنونة معارف وهى بالحقيقة جهالات حدثت عنها فضيلة العلم وتتم بها الحكمة . . والنفس العاقلة وسيلة ادراك العلم ، وأقسام الحكمة الداخلة تحتها هى العمليات العقلية العليا حيث يقول . . " والأقسام التى تحت الحكمة ، الذكاء ، والذكر ، والتعمق - سرعة الفهم وقوته صفاء الذهن ، سهولة التعليم . . " اما الذكاء فهو سرعة انعقاد النتائج وسهولتها على النفس ، واما الذكر - بمعنى التذكر - فهو ثبات صورة ما يخلصه العقل أو الوهم من الأمور ، وأما التعقل فهو موافقه بحس النفس عن الأشياء الموضوعة ، بقدر ما هى عليه . . وأما صفاء الذهن فهو استعداد النفس للاستخراج المطلوب ، وأما جودة الذهن وقوته فهو تأمل النفس لما قد لزم - من المقدم ، وأما سهولة التعلم فهو قوة للنفس وحدة فى الفهم بها تدرك العلم النظرية . . " ( ١ ) .

فالعقل عند ابن مسكويه هو احدى القوى النفسية وهو النفس الناطقة المفكرة المدركة للمعلوم وه التمييز والسيطرة على سلوك الانسان وضبطه . .

( ١ ) ابن مسكويه تهذيب الاخلاق وتطهير الاعراف من ص ٢٧ - ٤٠ .

ابن رشد : يرى ابن رشد أن العقل الانساني له منى مستوى واحد فى إدراكه للأشياء ، فهناك عقول نافذة تنفوس إلى العمق وتضع يدها على الخيوط الدقيقة لتربط الأشياء ، وهناك عقول دون هذا المستوى لأنها تقف فى الربط عن الصفات الظاهرة والأمور الواضحة . . . يقسم العقل فى الانسان الى ثلاثة انواع ، يقول : النوع الأول العقل البرهانية القادرة على متابعة دليل يقينى محكم وتصل الى نتائج ضرورية وربط هذه الأدلة هو الذى يكون الفلسفة . . . والنوع الثانى : عقول منطقية تكفى بالبراهين الجدلية . . . أما النوع الثالث : فهو العقول التى تستجيب للوهم والأدلة الخطابية وهذه غير مهيأة لا تتابع الاستدلال المنظم . . . ( ١ ) . . .

يرى ابن رشد الاحتفاظ للعقل بتسميته لتفاوت العقول كما مر . . . بينما يرى هو ذلك . . . بنكر ابوبكر بن العربي تسميته العقل " عقلا " يقول : انها اسماء لافائده تحتها وتهديلات لا طائل وراءها " ( ٢ ) وذلك أن الاشياء والمدركات تسمى فى نظره عليها لا عقلا حيث قال تعالى : " ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون " ( ٣ ) وقال " إن فى ذلك لآية لقوم يعلمون " ( ٤ ) فالعقل عنده هو العلم وهو صفة يتأتى بها درك المعلوم ( ٥ ) . . . صبح هذا التصور للعقل عند أبى بكر بن العربي . . . فان ابن رشد يرى مع احتفاظه للعقل بتسميته أنه قوة مميزة مدركة وغير متساوية فى كل البشر بل تختلف وتتفاوت من فرد لآخر من بيته لأخرى . . .

الفارابى : يرى الفارابى أن " العقل هو تلك القوة التى يدرك بها الانسان الأمور الكلية فهو عبارة عن النفس الناطقة التى تميز الانسان عن غيره من باقى الحيوانات يرى أن العقل ( النفس الناطقة ) ينقسم الى أربعة أقسام : عقل بالقوة وعقل بالفعل عقل مستفاد ، وعقل عملى أو مبرز وهذا العقل الأخير هو فى أعلى درجات النفس

- 
- ( ١ ) شاخت ترجمة د / حسين مؤنس تراث الاسلام .
  - ( ٢ ) مذهب المال مكرم التفكير الاسلامى بين العقل والوحى ص ٧٠ .
  - ( ٣ ) سورة النمل ١٢ .
  - ( ٤ ) سورة النمل ٥٢ .

الناطقه . . . فالمقل بالقوة هو عبارة عن هيئة في الإنسان معدة لأن تقبل صور  
المعقولات ، هو عبارة عن الاستعداد الذي يكون عند الطفل قبل أن يعقل الأشياء  
ويدركها . . . والمقل بالفعل : هو الذي يكون للإنسان بعد أن يدرك صور  
الحسوسات بواسطة الحواس والقوة المتخيلة . . . والمقل المستفاد : هو  
الحالة التي يستكمل فيها عقل الانسان كما له وصير عقلا بالفعل ومعقولا بالفعل  
صير المعقول منه هو الذي يحقل ويدرك . . . وهذه حاله للمقل أرقى من حاله  
السابقه والتي سميت العقل بالفعل . ثم العقل العملي ٥ وهو تلك القوة  
التي بها يستنبط الانسان ما يجب عليه فعله من الأعمال الانسانية . . . ( ١ ) .

" وهذا العقل الذي يردده المتكلمون على ألسنتهم ، فيقولون في الشئ :  
هذا ما يوجب العقل أو ينفيه العقل أو يقبله العقل فإنهم يعنون به المشهور نفس  
يادى الرأى عند الجميع ، وأن يادى الرأى عند الجميع يسمونه العقل . . . وهذه  
القوة جزء من النفس يحصل لها المعرفة الأولى . . . ( ٢ ) .

بعد عرض هذه العبارات عن الفارابى يتضح أن العقل عنده فطرة اودعها  
الله في الانسان من يوم مولده يكتمل نضجها لتتحول إلى قوة عمليه ضابطة للسلك  
يميز بها الانسان الحسن والقبح فيسلك للأول وينفر من الثانى . . . القوة المدركه  
المميزه العالمه المودعة في الانسان . . .

الكندى : يذهب الكندى الى ان العقل مطلقا - انسانيا او غير انسانى  
له أربع حالات : -

١ - عقل هو بالفعل دائما - وهو علة وأول لجميع المعقولات وهو مخالف في الحقيقه  
للانسان مهمل وللعقل الانسانى وهو علة له .

( ١ ) د / محمد السيد نعيم ، د / عوض الله حجازى الفلسفه الاسلاميه ص ٢٣٠ .

( ٢ ) د / عاطف المراقى ثورة العقل في الفلسفه العربيه ص ٨٠ .

ب - عقل بالقوه وهو استعداد النفس الانسانية لأن تعقل الاشياء وتدركها . . . وشبهه حالما العقل عند الطفل .

ج - عقل بالفعل أو عقل مستفاد ، وهو حصول العقل في النفس وخروجه من القسوة إلى الفعل وهذا العقل يكون ثابتا للنفس كالملكة تستعمله متى شاءت وتظهره متى أرادت ، وذلك مثل الكتابة في الكاتب فهي له معدة يمكنه قد اقتناها وانصفبها وثبتت في نفسه فهو يخرجها يستعملها متى شاء . . . وهذا العقل "فُنْبِيَّةٌ" في النفس تستعمله متى تشاء يدرك به المعلولات عندما يتجه إليها .

د - العقل الظاهر : وهو العقل الذي يوتربه الانسان فيما عداه فيكون بـارزا موجودا حين الفعل ، وهو العقل الموجود في النفس عند تأثيرها في الأشياء الخارجة عنها بالفصل او بالقوه الفعالة . . . أو هو ما يسمي في اصطلاح الفلاسفة بالعقل العملي أو العقل المبرز اما الأولان فهما العقل النظري " .

صلى الله عليه وسلم " الفلاسفة الاسلاميه " بقولهما : " والعقول الثلاثة الاخيره انما هي اقسام اعتبارية وأحوال للعقل الانساني الذي يسميه الكندي العقل الثاني وهي محلولة لغيرها اما العقل الأول فهو العلة الأولى والمبدأ الأول وهو بالفعل أبدا وحقيقته مخالفة لحقيقة العقل الانساني " كما يعرفان العقل الانساني بقولهما : العقل الانساني هو القوة الفكرية في الانسان أو هو النفس الناطقة التي تميز الانسان عن بقية الاشياء التي تشاركه في النفس النامية ، والنفس الحاسة كالنبات والحيوان . . . " ( ١ ) هـ .

صح التقارب الشديد بين تصور الكندي والفارابي للعقل حيث ينتهي تصورهما إلى أن العقل هو القوة الكامنة الموحدة في اعمال الانسان وتصرفاته وادراكاته ، ويقول الكندي " ادراك الاجناس والانواع غير واقع تحت الحواس وليس موجودا وجودا حسيا وانما ادراكه يكون بوساطة قوة من قوى النفس التامة ، أغنى الانسانية هي السمة للعقل الانساني " ( ٢ )

( ١ ) د / حجازي - د / محمد السيد نعيم الفلاسفة الاسلاميه ص ٢١١ ، ٢١٢ .

( ٢ ) د / عبد الحلیم محمود التفكير الفلسفي في الاسلام ج ٢ ص ٨٣ .

مع هذا التقارب الكبير نخلص الى أن العقل الانساني من الثانى إلى الرابع ، والثانى هو ما اودعه الله في نفس الانسان من القوة العاقله المفكرة وان لم يمارسها العقل والتفكير ، والثالث : عندما يمارس الانسان الفكر فعلا بتلك القوة المودعه . . . والرابع هو سلوك الانسان العاقل الموتر في الآخرى وهذا من عقل الداعبه القدوه والذى وصفه الرسل بمعنى الفطانه . .

ابن سينا : يرى ابن سينا " أن العقل من قوى النفس الناطقة بل هو أعلى هذه القوى وهو قسمان : نظرى وهلى ، والعقل لا يترك قوى النفس الدنيا في مكانها بل هو يرتقى بها وذلك بتجريد الاحساس من العوارض المشخصة وانتزاع الصور الكلية من الصور المتخيلة . . والعقل يكون في أول امره عقلا بالقوة ، ثم يصير عقلا بالفعل وذلك ما يصل اليه من إحساسات تؤم بها اليه الحواس الظاهرة والباطنة فالعقل يخرج اذن بالاستعمال من القوة الى الفعل ، وهذا يحدث بواسطة الادراك ولكن يهدى وإيارة من أعلى من واهب الصور وهو العقل الفعال الذى يفيض الصور على العقل الانساني " يقسم ابن سينا المعرفة الى اقسام ثلاثة مبنية على العقل وتأثيره في كل منها فيقول : المعرفة ثلاثة اقسام معرفة البادى\* الأولية ، وادراك . . الكلمات العامة والمجردات ، ثم معرفة الأمور الغيبية . . والعقل سهيل النورين الاولين والثالث وسهلقبالوحى . . " ( ١ )

وهلى ذلك يرى ابن سينا أن العقل وسيلة للمعرفة والادراك والوصول للحكمة فيقول : منصرف على تحصيلها بالكمال بالقوة العقلية على سهيل الحجة . . فهناك اذن طريقان طريق العقل وطريق ارتياض . . للوصول الى الحكمة . . " ( ٢ ) .

( ١ ) د / عوض الله حجازى الفلسفة الاسلامية ص ٢٥٥ .

( ٢ ) د / عبد الحلیم محمود التفكير الفلسفى فى الاسلام ص ١٩ <sup>انظر</sup>

يُفرق ابن سينا بين النفس الحيوانية والنفس الناطقة فتشأ عن هذه التفرقة  
تفرقة بين نوعين من القوى المدركة في الانسان . قوى تدرك الجزئيات بتوسط  
اعضاء جسمية هي الحواس ، وتتبع النفس الحيوانية ، وقوى تدرك الكلّيات المجردة  
بدون توسط عضو جسمي وهي العقل أو النفس الناطقة . . . . يجعل ابن سينا  
النفس الحيوانية قائمه بجسم وتعمل فعلها بوساطة عضو جسمي ، كما يجعل النفس  
الناطقه قوة غير قائمه بجسم وتعمل فعلها بذاتها بدون توسط عضو جسمي ( ١ )  
والعقل عند ابن سينا هو النفس الناطقة المدركة للكلّيات المجردة المميزة  
العالمه الضابطه لافعال الانسان . .

#### مفهوم العقل عند الصوفية :

الوصول الى الحكمة والصفاء هدف انساني سام ، والمعرفة الحقّه بالله غاية  
كل مؤمن صري مولانا الدكتور / عبد الحلیم محمود ( أن الحكمة لها طريقتان طريق  
البحث العقلي ، وطريق التصفيّة ، وطالما كانت الفلسفة هي الطريق السوي  
الحكمة فهي اذن - لامناس - تطلق على طريق البحث العقلي وعلى طريق  
التصفيّة . . وهذه الغاية هي ما اراد الامام الغزالي الوصول اليه من طريق  
استخلاص الحق حيث يقول : " فقلت في نفسي : اولا إنما مظهر العلم بحقائق  
الامور ، فلا بد من طلب حقيقة العلم ماهي ؟ فظهر لي ان العلم اليقيني : هو  
الذي ينكشف فيه المعلم انكشافا لا يبقى معه ريب ولا يقارنه امكان الغلط والوهم . ولا يتسع  
لتقدير ذلك مبل الامان من الخطأ ينهي ان يكون مقارنا لليقين . . . . أي أنه  
اراد الحقيقة المطلقة الثابتة . ولكن ما الوسيلة ؟ ازاء هذا السؤال شك الغزالي  
في المحسوسات حتى انها تخدع الناظر اليها من روءيه الاجرام الكبيره الهائله صغيره

( ١ ) د / محمد عثمان نجاتي الادراك الحسي عند ابن سينا دار الشروق ص ٤٢ .

كالدراهم ، او الظل ثابتا بينما هو متحرك ، وفي العقليات مؤثما إشكاله بالنسبام  
 عند الاستيقاظ . . . الى انتهى الى أن الوسيلة هي طريق التصفيه منهج الصوفية  
 وكان ذلك منحه من الله له حيث يقول : " فاضل هذا الداء " ودام قريبا من  
 شهرين أنا فبهما على السفطة بحكم الحال لا يحكم النطق والمقال ، حتى شفسي  
 الله تعالى من ذلك المرض وهادت النفس الى الصحة والاعتدال ورجعت الضروريات  
 مقبولة مؤثقا بها أمر صديقين ، لم يكن ذلك بنظم دليل وترتيب كلام بل بنور قد نفسه  
 الله تعالى في الصدر وذلك النور هو مفتاح أكثر المعارف ، فمن ظن ان ذلك الكشف  
 موقوف على الادلة المحررة فقد ضيقت رحمة الله الواسعة ولما سئل رسول الله صلى  
 الله عليه وسلم عن ( الشرح ) صغناه في قوله تعالى : " فمن يرد الله ان يهديه  
 يشرح صدره للإسلام " قال : هو نور يقدفه الله تعالى في القلب " قبل وإعلامته  
 قال : التجاني عن دار الغرور والانبية الى دار الخلود " ( ١ ) وظاهر ذلك ان . .  
 العقل وسيله التفكير للوصول الى الحق من خلاله ، وعند استقرار الحق في القلب  
 وشيخه يكون الله تعالى قد قدف بنور الهداية الى القلب ، والله تعالى يتولى صون  
 العقل وحفظه من الزبح والضلال والمغالطة الشيطانية في منهج الفكر . .

فهو اى العقل وسيله للوصول للحق الموعود للمعرفة الحققة اليقينية . ولكن  
 ما المقصود بالعقل عند الصوفية ؟ إننا نرى الكثير منهم بل والغالبية لا يستعملون  
 لفظ ( العقل كوسيله للادراك والعلم او التمييز ولكن يتعملون بدلا منها لفظ ( القلب )  
 الا أن وظائف القلب عندهم هي معظم وظائف العقل بالمعنى المعروف له . . ومن  
 خلال العرض التالي : نعرض بايجاز لفاهيمهم حول معنى العقل وبفهمه . .

رأى الامام الغزالي : والغزالي يمثل فكرها فيلسوفا مسلما انتهى الى صوفى متمكن  
 بعد رحلة طهارة مع العقل . فيتحدث عن معانى القلب والروح والنفس وبين القلب  
 والروح والعقل تغايه وتد اخل ، حيث جعل لها معنى جامعا وهو الادراك للمعلوم

( ١ ) د / عبد الحلیم محمود المنقذ من الضلال - الغزالي ص ٩٢ - ٩٣ .



فيقول في معنى القلب : هو لطيفه ربانية لها بالقلب الجسماني تعلق ، وتلك اللطيفه هي حقيقة الانسان ، وهو المدرك العالم المعارف من الانسان ، وهو المخاطب والمعاقب والمعاقب والمطالب ولها علاقة مع القلب الجسماني ، وقد تحيرت أكثر العقول في ادراك وجه علاقته ، فان تعلقه بها يضاهي تعلق الاعراض . . . بالاجسام والاصاف بالموصفات . . . فيذكر هنا أن القلب قوة مدركه عالمه بها التمييز وعليه مناط التكليف حيث إن المخاطب هو المكلف ، وهو أساس المسئولية وقد تكون علاقته بالقلب الجسماني المعروف هي المحلثة حيث إنه محل له . . . كما يقول عن الروح : " هو اللطيفة العالمة المدركة من الانسان وهو الذي شرحناه في احد معاني القلب ، وهو الذي اراده الله تعالى بقوله : ( قل الروح من أمر ربي ) وهو أمر عجيب رباني تعجز أكثر العقول والأفهام عن درك حقيقته " ويقول عن العقل : " المتعلق بغرضنا معنيان : أحدهما أنه يطلق ويراد به المعلم بحقائق الأمور ، فيكون عبارة عن صفة العلم الذي محله القلب ، والثاني : أنه يطلق ويراد به المدرك للمعلم فيكون هو القلب أعني تلك اللطيفة . ونحن نعلم أن كل عالم فله في نفسه وجود وهو أصل قائم بنفسه والعلم صفة حالة فيه ، والصفة غير الموصوف ، والعقل قد يطلق ويراد به صفة العالم وقد يطلق ويراد به محل الادراك اعني المدرك . . . . . وحيث ورد في القرآن والسنة لفظ القلب فالمراد به المعنى الذي يفقه من الانسان صحرف حقيقة الاشياء ، وقد يكفى عنه بالقلب الذي في الصدر لا بد بين تلك اللطيفة وبين جسم القلب علاقة خاصة فانها وان كانت متعلقه بسائر البدن مستعملة له ولكنها تتعلق به بواسطة القلب ، فتعلقها الأول بالقلب وكأنه محلها وملكتها " ويقول في موضع آخر " العقل - هو الوصف الذي يفارق به الانسان سائر البهائم وهو الذي استعد لقبول العلم النظرية وتدبير الصناعات الخفية الفكرية وهو الذي ارادة الحارث بن اسد المحاسبي حيث قال في حد العقل : انه غريزه يتهمها بها ادراك العلم النظرية ، وكأنه نور يقذف في القلب به يستعد لادراك الاشياء

ولم يتصف من أنكر هذا ورد العقل الى مجرد العلم الضرورية فان الغافل عن العلم والنائم بسميان عاقلين باعتبار وجود هذه الغريزة فهما مع فقد العلم . . . ويقول " فانا نريد بالمقل ما يريد الصوفى بعين اليقين ونور الايمان وهى الصفة الباطنة التى يتميز بها الآدمى عن البهائم حتى ادرك بها حقائق الأمور " (١) ويقول فى موضع آخر " ان العقل اسم يطلق بالاشترك على اربعة معان كما يطلق اسم العين على معان عدة ومايجرى هذا المجرى فلا ينهى ان يطلب لجميع اقسامه حد واحد بل يفرد كل قسم بالكشف عنه . . . فالأول : هو الوصف الذى يفارق الانسان به سائر البهائم وهو الذى استعد به لقبول العلم النظرية وتدبير الصناعات الخفية الفكرية . والثانى : هو العلم الذى تخرج الى الوجود فى ذات الطفل المميز بجواز الجائزات واستحالة المستحيلات . . . " (٢) يتحدث فى معارج القدس عن مراتب العقل : " اعلم ان الله تعالى ذكر هذه المراتب فى آية واحدة فقال ( الله نور السموات والارض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح فى زجاجة الزجاجه كأنها كوكب درى يوقد من شجره مباركة زيتونه لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضىء ولو لم تمسه نار نور على نور يهدى الله لنوره من يشاء " ضرب الله الامثال للناس والله بكل شىء عليم " فالمشكاة مثل للعقل الهيلوانى فكما أن المشكاة مستعدة لأن يوضع فيها النور فكذلك النفس بالفطرة مستعدة لأن يفيض عليها نور العقل ، ثم اذا قصت أدنى قسوة حصلت لها مبادئ المعقولات فهى الزجاجه فان بلغت درجة تتمكن من تحصيل . . . المعقولات بالفكرة الصائبة فهى الشجرة لأن الشجرة ذات أفنان فكذلك الفكرة ذات فنون ، فان كانت أقوى بلغت درجة الملكة قلن فان حصل لها المعقولات بالحسوس فهى الزيت فان كانت أقوى من ذلك فيكاد زيتها يضىء ، فان حصل له المعقولات كأنه يشاهد ها صطالعها فهو المصباح .

(١) احياء علوم الدين ج٨ ص١٣٤٦ ط الشعب ، الاحياء ج١ ص١٥٢ .

(٢) الاحياء ج١ ص١٤٦ ط الشعب .

ثم اذا حصلت له المعقولات فهو نور على نور ، نور العقل المستفاد على نور العقل الفطرى \* .

\* وأيضاً فالعقل كالبصر والشرع كالشعاع ولن يغنى البصر ما لم يكن شعاع \* فعلاقة العقل بالشرع هي الاهتداء بالشرع ، فالشرع عقل من خارج ، والعقل شرع من داخل وهما متعاضان بل متحدان ، ولكون الشرع عقلاً من خارج سلب الله اسم العقل من الكافر في غير موضع من القرآن نحو قوله تعالى ( صم بكم عسى فهم لا يعقلون ) ولكون العقل شرعاً من داخل قال تعالى في صفة العقل ( فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبدل لخلق الله ذلك الدين القيم ) فسمى العقل ديناً ولكونهما متحدان قال ( نور على نور ) اي نور العقل ونور الشرع \* ( ١ )

فدور العقل هنا هو الهداية والارشاد والتمييز والعلم والادراك . . . ويفهم أن العقل عند الغزالي قوة مدركة عالمته بها التمييز بين الحق والباطل والخطأ والصواب والخير والشر فارقةً بين الانسان وبين سائر الحيوان . . . أو هو محصل العلم أو القلب ، أو العلم نفسه . . . كما مر في النصوص السابقة من أقوال الغزالي رضى الله عنه .

رأى الامام القشيري : يرى القشيري أن المعرفة من أعمال القلب فيروى عن ابن عطاء قوله ( من ألزم نفسه آداب الشريعة نور الله قلبه بنور المعرفة ، ولا مقام أشرف من مقام متابعة الحبيب صلى الله عليه وسلم فسى أو أمره وأفعاله وأخلاقه ) ويصف كذلك القلب ببعض

( ١ ) الغزالي - معارج القدر في مدارج معرفة النفس ص ٥٥ ، ٥٨ دار الآفاق .

صفات العقل كالتدبير والتفكير فيقول ( دواء القلب خمسة أشياء : قراءة القرآن ، التدبير ، وخلاص البطن ، وقبام الليل ، والتضرع عند السحر ، ومجالسة الصالحين ) فقد التدبير من أعمال القلب ويقول أيضا : " اذا فكر - الانسان بقلبه في سوء ما يصنعه وأبصر ما هو عليه من قبيح الأفعال سح في قلبه ارادة التوبة والاقلاع عن قبيح المعاملات فبمده الحق تعالى بتصحيح العزيمة والأخذ في حبل الرجوع والتأهب لأسباب التوبة ) وجعل التفكير من أعمال القلب ، فيعبر بلفظ " القلب " عن العقل حيث يطلق لفظ القلب ويراد به العقل ويوصف بأوصافه كالتفكير والتدبير والمعرفة كما مر ومن ذلك ما رواه القشيري عن السلف حيث يقولون ( ان على كل شيء زكاة وزكاة العقل طول الحزن ) فالعقل نفس هذه العبارة بمعنى القلب ، لأن الحزن من أوصاف القلب ، ومن العيسارات الدالة على أن القلب متفكر متذكر قوله : ( كما ان العاقل يرجع الى قلبه وتفكره وتذكره فيما يسبح له من أمر أو تستقبله من حطال ، فالعارف رجوعه الى ربه ) ( ١ ) .

فنلمس من هذه العبارات للقشيري أن العقل والقلب لفظان متواردان اي يرد كل منهما على معنى الآخر فيوصف القلب بما يوصف به العقل من التفكير والتدبير والتذكر ويوصف العقل بما يوصف به القلب كالحزن - كما مر في العبارة ١٠٠ الا أن مفهوم العقل ومظاهره من أنه قوة مدركة بها المعرفة والتمييز والتفكير ثابت في العبارات ، غير

( ١ ) الرسالة القشيرية ج ٢ .

أن هذا المفهوم يرد تارة تحت لفظ العقل ، وأخرى تحت لفظ القلب .

رأى ابن الحسن البصرى الماوردى : يذكر أبو الحسن البصرى - وهو من الصوفية المجاهد بن أنفسهم الاتقيا - عدة تعريفات للعقل توضح مفهومه فيقول : "واعلم أن بالعقل تعرف حقائق الأمور ويفصل بين الحسنات والسيئات ، وقد ينقسم الى قسمين غريزي مكتسب " ( ١ ) . . . . . ( ( واعلم أن العقل المكتسب لا ينفك عن العقل الغريزي لأنه نتيجة منه ، وقد ينفك العقل الغريزي عن العقل المكتسب فيكون صاحبه مسلوب الفضائل مؤخر الرذائل كالأنوك ( الأحمق ) الذي لا تجد له فضيلة ، والأحمق الذي قلما يخلو من رذيلة ) ( ٢ ) ولعله اراد بالعقل الغريزي القوة المودعة في الانسان للتمييز ، والمكتسب هو استخدام تلك القوة فعلا في الادراك والتمييز واكتساب المعلم حتى تزيد هذه القوة دقة وادراكا والذكاء حده ، والشخص اتزاناً وبها . . . . . من التعاريف التي أوردها بقول : "اختلف الناس في العقل في صفته على مذاهب شتى ، فقال قوم : "هو جوهر لطيف يفصل بين حقائق المعلمات . . . . . وقيل : محله الدماغ لأنه محل الحس ، وقيل محله القلب لأن القلب معدن الحياه . . . . .

وقال آخرون : "هو المدرك للأشياء على ما هي عليه من حقائق المعنى " . . . . . وقال آخرون : "العقل هو جملة علوم ضرورية " ويعلق على هذه التعريفات بأنها محترضة عليها . ويذكر تعريفاً ويعلق عليه بانه هو الصحيح فيقول : " وقال آخرون وهو القول الصحيح : " إن العقل هو العلم بالمدركات الضرورية " وذلك نوحاً أحد هما ما وقع عن درك الحواس ، والثاني ما كان مبتدأ في النفوس ، فأما ما كان واقعاً عن درك الحواس فمثل المرئيات المدركة بالنظر والأصوات المدركة بالسمع والطعم المدركة بالذوق والروائح المدركة بالشم والأجسام المدركة باللمس ، فإذا كان

( ٢٠١ ) البصرى ادب الدنيا والدين ص ١٩٠ ٢٠٠ ط دار اولى الالياب .

الانسان ممن لو أدرك بحواسه هذه الأشياء لعلم ثبت له هذا النوع من العلم لأن خروجه في حال تخميش عينيه من أن يدرك بهما صلح لا يخرج من أن يكون كامل العقل من حيث علم من حاله أنه لو أدرك لعلم ، وإنما كما يتبدى في النفوس فكالمعلم بأن الشيء لا يخلو من وجود أو عدم وأن الموجود لا يخلو من حدوث أو قدم وأن من المحال اجتماع الضدين وأن الواحد أقل من الاثنين وهذا النوع من العلم لا يجوز أن ينتفى عن العاقل مع سلامة حاله وكمال عقله ، فإذا صار عالما بالمدركات الضرورية من هذه النوعين فهو كامل العقل ( ١ ) .

فكما وضع من هذا التعريف الذي اختاره أبو الحسن أن العقل هو القوة المدركة المميزة الماهية . . . وهو سهيل للمعرفة ( وطريق التلقى هو طريق التصوف العقلية بمعنى الاستغراق في التأمل والسمو فوق كل اختبار حسي وهذا محل الروح الانسانية الممنوح لآدم وذريته ، والمقصود من قوله تعالى " قل الروح من أمر ربي " ( ٢ ) فالتصوف لا ينكر العقل وإنما هو وسيلة المعرفة والتأمل والفكر ( ودعوة الصوفية لاتصد أحدا عن النظر في العلم الحديث ، ولم تهمل أحدا عن المشاركة النافعة في أمور الدين والدنيا والمتصوف الحق هو الذي يستعمل كل طاقاته وإمكاناته العقلية والفكرية والجسمية والروحية فيما يفيد البشرية صلح من شأنها في ظل هذا الدين السح الذي يوجه أنظار الناس الى التفكير في خلق السموات والأرض والذي يحلى من قدر العلماء ) . . . . . وأن يستترك الصوفى - عقله صواهبه اتكالا على الفتح يكون أشبه بمن يترك حرث الأرض فزرعها - اتكالا على انه ربما يحترق على كثر ( ٣ ) مما يدل على استعمال القلب بمعنى العقل في المصطلحات الصوفية قول الدكتور على زيمور : ( القلب لطيفه ربانية ، لها بهذا القلب الصوري الشكل المودع في الجانب الأيسر تعلق ، وتلك اللطيفة هي حقيقته

( ١ ) ادب الدنيا والدين ص ٩ .

( ٢ ) د / عبد العزيز سعد الأهل ، التصوف الاسلامى - اصوله ومبادئه ص ٢٥ .

( ٣ ) عبد الحفيظ على ، التصوف والحياة المصرية ص ١١٢ ، ١٣٠ .

الانسان ، وسميها الحكيم النفس الناطقه ، والروح باطنه ، والنفس الحيوانية مركبة ، وهي المدرك والعالم من الانسان والمخاطب والمطالب والمعاتب " يقول " واللطفه الانسانية هي النفس الناطقه السماء عند هم بالقلب وهي في الحقيقه تنزل الروح إلى مرتبة قريبة من النفس مناسبة لها بوجه ، مناسبه للروح بوجه " صمى الوجه الأول الصدر والثاني الفؤاد " كما يفسر اللب بالعقل في قوله : " اللب هو العقل المنور بنور القدس الصافي عن قشور الأوهام والتخيلات " ( ١ ) .

يقول ابن عجيبة رضى الله : ( واعلم ان النفس والعقل والروح والسر شئ واحد لكن تختلف التسمي باختلاف المدرك ، فما كان من مدرك الشهوات مذكره النفس ، وما كان من مدرك الأحكام الشرعية فمذكره العقل ، وما كان من مدرك التجليات والواردات فمذكره الروح ، وما كان من مدرك التحقيقات والتمكينات فمذكره السر والمحل واحد ) يقول عن العقل باعتباره من الروح : « النفس اذا انزجرت وهقلت بعقول الشرع الا أنها تميل الى المعاصي والذنوب ، فتارة تعصى وتتوب ، وتارة تحن وتتوب سميت عقلا ، ونورها قليل لأنها محبوسة في سجن الاكوان معقولة بالدهل والبرهان » ( ٢ )

ففي هذه العبارة دلالة على ان العقل منع وامسك للنفس عن التماهى في الذنوب وداع الى التوبة والرجوع الى الله .

بعد عرض هذه الاقوال للوضويفية يتضح لنا : ( أن العقل في مفهومهم هو السر الربانى المودع في الانسان لادراك العلوم والمعارف الفارق بين الحق والباطل والشور والظلام ) ( وهو النفس الناطقه في الانسان ويطلق على العقل لفظ القلب حيث ان القلب هو العقل عند هم باعتباره محلا له ، وهو سبيل التأمل والتفكر والوصول والمعرفة الحقة . . . وقد استعمل كثيرا في معاملاتهم في الحياة فمنهم العلماء والفقهاء ، منهم

( ١ ) د / على زيمور العقليه الصوفيه ونفسانية التصوف ص ٧٧٥ ، ١٧٦ ، ١٧٧ يتصرف .  
( ٢ ) ابن عجيبة ايقاظ الهمم وشرح الحكم ص ٢٧٧ .

اصحاب الحرف والمهن التي يتقنونها بمهارة حتى اتصفوا بها ولقبوا بحرفهم . . . .  
(١) وهذا لا يتأتى إلا من حسن فكر وتمقل لما يعملون وخشية من الله فيتقنون ما يضمنون )

\_\_\_\_\_

(١) د / عبد الحلیم محمود مقدمة المنقذ من الضلال ص ١١ وما بعدها بعنوان  
التصوف والحياة .



## المبحث الرابع

( مفهوم العقل عند المتكلمين )

دار معنى " العقل " عند المتكلمين حول ماسبق من مفاهيم من أنه القوة التي اودعها الله في الانسان وبها الادراك والتمييز والعلم والمعرفة ، وأن لــــه أقساما ، ففي المواقف : " مراتب العقل أربع : العقل الهيولانى ، وهو الاستعداد المحض وهو قوة خالية عن الفعل كما للاطفال ، الثانية : العقل بالملكة وهو العلم بالضروريات ، وأنه حادث ، فله شرط حادث وهو الاحساس بالجزئيات ولايزيد بذلك العلم بجميع الضروريات ، فان الضروريات قد تفقد لفقد شرط للتصور كحس وجودان ، والاكمة والعنمين لايتصوران ماهية اللون ولذة الجماع . .

أو للتصديق كأحد هما في القضايا الحسية أو الوجدانية وكصور الطرفين ، والنسبة في البديهيات ، الثالثة : العقل بالفعل وهو ملكة استنباط النظريات من الضروريات بحيث متى شاء استحضر الضروريات واستنتج منها النظريات . . ، الرابعة : العقل المستفاد وهو ان يحضر عند النظريات بحيث لا تغيب عنه . .

وذكر الايجي تعريفا للعقل يقول قيه : " هو العلم ببعض الضروريات التي سميها العقل بالملكة " وعلق بقوله : واحتج على هذا التعريف بأن العقل ليس غير العلم والا جاز تصور انفكاكهما وهو محال ، إذ يتمتع عاقل لا علم له أصلا ، أو عالم لا عقل له . . . وفهم من هذا التعليق أن صاحب المواقف يرى ان العقل هو العلم حيث لاينفكان . . ويحكي تعريفا للرازى : " والظاهر أنه - العقل - غريزة يتبعها العلم بالضروريات عند سلامة الحواس والآلات والنائم لم يزل عقله وان لم يكن عالما " ( ١ ) فالعقل هنا وسيلة الادراك والعلم . .

( ١ ) القاضى عبد الرحمن الايجي المواقف في علم الكلام مكتبة المتنبى ص ١٤٥ - ١٤٦ .

ويرى البيهقري (١) أن للعقل خمسة أنواع فيقول : " واعلم أن العقل على خمسة أنواع ، الأول : غريزي : وهو غريزه يتبها بها لدرك العلم النظريــــة ، والثاني : كسبي وهو ما يكتسبه الانسان من مباشرة العقلاء ، والثالث : عطائسي ، وهو ما يعطيه الله للمؤمنين ليهتدوا به إلى الايمان ، والرابع : عقل الزهاد ، وهو الذي يكون به الزهد ، والخامس شرفي ، وهو عقل نبينا محمد صلى الله عليه وسلم لانه اشرف العقول " وذكر عدة تعريفات للعقل تدور حول كونه : العلم ببعض العلوم الضرورية ، أو غريزتك أي: طبيعة مفروزة يتبعها العلم بالضروريات عند سلامة الآلات ، أو أنه صفة يميّزُ بها بين الحسن والقيح . .

الا أنه رجح تعريفها واعتبره أحسن التعريفات قال فيه : " إنه نور روحاني به تدرك النفس العلوم الضرورية والنظرية . . " وقال بعضهم : إن هناك لطيفةً ربانية لا يعلمها الا الله تعالى فمن حيث تفكرها تسمى عقلا ومن حيث حياة الجسد بها تسمى روحا ، من حيث شهوتها تسمى نفسا فالثلاثة متحدة بالذات المختلفة بالاعتبار . .

صَفَّهم من مجموع الأقوال السابقة بأن مَقَهَمَ العقل لدى المتكلمين وهدسا الكلام هو قوة مدركة للعلوم بها التفكير ، أو دعها الله في الانسان عليها تبنى التكليف والاحكام ، ونور روحاني في النفس تدرك العلوم الضرورية والنظرية . .

ونرى من خلال المفاهيم السالفة الذكر مدى اقترابها من المفاهيم الفلسفية للعقل وكذا المفاهيم الصوفية من حيث تقسيم العقل الى اربعة او خمسة أقسام من حيث انه قوة من النفس موازية لسائر القوى الموجودة . . وقد اتفق الجميع على ان العقل - ومع عدم اتفاقهم على وصف واحد - اتفقوا على أنه هو القوة التي ميز الله بها الانسان عن الحيوان - بها التفكير والنظر والتأمل وتحصيل العلم

(١) البيهقري في شرح جوهرة التوحيد ص ١٩٨ وما بعدها .

( ٤٠ )

والتفريق بين المتقابلات من الحق والباطل والخير والشر والخطأ والصواب . . . وعلى  
أساس وجوده تكون مسئولية الانسان على أفعاله وإدراك الواجبات والجزاءات  
والمستحبات العقلية . . .

---

---

---

## المبحث الخامس

( مفهوم العقل في علم النفس الحديث )

وبعد أن عرضنا لمفهوم العقل ومعناه في الفكر القديم من فلاسفة إلى صوفية إلى متكلمين بعد بيان ذلك المفهوم في اللغة العربية و استعمالاتها ، نتساءل ما المراد بهذا المفهوم في العصر الحديث ؟ وهل تغير عن المفاهيم السابقة ؟ فيما يلي أعرض بإيجاز لمعنى العقل ومفهومه في بعض الكتابات الفلسفية والنفسية الحديثه لبيان ذلك . .

يقول د / زكي نجيب محمود : ( واختصارا فان العقل هو أن ينتقل الانسان من معلوم إلى مجهول ، ومن شاهد إلى غائب ، ومن ظاهر إلى خفي خبي ، ومن حاضر إلى مستقبل لم يحضر بعد أمام البصر أو ما من ذهب وانقضى ولم يعد مرئيا مشهودا ) ( ١ ) . .

فهو بهذا يعرف العقل لا بحقيقته ولكن بوظائفه ، حيث يعرف العقل بالعملية الفكرية ذاتها وهو بهذا يعنى بالعقل عملية التفكير والتدبر والتأمل ، ودور ذلك فنى الرقى والتقدم والانطلاق ، كما أنه يعنى التوصل إلى الحقائق من خلال عملية النظر والتأمل . .

وذكر د / يوسف كرم معنى العقل فيقول : ( والعقل قوة صرفة كالحس والا لما استطاع ان يتعقل الموضوع كما هو ، إذ لو كانت له صورة خاصة ، او كيفية خاصة لحالته دون الصورة المعقولة ان تتحقق فيه ، فطبيعته أنه بالقوة كاللحس )

( ١ ) د / زكي نجيب محمود تجديد الفكر العربى ص ٣١٠ ، وانظر كتاب الفكر الاسلامى بين العقل والوحى ص ٩ .

انه لم يكتب فيه شئ\* بالفعل غير أنه أضمن من الحسنى معنى القوة ، إذ انه يدرك ماهيات الاشياء جميعا في حين ان الحس لا يدرك المحسوسات من حيث هــسـى كذلك ( ١ ) وهو بهذا يؤكد أن العقل قوة مودعة في الانسان بها ادراك . . . . . الاشياء جميعا والتوصل الى المعلومات والحقائق والتمييز بين كل هذا وتعلقه . . .

( فالعقل اذن قوة خفية تدرك الاشياء ، وهى هبة سماوية تستطيع في ضوءها أن تميز بين الحق والباطل ، بين الخبيث والطيب ، بين النافع والضار بين الحسن والقبح وسواء حملت هذه القوة اسم العقل او اسم القلب او اسم العلم ) ( ٢ ) .

يذكر مؤلفو كتاب علم النفس التبروى أن معنى العقل ، ويراد به النفس والروح بالاضافة إلى العقل وأن الفرق بينهما نسبي ، فيقولون : يكاد يكون من المجمع عليه بين علماء النفس في عصرنا هذا أن النفس والروح والعقل شئ واحد لا يختلف احد هما عن الآخر الا في الدرجة والمرتبة والفرق بين كل منها وبين غيره نسبي فقط ، فالعقل أدنى هذه ، والروح اعلاها ، والنفس تحتل منزلة بينهما ، إذ أن العقل مشترك بين الانسان والحيوان مع تفاوت بالطبع ، وفسر بعضهم ويصغر بالنسبة لمرتبة الحيوان في السلسلة الحيوانية ، أما النفس والروح فخاصان بالانسان ، فالنفس تطلق على الاعمال العقلية العليا العادية التي يشترك فيها جميع أفراد النوع الانساني العادي بين أما الروح فتطلق على مجموعة الاعمال العقلية العليا التي تصدر عن ذوى العقليات الراقية من بنى الانسان ككبار الفلاسفة والأولياء ، والانبياء ، فأعمال الروح الى الادراكات الالهية أقرب ، وهى بهـسـا أشبه . . . . . وينتهون الى تعريف للعقل بقولهم " كل منا يشعر بأنه يحس يدرك ويفكر ، ويتخيل ويذكر شيئا ونسى أشياء ، ويصدر أحكاما خاصة وعامة ، ويصل الى حقائق كلية صحب شيئا ويكره آخر ، يشعر بالآلام تارة والفرح تارة أخرى

( ١ ) د / يوسف كرم تاريخ الفلسفة اليونانية ص ١٦٣ .

( ٢ ) د / عبد المال سالم الفكر الاسلامى بين الوجدى والعقل ص ٧ .

ويجد نفسه ميلا شديدا الى عمل من الاعمال ، ونفورا من أعمال أخرى وهكذا . . . فهذه هي الاعمال التي نسميها اعمالا معنوية ، مجموعها هو الذي نطلق عليه اسم العقل<sup>(١)</sup> فالعقل عند هم هو القوة التي بها الادراك والتفكير والتحليل والتذكر الموصلة للسي الحقائق والاحكام المدركة للعمليات النفسية من الفرح والحزن والحب والكراهية . . الخ . وللعقل صلة وثيقة بالجسم لأنه من المعلوم منذ وقت تطوُّل أن الصراعات الانفعالية تُقضى الى نشوء المرض الجسدي وكثير من الحالات المرضية أدي اليها الاضطراب . . . الانفعالي - وهي كثيرة تمتلئ بها عيادات الاطباء النفسانيين - وطلق عليها اسم الحالات ذات الطبيعة النفسية ، ذلك ان العقل هو مصدر المرض فيها جميعا . . .<sup>(٢)</sup>

والعقل هو القوة الضابطة للسلوك والافعال فلاشك في أن سلوك الفرد يتأثر بمقدار ما أوتي من قدرة على الادراك والفهم والتفكير ، ويمكن أن يقال ان الذكاء عنصر هام في توجيه سلوك الفرد ، وأن عوامل مشترك يدخل في كل العمليات العقلية التي تنتمي الى المعرفة والادراك ( ٣ ) فالسلوك العقلي سلوك منتظم مترابط ( وما أن السلوك العقلي عبارة عن التنظيمات السلوكية التي تعبر عن علاقة الفرد ببيئته المادية والاجتماعية . فان الاطار الحضاري والمناخ الثقافي يقوم بدور هام في تكوين هذه التنظيمات السلوكية وتنشيطها « ( ٤ ) .

بيرى د / سارجنت - أن العقل والدماع شيء واحد ، هما العقل في نظره الا ظلا لما يجرى في الدماغ ، ولا يستطيع العقل أن يوتر في الجسد لأنه غير موجود كقوة في ذاته فيقول ناقلا هذه النظرية : " نظرية العلامة ت . ه هاكسلي . . . وهي تفسر النشاط العقلي على أساس من نشاط الدماغ فما ندعوة " هوعيا " ليرغير ظل لما يجرى في الدماغ واذا أردنا اصطناع التمثيل قلنا: إن العقل أشبه ما يكون بعربة

( ١ ) حامد عبد القادر - محمد عطية الابراشي - محمد مظهر سعيد علم النفس

التربوي ج ١ ص ٦٩ - ٧١ .

( ٢ ) د افيد هارولد فنك - ترجمة يوسف ميخائيل كتاب الاسترخاء النفسى والعصبى

ص ٧٢ صابعدها .

( ٣ ) محمد رفعت رمضان وآخرون اصول التربية و علم النفس ص ٢٥ .

( ٤ ) د / احمد زكى صالح علم النفس التربوي ص ٥٤١ .

متحركة والوصى ظلها كذلك لا يستطيع العقل ( الظل ) أن يوتر في الجسد لأنه في الواقع غير موجود كقوة في ذاته " صعلق على هذه النظرية بقوله : " مهما يكن من أمر فان على هذه النظرية مآخذ عديدة من أجل ذلك نعتبرها غير جد برة بالقبول " ويعرض لنظريات العلماء في ذلك فيقول : " وهناك نظرية ثالثة لعلمها احق هذه النظريات بالقبول لأنها لا تحلوا أن تلغى العقل كعامل فعال في الحياة الانسانية بل تنظر اليه على أنه واقعي كالجسد سواء بسواء " . . . وتعرف بنظرية التفاعل الجدي النفس وتقول إن الجسد والعقل مختلفان على الرغم من أنه يتعين علينا أن ننظر الى الانسان ككل . فاما نشاط الجسد فالأولى ، واما نشاط العقل ففرض وكل من هاتين الذاتين تتفاعل مع الأخرى وتوتر فيها تأثيرا متبادلا ، فالرجل الحزين كثيرا ماتعزف نفسه عن الأكل لأن حالة عقله توتر في شهوته الجسمانية الى الطعام " . . . ( ١ ) فالعقل موتر في السلوك ضابط له ، وهو قوة مؤدعه في الانسان موتر في كل انشطته في الحياة . . .

وبعد استعراض هذه التعريفات المختلفة لفهوم العقل في الفكر الحديث نرى انها د ارجح الفهوم التالي للعقل : انه قوة اودعها الله في الانسان مع السروح والنفس وهذه القوة بها التوصل الى المجهولات من القضايا من خلال التأمل في المعلومات والمقدمات فيها تحصيل العلوم ، والذكاء قاسم مشترك في كل أنشطتها ، وسها التمييز بين الأمور المتقابلة بين الحق والباطل ، والنور والظلام ، والحسن والقبح . . . الخ وهذه القوة توتر في سلوك الفرد وتوجهه إلى الصواب والحق، وتلك القوة متذكرة ، متخيلة فاهمة . . . ذكية . . . فارقه بين الانسان وغيره من الكائنات . . .

( ١ ) د / سارجنت - ترجمة منير الهليلكي علم النفس الحديث ص ٥٩ دار العلم للملايين

## المبحث الخامس

( معنى العقل فى القرآن الكريم )

بعد أن استعرضنا النماذج السابقة من التصور البشرى لمفهوم " العقل " فى الكتابات المختلفة لأهل اللغة ، والفلسفة ، والمتصوفة ، والمتكلمين ، وعلماء النفس المحدثين ، ورأينا ما بينها من تباين واختلاف وتضارب أو اتفاق وتقارب ولا عجب فتلك طبيعة العقول البشرية لا تتفق على شئ واحد اتفاقاً مطلقاً . وهذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فهى تبين عجز الانسان أمام قدرة الخالق . فالعقل مركب فى كيان الانسان ومع ذلك لا يدرك حقيقته ولا يحيط بكنهه وماهيته . فسحان ريس القادر . . . ولذا فقد أخرجت هذا المبحث الخاص بمعنى العقل فى القرآن بعد استعراض الأقوال السابقة ليدون حكماً عليها ، أولها ، بالخطأ أو الصواب فالقرآن هو الوحى الالهى الذى لا يأتبه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد . . . يعلم حقيقة الخلق ومحيط بهم ومطلع على نفوسهم وسرائرهم ، " الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير " ( ١ ) . . . وفيما بلى عرض لنماذج متنوعة من آيات القرآن الكريم واستعمال مادة العقل فيها لنخلص الى المعنى المراد للعقل فى القرآن الكريم . . . وبعدها عرض " نماذج من السنة النبوية لمعنى العقل أيضاً حيث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم " وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى " ( ٢ ) . . . ولأن السنة بمثابة المذكرة التفسيرية للقرآن الكريم بجانب أنها وحى الهى ألقى على قلب النبى صلى الله عليه وسلم .

مادة ( العقل ) فى القرآن : دارت مادة العقل فى القرآن تارة بلفظ الفعل الماضى وأخرى بلفظ المصارع ، منفياً ومثبثاً ، وبلغ اجمالى ذكر المادة على اختلاف صورها وأشكالها تسعاً وأربعين مرة ، مرة واحدة بلفظ الماضى " عقلوه " ، وأربعاً وعشرين مرة مضارعاً مبدؤاً بتاء ( تعقلون ) واثنين وعشرين مرة مبدؤاً بالياء ( يعقلون ) ومرة

( ١ ) سورة الملك آية ١٤ . ( ٢ ) النجم آية ٣ ، ٤ ، ٥ .



واحدة مبدوءاً بنون التكلم ( نعقل ) ، هرة واحدة مبدوءاً بياء الغائب مع اتصال الفعل بياء المفردة الموصوثة الغائبة " يعقلها " ( ١ ) .

وكل هذه الاستعمالات دارت حول معنى واحد للعقل وهو أنه القوة التي أودعها الله في الانسان مميّزةً له عن الحيوان ، بها الادراك والتمييز بين الامور من الحق والباطل والظلمات والنور ، كما أنه القوة الضابطة للسلوك الانساني المتدبر لعواقب الامور المتفكره فيما حولها لتصل الى قواعد الايمان الصحيح **ياونى للعجز** " عقله - تعقلون - نعقل - يعقلها - يعقلون " ( العقل من الحسنى ) العقل : الامساك كعقل البعير بالعقال ، منه قيل للحصن معقل ، منه قيل لتلك القوة في الانسان : عقل - وقد ورد هذا الاستعمال العقلى في القرآن " ( ٢ ) وذلك على النحو التالى :

١ - فمن ذلك قوله تعالى : ( **أتأمرون الناس بالبر وتنسون انفسكم تتلون الكتاب افلا تعقلون** ) ( ٣ ) مراد بالعقل هنا التمييز بين الحق والباطل ، . . . والاستفهام في قوله افلا تعقلون معناه افلا تمنعكم قوة العقل من مواقفه هذه الحال المرده لكم من الامر بالبر ، والبعد عنه ، لأن هذا تناقض بين القول والفعل وقال الزجاج : العاقل من عمل بما أوجب الله عليه ، فمن لم يعمل به فهو جاهل وقد صارت الفلاسفة الى أن العقل قديم ، ثم منبهين صار الى انه جوهر لطيف نسي البدن ينبعث شعاعه بمنزلة السراج ، يفصل بين حقائق المعلومات . . وقال الشيخ ابو الحسن الاشعري والاسنان ابو اسحق الاسفرايينى وغيرهما من المحققين : العقل هو العلم ، بدليل أنه لا يقال : " عقلت صاعلمت ، او علمت صاعقلت " ، وقال القاضى أبوبكر : " العقل علوم ضرورية بوجوب الواجبات وجواز الجائزات ، واستحالة

( ١ ) محمد فؤاد عبد الباقي المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ص ٤٦٨ .  
 ( ٢ ) معجم الفاظ القرآن الكريم - مجمع اللغة العربية ص ٤٣٠ .  
 ( ٣ ) سورة البقرة آية ٤٤ .

المستحيلات وهو اختيار ابى المعالى فى الارشاد ، واختار فى البرهان أنه صفة يتأتى بها درك العلم وحكى عن الشافعى وابى عبد الله بن مجاهد أنهم قالوا : "العقل آلة التمييز" . والآية مسوقة لتبكي أهل الكتاب على تناقض حالهم من مخالفة القول للفعل مما يدل على عدم العقل الذى كان يجب أن يكون وسهولة لبيان الحسن من القبيح ومقتضى ذلك يبعد هم عن القبيح . . . وذكر أبو السعود أنه - أى العقل - سعى به النور الروحانى الذى به تدرج العلم الضرورى والنظرية لانه يحبس عن تعاطى ما يتقبح ، وعقله على ما يحسن . . . ( ١ ) فهو القوة الضابطة المانعة من ارتكاب القبيح الداعية الى فعل كل حسن . . .

٢ - من ذلك قوله تعالى : " افتطمعون ان يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون " ( ٢ ) أى من بعد ما عقلوا مراد الله فالولوه تأويلا فاسدا يعلمون أنه غير مراد الله . . . وقال هم اليهود كانوا يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من <sup>بوج</sup> ما عرفوه ووعوه ، او عرفوه وعلموه ومع ذلك كانوا معاندين مع وضوح الحق لهم فهم يحرفون كلام الله من بعد ما فهموه وضبطوه بعقولهم ولم يتبق لهم أى شبهة فى صحته " ( ٣ ) ( ولكن الله نفى الهداية والعقل عنسهم فى قوله تعالى " واذ اقبل لهم اتبعوا ما انزل الله قالوا بل نتبع ما آتينا عليه آباءنا اولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون " ( ٤ ) أى ليس فى آباؤهم فهم ولا هداية وهم لا يعقلون شيئا ولا يفهمونه " ( ٥ ) هـله قوله تعالى : انا انزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون " ( ٦ ) لعلكم تعقلون أى لتعلموا معانيه وتفهموا ما فيه ، ولعلكم تعقلون - ارادة ان تفهموه وتحيطوا بمعانيه لا تلتبس عليكم . فتفهموا ما فيه ومعانيه وتحيطوا به وما فيه من بدائع فتعلموا عن طريق

- ( ١ ) انظر ابن كثير ج ١ ص ٨٥ ، الكشاف ج ١ ص ٢٧٧ ، النسفى ج ١ ص ٤٦ ، . . . ابو السعود هامش الفخر الرازى ج ١ ص ٢٣٨ ، الالوسى ج ١ ص ٢٤٨ ، القرطبي ج ٣ ص ٣١٦ . . . ( ٢ ) البقرة آية ٧٥ . ( ٣ ) انظر ابن كثير ج ١ ص ١١٥ ، الكشاف ج ١ ص ٢٩١ ، النسفى ج ١ ص ٥٧ ، ابو السعود هـ الرازى ص ٢٢٩ ، الفخر الرازى ج ١ ص ٣٧٩ . . . ( ٤ ) البقرة آية ١٧٠ . ( ٥ ) ابن كثير ج ١ ص ٢٠٤ . ( ٦ ) يوسف آية ٢ .

عقولكم انه خارج عن طوق البشر مشتمل على ما يشهد أنه منزل من عند خلاق القوى  
والقدر ( ١ ) فالعقل هنا قوة الفهم والضبط والاحاطة بدقيق المعاني الداعية  
للإيمان .

٣ - ومن ذللك قولہ تعالیٰ : "وللمطلقات متاع بالمعروف حقا على المتقين  
كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تعقلون " ( ٢ ) فالآية هنا والآيات السابقة  
عليها تتحدث عن بعض احكام النكاح والخطبة والطلاق ومتعة المطلقات . . . ثم  
ختمت بقوله " كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تعقلون " أي يبين لكم الحلال  
والحرام ، وفروضه وحدوده فيما امركم به ونهاكم عنه بينه ووضحه وفسره ولم يتركه  
مجملا وقت احتياجكم اليه لتفهموه وتتدبروه وتعلموا ما شرع لكم من احكام فتعملوا  
بموجبها بعد أن تصرفوا عقولكم إليها . . . ( ٣ ) فالعقل المقصود به العلم بالاحكام  
الشرعية وفهم معانيها هرايمها لمعمل الانسان العاقل بمقتضاها مثل هذه  
الآية من ادراك العقل للاحكام الشرعية والعلم بها والعمل بمقتضى ذلك العلم  
قوله تعالى في سورة النور : " ليس على الاغني حرج ، ولا على الاعرج حرج ولا على  
المرضى حرج ولا على انفسكم ان تأكلوا من بيوتكم أو بيوت آبائكم أو بيوت امهاتكم  
أو بيوت اخوانكم أو بيوت اخواتكم ، أو بيوت اعمامكم أو بيوت عماتكم ، أو بيوت  
اخوالكم أو بيوت خالاتكم ، أو ما ملكتم مفاتيحه أو صدقتم ، ليس عليكم جناح ان تأكلوا  
جميعا أو أشتاتا ، فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على انفسكم تحية من عند الله مباركة  
طيبة ، كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تعقلون " ( ٤ ) .

فالله تعالى ذكر بعض الآداب الاجتماعية الهامة ثم ذهل الآية بقوله : " كذلك  
يبين الله لكم الآيات لعلكم تعقلون " فالمراد هنا تعلمون الاحكام الشرعية التي

( ١ ) انظر القرطبي ج ٣٧ ط الشعب ص ٣٣٤٨ ، الكشاف ج ٢ ص ٣٠٠ ، الالوسي  
ج ١٢ م ٣ ص ١٧٤ .  
( ٢ ) البقرة آيتا ٢٤١ ، ٢٤٢ . ( ٣ ) انظر الالوسي ج ٢ ص ١٦٠ ، ابو  
السعود ج ٢ ص ٦٢ . ( ٤ ) سورة النور آية ٦١ .

سبق في الآية " اى لعلمك تعقلون ما في تضاعيفها من الشرائع والاحكام وتعملون بموجبها وتحوزون بذلك سعادة الدارين " (١) فالعقل هو العلم بالاحكام الشرعية وادراك مافيه من حكمة التشريع الالهي السامي وما في اتباع ذلك من سعادته ومجتمعه في الدارين .

٤ - ومن ذلك قوله تعالى : " يا ايها الذين آمنوا لاتتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء واتقوا الله ان كنتم مؤمنين واذا ناديتم الى الصلاة اتخذوها هزوا ولعبا " ذلك بأنهم قوم لا يعقلون " (٢) ( فهو لا ) سلكوا مسلك السخرية والاستهزاء من الاذان فهم بمنزلة من لا عقل له بمنعه من القيائح . والعقل المنفى عنهم هنا سبب في عدم علمهم بأن تعظيم الخالق المنعم وخدمته مقرونة بغاية التعظيم ، فهم بذلك سفهاء والسفه يورثى الى الجهل بمحاسن الحق والهزء به - ولو كان لهم عقل في الجملة لما اجترأوا على تلك العظيمة ( ٣ )

ومثله في سورة الاعراف : فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الأدنى ويقولون سيغفر لنا وان يأتهم عرض مثله يأخذوه ، الم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب ان لا يقولوا على الله الا الحق ودرسوا مافيه ، والدار الآخرة خبير للذين يتقون افلا تعقلون " (٤) اى افلا تعقلون - افليس لهم عقول ترد عنهم عما هم فيه من السفه والتبذير " (٥) . حيث يسلكون مسالك من لا عقل له . ونفس

(١) الالوسي ج٨ مجلد ٦ ص ٢٢٣ .

(٢) سورة المائدة آيتا ٥٧ ، ٥٨ .

(٣) انظر القرطبي ج ٢٥ ص ٢٢٣ ط الشعب ، ابن كثير ج ٢ ص ٧٢ ، الكشاف

ج ١ ص ٦٢٤ النسخ ج ١ ص ٢٩٠ .

(٤) سورة الاعراف آيه ١٦٩ .

(٥) ابن كثير ج ٢ ص ٢٦٠ .

المعنى من عدم ضبط السلوك لقلّة العقل في سورة الحجرات : " ان الذين ينادونك من وراء الحجرات اكثرهم لا يعقلون " (١) فقد نزلت هذه الآية في اعراب بنى تميم، قدم الوفد منهم على النبي صلى الله عليه وسلم فدخلوا المسجد ونادوا على النبي صلى الله عليه وسلم من وراء حجرتهم أن اخرج البنا ، فان مدحنا زين ، وذمنا شين وكانوا سبعين رجلا . . . ثم قال " ان الذين ينادونك من جملة القوم الغالب عليهم الجهل . . . ثم ارشد الى الاذنب في ذلك بقوله " ولو انهم صبروا حتى تخرج اليهم لكان خيرا لهم " (٢) فهؤلاء رفعا اصواتهم بالنداء على النبي صلى الله عليه وسلم وقت نومه للقلول وهذا سلوك غير سوى ولا منضبط فهو غير عاقل فالعقل في هذه الطائفة من الآيات يراد به القوة الضابطة لسلوك الانسان واعماله الداعية له الى التصرف السوى المستقيم .

٥ - من ذلك قوله تعالى : " ان شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون " (٣) اي ان شر الدواب الصم عن سماع الحق البكم عن فهمه ، ولهذا قال الذين لا يعقلون فهؤلاء شر البرية لان كل دابة مما سواهم مطبوعة لله فيما خلقها وهؤلاء خلقوا للعبادة فكفروا ، " والله جعلهم من جنس البهائم - بنفس العقل عنهم - ثم جعلهم شرها لانهم عاندوا أنفسهم بعد الفهم وكابروا بعقد العقل - وهذا تحقيرا لكمال سوء حالهم فان الاصم الابكم اذا كان له عقل ربما يفهم بعض الامور فيفهم غيره ويهتدى الى بعض مطالبه أما اذا كان فاقد العقل ايضا فقد بلغ الغاية في الشؤم وسوء الحال . وذلك يظهر كونهم شر الدواب حيث ابطالوا ما يمتازون به عنها وهو العقل (٤) .

(١) الحجرات آية ٤

(٢) انظر القرطبي ج٦٧ ط الشعب ص٦١٢٨ ، ابن كثير ج٤ ص٢٠٨ .

(٣) سورة الانفال آية ٢٢ .

(٤) انظر ابن كثير ج٢ ص٢٩٧ ، الالرسى ج٩ ص٣١٨٩ .

مثل هذه الآية قوله : " أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم  
 إلا كالانعام بل هم أضل سبيلاً " (١) ( قيل انه المعنى انهم لما لم  
 ينتفعوا بما يسمعون فكأنهم لم يسمعوا ، والمراد هنا أهل مكة ، وقيل : أم بمعنى  
 ( بل ) أى بل هم كالانعام فى الأكل والشرب لا يفكرون فى الآخرة ( بل هم أضل )  
 ان لا حساب ولا عقاب على الانعام وقال مقاتل : الانعام تعرف ربها وتهتدى  
 الى مراعيها وتنقاد لأربابها التى تعقلها ، وهو ملائكة لا ينقادون ولا يعرفون ربهم  
 الذى خلقهم ورزقهم ، وقيل : لأن البهائم ان لم تعقل صحة التوحيد والنبوة  
 لم تعتقد بطلان ذلك أيضاً " فهم اسوأ حالا من الأنعام السارحة . . . وهى عبرت  
 عن كونهم مسلمى الأسماع والعقول لأنهم لا يلقون الى استماع الحق أذنا ولا الى  
 تدبره عقلا ، مشبهين بالانعام التى هى مثل فى الغفلة والضلال . . . (٢) . .  
 فالعقل هنا يراد به القوة المودعة فى الانسان الفارقة بينه وبين سائر الحيوانات . .  
 فالله ألحقهم بالانعام والبهائم بنفى العقل عنهم ، حيث يفهم أن الانسان  
 عاقل فاذا نفى عنه العقل فهو كالبهيمة فالعقل قوة مميّزة فاصلة . . . وهو وسيلة  
 التفكير والتأمل وتدبير الآيات والعظائم والمعبر الموجودات فى خلق الله تعالى ، وذلك  
 كقوله : " ومن آياته يريكم البرق خوفاً وطمعاً ينزل من السماء ماءً فيحيى به الارض بعد  
 موتها ان فى ذلك لايات لقوم يعقلون " (٣) أى ومن آياته الداله على عظمته انه  
 يريكم البرق خوفاً وطمعاً أى تارة تخافون مما يحدث بعد من أمطار مزعجة وصواعق  
 متلفة ، وتارة ترجون هيمضه مما يأتى بعد من المطر المحتاج اليه ويحيى الارض  
 بعد موتها ، أى بعد ما كانت هامدة لأنبات فيها ولا شئ فلما جاءها الماء  
 اهتزت وربت وانبتت من كل زوج بهيج ، فى ذلك عبرة ودلالة واضحة على المعاد

(١) سورة الفرقان آية ٤٤ .

(٢) انظر القرطبي ج ٢ ص ٤٧٥ ط الشعب ، ابن كثير ج ٣ ص ٣٢٠ ، الكشاف

ج ٣ ص ٩٣ .

(٣) سورة الروم ٢٤ .

وقيام الساعة ولهذا قال: إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون " (١) ومعنى يعقلون " اى يتفكرون بمعقولهم " (٢) فالعقول تفكر في آيات الله لتصل الى قدرة الله على البعث وعظمته في الخلق . . . فالمعقل هنا قوة التفكير والتأمل التى يهتدى بها الانسان الى عقيدته . . .

وقد أطلقت في القرآن الكريم ألفاظ أخرى غير المعقل ولكن يراد بها معناه فمن هذه الالفاظ لفظ : " الالباب " : مفرد هذا الجمع ( لب ) الا أنه لم يستعمل في القرآن الا جمعا وقد جرى استعمالها في القرآن بمعنى المعقل ست عشرة مرة . . .

فان معانى اللب " المعقل " " لب الجوز ونحوه ما في باطنه ، ولب الشئ " ماخلص منه او خلا من الشوائب ، ولب الشئ " جوهره وحقيقته ، واللب : العقل سمي بذلك لأنه يمثل جوهر الانسان وحقيقته ، وجمعه الالباب " (٣) واستعمل دائما مسبوqa بكلمة ( أولى - أولو ) بمعنى أصحاب . . . وهذه بعض الامثلة لهذا الاستعمال . . .

١ - قال تعالى : " ولكم في القصاص حياة يا اولى الالباب لعلمكم تتقون " (٤) وقال " وتزودوا فإن خير الزاد التقوى واتقون يا اولى الالباب (٥) فالمراد بـ ( أولى الالباب ) العقلاء اى أصحاب العقول العارفين للعواقب المتديرون لها ، وذكر الرازى ان اللب اسم للعقل او للقلب وسمى به العقل لانسه اشرف ما في الانسان ، وجعل كناية عن العقل حيث قال تعالى : " ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد " (٦) .

- 
- (١) ابن كثير ج٣ ص٤٣٠ . (٢) النسخى ج٣ ص٢٧١ .  
 (٣) معجم الفاظ القرآن ص٥٨٦ .  
 (٤) سورة البقرة آية ١٧٩ ، وآية ١٩٢ .  
 (٦) سورة ق آية ٣٧ .

٢ - وقال تعالى : " يؤتى الحكمة من يشاء " ومن يؤتى الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا ما يذكر الا اولو الالباب " (١) فذكر المفسرون أن أولى الالباب هم ذوو العقول ، والالباب هي العقول (٢) ، وكذا قوله تعالى : " لقد كان في قصصهم عبرة لأولى الالباب " (٣) أي لقد كان في خبر المرسلين مع اقوامهم ، وكيف نجينا المؤمنين وأهلكنا الكافرين عبرة لأولى الالباب وهي العقول . . . فذكرت الآية أن في قصة يوسف عظة وعبرة لمن كان صاحب عقل مبرا من الاوهام ، وأصل اللب هو الخالص من الشيء ثم أطلق على ما زكا من العقل فكل لب عقل ، وليس كل عقل لب ، وقال غير واحد ان اللب هو العقل مطلقا وسمى بذلك لأنه خالص ما في الانسان من قواه . . . (٤) .

وعلى الجملة فالمدركون للتشريع بما فيه من حكم ، المتقون الله تعالى . . . المتذكرون لقدرة وعظمتها وما أنزل على رسوله ، المتفكرون في خلق الله وأحكام صنعته ، المتوصلون إلى صفاته من قدرة وعلم وإرادة وحياته ، المنتفعون بالتأمل في أحوال السابقين وخصمهم المهتدون بما في كتاب الله تعالى من توجيهات وتشريعات وعقائد . . . هم المتأملون ذوو العقول الخالصة عن شوائب الهوى والتعصب إنهم أولو الالباب - حيث لم يخرج معناها في القرآن عن معنى العقول .

(١) البقرة آية ٢٦٩ .

(٢) انظر النسخة ج١ ص ١٣٦ ، القرطبي ج١٣ ط الشعب ص ١١٣٩ ، ابو السمود ج٢ ص ١٣١ هـ الرازي .

(٣) يوسف آية ١١١ .

(٤) انظر ابن كثير ج٢ ص ٤٩٨ ، الالوسي ج١٣ ص ٥٠٥ ، قرطبي ج٣٩ ص ٣٥٠٦ .



من الالفاظ المستعملة في القرآن بمعنى العقل : ( القلب - الفؤاد ) وهذا بيانها :

٢ - القلب : قال تعالى " افلم يسيروا في الارض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها ، فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي فسد الصدر " ( ١ ) . . .  
وقال تعالى أيضا في سورة القتال : " افلا يتدبرون القرآن ام على قلوب اقثالها " ( ٢ ) .

ففي الآية الاولى يعيب عليهم عدم اتعاظهم بأحوال من سبقوهم واصلح بهم عند نظرهم الى آثارهم وتفكرهم فيها . الا أنهم نظروا بخير عبرة وتأمل فعميت قلوبهم عن الحق والهدى فلم تعقل ولم تتأمل ، وهذا ما يعبر عن العقل بلفظ القلب في تلك الآية من سورة الحج والآية الاخرى فلأن القلب محل للعقل كما ذكر المفسرون ، وقد نقل الالوسي قول الرازي : " في الآية دلالة على أن العقل هو العلم وهلى أن محله هو القلب " . . . وقال صاحب القاموس بعد نقله عدة أقوال في العقل : " والحق انه نور روحانى تدرك النفس المعلم الضرورية والنظرية به " . . . ثم ان في محليته القلب للمعلم ( العقل ) خلافا بين العقلاء ، فالشبهور عند الفلاسفة أن محل العلم المتعلق بالكليات والجزئيات قوى جسمانية خاصة من البدن وهى منقسمة الى خمس ظاهرة وخمس باطنة ، وزعم بعض الفلاسفة المتأخرين أن المدرك للكليات والجزئيات إنما هو النفس ، والقوى مطلقا غير مدركة بل آلة في النفس " ( ٣ ) وقد حدد العقل في القلب الذى في الصدر حيث آمن في تأكيد ذلك بقوله : " ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور " ( ٤ ) . . .

( ١ ) سورة الحج ٤٦ .

( ٢ ) سورة القتال ٢٤ .

( ٣ ) انظر الالوسى ج ١٧ مجلد ٦ ص ١٦٩ بتصرف ط دار الفكر ١٩٧٨ .

( ٤ ) سيد قطب في ظلال القرآن ج ١٧ مجلد ٤ ط الشروق ص ٢٤٣ .

في التفسير الواضح : " وهذه القوة العاقلة الروحية هي التي تدرك معاني الخير والشر والفضيلة والرذيلة ( بمعنى العقل ) صحتها القلب ، وللقلب عيون وأذن وأنف واحساس ولكن هذه الاشياء كلها ليست هذه الظاهرة التي في الانسان والحيوان بل هي حواس قلبية لها زاد هو التقوى " ( ١ ) ولأن القلب محال للعقل وأشياء أخرى كالحب والكراهية ، والحزن والفرح ، والطمأنينة والخوف وكذا الكبر والتواضع ، والغيبة والحسد ، وغير ذلك من سائر الانفعالات والمواقف يختلف الأهواء . . . فإن العقل كثيرا ما يتأثر بذلك في أسلوب تفكيره والآية تحكى عدم اهتداء هؤلاء القوم إذا ساروا ، فإن عقولهم معطل وآذانهم صماء ، وبصائرهم عمياء ، وذلك لما هم فيه من انفعالات الحقد والحسد والكبر والعناد ، ولذا فهم لا يستفيدون مما حولهم من الآيات وما سبقهم من أمم وجماعات : " فالخلل ليس نفس مشاعرهم واتما<sup>٥</sup>صابت الآفة عقولهم باتباع الهوى والانهماك في التقليد " ( ٢ ) . . .

فالقلب اذن ليس محل العقل وحده بل ان التعقل إحدى وظائف القلب واعماله . . . والتعبير عن العقل بلفظ ( القلب ) تعبير عن الشيء بمحله . كاسيأتي عند الحديث عن محل العقل ، في الآية الأخرى ينمى عليهم عدم تفكيرهم في القرآن صمانيه ، وتدبيرهم أحكامه هراميه ، لأن قلوبهم مقفلة فلا تتدبر ولا تتأمل . . . فالتفكير والتعقل للامور أسند<sup>٥</sup>ا إلى القلب حيث أمر الله تعالى بالسير في الارض مع التأمل والنظر فيها صنع الله بالامم السالفة ، وسمع التخوف من رسول الله صلى الله عليه وسلم وتعقل القلب ما يجب تعقله من التوهيد مع التفكير فيما أنزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم ، كما نسب التدبير الى القلوب ، حيث انهم لا يتدبرون القرآن . . . ليتأملوا ما فيه من عظات وعبر واعجاز ، ثم يقول : " ام على قلوب اقعالها " وام بمعنى

( ١ ) د / محمد محمود حجازي التفسير الواضح ج ١٧ ص ٦٥ ط دار التراث ١٩٧٨ .  
 ( ٢ ) سليمان ابن عمر المجيلي الشهير بالجمل - الفتوحات الالهيه بتوضيح تفسير الجلالين للد قائق الخفية ج ٣ ص ١٧١ ط عيسى الحلبي .

يل ، اى ( بل على قلوب ) وهى قلوب المنافقين ، ولأن على القلوب افعالها  
فلا تتدبر شيئا ، ولا تهتدى الى شىء ، فالتدبر منتف لقل القلوب ( ١ ) .

- ٣ - الفوائد : وقد ورد هذا اللفظ مفردا وجمعا معرفة ونكرة كسابقه ( القلب )  
يستعمل كذلك بمعنى القلب ومعنى العقل أى وسيله العلم والادراك  
لسائر المعانى يدل على هذا المعنى آيات عدده من القرآن هاك بعضها :  
١ - قال تعالى : " والله اخرجكم من بطون أمهاتكم لاتعلمون شيئا  
وجعل لكم السمع والابصار والافئدة لعلمكم تشكرون " ( ٢ ) .  
ب - وقال تعالى : " الذى أحسن كل شىء خلقه ومد أخلق الانسان  
من طين ، ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين . ثم سواء ونفخ  
فيه من روحه وجعل لكم السمع والابصار والافئدة قليلا ماتشكرون " ( ٣ ) .  
ج - وقال تعالى : " قل هو الذى انشأكم وجعل لكم السمع والابصار  
والافئدة قليلا ماتشكرون " ( ٤ ) .

ففى هذه الآيات قد استعملت كلمة ( افئدة ) بمعنى القلوب أو العقول  
حيث يذكر اللغلا من الآيات الثلاث فى معرض الحد يث عن نعمه وآلائه فى خلق الانسان  
وتزويده بوسائل العلم والفهم والادراك ، وقد بين أنه تعالى خلق الانسان من  
طين وأحسن خلقه وسواء فى أحسن صورته ونفخ فيه الروح ، وقد جعل له من الآلات  
والوسائل لإزالة الجهل الذى ولد عليه من بطن أمه ، حيث جعل له السمع لادراك  
جميع السموات ، والبصر لادراك المرئيات والمشاهدات ، كما جعل الافئدة بمعنى  
العقول لادراك المعقولات والوصول الى المعنويات وللتأمل فى الكون للوصول الى  
الايان الصادق والتصديق الجازم بوجود الخالق القادر . ويذكر المفسرون أن

- ( ١ ) انظر فتور المقاس من تفسير ابن عباس ص ٢٨١ ، ٤٢٩ ، النفسى ج ٣ ص ١٠٥  
، ج ٤ ص ١٥٤ ابن كثير ج ٣ ص ٥٣٦ ، ج ٤ ص ١٨٠ .  
( ٢ ) سورة النحل آيه ٧٨ . ( ٣ ) السجدة آيات ٧ - ٩ .  
( ٤ ) سورة الملك ٢٣ .

الافتدء بمعنى القلوب التي تعقل ؁ فيقول ابن عباس : الافتدة : \* اى القلوب  
تعقلون بها الخير ولكى تفقهوا بها الحق والهدى \* (١) .

ومن أعمال العقل المذكورة فى القرآن الكريم : التفكير - التدبر - النظر -  
التفقه وهما يلى أذكر أمثله موجزه لذلك :

١ - التفكر : قال تعالى : \* إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل  
والنهار لآيات لأولى الألباب \* الذين يذكرون الله قياما وتعودا وهلى  
جنبهم ويتفكرون فى خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانه  
فقتنا عذاب النار \* (٢) \* مادة الفكر مذكوره فى مواضع عدده فى صورتين  
لفظيتين الفعل الماضى ؁ والفعل المضارع ؁ ولم ترد أمرا \* وهى فى  
كل الاستعمالات لا يخرج معناها عن أعمال الفكر للوصول الى حقيقة الشىء \*  
\* فقد نقل الراغب محاولة لبيان الأصل الحسى لها : قال : التفكير  
مقلوب عن الفكر واستعمل فى المعانى لأنه فرك الأمور طلبا لحقيقتها ؁ ففكر  
فى الشىء \* كضرب بفتح الفاء وكسرهما : اعلم خاطره فى الشىء \* (٣) \* والله  
تعالى فى هذه الآية السابقه وصف أولى الأبواب اصحاب العقول بأنهم  
يتفكرون فى خلق الله ودقته ؁ واحكام صنعهم كقصة اختلاف الليل والنهار  
وتعاقبهما فى نظام بدبع ؁ وإبداع دقبق ؁ فهبدون الله تعالى بذكور  
آلائه ونعمه حيث تأملوا ونظروا ففهموا ما فى صنع الله من الحكم الدالة على  
عظمته وقد رته وعلمه واختباره وحكمته \* فتطمئن قلوبهم فتهتف من الألسنه  
والجوارح ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانه \* ننزهك عن كل ما لا يلىق  
بذاتك \* (٤)

- (١) انظر النسفى ج٢ ص٢٩٥ ؁ ج٣ ص٢٨٢ ؁ ج٤ ص٣٧٧ ؁ الكشاف ج٢ ص٤٢٢  
ابن كثير ج٣ ص٤٥٧ ؁ ج٤ ص٣٦٨ ؁ ابن عباس ص٢٢٨ ؁ ص٣٤٨ ؁ ص٤٨٠  
(٢) سورة آل عمران آيه ١٩٠ - ١٩١ .  
(٣) معجم الفاظ القرآن ص ٤٨٣ .  
(٤) انظر ابن كثير ج١ ص٤٣٨ ؁ الكشاف ج١ ص٤٨٨ .

ب - التدبير : قال تعالى : " أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا " ( ١ ) والتدبير من أعمال العقل وأفعاله ، والتدبير هو العقل وهو لون من التفكير الدقيق " والتدبير في الأمر النظر الى ما توصل اليه عاقبته ، والتدبير التأمل في أديار الأمور وعواقبها ثم استعمال في كل تأمل سواء أكان نظرا في حقيقة الشيء واجزائه أم سوابقه وأسبابه أم في لواحقه وأعاقبه " ( ٢ ) ويقول المفسرون في الآية : " تدبر الأمر وتأمله النظر في أدياره ما هو أول اليه عاقبته ومنتهاه ثم استعمال في كل تأمل ، فمعنى تدبير القرآن تأمل معانيه وتبصر ما فيه . . وما يذكر في هذه الآية أنها تدل على صحة القياس وعلى بطلان التقليد وفيها دليل على الأمر بالنظر والاستدلال ووجوب النظر في الحجج والدلالات . . " ( ٣ ) فالتدبير إذن عمل عقلي ونظر وتأمل في القرآن واستنباط الأحكام منه حيث يرشد القرآن الى المقاصد الصحيحة والآخذ العقلية الصريحة . .

ج - النظر : قال تعالى " قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الأرض فانظروا كيف عاقبة المكذابين " ( ٤ ) ففي هذه الآية الشريفة يحثهم الله تعالى على النظر في سوء عواقب المكذابين قبلهم ، والاعتبار بما يعاينون من آثار أهلاكهم و " فانظروا " أى تأملوا وانهموا ما تتأملون من أخبار السابقين وأحوالهم ، ومثل هذا المعنى في قوله : " قل سيروا في الأرض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذابين " ( ٥ ) وقوله : " . . انظروا الى ثمره اذا اثمر وينعه . . " ( ٦ )

- 
- ( ١ ) سورة الضحى آية ٨٢ .  
 ( ٢ ) انظر مختار الصحاح ص ٢١٥ ، ترتيب القاموس ج ٤ ص ١١٤ ، معجم الفساذ القرآن ص ١٩٨ .  
 ( ٣ ) انظر الكشاف ج ١ ص ٥٤٦ ، النسخ ج ١ ص ٢٣٩ ، القرطبي ج ٢١ ط الشعب ص ١٥٦ .  
 ( ٤ ) سورة آل عمران آية ١٣٧ . ( ٥ ) الانعام آية ١١ .  
 ( ٦ ) الانعام من آية ٩٩ .

فالمراد هنا نظر التأمل والتفكر والاعتبار باحوال الامم السابقة هو اتبعهم  
وكذا النظر والتأمل في قدرة الله في خلق النبات واخضرارها وانما هو  
فالمراد نظر التأمل والاعتبار لا مجرد نظر الابصار والروئية فقط (١) . . .  
وكم من ناظر يرى ولا يسمي . . . ويتبين لنا أن النظر قد يستعمل في القرآن  
ويولد به العقل وهو من الجهود والاعمال العيقلية وهو بمعنى التأمل  
وهو تأمل الشيء بالمعنى . . . الا انه يستعمل في القرآن بمعنى الفكر  
والتأمل والاعتبار والاتعاظ . . . (٢) .

د - التفقه والفقہ : يورد الفقه كثيرا في القرآن مثبتا لقوم في معرض المدح لهم  
واتعاظهم بآيات الله في خلقه ، او متفيا عن آخرين لعدم انتفاعهم  
بتلك الآيات والمعجزات . . . ومن استعمال القرآن للفقه : قوله تعالى :  
" هو الذي انشأكم من نفس واحدة ، فمستقر ومستودع ، قد فصلنا الآيات  
لقوم يفقهون " (٣) أي يفهمون والفقه هنا الدقة في الفهم والنظر  
وانما قبل " يحملون " ثم - يقصد الآية السابقة " قد فصلنا الآيات  
لقوم يحملون " - يفقهون هنا لأن الدلالة ثم أظهر ، وهنا أدق لأن . . .  
انشاء الانس من نفس واحدة وتصرفهم بين أحوال مختلفة أدق فكان ذكر  
الفقه الدال على تدقيق النظر أوفق . . . (٤) وقد فسر الالوسي ( الفقه )  
في قوله : " . . . قل نار جهنم اشد حرا لو كانوا يفقهون " (٥) بالعلم

(١) انظر الكشاف ج١ ص ٤٦٥ ، الالوسي ج٤ م ٢ ص ٦٥ ، ابو السعود ج٤ هـ  
الرازي ص ١٣٠ .

(٢) انظر مختار الصحاح ص ١٩٦ ، ترتيب القاموس ص ٣٩٤ ، معجم الفاظ القرآن  
ص ٦٢٠ .

(٣) سورة الانعام آية ٩٨ . (٤) انظر النسخي ج٢ ص ٢٥ ، الكشاف ج  
ص ٣٩ ، الرازي ج٤ ص ١٠٥ .  
(٥) سورة التوبة من آية ٨٩ .

" أى لو كانوا يعلمون أنها كذلك أو أحوالها وأهوالها ، وأن مرجعهم اليها لما آثروا راحتين قليل على عذاب الابد . . . " (١) فالفقه الفهم أو العلم وكلاهما من أعمال العقل وهما . التى خلقه الله من أجلها وقد استعمل لفظ **تَعَقُّ** بالتضعيف فى القرآن مرة واحدة فى صورة المضارع ، فى قول الله تعالى : " هاكأن المؤمنون لينفروا كافة ، فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون " (٢) فالمراد بـ ( يتفقهوا ) أى يتكلفوا الفقه فيه ويتجشموا المشاق فى اخذه وتحصيله . . . فى ذلك دليل على أنه يجب أن يكون المقصود من التفقه والتعلم دعوة الخلق الى الحق وارشادهم الى الدين القيم والصراط المستقيم " (٣) فالفقه بفهم من معناه طلب الفقه والسعى فى تحصيله مثل **عِلْمٍ وَتَعَلَّمَ** ، يقال **تَفَقَّهَ** بتفقه تفقها ، مثل تعلم يتعلم تعلمًا ومعناه طلب العلم . . .

وقال : **فِقْه** - بالكسر - **فِقْهًا** ، **فِقْهًا** بفتح الفاء العلم بالشئ ، والفهم له والفظنه وطلب على علم الدين لشرفه وهو فى المعنوى الفهم كويخص بالتوصل الى علم غائب عن علم شاهد فيكون أخص من العلم ، **وَفَقِهَ** كعلم : صار فقيها . . .

بهذا يتضح أن ( الفقه ) استعمل فى القرآن بمعنى الفهم الدقيق ، والمعلم وهذا من أخص أعمال العقل الذى يفقه ويعلم . يعقل يدبر . . .

وهذه نماذج اخترتها للتمثيل بها مع عرض لما فسرت به - وليس على سبيل الحصر والاستقصاء . . . وانما هى لرسم المعانى التى يتم الاستشهاد فيها . . .

(١) تفسير الالوسى ج١٠ ص ٤٠٠ - ١٥٠ .

(٢) سورة التمه آه ١٢٢ .

(٣) الكشاف ج٢ ص ٢٢ ، القرطبي ج٣٥ ط الشعب ص ٣١٣٣ ، الرازى ج٤ ص ٥٢١ .

## اجمال ماتقدم من معان واستعمالات للعقل في القرآن :

بعد هذا العرض لمعاني العقل واطلاقات الالفاظ عليه في القرآن الكريم يجدر

بنا أن نجمل ذلك لتتضح امامنا الصورة ونخلص بايجاز الى ما نريد . .

١ - عُبِّرَ عن العقل في الانسان بلفظه هادته ( ع . ق . ل ) تسعا وأربعين مرة في صورة الماضي مرة ( عقلوه ) والمضارع ثمان واربعون مرة ( يعقلون - تعقلون يعقلها - نعقل ) . وكلها تدل على القوة المودعة في الانسان الفارقة بينه وبين البهائم ، والتي بها العلم والادراك والتمييز ، والتفكر ، والنظر والاعتبار ، والفهم والفقہ . وهي القوة التي تضبط سلوك الانسان وتمسكه عما لا يليق به كإنسان عاقل . .

٢ - كما عبر عن العقل : بلفظ ( الالهاب ) مسبوقة بكلمة ( اولى - اولو ) ويراد بها العقل أو العقول أيضا . وذكرت في ستة عشر موضعا من القرآن كلها بمعنى العقل .

٣ - وقد عبر عن العقل بلفظ ( القلب ) مفردا وجمعا معرفة ونكرة مجردا ومضافا وقد استعمل لفظ القلوب مسندا اليه الفقه والعقل والعلم بالاضافة الى كثير من الانصالات كالخوف والفرح والحزن والاطمئنان . . واللين والقسوة . . . . . والحب والكراهية . . الخ .

٤ - كما عُبِّرَ أيضا بلفظ ( الافئدة ) بمعنى القلوب - عن العقل واستعملت كوسيلة للادراك والعلم الموقبل للجهل الذي يولد به الانسان . وبلغ اجمالاً في صور ذكر القلب في القرآن مائة واثنين وثلاثين مرة ، بينما صور ذكر القلوب مفردا وجمعا ست عشرة مرة ، مستعملة للدلالة على معنى القلب او العقل .

كما أن هناك بعض مظاهر العقل وأفعاله أشار اليها القرآن الكريم في سياقات مختلفة منها : التفكير في الخلق للوصول الى معرفة الخالق ومنها كذلك : التدبير بمعنى التأمل وقد وردت هذه المادة في القرآن كثيرا في استعمالات عدة ، يهمنها منها



معناها المقصود لنا وهو التأمل العقلي بمعنى الفكر والنظر كجهود عقلي للانسان وهذا المعنى لها مذكور في أربعة مواضع في سورة النساء ، وسورة المؤمنون وسورة ص ، وسورة القتال ، اما بقية المادة كتدبير الامر من السماء الى الارض . . الصادر عن الله فلا يتعلق بالموضوع .

واجمالي ذكر المادة بجميع صورها في القرآن اثنتي عشرة وأربعون مرة ومنها جميعا صلة في اللغة تربط بين الجميع .

ونها : النظر : بمعنى التأمل والتفكر وهو من اعمال العقل ، وقد وردت في القرآن مائة وثلاثين مرة دارت حول المعاني التالية : النظر بمعنى البصر والنظر بمعنى الإلتفات والامهال ، والنظر بمعنى الانتظار والتروى ، والنظر بمعنى التفكير والتأمل . . وهذا المعنى الاخير هو المقصود لنا كعمل من أعمال العقل ، وإن كانت جميعها لا تخلو من بعض هذا المعنى ، ومن امثلة انواع النظر السابقة : فالنظر بمعنى البصر كقوله تعالى : " واذا ما انزلت سورة نظر بعضهم الى بعض هل يراكم من أحد ثم انصرفوا " ( ١ ) فالنظر بمعنى الابصار بالعين فقط والنظر بمعنى الانتظار والامهال كقوله تعالى : " وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة " ( ٢ ) أى فإنتظاره وإمهاله الى ميسره ، ومن النظر بمعنى الانتظار والتروى قوله تعالى : " وانتظروا انا منتظرون " ( ٣ ) أى انتظروا حتى يأتى أمر الله وتعلموا عاقبتكم ، ومن النظر بمعنى التأمل والتفكر قوله تعالى : " قل انظروا ماذا في السموات والارض " ( ٤ ) أى تأملوا وتفكروا ما فيها من بدائع القدرة الالهية . .

( ١ ) سورة التمه من آيه ١٢٢ .

( ٢ ) سورة البقره من آيه ٢٨٠ .

( ٣ ) سورة هود آيه ١٢٢ .

( ٤ ) يونس ١٠١ .

من ذلك يتضح لنا أن العقل في القرآن يطلق مراد به :

القوة المدركة للعالم المميزه لسائر الامم المتأمله في الكائنات الناظرة في ملكوت  
الارض والسماوات ، الفارقة بين الانسان وسائر المخلوقات كالهادية الى الطريق  
السوي والسلوك المستقيم ..

صبر عنه في القرآن بلفظ العقل - واللب - والقلب - والفؤاد، ومن أعماله  
وأصنافه : التفكير - التدبر - النظر والتأمل - والفقہ ..

.....

المبحث السادس

( معنى العقل في السنة النبوية )

بعد أن بينا أن معنى العقل في القرآن هو القوة المدركة للعالم ، نحن الآن  
 بصددها بيان معنى هذا اللفظ في السنة النبوية ، فقد استعملت اللفظة (عقل)  
 في كثير من الأحاديث الشريفة ، وإذا كان استعمال مادة (عقل) في القرآن لم  
 يخرج على استعماله في القوة المدركة للعالم المميّزة للفكرة في الإنسان حيث يتوصل  
 بها إلى حقائق الأمور ، وعناصر الإيمان : في التوصل إلى وجود الله تعالى  
 وإثبات الصفات له تعالى عن طريق التأمل والتفكير ، كما أنه بالتفكير السليم المنظم  
 الحر من العواطف والتعصب يتوصل إلى صدق النبي صلى الله عليه وسلم والإيمان به .  
 ومع أن هذا المعنى موجود في السنة أيضا من إطلاق لفظ "العقل" على تلك  
 القوة المفكرة إلا أن ذلك اللفظ له معان زائدة على ما تقدم حيث أنه يدل على تلك  
 القوة وزيادة .. فيطلق لفظ (عقل) ويراد به عدة معان :-

- ١ - العقل : ويراد به القوة المدركة للعالم الفارقة بين الإنسان والحيوان ..
- ٢ - العقل : ويراد به قيد التعبير ..
- ٣ - العقل : ويراد به الدبة التي يهدفها ويومد بها عاقلة القاتل لأهل القتل .

وفيما يلي أمثلة مختارة لهذه المعاني المذكورة ..

- ١ - فالعقل بمعنى القوة المدركة للعالم المميّزة : فيما رواه قيس بن عباد : "بينما  
 أنا في المسجد في الصف المقدم فجهذني رجل من خلفي جبذه فنحاني وقام مقامى  
 فوالله ما عقلت صلاتي فلما انصرف فاذا هو أبى بن كعب فقال يا فتى لا يسوءك الله  
 أن هذا عهد من النبي صلى الله عليه وسلم البنا أن نلته .. الحد يث" (١)

(١) رواه النسائي - كتاب الامامة بلب من بلى الامام ج٢ ص ٨٨ ورواه ثقات .

والمراد هنا ما علمت صلاتي ، ومنه قوله صلى الله عليه وسلم : " رفع القلم عن ثلاثة من الناس حتى يستيقظ ، ومن الصبي حتى يحتلم ، ومن المجنون حتى يعقل " (١) .  
 ومنه ما ورد على لسان علي رضي الله عنه : " ما كنت أرى أن أحدا يعقل بنام حتى يقرأ هو لا ، الايات من آخر سورة البقرة . . . " (٢) .  
 هذه الاحاديث تروى ان العقل استعمل في معنى العلم والفهم والتمييز حيث ان . . .  
 المراد بعقل الصلاة ادراكها والعلم بما فيها لا يكون ساهيا ولا غافلا عن معانيها ولا الخشوع فيها ، كما تبين انه لا مسئولية ولا تكليف بالشرع على غير العاقل وهو المجنون أو الصبي حيث ان المجنون فاقد العقل ، والصبي ناقص العقل ولذا فهما لا يستطيعان التمييز ، ولا الادراك للاوامر الالهية والتكاليف الشرعية . . . فالمقصود بالعقل في هذا المثال ما أودعه الله من فهم وتمييز على اساسه يكون التكليف بالاحكام .

## ٢ - والعقل بمعنى الدية التي يوجبهها اهل القاتل :

فيما رواه الدارمي عن ابن شهاب قال : " العقل ميراث بين ورثة القاتل على كتاب الله وفرائضه " (٣) .  
 ومنه ما رواه بشير عم ادرك من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لهم : تحلفون خمسين يمينا وتستحقون دم قاتلكم أو صاحبكم ، قالوا يا رسول الله : ما شهدنا ولا حضرنا فزعم أنه قال : فتبرئتم بيهود بخمسين فقالوا يا رسول الله كيف نقبل أيمان قوم كفار فزعم بشير ان رسول الله صلى الله عليه وسلم عقله من عنده " (٤) في روايته " أعطى عقله " صلوات الله على الامام النووي : " قوله ان النبي صلى الله عليه وسلم أعطى

(١) رواه ابوداود - الحدود - ج٤ ص١٤٠ جاسناد حسن

(٢) رواه الدارمي ج٢ ص٤٣ - ص

(٣) رواه الدارمي كتاب الفرائض - باب من قال المرأة توت من دية زوجها ص٤٧

(٤) رواه مسلم باب القسامة ج٤ ص٢٢٩ . وهو حسن لذاته

عقله اى ديته فى الرواية الاخرى : فوداه رسول الله صلى الله عليه وسلم من قبله  
 فى رواية من عنده ، فقوله وداه بتحفيف الدال اى دفع ديته ، فى روايه فكسره  
 رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يهطل دمه فوداه مائة من ابل الصدقه ، وانما  
 وداه رسول الله صلى الله عليه وسلم قتلها للنزاع واصلاحا لذات البين فان اهل  
 القتل لا يستحقون ان يحلفوا او يستحلفوا المدعى عليهم وقد امتنعوا من الامر  
 معا وهم مكشورون يقتل صاحبهم فاراد النبي جبرهم وقطع المنازعة واصلاح ذات  
 البين ودفع الدية من عنده \* ( ١ ) . . . فالتحاديث هنا ناطقة بأن لفظ العقول  
 استعمل ويراد به الدية وما يدفعه أهل القاتل لورثة القتيل ، وهو فى مقابلة  
 القود والقصاص . ويؤكد ذلك أيضا ما رواه مالك فى الموطأ : أن مروان بن الحكم  
 كتب الى معاوية بن ابي سفيان انه أتى بجنون قتل رجلا فكتب اليه معاوية أن اعقله  
 ولا تقدم منه فانه ليس على جنون قود \* ( ٢ ) .

ويعلق الاستاذ / محمد فواد عبد الباقي بقوله : " العقول جمع عقل  
 يقال عقلت القتيل عقلا اذ يت ديته ، قال الأصمعي سميت الدية عقلا تسمية بالمصدر  
 لأن الأبل كانت تعقل بفناء ولى القتيل ثم كثر الاستعمال حتى اطلق العقول على  
 الدية ابلا كانت او نقدا " ( ٣ )

### ٣ - والعقل بمعنى القيد الذى تعقل به الدابة :

فيما رواه ابوداود عن جندب قال : جاء اعرابي فأناخ راحلته ثم عقلها ثم  
 دخل المسجد فصلى خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما سلم رسول الله صلى  
 الله عليه وسلم أتى راحلته ثمركب ثم نادى : اللهم ارحمنى وحدا ولا تشرك

( ١ ) شرح النووي على صحيح مسلم باب القمامه ج ٤ ص ٢٢٦ .

( ٢ ) موطأ مالك ج ٢ ص ٨٥١ وهو حديث حسن

( ٣ ) المرجع نفسه .

في رحمتنا أحدا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتقولون هو أضل أم يعيريه  
الم تسمعون ما قال قالوا : بلى " ( ١ ) منه ما رواه البخارى عن انس بن مالك . .  
يقول : " بينما نحن جلوس مع النبي صلى الله عليه وسلم في المسجد ، دخل  
رجل على جمل فأناخه في المسجد ثم عقله ثم قال لهم أيكم محمد - والنبي متكئ .  
بين ظهر انهم فقلنا هذا الرجل الابيض المتكى " فقال الرجل ابن عبد المطلب  
فقال له النبي قد اجبتك . . " ( ٢ ) ويعلق ابن حجر على الحديث بقوله  
" قوله ( دخل ) زاد الاصل قبلها ( ان ) ، قوله ثم عقله بتخفيف القاف  
أى شد على ساق الجمل بعد أن ثنى رجله حبلا ، قوله ( في المسجد ) استنبط  
منه ابن بطال وغيره طهارة أحوال الابل وأروائها ان لا يؤمن ذلك مدة كونه في المسجد  
ولم ينكره النبي صلى الله عليه وسلم ودلالته واضحة وانا فيه مجرد احتمال ويدفعه  
روايه أبو نعيم : أقبل على يعير حتى أتى المسجد فأناخه ثم عقله فدخـل  
المسجد فهذا السياق يدل على انه ما دخل المسجد " ( ٣ ) .

من خلال ما سبق يتبين لنا ان العقل استعمل هنا ويراد به القيد الـتى

تشد به ساق الجمل . .

وهذه الاستعمالات الثلاثة - بينها صلة في المعنى وهو الامساك والحبس  
فالعقل كقوة مدركة عالمة تمسك صاحبها عن فعل القبيح أو ارتكابه ويكبح جماح النفس  
وشهواتها فتعقل النفس عن الشهوات وتمسكها عن النزوات والعقل بمعنى الدية  
يمنع من القود والقصاص ويحبس عنه ، والعقل بمعنى القيد معناه واضح حيث انه

( ١ ) رواه ابوداود عن جندب - كتاب الأدب - باب من ليست له غيبة حـ  
ص ( ٢٧ ) ورواياته ثقات

( ٢ ) رواه البخارى كتاب العلم ج ١ ص ٢٤٠ .

( ٣ ) فتح البارى ج ١ ص ٢٤٠ .

بمسك ساق البعير وحبسها عن الحركة والانطلاق ، وهذا المعنى هو الذى يشمل مادة ( عقل ) بصفة عامة سواء استعملت فى الانسان أو الدابة أو البعير ، وأيضاً هناك الفاظ اطلق مراد بها العقل كقوة مفكرة مدركة مميّزة فقط من ذلك :

١ - اللب : وجمعه ألّباب مراد به دقة العقل وخلصته ، مثال ذلك فيما رواه ابو سعيد الخدرى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أضحى اوفطر خرج الى الصلى فمر على النساء فقال يا معشر النساء تصدقن فانى أرى كن أكثر اهل النار قلن هم يا رسول الله ؟ قال : تكثرن اللعن ، وتكفرن المشير ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب لب الرجل الحازم من احد اكن قلن ما نقصان ديننا وقلنا يا رسول الله ؟ قال أليس شهادة المرأة مثل نصف شهادة الرجل ؟ قلن بلى فذلك من نقصان عقلها ، أليس اذا حاضت لم تصل ولم تصم قلن بلى قال فذلك من نقصان دينها " (١) يقول ابن حجر : " يظهر لى أن ذلك من جملة أسباب كونهن أكثر اهل النار لانهن اذا كن سببا لانهن عقل الرجل الحازم حتى يفعل أو يقول ما لا ينهى فقد شاركته فى الاسم وذن عليه ، وقوله ( أذهب ) أى اشدّ ذهاباً ، واللب أخص من العقل وهو الخالص منه ، والحازم الضابط لأمره ، وهذه مبالغة فى وصفهن بذلك لأن الضابط لأمره اذا كان ينقاد لهن فغير الضابط أولى " (٢) فاللب هنا يطلق مراد به خلاصة العقل . .

ب - القلب : يطلق احياناً ويراد به العقل ، حيث يطلق وسند اليه كـشير من مهام العقل كالمعرفة والفقّه . . مثال ذلك فى ترجمة : قول النبى صلى الله عليه وسلم أنا اهلکم بالله وان المعرفة فعل القلب لقول الله تعالى ولكن بوءاخذکم بما کسبت قلوبکم . . (٣) وهذه ترجمة لبّ فى کتاب الايمان . . . صين الرسول

- (١) رواه البخارى ج١ ص٨٣ باب ترك الحائض الصوم - کتاب الحيض .  
 (٢) فتح البارى ج٢ ص٢١١ .  
 (٣) صحيح البخارى کتاب الايمان - ترجمة لهذا الباب ص١١ ج١ .

صلى الله عليه وسلم اشتغال قلبه بالفكر والذكر لله دائما : عندما سألتها  
السيدة عائشة رضى الله عنها : قلت يا رسول الله أثنام قبل أن توتر ؟ فقال  
يا عائشة : " ان عني تنامان ولا ينام قلبى " ( ١ ) .

من ذلك أيضا ما رواه الدارمي عن عطية انه سمع ربه يقول : أتى الغيبى  
فقبل له : " لئنم عينك ولتسمع أذنك ولبعقل قلبك " قال : " فنامت عيناي  
وسمعت أذناي ، وعقل قلبى " ( ٢ ) .

فيوضح لنا في الاحاديث السابقه أن القلب استعمل مراد به العقل حيث  
أسند اليه المعرفة والعلمى الترجمة ، والفكر حيث يخبر الرسول صلى الله عليه  
وسلم السيدة عائشة بأن عينه تنام ، ولكن قلبه لا ينام فهو مشغول بالتفكير فى الله  
والذكر له تعالى ، كما أسند العقل بمعنى التمييز والادراك الى القلب فى قوله  
" ولبعقل قلبك " " وعقل قلبى " وهذا يوهد ان القلب يطلق هنا مراد به  
العقل كقوة مدركة مميّزه واعيه عارفة عالمه . .

كما استعمل لفظ الفؤاد للدلالة على القلب والعقل ، كما ذكرت احاديث  
بعض اعمال العقل والقلب ، كالفكر فمن ذلك ما روى عن ابن عباس رضى الله  
عنهما أن قها تفكروا فى الله عز وجل ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : تفكروا  
فى خلق الله ولا تتفكروا فى الله فانكم لن تقدروا قدره " ( ٣ ) وشله ما رواه مسلم  
" لا يزال الناس يتساءلون حتى يقال : هذا خلق الله الخلق من خلق الله؟  
فمن وجد من ذلك شيئا فليقل آمنت بالله " فى روايه أخرى : " فاذا بلغ ذلك  
فليستعذ بالله وليسته " ( ٤ ) وقول الرسول : فمن وجد ذلك فليقل آمنت

( ١ ) رواه البخارى عن ام سلمه بن عبد الرحمن - كتاب التهجد ، باب قيام

النبى فى رمضان ج ٢ ص ٦٦ .

( ٢ ) رواه الدارمي ج ١ باب صفة النبى ص ٧

( ٣ ) رواه البيهقى فى الشعب

( ٤ ) رواه مسلم كتاب الايمان - باب تجاوزه الله عن حديث النفس ج ١ ص ٣٣٩ .



بالله في الرواية الأخرى : فليستعذ بالله ولينتهه ، معناه الاعراض عن هذا  
 الخاطر الباطل والالتجاء الى الله في اذهابه ، قال الامام المازري رحمه الله  
 ظاهر الحديث انه صلى الله عليه وسلم أمرهم أن يدفخوا الخواطر بالاعراض عنها  
 والرد لها من غير استدلال ولا نظري في ابطالها . . . قال والذي يقال في هذا  
 المعنى : " إن الخواطر على قسمين : فأما التي لم يمت بهستقره ولا اجتلبتها  
 شبهة طرأت فهي التي تدفع بالاعراض عنها وعلى هذا يحمل الحديث ، وليس  
 مثلها ينطلق اسم الوسوسة فكأنه لما كان امرا طارئا بغير أصل دفع بغير  
 نظري دليل ، إذ لا أصل له ينظر فيه ، وأما الخواطر المستقره التي اوجبت  
 الشبهة فانها لا تدفع الا بالاستدلال والنظري في ابطالها " (١) فالوسوسة  
 نوع يدخل به الشيطان في عملية التفكير ليفسد ها الا أن يتجاوز عنها وما تحدث به  
 النفس كما ذكر من أعمال العقل : الفقه في كثير من الاحاديث . . . من ذلك ما رواه  
 الامام البخاري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال : " من برد الله به  
 خيرا يفقهه في الدين ، وانما انا قاسم والله يعطى ولن تزال هذه الامة قائمة  
 على امر الله لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي امر الله " (٢) ويوضح ابن حجر  
 الفقه بقوله : " قوله : يفقهه اي يفهمه . . . يقال فقه بالضم اذا صار الفقه له  
 سجية ، فقه بالفتح اذا سبق غيره الى الفهم ، وفقه بالكسر اذا فهم . وتكسر  
 خيرا ليشمل القليل والكثير " (٣) .

وما سقت من أمثله وضمانج لمجرد التمثيل لا الحصر ، فقط ذكرتها للاستشهاد  
 على المعنى المراد للعقل أو وظائفه . . .

(١) شرح النووي على مسلم ج١ ص ٣٤٠ .

(٢) رواه البخاري - كتاب العلم باب من برد الله به خيرا ج١ .

(٣) فتح الباري ج١ ص ٢٥٦ .

وعلى الجملة : فإننا نلاحظ من خلال ما سبق أن السنة الشريفة اشتملت على عدة معانٍ للعقل - كلفظ - هي: الأول : القوة المدركة المميزه العالمه الفارقة بين الانسان وغيره ، والثاني : بمعنى ديه القتل ، والثالث : قهد الدابه والمقصود لنا هو المعنى الأول ، وهذا المعنى زخرت به السنة الشريفة ومعانيه فذكر فيها العقل على أنه قوة : التفكير ، والتمييز والادراك والعلم والفهم والضبط لسلوك الانسان وهدايته ، وعلى أساس ثبوت العقل للانسان تكسب المسؤولية والتكاليف الشرعية . . . وأنه من أسس شخصية المؤمن الحق المكلف البالغ العاقل الرشيد . . .

والعقل بهذا المعنى يطلق عليه أفاظ كالب ، والقلب . . . والقواد ويراد بهما العقل كذلك . . . من وظائف العقل التفكير والفقه والنظر . . .

#### مقارنه بين معانى العقل فى القرآن والسنة :

بالتأمل نجد أن معنى العقل يسائر اطلاقاته واستعمالاته لم يخرج على معنى القوة المودعة فى الانسان ، المدركة المفكرة العالمة الهادية الى الصواب فى القرآن الكريم . . . بينما فى السنة نجد أن العقل يطلق ويراد به نفس المعنى الذى فى القرآن بالاضافة الى معنى : القهد للدابة ، والديه للقتيل . . . الا أن القرآن والسنة اتفقا فى اطلاق : اللب والالجاب ، والقلب والقواد على العقل . . . وأن من وظائف العقل : التفكير ، والنظر والفقه . . . وهكذا . . . ولاعجب فى هذا فكلاهما وحى من الله لرسوله . . . وتتساءل : هذه القوة التى تسمى العقل أين مركزها فى الانسان ؟ وهذا ما سياتى فى المبحث التالى ان شاء الله .

( المبحث السابع )( مركز العقل في الانسان )

بعد التعريف بالعقل بأنه تلك القوة العظيمة والسرا لالهى المودع في الاسان  
ليعلم ويدرك صميز ويفكر به ، يتطرق الى الذهن تساؤل : ما مركز هذه القوة  
في الجسم الانسانى ؟ وهل للعقل عضو يقوم به ؟ وهل مركزه يحله الدماغ أو القلب ؟  
وللإجابة عن كل ذلك نسير في ضوء آيات القرآن ، وبعض نصوص السنة ، مستأنسين  
بأقوال العلماء . . . لتصل من خلال ذلك الى الاجابة إن شاء الله . . .

أ - القرآن الكريم : هناك آيات أسندت العقل أو الفقه إلى القلب - وفيهم  
ذلك أن القلب يحرق ويفقه . . . ومن هذه الآيات قول الله تعالى : ( ولقد ذرأنا  
لجهنم كثيرا من الجن والانس لهم قلوب لا يفقهون بها ، ولهم أعين لا يبصرون بها -  
ولهم آذان لا يسمعون بها ، أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون ) ( ١ ) .  
ومن ذلك أيضا قوله : ( أفلم يسيرا في الارض فتكوى لهم قلوب يحقلون بها -  
أو آذان يسمعون بها فانها لاتعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور ) ( ٢ )

ففى الآية الأولى أسند الفقه الى القلوب ، حيث انه منقذ عن المشركين بـ ( لا ) فى  
معرض ذمهم على عدم الفقه فيهم من هذا أن الفقه من عمل القلوب ، فى الآية الثانية  
أسند العقل الى القلوب أيضا ، وقبل المراد بالقلوب هنا العقول ، فى المعجم الفهرس  
" القلب هو اللحمه الصنوبريه الشكل المستقرة فى التجويف الايسر من الصدر وهو على  
صغر حجمه أهم أعضاء الجسم لأنه هو الذى ينظم حركات الدم فى دوائه التى يترتب  
عليها تنقيته وتوزيعه بطريقة منظمة على سائر اجزاء الجسم ومنها المخ وسائر اعضاء المجموعة  
المسببة وعلى هذين الأمرين تقوم الحياة . من ثم يجعل القرآن الكريم القلب بمنزلة  
العقل ولاعجب فانه هو السبب المباشر فى حياة المخ بله نشاطه ، فهو بمثابة

( ١ ) الاعراف آية ١٧٩ . ( ٢ ) سورة الحج آية ٤٦ .

البطارية التي يستمد منها محرك السيارة الطاقة والقدرة على الحركة ، فاذا سلمنا بأن المخ هو إدارة الشعور والتفكير وقلنا إن القلب هو أداة الحياة نفسها تبين لنا مدى قيام الشعور والتفكير على القلب . . . وقد جعل القلب في كثير من الآيات موضعاً لشتى الانفعالات والمعائد والاتجاهات العقلية المختلفة ، وقد جعل أداة للتفكير والتعقل موضعاً للهداية والاطمئنان والرائية والرحمة والتطهير والخوف والوجل والقسوة والاشمئزاز والحسرة والضيغ والايان والتقوى والشك والارتباب والنفاق والافكار وصف القلوب بانها في غمرة في عس وقد قبل عن قلوب المنافقين المكابرين إن الله ختم عليها أو طبع عليها اي جعلها غير مستعدة لقبول الموعظة . . . كما عبر عن تقوية العزيمة وتعمير الصبر على الشدائد بالربط على القلب . . . ( ١ ) فالقلب كما انه محل للتفكير والتعقل فهو أيضا محل للمديد من الانفعالات في آيات القرآن الكريم .

ب - السه : وقد وردت في السنة بعض الاحاديث الشريفة اسند فيها العقل الى القلب من ذلك مارواه الدارمي أن النبي صلى الله عليه وسلم قيل له : لتقم عينك ولتسمع اذنك ، ولتعقل قلبك ، قال : فنامت عناي ، وسمعت اذناي ، وعقل قلبي . . . ( ٢ ) فقله " ولتعقل قلبك " و " عقل قلبي " اسند فيه العقل الى القلب .

ج - أقوال العلماء في محل العقل :

١ - ذكر بعض العلماء أن محل الدماغ . . . من ذلك ما ذكره عبد السلام اللقائسي في شرحه الجوهرة : " قوله نوره في الدماغ يعني أثره ، فان ضرب على رأسه فزال عقله فكل دية على حدة لأن المنفعة انما تتدخل مع محلها الحقيقي " ( ٣ )

( ١ ) المعجم المفهرس - المجمع اللغوي ص ٥١٢ .

( ٢ ) رواه الدارمي - باب صفة النبي ج ١ ص ٧ ورواياته ثقات

( ٣ ) شرح ابن عبد السلام على الجوهرة ص ١٣٥ .

ففى تعليق اللقانى إشارة الى أن نور القلب يتصل بالدماع ليكون العقل . .  
كما يحكى البيجورى أقوال العلماء فى تلك القضية فيقول : " وقد اختلف فى محله  
والصحيح أن محله القلب وله نور يتصل بالدماع ، كما ذهب مالك والشافعى رضى  
الله عنهما وجمهور المتكلمين "

وقال الحكماء وعض الفقهاء أن محله الدماغ لفساده بفساد الدماغ . . وعلق  
على رأى الحكماء قائلا : " وهذا لا يدل على ما ذكروا لجواز أن يكون سلامة الدماغ  
شرطا لاستمراره وإن كان محله القلب " صيد ومن تعليق الشارح على الإراء أنه  
بذهب الى أن محل العقل هو القلب . .

٢ - كما ذكر بعض العلماء أن محله القلب : فى أدب الدنيا والدين للماوردي  
بذكر المؤلف أن محل العقل هو القلب فيستعرض أقوال العلماء فى محل  
العقل قائلا : " من قالوا بأن العقل جوهر قالوا محله الدماغ وقال آخرون  
محله القلب . ويرجح كون العقل فى القلب فيذكر حديث الرسول صلى الله  
عليه وسلم : " العقل نور فى القلب يفرق به بين الحق والباطل " ( ١ ) .

ومن نفي جوهرية العقل أثبت أن محله القلب ، لأن القلب محل العلم فتكون  
لهم قلوب يعقلون بها اثبت ان العقل علم وأن محله القلب " ( ٢ ) أى من قال ان  
العقل جوهر قال إن محله إما الدماغ أو القلب ، ولكن من قال انه ليس بجوهر اثبت  
أن محله القلب حيث إن العقل علم محل العلم هو القلب . .  
٣ - وهناك من قال ان العقل ليس عضوا وليس له محل . . حيث يذكر د / يوسف كرم  
فى تاريخ الفلسفة اليونانية ( ٣ ) : أن العقل مفارق أى ليس عضو بعينه الس  
موضوع وشاركه فى فعله ، وهذه المفارقة تفسر لنا أيضا كيف أن إنفعاله يختلف  
عن افعال الحس ، فان الحس لا يستطيع الادراك بعد التأثير العنيف ، كالسمع

- ( ١ ) الحد يث لم أعثر له على أصل فى كتب السنن .  
( ٢ ) الماوردى أدب الدنيا والدين ص ١٠ .  
( ٣ ) د / يوسف كرم تاريخ الفلسفة اليونانية ص ١٦٣ .

لا يدرك الصوت بعد اصوات قوية ، ولا يدرك البصر والشم بعد الوان ساطعة وروائح شديدة . . . أما العقل فبالعكس يستطيع بعد تعقل موضوع شديد التجرد او المعقولة ان يتعقل موضوعات أدنى معقولة " فالعقل بهذا لا محل له ولا يستقر في عضو أو محل كما اتضح من خلال ما سبق ان الآراء والأقوال قد انقسمت الى ثلاثة :-

- ١ - رأى من قال ان العقل جوهر محله الدماغ .
- ٢ - رأى القائلين ان العقل محله القلب وليس جوهرًا .
- ٣ - رأى من قال : انه لا محل له وليس له عضو يقوم به .
- ٤ - والقرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة أسند فيهما العقل الى القلب . . . فما المعتر من كل هذه الآراء والاتجاهات وهل محل العقل القلب والدماغ ؟ . . . وفى نظرى انه لا تعارض بين كل هذه الآراء ، واستند فى رأى هذا الى الكتاب والسنة ، وكتب العلم الحديث التى تتحدث عن الجهاز العصبى والمخ وإيضاح ذلك على النحو التالى :

١ - فالعلم الحديث : بينما يؤكد أن الاعضاء وسائل ادراك ، والمدرك الحقيقى هو المراكز الموجودة <sup>فى</sup> بالحاء المخى ، يذكر العلماء الاقدمون نفس المعنى من قبل ، ففى علم النفس الحديث : " فعلى آية حال لا خلاف فى أننا حين نتكلم عن العقل انما نفكر فى شئ لا يمكن أن يلمس ويحلل وليس كذلك الدماغ . . . ، والدماغ ينقسم الى اجزاء اساسية هى : المخ ، والمعقد العصبية القاعدية ، والنخاع الاوسط والمخيخ والنخاع المستطيل . . . والذى مهمنا من ذلك هو المخ نحيث انه هو المتعلق بموضوعنا . . . " فالخ يقسم الى اربعة فصوص هى الفص الجبهى والفص الجدارى والفص الصدغى ، والفص المؤخرى ، فاما الفص الجبهى فيمتاز عن الفص الجدارى بالفلق الذى يدعى رولاند ، واما الفص الصدغى الواقع فى أدنى المخ فيعزله عن الفص الجبهى والفص الجدارى فلق سيلفوس .

بقى الفص المؤخرى ، وهو يقع خلف الفص الصدغى ضمن هذه الفصوص الاربعة تقوم مراكز  
مخصصة هي المراكز الحركية والمراكز الحسية ، ومراكز الحس الخاص بمراكز  
القوى العقلية العليا . . والمراكز الحسية التى تتلقى الرسائل من الجسم تقع فى الفص  
الجدارى أى وراء فلق رولاند ، وهنا ايضا تقع حواس اللمس والضغط والحركات ، أما  
مراكز الذوق والشم والسمع الخاصة فتقوم فى الفص الصدغى فى حين تقوم المراكز البصرية  
فى الفص المؤخرى ، وأما القوى العقلية العليا كالذكاء وقوى التمييز فالمعتقد انها تحتل  
المناطق العليا من المخ " ( ١ ) " وقد قسم العلماء مراكز اللحاء بالمخ الى حسية وحركية  
وشتركة ، اما الحسية فتشمل مراكز السمع والبصر والذوق والشم ، واما الحركية فهى التى  
تصدر منها أعصاب الحركة الموصلة للأعضاء كاليد والرجل والوجه والعنق واللسان . . وفى  
أعلى مقدم اللحاء مركز الانفكامل السامية " ( ٢ ) وهذه النظرة الحديثة يؤكدها الغزالى  
فيقول : " قوى النفس تظهر فى مواضع من البدن وربما بلغت عشرة نذكرها ، والنفس  
فى ذاتها واحدة وانما ترجع التسمية الى الآله كقولنا : سمع بصر وشم وذوق ولمس ، والنفس  
هى الذائقة الشامة المدركة فهذه خمس قوى ظاهرة ، والدليل على أن النفس هى المدركة  
دون هذه الأعضاء أن العروق متى حدثت بها سدد تمنع اتصال النفس بها بطلت كالخدر  
والموت وهذا مشاهد لا يفتقر الى دليل " .

" والقوى الباطنة ثلاث الخيالية والوهمية والفكرية ، فالخيالية فى مقدمه الدماغ  
وراء القوة البصرة ، والوهمية وهى التى تدرك المعانى وحلها التجويف الاخير من  
الدماغ ، والقوة الفكرة وشأنها ان تركيب الصور بعضها مع بعض وهى فى التجويف الأوسط  
بين حافظ الصور وحافظ المعانى " ( ٣ ) .

( ١ ) د / ساهجنت - ترجمة البعلبكي - علم النفس الحديث ص ٥٢ ، ٥٣ .

( ٢ ) الابراشى وآخرون - علم النفس التربوى ص ٥٦ ج ١ .

( ٣ ) الامام الغزالى - معراج السالكين ص ٢٩ ، معارج القدس ص ٤١ ، ٤٤ ، ٤٨ .

" واما محال هذه القوى فاعلم أن هذه قوى جسمانية فلا بد لها من محال جسمانية خاصة واسم خاص فالحس المشترك آلتها وحلها الروح المصوب في مبادئ عصب الحس لاسيما في مقدم الدماغ . . . وأما القوة المصورة وتسمى الخيال فآلتها الروح في البطن الأول من الدماغ ولكن في جاتيئه الاخير . . . واما هدى الناس الى القضاء بأن هذه هي الآلات وأنها مختلفة المحال بحسب اختلاف القوى وان الفساد اذا اختص بتجويف أو مرت الآلة فيه " ( ١ ) . . .

فعلى هذا نجد ان المدرك الحقيقي هو النفس ، أما الاعضاء فانما هي آلات وطريق توصيل بين المدرك الحقيقي ، وبين الشيء المدرك ( بفتح الراء ) كما يفهم من ذلك أن مركز الادراك للمعاني والعلوم هو الدماغ . . . وعلى اساس مفاهيمه الآتية للمدرك الحقيقي فان آله العقل والفكر غير المركز الذي في اللحاء المخي بالدماغ . . . وكما ان بالمخ مركز البصر وآلته العين ، ومركز السمع وآلته الأذن ، والشم مركز المخ وآلته الانف . . . وهكذا فان مركز التفكير والعمليات العقلية المخ ولا بد له من محل وآله . . . كما سيأتى . . .

ب - من خلال عرض هذا المفهوم أن لكل نوع من الادراك مركزا بالمخ وآله تتصلل بين هذا المركز وبين سائر المدركات . . . فتدرك المرئيات بالعين ، والسهوات بالأذن والمشمومات بالأنف ، والملموسات باللمس ، والمذوقات باللسان . . . فيجب أن نقول ان هذه الآلات والوسائل تتعلق بمراكزها بالمخ تتعلق الآله بالفاعل الحقيقي كتعلق العصا بالضارب ، والسكين بالقاطع ، فالعصا والسكين آلتان ووسيلتان وصل بينهما فعل الفاعل الى المفعول فالذابح او القاطع الحقيقي ، والضارب الحقيقي هو الشخص وليست العصا او السكين . . . ويؤكد هذا المعنى شهادة الآلات والوسائل على اصحابها يوم القيامة ، حيث يقول الله تعالى : " يوم تشهد عليهم السنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون " ( ٢ ) ويقول تعالى : " حتى اذا ما جاءوها " ( ١ )  
 ( ١ ) الامام الغزالي - معراج السالكين ص ٢٩ ، معارج القدس ص ٤١ ، ٤٤ ، ٤٨ .  
 ( ٢ ) سورة النور آية ٢٤ .



شهد عليهم سمعهم وابصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون " (١) فالآيتان تتحدثان عن العبد يوم القيامة عندما يحشر للحساب وتيلو نفسه ما اسلفت بهجد ما عمل من خير أو شر محضاً . . فينكر فعله للسيئات واقتراه المنكرات فينطق الله بقدرته من يشهد عليه . . وهو لا يشهد له لسوا بعيد من عنه ولكنها الآلات والوسائل التي استخدمتها النفس ووجهتها للفعل فتشهد الاعضاء على النفس في آية سورة النور يذكر الله ان اللسان وهو آلة الكلام والتشهير يشهد على قذف العبد للمحصات . . . العائلات المؤمنات - كما تشهد اليد على ما قدمته من أذى بتوجيه النفس ، والرجل التي سعت إلى الشر والمنكر فلهما يتحركان بفعل النفس ويتكلم اللسان مستمداً قوته من مراكز الكلام ، وآية فصلت تتحدث عن شهادة السمع والأذن على ما سمعت من غيبة ونعيمه وتجسس ، والعين على ما نظرت اليه من محرمات ، والجلود كتابة عن الزنا وعند شهادة هذه الآلات لا يستطيع العبد انكاراً ولا تكذيباً . .

في آيتي الاعراف والحج السابق ذكرهما تتحدثان عن المراكز والوسائل مما حيث ان العضو والوسيلة موجود ولكنه غير نافع في الادراك والعلم " لهم قلوب لا يفقهون بها " فمحل الفقه موجود ولكنه لا يعمل " وأعين لا يبصرون بها " " ولهم آذان . . لا يسمعون بها " فمراكز الفقه والبصر والسمع موجود الا انها غير متصلة بحالها في الحج بينت ذكر العقل ووسيلته القلوب ، والسمع ووسيلته الآذان . .

وهكذا . . ونشدت بتضح لنا ان هذه القوى في الدماغ والذات المسخ والاعضاء وسائلها وحالها وتكون الحياة بالتحالها جميعاً . . ج - سبق أن القلوب محل للانفعالات المختلفة ، والوجدانات المتنوعة . . فهو محل الهداية والاطمئنان ، والرأفة والرحمة والتطهير ، والخوف ، والوجل والقسوة والاشمئزاز والحسرة والغیظ ، والشك والنفاق . . والغضب ، والليس والغلظة وكل هذه الاوصاف التي تقوم بالقلب يشها لها آيات القرآن الكريم والمعد يد من

(١) سورة فصلت آية ٢٠ .

## • الاحاديث •

” وهو يشمل كل وجد ان حاد كالخوف والفرح والحزن والاشف والندم والحقد والحسد والامل والتفاؤل والتشاؤم .. ولا يكون مبالغين إذا قلنا إنه قلماً تمر على الانسان لحظة دهن أن يكون في حالة انفعال ظاهر أو مفهور .. وهذا في حين أن الانفعال الذي لا يجد له منفذاً ولا يحصل له على رغبة ولا يصل الى غاية بأي وسيلة من الوسائل ينتقل من العقل الظاهر الى العقل الباطن مصير مآله عالم الوجدات المكتوبة .. “ (١) •

د - ونا على ماسبق وعلى تقرير ان مركز التفكير بالمنح محلله الدماغ كما سبق بيانه ، وعلى ما اتضح من استعمال القرآن الكريم والسنة للفظ القلب مسنداً اليه العقل والفقهاء صار امامنا اتجاهان في محل العقل : الأول : فريقي يتجه الى أن العقل محلله القلب وبعض هذا الرأي وذلك الاتجاه القرآن الكريم والسنة والثاني : فريقي آخر يتجه الى أن العقل محلله الدماغ مركز التفكير والعمليات العقلية هو المنح ، ويؤكد هذا العلم الحديث بأبحاثه الدقيقة .. فهل معنى ذلك أن العلم الحديث وتشرحاته يتعارض مع القرآن في هذه القضية ؟ وأرى أنهما لا يتعارضان .. وذلك لأن مركز التفكير في المنح لا بد له من آله محل كسائر المراكز الموجودة بالمنح وقياساً على مركز السمع والبصر والحركة الخ ..

وآله الفكر وضو التعقل هو القلب .. فأرى أن القوة المفكرة المميزة المدركة للمعاني والمعلوم مركزها المنح بالدماغ وآلتها القلب بالصدر .. يؤكد هذا المعنى قول الغزالي في تعريف القلب في الاحياء : ” المعنى الثاني هو لطيفة ربانية روحانية لهذا بهذا القلب الجسماني تعلق ، وتلك اللطيفة هي حقيقة الانسان ، وهو المدرك

(١) محمد حسن ظاظا - علم النفس العام ص ٣٤ ما بعد ها - علم النفس التربوي ج ٣ ص ١٥٤ •

العالم العارف من الانسان وهو المخاطب والمعاقب والمعاتب والمطالب ولها علاقة مع القلب الجسماني وقد تحيرت عقول أكثر الخلق في إدراك وجه علاقته ، وأن تعلقه به بضاهي تعلق الاعراض بالأجسام ، والأوصاف بالموصوفات ، او تعلق المستعمل للآلة بالآلة " ولعل هذا القلب النوراني المتعلق بالقلب الجسماني هو المقصود بالعقل الذي يحل في القلب . . .

وما يؤكد ويشهد لأن القوة المدركة المفكرة مركزها المخ وآلتها القلب ، صابلي :  
 ١ - بناءً على ما سبق بيانه من أن القلب محل الانفعالات المختلفة . . . وأن الانفعال معنى يقوم بالقلب فتظهر آثاره في سلوك المنفعل . . . حيث تظهر على سبيل الوَجَلِ صفة الوَجَلِ ، وعلى الخَجَلِ صفة الخَجَلِ . . . وهكذا . . .

ولما كان من الملاحظات الضرورية عدم اجتماع ضدتين في محل واحد ، ووقت واحد كالشجاعة والجبن ، والأمن والخوف في المعنويات وكالبياض والسواد مثلا في المحسوسات وما هو مشاهد معلوم أن الانسان في حالة الانفعال الشديد يتعطل تفكيره ويجد وربما يتصرف تصرفا ينكره لو كان هادئا ، " فنجد ان من ضمن الآثار النفسية السيئة للانفعالات الشديدة ان تفكير الفرد يتوقف عن العمل ويضطرب ، ومن ثم لا يمكنه ان يصدر احكاما سليمة ، إن الفرد يفقد قدرته على ضبط نفسه والتحكم في ارادته فيكشف عن جوهره وقت الانفعال " ( ١ ) " من حيث الاضطرابات العقلية لدى المنفعل فأهم ما يلاحظ فيه ضيق الشعور وداثرته . . . فالمنفعل في حالة الانفعال العنيف يصير أصم أعمى فلا يرى ولا يسمع الا ماله علاقة بالغايب التي يرمى اليها الانفعال ، وربما لا يحسن بما يحدث له من آلام في أثناء انفعاله " ( ٢ ) والقرآن الكريم شاهد على هذه المعاني السابقة من تأثير الانفعال على الناحية الفكرية والقدرة العقلية :

١ - يقول تعالى : " مهطعين مقنعي رؤوسهم لا يرتد اليهم طرفهم وأفئدتهم هواء " ( ٣ )

- ( ١ ) حسن طاطا - علم النفس العام ط الشعب ص ٥٠٠ .
- ( ٢ ) الإبراهيمي وآخرون - علم النفس التربوي ج ٣ ص ١٦٠ .
- ( ٣ ) سورة ابراهيم آية ٤٣ .

يُحَى الله عن الكفار يوم القيامة وأحوالهم وشدة خوفهم وفزعهم فيومئذ أنهم من شدة الهول والفزع اتسمت حركات عيونهم ففتحوها لا تتحرك أجفانهم — وافقدتهم جفاناً لا عقول لهم • ولذلك فهي لا تمن شيئاً من شدة الخوف " (١) فهم قد تعطل تفكيرهم وتوقف عقولهم لشدة انفعالهم بالخوف والفزع •

٢ - وقال عن سيدنا موسى عليه السلام : " ولما رجع موسى الى قومه غضبان اسفاً قال بشما خلقتموني من بعدى أعجلتم امر ربكم وألقى الألواح واخذ برأس اخيه بجره اليه قال ابن ام إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونى فلا تشمت بسى الاعداء ولا تجعلنى مع القوم الظالمين " (٢) •

( فقد ألقى موسى الألواح مما اعتراه من الأسف والغضب حين أشرف على قومه وهم عاكفون على عبادة العجل •• فإن ماورد عليه استنفره وذهب بغفنته ) (٣) فسيدنا موسى عليه السلام عندما غضب منفعلًا انفعالاً شديداً توقف ففكره فألقى الألواح وعندما هدأ الانفعال وسكت عن موسى الغضب أخذ الألواح •• فى كثير من الأحوال تُخرج الانفعالات الشديدة الانسان على استوائه ويصدر منه سلوك شاذ يندم عليه عندما يهدأ ويصن انفعاله • وكذلك فإن الانفعالات بالأمور السارة اذا كانت شديدة تُخرج الانسان على استوائه وفى الاخبار المفرحة ربما يقبل المنفعل ويحتضن صديقته التى رزقت اليه الخير المفرح امام الجميع •• أو يرقص فرحاً •• وبعد أن يهدأ وتدبر أمره يكر من نفسه ذلك ويخجل من فعله • بعد الهدوء والتفكير ••

(١) انظر ابن كثير ج٢ • ابن عباس ص ٢١٥ • الكشاف ج٢ ص ٢٨٣ • القرطبي ج٤ ص ٤٠٦ ط الشعب ص ٣٦٠٦ •

(٢) الاعراف آية ١٥٠ •

(٣) انظر القرطبي - الكشاف ج٢ •

(٤) هذا سلوك شائن من قومهم لا يقوم به عاقل

ها أمرنا به من نظم الفيظ والحلم وجعله خلقا له ثواب وأجر ما هو الا لإتاحة الفرصة للعقل للعمل ويفكر ويتصرف على أساس ذلك . .

فقد شهد القرآن على تأثير القوى العقلية بالانفعالات الشديدة كما رأينا في - واتضح كذلك أن القرآن الكريم والسنة بسند ان الفكر والفقه والعقل الـ القلب ، بينما يوجه العلم الحديث أن مركز التفكير وسائر العمليات العقلية العليا من الذاكرة والتخيل في مقدم المنح . . فيكون مركز التفكير في المنح ومحل التفكير وآلة القلب . . وهذا ما يقول القرآن " لهم قلوب يعقلون بها " ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم " وعقل قلبي " فقد تم التعبير بالمحل وأراد الحال وهذا تجييزه اللغة العربية فمن أساليب التعبير فيها " المجاز المرسل " . . وهذا التعبير مجاز مرسل علاقته المحل حيث إن القلب محل للقوى العاقلة المدركة متصلة بمركزها في المنح وهذا . إذ أجازته اللغة لا يعارضه العلم على نحو ما سبق تقريبه في هذا البحث من عرض نماذج لا قول العلماء في علم النفس والطب الحديث . .

#### والخلاصة : -

أن العقل قوة أودعها الله في الانسان للتمييز وإدراك العلوم والمعاني ، وجعل مركزها الذي حلت فيه في المنح المستقر في دماغ الانسان ، ويربط بين هذه القوة فسي مركزها هذا وبين القلب حيث إنه آلتها وآلة التفكير والعلم ، وهو في النهاية مستقر العقائد والقضايا وموضوعات التفكير . . واتصال المنح بالقلب كاتصال بسائر الاعضاء بمراكزها . . والتعبير به في القرآن والسنة مجاز مرسل علاقته المحل كما سبق . . . . . والله اعلم . .

## الفصل الثاني

وَظِيْفَةُ الْعَقْلِ فِي فَهْمِ الدَّعَوَاتِ

وَإِذْرَاقِهَا .

ويشتمل على المباحث التالية:

١- تمهيد

٢- مجت تمهيدى لبيان اتفاه الرسل فى الدعوة إلى

التوحيد ، وعدم طلب الأجر .

٣- الجدل من وسائل الدعوة .

٤- الاعتماد على الآيات الكونية .

٥- معارضة جامدى العقول من المفترفين والمتعصبين

والمقلدين .

٦- التزود بالمعجزات كأدلة وبراهين عقلية .

٧- إتفاه الدعوة المحمدية مع غيرها من الرسالات السماوية فى الأمور السابقة .

## ( تمهيد )

بعد ان أتضح معنى العقل من أنه قوة أودعها الله في الانسان لتمييز الخبيث من الطيب والحق من الباطل والبهدي من الضلال . . وهذا العقل كقوة مودعة ليس متساويا في جميع الأفراد في الحكم على الاشياء أو فهمها - فان عقل الطفل غير عقل المراهق ، وعقل المراهق غير عقل الشاب المتزن ، وهذا أيضا ليس متساويا مع عقل الشيخ الذي حنكته التجارب والأحداث ، فللخبره والتجارب وتعدد مجالات التفكير والمواقف الفكرية المتنوعة أثرها في انضاج العقل وصلفه وضبطه .

وكما ينطبق هذا على الأفراد ويتطبق على الجنس البشري ككل ، فإن البشرية قد مرت بمراحل تطور عقلية كما يمر الأفراد ، لأن الجنس البشري عمها جماعات من الأفراد ، وكما يمر الفرد بمراحل نمو متدرجة من الطفولة الى المراهقة والشباب ثم الشيخوخة ولكل مرحلة سماتها العقلية وأسلوبها الفكري فإن البشر قد مروا بمرحلة الطفولة الفكرية ثم المراهقة ثم النضج البشري الفكري والعقلي . . وهذا التطور في الفكر ونموه إنما يتأتى بتعدد الخبرات واتساع المجالات الفكرية المتنوعة وهذا ما يعرف بالعقل المكتسب لا العقل الفطري . .

ففي بداية وجود الجنس البشري كان الفكر بسيطا سهلا . . في المرحلة التالية من رسالة سيدنا ابراهيم يتطور أسلوب التفكير والجدل فصارت البشرية في المراهقة الفكرية ، فتعددت قضايا الفكر ومجالاته ولكن باندفاع وتعصب وتأثر بالمواظف ، وقبيل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم نضج البشر فكريا فتعددت مجالات البحث والفكر والتأمل للبحث عن الاله الحق المتصف بكل كمال المنزه عن كل نقص ، فوجد من أدركوا بعقولهم بطلان عبادة الأصنام والأوثان ، ولينتظروا من يصلح العالم بإحقاق الحق وازهاق الباطل . . وسألوا أهل الكتاب عنه فحد ثوهم ببعثته صلى الله عليه وسلم وقرب ظهوره فانتظروه حتى يبعث . . وكان هذا الانتظار دليلا على نضج الفكر عمها

حيث رُفِضَ واقع الاصنام وعبادة الجمادات والأوثان ، . . . ولذا فقد تعددت قضايا الجدل في مختلف العقائد المتباينة التي تعصب لها أهلها في زمن البعث — النبية الى العالمين كافة . . . ولا تساع مجال التفكير والتعصب . . .

هذا . . . وقد مثَّلَ رسل الله صلوات الله عليهم أجمعين العقل الناضج المتحرر من الهوى والتعصب ، في مواجهة العقول القاصرة المراهقة أو المتصببة فهم وان عابثوا أقوامهم وخبرتهم في أزمانهم الا أن الله زودهم في الوحي بما يخفيهم عن تلك الخبرة ليفوقوا أقوامهم في الجدل وأسلوب التفكير حيث آتاهم الله الحجسة والبرهان في كل الأزمنة ليصححوا مسار الفكر لدى أقوامهم حيث جر الصراع على — المادة وحب الجاه والسلطان والتعصب الأقوام الى الجدل غير المجدي بقصد المغالطة وللكابرة . . . في إطار الصراع على المادة والحرص عليها والخوف على الجاه والسلطان تعرض رسل الله لمواقف متشابهة من أقوامهم في تبليغ رسالاتهم كما نجد للعقل دورا هاما في إظهار الحقيقة وتجليتها وتقدير مبادئ الدعوة من العبادة والتوحيد والاخلاق حيث ناقش وجادل ودعا الى التأمل والفكر ليتوصل الى الايمان بالله ليقود الى ايمان الى العبادة والطاعة والامثال ، وفيما يلي عرض موجز لبیان حقيقة دعوات الرسل من الدعوة الى توحيد الله وعدم طلبهم الأجر من مدعوئهم . . . ثم بيان ما تعرضوا له من مواقف متشابهة في عملية التبليغ ذاتها مع إبراز ما ينتظمها جميعا من خط عقلى واحد وذلك فيما يلي من مباحث ، وهي : بيان اتفاق الرسل جميعا في الدعوة الى التوحيد وعدم طلب الأجر ، اعتمادهم على الجدل كوسيلة للدعوة ، الاعتماد على الآيات الكونية في الدعوة والتذكير بالخالق ، ثم معارضة جامدى العقول من متعصبين ومقلدين ، التزود بالمعجزات ، ثم اتفاق الدعوة المحمدية معهم في كل ذلك مع إبراز الجانب العقلى في كل منها على حدة — فإلى هذه المباحث . . .



( مبحث تمهيدى )

( اتفاق جميع الرسل في الدعوة الى التوحيد وعدم طلب الاجر )

اتفقت جميع دعوات الرسل في التوحيد ، والى عبادة الله وحده ، والى ايمان  
 باليوم الآخر هكاهم الاخلاق ، فقال تعالى عن الرسل عيها : " وما ارسلنا  
 من قبلك من رسول الا نوحى اليه انه لا اله الا انا فاعبدون " ( ١ ) كما قال  
 عن سيدنا نوح : " ولقد ارسلنا نوحا الى قومه انى لكم نذير مبين . الا تعبدوا  
 الا الله ، انى اخاف عليكم عذاب يوم اليم " ( ٢ ) كما دعا قومه الى الاستغفار  
 " فقلت استغفروا ربكم انه كان عقسارا يرسل السماء عليكم مدارا " ( ٣ ) .

وكما دعا نوح الى التوحيد والاستغفار فقد دعا هود كذلك " والى عباد  
 اخاهم هودا قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره ، ان انتم الا مفترون . ويا قوم  
 استغفروا ربكم ثم تصوا اليه يرسل السماء عليكم مدارا ويزدكم قوة الى قوتكم ولا تتولوا  
 مجرمين " ( ٤ ) .

وها هو سيدنا صالح عليه السلام يتحدث القرآن عن دعوته لقومه " والى قوم  
 اخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره هو انشأكم من ارض واستعمركم  
 فيها ، فاستغفروه ثم تصوا اليه ان ربي قريب مجيب " ( ٥ ) فسيدنا هود قد دعا قومه :  
 الا تعبدوا الا الله ، اى اتركوا عبادة الاصنام فلا تعبدوها ، واطيعوا الله وحده  
 كما وصف اليوم بالائم وهو اليوم الآخر ، اى يقع الائم فيه ، اى أنه يخاف عذاب يوم  
 عظيم أو اليم ان استمررتم على ما أنتم فيه فبعذبكم عذابا أليما وشاقا فى الدار الآخرة<sup>(٦)</sup>

( ١ ) سورة الانبياء : ٢٥ .

( ٢ ) هود ٢٥ ، ٢٦ .

( ٣ ) نوح ١٠ ، ١١ .

( ٤ ) هود ٦١ .

( ٥ ) انظر القرطبي ج ٣٦ ص ٣٢٥ ، الكشاف ج ٢ ص ٢٦٥ وابن كثير ج ٢ ص ٢٤٢ .

وسيدنا ابراهيم عليه السلام يدعو كذلك الى توحيد الله وعبادته ويستذ عباد ة  
الاصنام والاوثان مستخدما في ذلك كل الاساليب والوسائل من تكسير الاصنام وجدال  
عدة الكواكب ، صحابة النمرود مدعى الالوهية . . . " واذ قال ابراهيم لابيه آزر  
أتتخذ اصناما آلهة إني اراك وقومك في ضلال مبين " ( ١ ) كما يحدد له صفات الاله  
" اذ قال لابيه يا ابيت لم تعبد مالا يسمع ولا يبصر ولا يغنى عنك شيئا " ( ٢ ) اى اعبد  
الاله السميع البصير القادر الضار النافع . . . وكما ابراهيم عليه السلام الى التوحيد  
والعبادة فان سيدنا لوطا عليه السلام بالاضافة الى دعوته الى التوحيد فقد دعا  
الى اعادة الفطرة والعقل الى نصابهما عند قومه عندما قال لهم : " اتأتون الفاحشة  
ما سبقكم بها من أحد من العالمين . انكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء  
بل أنتم قهم مسرفون " ( ٣ ) .

فمجموع الآيات في القصة تربيها أنهم كانوا مؤزرين بفساد العقل والنفس فلا هم  
يعقلون ضرر هذه الفاحشة في الجنابة على النسل وعلى الصحة والفضيلة والآداب والعفة  
ولا هم على شىء من الحياة وحسن الخلق . . . وكانت هذه الفعلة فاحشة لانها جنابة  
على الفطرة البشرية مفسدة للشبان بالاشراف على الشهوة واذلال الرجال وكسر لمافهم  
من اباة وشم وتعطيل للنسل مفسدة للنساء اللواتى انصرفن ازواجهن عنهن . . . وكس  
من امرأة اضطرها زوجها الى الزنا لانصرافه عنها بتلك الفاحشة مع فخر كمالها وجمالها . . .  
ويريهم أنهم بصنعتهم هذا عطلوا ما خلق للتمتع وهن الأزواج ولجأوا الى الذكران  
الذين خلقوا للعمل في هذه الحياة وأنهم بذلك العطل عكسوا الفطرة التى فطر الناس  
عليها وذلك صاروا قوما عادين متجاوزين " ( ٤ ) .

( ١ ) الانعام ٧٤ . ( ٢ ) مريم ٤٢ . ( ٣ ) الاعراف ٨٠ ، ٨١ .

( ٤ ) المدونى يدعو الرسل الى الله ص ٦٥ .

وقد دعا سيدنا شعيب عليه السلام كذلك الى توحيد الله حيث دعا الى توحيد الله تعالى وعبادته ، إذ يقول الله عنه " والى مدِين أخاهم شعيبا ، قال باقم اعبدوا الله مالكم من اله غيره ، قد جاءكم بينه من ربكم فأوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس اشياءهم ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها ذلكم خير لكم ان كنتم مؤمنين " (١) فبدأ دعوته بالتوحيد لانه أساس العقيدة فركن الدين الأعظم ، وقهى عليه بالأمس بافناء الكيل والميزان إذا باعوا والنهى عن بخص الناس اشياءهم اذا اشتروا لأن ذلك كان فاشيا فيهم أكثر من سائر المعاصي ، فكان شأنه كشأن لوط إذ بدأ بشئ قبيح من الفاحشة التي كانت فيهم " (٢) . .

وسيدنا موسى عليه السلام كان صلب عقيدته ورسالته التوحيد ونهذ عبادة الأوثان والبشر فأوحى الله اليه : " . . وأنا اخترتك فاستمع لما يوحى . إني انا الله لا اله الا انا فاعبدني واقم الصلاة لذكري . إن الساعة آتية أكاد أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى . فلا يصدك عنها من لا يؤمن بها واتبع هواه فتردى " (٣) ، فالتوحيد في " لا اله الا انا " والعبادة في " فاعبدني واقم الصلاة لذكري " ، واليهم الآخر في " إن الساعة آتية أكاد أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى " فقد تضمنت الآيات " الدعوة الى التوحيد ، الدعوة الى العبادة والاخبار بالساعة وأنها آتية لارهب فيها لهجزى كل أحد بما قدم من الأعمال " (٤) فهذه عناصر دعوة موسى عليه السلام . . . .

كما يحكى القرآن عن دعوة سيدنا يوسف السجينين الى التوحيد ، فيقول : " إني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخره هم كافرون . واتبعت ملة آباءى ابراهيم واسحاق ويعقوب ، ما كان لنا أن نشرك بالله من شئ ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس ولكن

(١) الاعراف آية ٨٥ . (٢) دعوة الرسل ص ١٥٣ .

(٣) سورة طه آيات من ١٣ - ١٦ .

(٤) دعوة الرسل ص ٢٢٦ ، وانظر قصص الانبياء - ابن كثير ص ٣١٢ .

أكثر الناس لا يشكرون • باصاحي السجن أرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار  
 ما تعبدون من دونه إلا أسماء سميتوها أنتم وآباءكم ما أنزل الله بها من سلطان  
 وإن الحكم إلا لله أمر ألا تعبدوا إلا إياه ولكن أكثر الناس لا يعلمون \* (١) فجمع  
 يوسف في هذه الدعوة أصول الايمان الثلاثة وهي الايمان بالله وتوحيده والايمان  
 باليوم الآخر • • وهل يوسف جاتته الرسالة وهو في السجن ولما لم يجد سوى صاحبه  
 دعاهم إلى أصول الايمان الثلاثة ، أو أن ذلك كان ملة لأبائه فأخذه عنهم ؟ كل  
 ذلك محتمل \* (٢) • •

وإن كنت أميل إلى الاحتمال الثاني حيث رآه أبوه يعقوب عليه السلام على ذلك  
 من الايمان والتقوى والخوف من الله تعالى • •

\* فقد سلك يوسف طريق المرسلين صلوات الله عليهم وهكذا يكون حال من سلك  
 طريق الهدى واتبع طريق المرسلين وأعرض عن طريق الضالين فإن الله يهدي قلبه  
 ويعلمه ويجعله إماماً يقتدى به في الخير وداعياً إلى طريق الرشاد • • وهذا التوحيد وهو  
 الاقرار بأنه لا إله إلا الله وحده لا شريك له • • ثم إن يوسف أقبل على الفتيين بالمخاطبة  
 والدعاء إلى عبادة الله لا شريك وخلق ما سواه من الأوثان التي يعبدها القوم فقال  
 \* أرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار \* أي الذي ذل كل شيء لعزته وجلاله وعظمه  
 سلطانه \* (٣) وسيدنا يوسف انتبهز فرصة سؤال الفتيين له عن تأويل الرؤيا ، وذلك  
 لما لساها فيه من حكمة وعلم ، فذكر لهما أن ما هو ما فيه من علم كان ليماً ترك من ملية  
 القوم المشركين غير المؤمنين بالله واتباع ملة المرسلين من عقيدة التوحيد • •

(١) سورة يوسف ٣٧ - ٤٠ •

(٢) دعوة الرسل ص ١١٦ •

(٣) تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٤٧٩ •

وقد دعا سيدنا سليمان الى التوحيد ، فعندما يأتيه الهدد بخبر بلقيس  
ويبادتها من وقصها يقول: " وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله  
فليس لهم الشيطان أعمالهم فصد هم عن السبيل فهم لا يهتدون . الا يسجدوا لله  
الذى يخرج الخبء في السموات والأرض ويعلم ما تخفون وما تعلنون . الله لا اله  
الا هو رب العرش العظيم " ( ١ ) فبرغم ما افاض الله علي بلقيس من نعم لا تشكروه ،  
ولا تعترف بنعمته ولا تعبد به بل كانت وقومها يعبدون الشمس ويسجدون لها  
من دون الله وقد أغواهم الشيطان فحول قلوبهم عن طريق الحق والصواب فهم  
لا يهتدون الى عبادة الله وحده فقد أغواهم الشيطان وصرّفهم عن السجود لله وحده  
الستحق للمعبادة . ( ٢ ) وقد كان كتاب سيدنا سليمان إليهما يتضمن الدعوة لها  
ولقصها الى طاعة الله وطاعة رسوله والانابة والاذعان الى الدخول في الخضوع لمملكه  
وسلطانه ولهذا قال : " الا تعلووا على " اي لا تستكبروا عن طاعتي وامثال أوامري  
" واتوني مسلمين " أي واقدموا على سامعين بلا معاودة ولا مراودة " ( ٣ ) فالدعوة  
هي الاسلام والانقياد والطاعة لله والتوجه بالعبادة والطاعة اليه . . . ومعنى هذا  
ترك عبادة الشمس والتزام عبادة الله الذي اسلمتم له . . .

وسيدنا عيسى عليه السلام يدعو كذلك الى التوحيد الخالص والايان بالله الواحد  
القهار ، فيقول تعالى : " . . . وصدقا لما بين يدي من التوراه ولأحل لكم بعض الذي  
حرم عليكم وجئتكم بآية من ربكم فاتقوا الله وأطيعون إن الله رس وركم فاعبدوه هذا صراط  
مستقيم " ( ٤ ) فالمعنى جئتكم مصدقا لما قبلي من التوراه ولأحل لكم الذي حرم عليكم

( ١ ) سورة النمل آية ٢٤ - ٢٦ .

( ٢ ) عفيف طباره مع الانبياء ص ٢٩١ ، وانظر دعوة الرسل ص ٣٠٥ .

( ٣ ) دعوة الرسل ص ٣٠٦ ، وقصص ابن كثير ص ٥٠٢ .

( ٤ ) سورة آل عمران آية ٥٠ - ٥١ .

يعنى من الاطعمة ، وقيل: إن عيسى أحل لهم ما حرم عليهم بذنوبهم ولم يكس  
 في التوراة نحو أكل الشحم وكل ذى ظفر ، وقيل أحلَّ لهم اشياء حرمتها عليهم  
 الأخبار ولم تكن في التوراة محرمة عليهم " (١) ويقول تعالى : " ما قلت لهم  
 الا ما أمرتني به ان اعبدوا الله ربي وربكم وكنتم عليهم شهودا ما دمت فيهم فلمسا  
 توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد " (٢) أى ما ذكرت  
 الا التوحيد وعبادة الله تعالى في موضع ثالث يذكر القرآن : " قال انى عبد  
 الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا وجعلني مباركا أينما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة  
 ما دمت حيا ورا بوالدتي ولم يجعلني جبارا شقيا والسلام على يوم ولدت ويوم أموت  
 ويوم أبعث حيا " (٣) ومن ارهاصاته النطق في المهد حيث بين عند ما نطق أنه  
 عبد الله عند ما اعترف بعبوديته لله وربوبيته رقا على من غلام بعده في شأنه وأنه  
 آتاه الكتاب وهو الانجيل وفهمه وعلمه وآتاه النبوة ومعنى ( وآتاني ) أى حكم لى  
 بايتاء الكتاب والنبوة في الأزل ، وجعلني مباركا أى آمرا بالمعروف ناهيا عن المنكر  
 مرشدا للضال ناصرنا للمظلوم مخبئا المظروف " والصلاة والزكاة " لاؤد بهما إذا أدركنى  
 التكليف وأمرنى ببر والدي ولم يجعلني تاركا لامره عاصيا له " يوم ابعث حيا " أى في  
 الآخرة . .

وعلى هذا فاننا اذا تتبعنا الآيات التى ذكرت سيدنا عيسى ود بانه وجد ناهيا  
 توحد على أن عيسى بشر وانه رسول الله لهداية خلقه وأن رسالته كانت الدعوة الى  
 التوحيد الخالص . . ورسالته بالاضافة الى التوحيد فيها العبادات الصلاة والزكاة

(١) تفسير القرطبي ج ١٥ ص ١٣٣٨ .

(٢) سورة المائدة آية ١١٢ .

(٣) مريم آية ٣٠ - ٣٣ .

والاخلاق كبر الوالدة وكسلوك عام : ير الوالدين ، كما أنه بشر ببعثة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم من بعده كما صدق رسالة موسى عليه السلام ( ١ ) .

فهذه بصفة عامة سمة الرسالات السابقة على البعثة المحمدية تدعو الى التوحيد ومكارم الاخلاق والعبادة الخالصة لله وحده ، وكذا للايمان بالآخرة . .

ولعقيدة التوحيد لدى الموحد آثار ومزايا نفسية وعقلية . . منها :-

١ - هي العقيدة العليا في الاله الخالق المتصف بكل كمال المنزه عن كل نقص التي تتدرج تحتها سائر العقائد الاخرى ، واثبات الوحدةانية لله تعالى التي راحة نفسية للمؤمن لأن الآلهة اذا تعددت تحير فيها الانسان . . كيف يرضى هذا ؟ ويتجنب ذلك ونقمة ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلما لرجل ، هل يستويان مثلا ؟ الحمد لله بل اكثرهم لا يعلمون \* ( ٢ ) والآية تصور بدقة حال من كان يعبد اكثر من اله ، وله أكثر من سيد ، فهو مشترك بينهما ويجب عليه ارضاء كل منهما فاذا كانا متشاكسين لا يتفقسان فكيف يتوصل الى ارضائهما ؟ فما يرضى أحد هما بغضب الآخر ، فيحار العبد بينهما ، وهذا تصور يدع للحالة النفسية للمشارك . . فتوحيد الله تعالى واعتقاد انه وحده مالك الملك بيده الخلق والأمر يدعو المؤمن الى مراقبته تعالى فلا يفعل ما بغضبه ، والى التوجه اليه بالدعاء والعبادة . . وهذا سكنه للقلب وراحته للنفس تتيح للعقل حسن الفكر في هدوء النفس .

٢ - هي توحيد الله تعالى تلبه حاجة الفطرة السوية والطبيعة الانسانية ، فالانسان بطبيعته يشعر بأنه مريب لقوة عظمى تتحكم فيه ، كما أنه بفطرته يتوجه الى تلك القوة ويرغب في جعلها في شيء واحد . . كما نعلم من التاريخ ميل الجماعات البشرية الى اختصار

( ١ ) عفيف طياره مبع الانبياء ص ٣٢٢ ، ودعوة الرسل ص ٣٤٣ .

( ٢ ) سورة الزمر آية ٢٩ .

الآلهة ، فهناك آلهة للخير وآلهة للشر ولكل منهما إله أكبر ، ثم يجمع  
هو "العبادون أحد الهى الخير والشر زعيما وحاكما على الآخسر  
كل على حسب مذهبه ونظريته . . . فكان توحيد الله أى جعله الهـا  
واحدا مالكا للامر كله من خير وشر وحياة وموت وقبض وسط . . . وتحدد طريق  
العبادة الصحيحة له تعالى ، ورسم طريق رضاه لتسلكه وطريق غضبه لنتركه  
وذلك بما اوحى الله الى رسله من النور والهدى كان ذلك كله تلبية لمطلب  
التعبد لى الفطرة الانسانية " فاقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التى فطر  
الناس عليها ، لا تبدل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن اكثر الناس لا يعلمون (١)  
٣ - كما أن فى توحيد الله تعالى احتراما للعقل البشري ووضعه فى موضعه الصحيح  
اللائق به ، لأن الانسان بطبعه وعقله يعلم أنه لم يخلق نفسه ، كذا لم يخلق  
من غير شىء ، فتعين عقلا أن له خالقا . . . لأن الفرضين الأولين مستحيلان  
عقلا ، وهذا الخالق هو الله . . . فلو اجاب الانسان وعبد وثنا أو صغيا نحتة بيده  
أو صنعه له غيره وسجد له ، مع علمه بأنه لا يضر ولا ينفع ولا يسمع ولا يبصر . . . وليس  
به حياء . . . يسجد الانسان الذى خلقه الله سمعيا لصنم لا يسمع ، ويسجد  
من خلقه ربه بصيرا لصنم لا يبصر . . . كيف يسجد السميع البصير لصنم جماد أصم  
وأعمى ؟ كيف يسجد القادر لغير القادر . . . من هنا كانت عقيدة الالهية  
والتوحيد احتراما للعقل ووضعا له فى موضعه الصحيح فاحترم العقل نفسه وفكر  
فى خالقه وعبوده وقد رته وعلمه وارادته . . . وأقر من أعماقه سبحانه يارب تعاليت  
عما يقول الظالمون علوا كبيرا . . .



عدم طلب الأجر على الدعوة :-

ومن أبرز الحجج التي اتفق عليها جميع الرسل عدم طلب الأجر منهم على الدعوة  
كبرهان على صدق نصحتهم والاخلاص في دعوتهم . . حيث لا ينتظرون منهم منعمـة

مادية

١ - ففى حوار سيدنا نوح مع قومه يقول : " فإن توليتهم فما سألتكم من أجر

ان أجرى الا على الله وأمرت ان اكون من المسلمين " (١) ويقول : " ويا قوم

لا أسألكم عليه مالا ان أجرى الا على الله ، ما أنا بطارد الذين آمنوا انهم

ملاقوهم ولكنى أراكم قوما تجهلون " (٢) . . اى لا يطلب منهم الأجر

وانما أجره على ربه .

٢ - وسيدنا هود يقول لقومه : " يا قوم لا أسألكم عليه أجرا ان أجرى الا على

الذى فطرني أفلا تعقلون " (٣) .

٣ - كما يُذكر عن سيدنا صالح قَوْلُهُ لقومه : " ما أسألكم عليه من أجر ان أجرى

الا على رب العالمين " (٤) .

٤ - ومن شعيب عليه السلام : " ما أسألكم عليه من أجر ان أجرى الا على رب

العالمين أو فوا الكيل ولا تكونوا من الخسرين " (٥) .

٥ - وسيدنا لوط يقول : " إذ قال لهم اخوهم لوط الا تتقون . انى لكم رسول

أمين فاتقوا الله وأطيعون . ما أسألكم عليه من أجر ان أجرى الا على رب

العالمين " (٦) فمن ذلك نرى ان رسل الله صلوات الله وسلامه عليهم

كانوا يذكرون لأقوامهم أنهم لا يسألونهم أجرا على تبليغ الرسالة أو على التوحيد

(١) يونس ٧٢ (٢) سورة هود ٢٩ (٣) هود ٥١ .

(٤) سورة الشعراء ١٤٥ (٥) الشعراء ١٨٠ ، ١٨١ .

(٦) الشعراء ١٦١ ، ١٦٤ .

لَتَنقَى عنهم تهمة طلب المنفعة المادية من أقوامهم ، فكان الرسول بعد أن يعرض دعوته يبين لهم أنه لا يطلب أجرا على الدعوه ، فهذا نوح يقيم البراهين على صدقه في دعوته وحقيقة مايقول ولذلك خَلَسَ من ذلك الى دلائل الصديق ( فقال يا قوم لا اسألكم عليه مالا ) والشأن فيمن لا يسأل الناس مالا على قبول دعوته ، وان يعمل بما يدعو الناس اليه ان يكون صادقا فيما يقول مخلصا في دعوته \* ( ١ ) وكذا الامر في هود وصالح عليهما السلام يعرضان الدعوة والتوحيد ثم يؤكد ان عدم طلبهما الاجر ، ولوط عليه السلام يؤكد لقومه أنه رسول أمين على تبليغ الرسالة ليجد روا عقاب الله وهذا به طالبا منهم ان يمثلوا أمره في دعوته ، وأنه لا يطلب منهم اجرا عليهما ما جزاؤهم الا على الله مال العالمين صريحا \* ( ٢ ) وعدم طلب الاجر حجة عقلية موجودة في معظم الدعوات كما تبين ، مع ملاحظة أن مانص القرآن عليه منها نماذج وأمثلة ، ولكن عدم طلب الاجر سمه جميع الرسالات في كل الأزمنة ولم يطلب رسول صاحب دعوة أجرا على دعوته من قومه اطلاقا .

وتلك الحجة لها دلالة عقلية على صدق الرسول في دعواه يدعو الى تصديقه

والتأمل في دعوته وبنصرها بلا هوى أو تعصب . .

### الدلالة العقلية في حجة عدم طلب الاجر :

هذه الحجة عصب المحاورات الواقعة بين الرسل وأقوامهم ، فالرسول عندما لا يطلب اجرا تكون هذه الحجة جامعة بين الموضوع وواقفه منطلق الناس وطبائعهم ، فأما الموضوع فمن الواضح جدا لهم جميعا أنه لا يطلب أجرا على عنائه الشديد في أدائه ما يؤم به ، وأما الموافقة لمنطق الناس وطبائعهم فلأن من طبيعة الناس أنهم لا يؤمنون عملا بدون اجر فلو كان هذا العمل لمصلحته هو لطلب عليه اجرا ، كما يؤكد الرسل أن اجرهم على

( ١ ) دعوة الرسل ص ٨ .

( ٢ ) مع الانبياء ص ١٤٣ .

الله الذى فطرهم - فلم يشذوا على طبيعة الناس وانما يطلبون أجرهم ممن كلفهم  
 بالعمل كما بَطَّلُ أَيُّ أُجِير . . . وصاحب العمل فى الرسالات هو الذى أرسلهم وهو  
 الله تعالى . . . ولهذا فهذه الحجة أقوى سلاح منطقي يعتمد عليه سائر الرسل " ( ١ )  
 ولذلك كان فى دعوة هود لقومه : **إِن اجْرِى الْا عَلَى فِطْرِى (أفلا تعقلون )** اى . . .  
 لماذا لا تعقلون وتفكرون فى شأن ذلك الرسول الذى يدعوكم الى ما يصلحكم فى الدنيا  
 والآخرة من غير أجره " ( ٢ ) أو ( أفلا تعقلون ان تردون نصيحة من لا يطلب اجرا  
 الا من الله ؟ ( ٣ ) أو " أفلا تعقلون نصيحة من لا يطلب اجرا عليها الا من الله  
 تعالى ولا شئ " انفى للتهمة من ذلك ولا تنقادون لما يدعوكم اليه أو تجهلون كل شئ  
 فلا تعقلون شيئا أصلا فان الأمر ما لا ينهى أن يخفى على احد من العقلاء . . . " ( ٤ )  
 والتقريب العقلى لهذه الحجة ودلائلها كما يلى : كان الرسول يقول بتبليغ  
 الدعوة لكم عمل لا اطلب عليه اجرا منكم ، وما انى لا اطلب عليه منكم اجرا فليس  
 مرتبطا بمنفعة ارجوها منكم . . . فثبت اخلاصى فى دعوتى وصدقى فيها ، فانا صادق  
 وكل صادق يجب اتباعه فانا يجب اتباعى . . .

والقائم بعمل يأخذ أجره ويطلبه من صاحب العمل الذى كلفه به وانا لم اطلب  
 منكم الاجر وانا اطلبه من الله ، فالله صاحب العمل الذى كلفنى به وارسلنى اليكم  
 فانا صادق فى نصحتى ودعوتى وكل صادق يجب الايمان به . . . فانا يجب الايمان بى . . .

- 
- ( ١ ) د / عبد الحلیم حفنى اسلوب المحاوره فى القرآن الكريم ص ٥٩ بتصرف .  
 ( ٢ ) تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٤٤٨ .  
 ( ٣ ) دعوة الرسل ص ٣١ .  
 ( ٤ ) تفسير الالوسى ج ٢ ص ٣٨٠ وانظر النسفى ج ٢ ص ١٩٣ ، والكشاف ج ٢ ص ٢٧٥  
 والقرطبي ص ٣٢٧٩ .

هذه الأمور كلها يمكن فهمها من " أفلا تعقلون " أي أن إعمال العقل مطلوب للوصول الى الحقيقة في الدعوة والرسالة وصدق مبلغها رسل الله . . . . وتلك الدلالة في عدم طلب الاجر تنطبق على جميع رسالات الرسل مما يجعل العقل يتأمل ثم يطمئن القلب بالايمان والتصديق بالنبوة . . .

بعد تقرير ذلك . . . نأتى إلى بيان أبرز السمات العقلية المتشابهة في تبليغ رسالات السابقين الذين ختموا بالرسالة المحمدية صلوات الله عليهم أجمعين مع إبراز الجانب العقلي في كل منها . . . وذلك فيما يلي من المباحث إن شاء الله .

---

## المبحث الأول

الجدل وسهولة من وسائل الدعوة

تشابهت مواقف رسل الله صلوات الله عليهم في عملية التبليغ لأقوامهم ، ومن ذلك تعرضهم لمواقف جدل ولجاج اعتمدوا فيها على العقل والحجة والبرهان فالزموا خصومهم الحجة ، وجعلوهم يسلمون بصحة الدعوى ولو باطنا حيث كان الخصم المجادل معاندا مكابرا مغالطا . . مع تأكده الباطني أنه مهزوم في الجدل والحوار من صاحب الرسالة " في كل الأحوال فإن محاورات الرسل مع أقوامهم لا بد وأن تشمل على تجديد وتنوير وإضافات كصورتها الموجودة في القرآن أو نحو ذلك وعندئذ يمكن أن نقول أنه من المحتمل أن يكون القرآن قد راعى هذا الواقع التاريخي فنقل محاورات الرسل تشير إلى ما كانت عليه فعلا حتى في الملشك من حيث التجزئة والتفوق الزمني . . (١) .

وفيما يلي عرض لنماذج من جدل الرسل لأقوامهم وحوارهم معهم :-

١ - فيها هو سيدنا نوح عليه السلام : عند ما يتهمه قومه بأنه افترى ما يقول واتهموه بالكذب يرد عليهم في جدل مقنع . . " يقول قوم نوح له : انه افترى على الله الكذب واختلق هذه الدعوى ، فيرد عليهم بالمنطق ويقول : ان كنتم صادقين في اني اختلقته وجئت به من قبل نفسي فعلى عقاب جرمي ، وان كنت صادقا وكذبتمنى فعلى عقاب ذلك التكذب " (٢) وذلك المعنى ما عبر عنه القرآن بقوله : " ام يقولون افترأه ، قل ان افتريته فعلى اجرامى وانا بىء مما تجرمون " (٣)

(١) اسلوب المحاوره في القرآن الكريم ص ٢٣ .

(٢) دعوة الرسل ص ٨ .

(٣) سورة هود ٣٥ .

كما أخذ يحاورهم بأسلوب هاوي يخاطب العقل والوجدان " يا قوم أرايتم ان كنت على بينه من ربي وآتاني رحمة من عندى فعميت عليكم أنلزمكموها وأنتم لها كارهون • ويا قوم لا أسألكم عليه مالا إن أجرى الا على الله • ما انا بطارد الذين آمنوا انهم ملائكة رسيم ولكنى أراكم قها تجهلون " ( ١ ) ففى ذلك المقام يركز على علاقته بهم " ما رأيكم فى حالى معكم إذا كنت على حجة ظاهرة من ربي وأعطاني النبوة والرسالة برحمته وفضله وقد حجبتكم عن الاهتداء بها جهلكم وفروركم بأموالكم وجاهكم فهل يصح أن اكرهكم على اعتناقها وأنتم لها كارهون ولا اطلب منكم على هدايتى لكم مالا ولا جاها وإنما أجرى على الله ••

وهذا الجدال العقلى المتسلسل فى المقامين افترض نوح نفسه مفترها وهذا جرم على زعم قومه - ثم قال مرتبا على ذلك الفرض : ان كنت كاذبا فعلى عقاب كذبى وان كنت صادقا يجب عليكم اتهاى • وإن كذبتونى فعليكم عقاب تكذيبى • مرة أخرى يؤكد أنه أوتى النبوة والرسالة • الا أن العناد هو الذى منعهم عن التصديق • ويقول لهم لا استطيع أن اكرهكم على ذلك • ثم يؤكد صدقه بعدم طلب الأجر منهم • " وهذا جعل القوم يقولون له : يا نوح قد جادلنا فأكثرت جدالنا • معلوم أن جدال الرسول لا يكون فى تفاصيل الاحكام الشرعية فلم يبق الا السه فى التوحيد والنبوة •• " ( ٢ ) •

٢ - وسيدنا صالح يبلغ دعوته الى قومه مجادلا اباهم ويحذرا لهم من الكفر وعدم الايمان واستخدم فى ذلك اسلوبا نظريه ولفته الى نعم الله عليهم " والى نوح اخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره هو انشأكم من الارض واستعمركم فيها • فاستغفروه ثم تصوا اليه ان ربي قريب مجيب • قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا اتنهنانا ان نعبد ما يعبد آباؤنا واننا لفي شك مما تدعونا

( ١ ) هود ٢٨ ، ٢٩ •

( ٢ ) الفخر الرازى عجائب القرآن ص ٢٠ •

البه مريب • قال باقوم أرايتم ان كنت على بينه من ربي وآتاني منه رحمة ، فمن  
ينصرتي من الله ان عصيته فما تزيد ونفى غير تخسير \* ( ١ ) •

فهنا حاول صالح عليه السلام توجيه انظارهم الى نعم الله عليهم بأن مكن  
لهم في الأرض وجعلهم يعمرونها وينشثون فيها • • فلا ينهضوا ان يجحدوا هذا  
المنعم بالكفر به • وعبادة غيره من الاوثان والاصنام • • ومع أنهم يعترفون بأنه  
" كان مرجو الخير مأمول الرشد قبل أن يقوم فيهم بالدعوة ويبين لهم ما هم  
عليه من اخطاء اما بعد أن قام فيهم بالدعوة وأخذ يحيب عليهم ما هم عليه  
من باطل ويناصبونهم العداء وكثيرا ما قال لقومه " انى لكم ناصح أمين " بمعنى  
انى لم أهرق فيكم بخيانة ولم تجربوا على كذبا في شأن واحد منكم فكيف أجروا  
على أن اكذب على ربي • • واذا كان مرجو الخير قبل ذلك وكان تاريخه  
أبيض ناصحا • وحياته حياة اظهار قد نُقِيت سيرتهم وحسنت معاملتهم • • أفلا  
يكون ذلك حاملا لكم على تصدقه والعناية بدعوتهم \* ( ٢ ) وسيدنا صالح هنا  
يدعوهم في جد له هذا الى عدة امور تتضح في الخطوات التالية :-

أ - لفت انظارهم الى ما هم فيه من نعم الله ثم دعاهم الى الايمان به لعلمهم بانه  
لا منعم سواه • ولا معمر لهم الا هو سبحانه •

ب - كما يدعوهم الى استقراء تاريخه معهم حيث انه ناصح أمين لهم طموال  
حياته معهم ولم يجربوا عليه خيانه ولا كذبا وكان فيهم مرجوا لكل خير فبدعوهم  
ببناء على ذلك الى استصحاب نتيجة استقراءهم لملوكه معهم للحكم عليه  
في دعوتهم • • فالنتيجة هي انه صادق أمين كل حياته • • فما الداعي لسه  
الآن ليكذب على الله في الدعوة والرسالة ؟ وخاصة أنه لا يطلب منفعة ولا اجرا  
على ذلك • • ؟؟

( ١ ) سورة هو ٦١ - ٦٣ • دعوة الرسل ص ٣٥ • ٣٣ •

ج - وإذا كذب على الله - في زعمهم - فمن ينصره من الله عند كذبه عليه ثم يضيف معقبا " فما تزيد وننى غير تخسير " أى لا استطيع ان انتصركم ان كذبت على الله . . ولذا فأنا صادق في نصحي لكم ودعوتى اياكم للايمان بالله . . وما أنى صادق يجب اتباعى في دعوتى . .

٣ - وأما سيدنا ابراهيم عليه السلام : فهكى القرآن لنا العديد من مواقفه الجديلة المتكررة مع قومه ، والتي تدل على فطنة رائعة وحجة بالفطنة لرسول الله صلوات الله عليهم أجمعين . . وهذه أمثلة منها للوقوف على ما فيها :  
 ١ - ففى جد له مع قومه عبدة الكواكب بروى عنه القرآن : " فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربي ، فلما أفل قال لا أحب الاقلين . فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربي فلما أفل قال لئن لم يهدنى ربي لا كُنت من القوم الضالين . فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا أكبر فلما أفلت قال يا قوم انى برىء مما تشركون . انى وجهت وجهى للذى فطر السموات والارض حنيفا ما أنا من المشركين " ( ١ ) .

فتأمل كيف استطاع ابراهيم ان يهجم قومه بطريق الاستدراج فحينما غطى عليه الليل رأى كوكبا فقال لقومه بأسلوب المتهم " هذا ربي " فلما غاب ذلك الكوكب قال لا أحب الاقلين فلا أعبد الهيا يحضر احبانا ويغيب احبانا ، فلما رأى القمر بازغا ثم أفل قال لئن لم يهدنى ربي لا كُنت من القوم الضالين . وكيف أعبد الهيا يضىء بعض الوقت ويغيب البعض الآخر ؟ ومن الذى يهدى بنى من الضلال اذا هو غاب ، فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا أكبر لأن ضوءها أشد ونفعها اشمل وأعم " فلما أفلت قال يا قوم انى برىء مما تشركون . انى وجهت وجهى للذى فطر السموات والارض حنيفا ما أنا من المشركين " وهى مهارة من سيدنا ابراهيم فى استدراجه القوم حتى أقام

( ١ ) سورة الانعام ٧٦ - ٧٩ .



عليهم الحجة ووضع أيد بهم على مواطن الضعف منهم وانتقل بهم من كوكب الى كوكب وأراهم أن موقفه منهم موقف الباحث حتى لا ينفروا من مجادته وأراهم ان الكواكب على اختلاف أنواعها قهوة ضعفا لا تصلح أن تكون لها لأنها تغيب وتحضر ثم بعد أن أقام عليهم الحجة بذلك الأسلوب اللين ، أملى عليهم عقيدته فأراهم أنه يرى ما يشركون بالله \* (١) . . .

ومن هذا شهد إبراهيم أن هذه الاجرام السماوية لا يمكن أن تكون ربه الذي خلق كل شيء لأنها تغيب وتختفي ، ومن ثم لا يمكن أن تكون بالصفة التي يعتقدها القوم ولا بد ان هناك لها لا يخبى وله القدرة على كل شيء ، وتتجلى في هذه القصص اشراقات العقل ( من حيث انه استدلال باقولها على حد وثها ، ثم استدلال بحدوثها على وجود محدثها كما اخبر الله بقوله : يا قوم انى برىء مما تشركون . انى وجهت وجهى للذى فطر السموات والارض حنيفا وما انا من المشركين ) ( ٢ ) ويذكر الامام الغزالي أن أقول الكواكب والشمس والقمر ينقى كونها إلهها ، باثباتها لذلك دليلها ان الشمس والقمر والكوكب آفلها ، والاله ليس بأقل ، ان هذه الكواكب ليست بألهة \* (٣) لان تغييرها يدل على حدوثها ولا بد لها من محدث وهو ربي الذى فطر السموات والارض . . . وسمى الغزالي هذا القياس ميزان التعادل الأوسط . . .

- 
- (١) العدوى دعوة الرسل ص ٤٤ ، وانظر النجار قصص الانبياء ص ١٠٥ ، ابن كثير قصص الانبياء ص ١٣٣ (٢) الرازى عجائب القرآن ص ٢٠ ، د / راشد البراوى كتاب القصص القرآنى تفسير اجتماعى ص ١٥٥ .  
(٣) القسطاس المستقيم مجموعة القصور الغزالي ص ٢٨

ب - في موقفه مع النمرود مدعى الالهية يحكى القرآن : " قال ابراهيم ربي الذي يحيى ويميت ، قال أنا احيى واميت ، قال ابراهيم فان الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذي كفر والله لا يهدي القوم الظالمين " ( ١ ) " يذكر سيدنا ابراهيم للنمرود أن ربه الذي يحيى ويميت فيرد عليه المتكبر وذلك الحاكم المنور بأنه أيضا يحيى ويميت ، يعني أنه اذا أتى برجلين قد تحتم موتهما أو قتلها فاذأ امر بقتل احدهما وبقا عن الآخر فكانه قد أحيى هذا وأمات الآخر " ( ٢ ) وهذا تشعيب محض وهو انقطاع عن الحجة واخفاق في استمرار الجدال ، ولهذا عدل سيدنا ابراهيم وانتقل الى دليل آخر حسما للنزاع والمجادلة حيث انتقل الى حجة لا تقبل نزاعا ولا مغالطة ولا مشاكلة فقال : " فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب " .

وهذا في نظري دليل قاطع وبرهان ساطع لأنه - عن طريق المغالطة والمشاكله ادعى أنه يحيى ويميت كما يفعل الله ، اذن فقد رتب تساوي قدرة الله فهو مساو لله في القدرة والفعل ، فاذا كان الله يأتي بالشمس من المشرق ، فهل تستطيع ان تست بقدرتك التي تدعى مساوتها لقدرة الله ان تأتي بها من جهة مضاد فتفعل فعلا ضد فعل الله تعالى ؟ " وهذه حجة لا تقبل جدلا ولا تتحمل تأويلا ولذا بهت الذي كفر وطمع بها نبي الله ابراهيم وهذه مقدرة عظيمة وقوة نادرة بهيها الله لمن يشاء من عباده ، ومن شكر الله على هذه النعمة الا تستعملها في اضعاف حق أو ترويح باطل " ( ٣ ) .

( ١ ) سورة البقرة ( ٢٥٨ ) .

( ٢ ) القصص القرآني تفسير اجتماعي ص ١٦١ .

( ٣ ) دعوة الرسل ص ٤٥ ، وانظر مع الانبياء ص ١١٩ ، ابن كثير قصص الانبياء ص ١٤٣ .

وتقريب هذا البرهان وتلك الحجة " كل من يقدر على اطلاق الشمس فهو الاله واليهى هو القادر على الاطلاق فاليهى هو الاله د ونك ٠٠٠ وهو في قوة قولك : انت لا تقدر ان تأتي بالشمس من المغرب ، وكل من لا يقدر ان يأتي بالشمس من المغرب فليس يرب . فأنت لست يرب " وهذا الميزان الاكبر من ميزان التعادل ، وهو قياس من الشكل الاوّل كما ذُكر ( ١ ) . ٠٠ . هاد امت المقدمات مسلمة فان النتيجة محتمة ولذلك شعر النروذ بالعجز في داخله والخجل " فبهت الذي كفر " اى تحيّر وأخرس وقامت عليه الحجة ٠٠

ج - وهذا المنطق العقلى الاتخاذ في تبليغ الدعوة ومناقشة الخصم ومجادلته كان حوار ابراهيم مع قومه عندما جعل الاصنام جذا اذا فكروا الا كبيراً لهم فأقنوا به لسألوه " ا أنت فعلت هذا بألهتنا يا ابراهيم ؟ قال بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم ان كانوا ينطقون " ( ٢ ) وهم يعلمون ان آلهتهم لا تنطق ولا ترد فنكسوا على رؤسهم اى لشعورهم بأنهم عاجزون عن الرد ، وقالوا : " لقد علمت ما هؤلاء ينطقون " فرد عليهم ابراهيم وقد أوصلهم الى ما يريد من ابطال عبادتهم " افتعبدون من دون الله مالا ينفعكم ولا يضركم أف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون " ( ٣ ) فالزمهم ابراهيم الحجة بذلك أيضا لان جعله الاصنام جذا اذا وعدم دفاعها عن نفسها دليل على انها غير قادرة وانها عاجزة وأيضا غير ضارة أو نافعة ٠٠ ومن هذا أقام ابراهيم الحجة على النحو التالى : الاله المعبود هو القادر النافع الضار ، والاصنام ليست نافعة ولا ضارة ، ولقادره فقد ثبت عجزها ولهذا فاصنامكم ليست بآلهة ٠٠ وذلك مثل قولك : كل من لا يقدر ولا ينفع ولا يضر لغيره ، والاصنام ليست قادرة لا ضارة ولا نافعة ينتج أن الاصنام ليست بآلهة

( ١ ) انظر الصور العوالى - القسطاس المستقيم ص ٢٠ .

( ٢ ) الانبياء .

( ٣ ) الانبياء ٦٧ .

وهذا الالتزام العقلي جعلهم يعجزون عن الحجة العقلية فيلجأون الى القوة بمحاولة تحريفه ونصرة آلهتهم كما يقولون . . . وهذا شأن المتعصبين دائماً عندما يعجزون عن الحجة العقلية والبرهان المنطقي . . .

٤ - وسيدنا موسى عليه السلام في حوارهِ مع فرعون ذكر في مواضع عديدة من القرآن الكريم . . . وقد عرض موسى عليه السلام عقيدته على فرعون ودعا الى الايمان بالله . . . واستدعى فرعون السحرة له ، في المبارزة التي السحرة حباليهم وخصيهم ثم ألقى موسى عصاه<sup>١</sup> فاذا هي تلقف ما يأفكون . . . فوقع الحق مطل ما كانوا يعملون . فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين . وألقى السحرة ساجدين . قالوا آمنا برب العالمين . رب موسى وهارون . قال فرعون آمنتم له قبل أن آذن لكم ان هذا لكم مكرتموه في المدينة لتخرجوا منها أهلها فسوف تعلمون . لا قطعن أيديكم وأجلكم من خلاف ثم لأصلبكم أجسعين قالوا انا الى ربنا منقلبون . ما تنقم منا الا أن آمنا بآيات ربنا لما جاءتنا ربنا أفرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين " ( ١ ) فاستعانة فرعون بالسحرة تدل على انه غير قادر على اقامة الحجة على دعوة موسى ، وأن ما أتى به من المعجزات انما هو سحر ، ولذا استعان بالسحرة لنصرته ومقارعة السحر بالسحر فلما حضروا وهم متأكدون من أنهم سوف يغلبون موسى حتى أنهم طلبوا الأجر مقدما " أئن لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبيين . قال نعم وانكم اذا لمن المقربين " وذلك لعلمهم بأنهم متفوقون في علم السحر ولا يقوتهم فيه أحد فلما ألقوا حباليهم وخصيهم وخيل للرائيين أنها تسعسى لَمَّا كان من سحرهم عيونهم ، وألقى موسى عصاه فاذا هي تتلعج سحرهم وتبطله . . . سلموا لموسى وسجدوا مؤمنين برب هارون موسى لما علموه من أن الرب المعبود بحق هو القادر على نصرته عبده . . .

( ١ ) الاعراف ١١٧ - ١٢٦ .

وكأنهم فكروا فيما حدث على النحو التالي : القادر على نصرته عبده هو الرب  
المعبود بحق . . . ورب موسى قادر على نصرته . . . ، اذن فرب موسى هو  
الرب المعبود بحق . . . ومن ناحية أخرى : فهزيمتهم هم عجز لفرعون عن الانتصار  
على موسى عليه السلام فهو اذن غير قادر ، بينما قادر اله موسى على نصرته واظهاره  
فالقادر هو الاله . . . وليس العاجز . . . وانما العاجز هو العبد الضعيف . . .

ب - في مقام آخر وعندما عرض موسى أمر الدعوة على فرعون وطلب ارسال بنى اسرائيل  
معه حيث " فَجَأَهُ بِأَمْرٍ لَّا يَقره وَلَا يَرْضاه وهو محاولة انزاله عن عرش الربوبية  
اخذ على اثر ذلك يحاور موسى فيسأله : " وارب العالمين " ؟  
قال رب السموات والارض وما بينهما . . . " خالق ذلك ومبدعه فالتفت الس  
من حوله من ملئه مظهرا العجب قائلا : " الا تستمعون " ؟ واستمر موسى  
قائلا : " ربكم ورب آبائكم الاولين " أى حين لم يكن فرعون موجودا ولا معبودا  
فقال فرعون لملكه : " ان رسولكم الذى أرسل اليكم لجنون " لانه جاءنا  
بشيء لا نعرفه ولا نقره ، واستمر موسى قائلا : " رب المشرق والمغرب ما بينهما ان  
كنتم تعقلون " ( ١ ) .

ويرى القرآن المحاورة كلها فيقول : " وتلك نعمة كَمَنَّا عَلَيْكَ أَنْ عِدْتَ بِنِسْنِ  
اسرائيل . قال فرعون : وارب العالمين • قال رب السموات والارض ما بينهما  
ان كنتم موقنين • قال لمن حوله : الا تستمعون • قال : ربكم ورب آبائكم الاولين  
قال : ان رسولكم الذى أرسل اليكم لجنون • قال رب المشرق والمغرب ما بينهما  
ان كنتم تعقلون • • ( ٢ ) وهذا الاسلوب فى الاستدلال هو ما استدلى به ابراهيم  
عليه السلام كما تبين من قبل ، يقول الرازى : " واعلم أن موسى عليه السلام كان  
يقول فى الاستدلال على طريقة دلائل ابراهيم . . . وعند ما طالبه فرعون بدليل قال

( ١ ) النجار قصص الانبياء ص ٢١٧ . وانظر مع الانبياء ص ٢٢٨ .

( ٢ ) سورة الشعراء ٢٢ - ٢٨ .

" ربكم ورب آبائكم الاولين " وهذا الذي عول عليه ابراهيم في قوله " ربى الذى يحيى ويميت " فلم يكتف فرعون وطالبه بدليل آخر قال : " رب المشرق والمغرب " وهذا هو الذى عول عليه ابراهيم في قوله " فان الله يأتى بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب " ( ١ ) .

ومن ذلك يتبين لنا ان موسى كان يجمع بين الجدال العقلى وبين اللين حيث يلزم فرعون عقلا بالتسليم الا ان التكبر والتعصب قد لعبا دورهما فى العناد والصلف ، فقال : " لكن اتخذت لها غيرى لاجعلنك من المسجونين " . . . وذلك مع وضوح الحجة . . .

٥ - وسيدنا شعيب عليه السلام يتعرض لتكذيب قومه عندما يدعوه الى عبادة الله الواحد . . . " كذب أصحاب الابكة المرسلين " . ان قال لهم شعيب الا تتقون . انى لكم رسول أمين . فاتقوا الله واطيعون . وما أسألكم عليه من أجرى ان أجرى الا على رب العالمين . أفوا الكيل ولا تكونوا من المخسرين وزنوا بالقسطاس المستقيم . ووجهسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا فى الأرض مفسدين " ( ٢ )

" والعجيب لا أولئك القوم يعرفون شعيبا لم يكذبهم فيما يخبرهم به من أمور الدنيا ثم يزعمون أنه يكذب على ربه فى أمور الدين ، فاذا كان لا يستحل الكذب على الناس فكيف يستحل الكذب على الله تعالى ؟ ثم كيف بلغتهم الى أنه لم يسألهم أجرا على تليغهم الدين وانما يطلب الأجر من الله وذلك شأن الصادق الذى يعمل عن اقتناع ويدعو وهو مؤمن بما يدعو اليه ، وهذه اشارة الصادق ودليل الثقة بصاحب الدعوة " ( ٣ ) فهو يدعوهم الى استقراء

( ١ ) الفخر الرازى عجائب القرآن ص ٢٢ .

( ٢ ) الشعراء ١٧٦ - ١٨٣ .

( ٣ ) دعوة الرسل ص ١٧٣ .

سيرته في حياته بهنهم من اتصافه بالصدق والامانة ثم الحكم عليه الآن وقبول دعوتيه .

فان كان لا يستحل كذبه على الناس وهذا ثابت لديهم بالتجربة ، فما الذي يدعوه الى الكذب على الله تعالى ؟ هل هو طلب الاجر او انتظار المنفعة منهم .

انه لا يبتغي منهم ذلك ، اذن فهو صادق مخلص في نصحه لهم ، وعليهم اتباعه .

٦ - كما تتجلى معالم الجدال العقلي في دعوة سيدنا سليمان عليه السلام : فعندما

يعلمه الهدى يدانه قد جاء من سبأ نبيا يقين ، وانه وجد امرأة ماله لقموسها

يسجدون للشمس من دون الله ، انى وجدت امرأة تملكهم واوتيت من كل شئ .

ولها عرق عظيم وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله فزين لهم الشيطان

اعمالهم فصد هم عن السبيل فهم لا يهتدون . الا يسجدوا لله الذي يخرج الخبء

في السموات والارض ويعلم ما تخفون وما تعلنون " (١) .

فيذكر ان يلقى وقومها مع ما اوتوا من قوة ولك لا يعترفون بنعم الله عليهم يسجدون

يسجدون للشمس ويسجدون لها من دون الله وقد اغواهم فحول قلوبهم عن طريق الحق

والصواب فهم لا يهتدون الى عبادة الله وحده ، لقد اغواهم الشيطان وصرفهم عن

السجود لله المستحق وحده للعبادة لانه هو الذي يظهر ما تخفيه الارض من النباتات

وهو الذي ينزل المطر من السماء ، وهو الذي يعلم ما تخفى الصدور من النوايا " (٢) .

فسليمان عليه السلام كانت دعوتيه عليهم من يدعى الهبة الشمس " وهذه الآية دالة على

على وصف الله تعالى بالقدرة والعلم ، اما القدرة فقوله : الا يسجدوا لله الذي يخرج

الخبء في السموات والارض ، وهو يتناول جميع انواع الرزاق واعلم ان المقصود من هذا

(١) النحل ٢٣ - ٢٥ .

(٢) مع الانبياء في القرآن ص ٢٩٠ .

الرد على من يعبد الشمس وتلخيص الدلالة في تلك الحجة على النحو التالي :-  
 " الاله يجب ان يكون قادرا على اخراج الخبء ، عالما بالخفيات ، والشمس ليست  
 كذلك فهي لا تكون لها " ( ١ ) فالاله غيرها وهو الله . ويمكن صوغ الدليل على  
 النحو التالي : القادر على اخراج الخبء ، العالم بخفايا الصدر هو الاله  
 المستحق للسجود والعبادة ، والله هو القادر على اخراج الخبء العالم بالخفايا  
 اذن : فالله هو الاله المستحق للسجود والعبادة . ولهذا كانت دعوة سليمان  
 لها : " الا تعلوا على واتوا مسلمين " . . .

ومن ذلك يمكننا القول بأن العقل يتجلى دوره في تقرير الدعوات وتبليغها حيث  
 كان الجدول احدى السمات فيها ، والمناقشة أساسها - مما يوافق الفطرة السوية . . .

#### ( ١ ) عجائب القرآن - ٢٣ .

٢ - عندنا تكبر عن الجدل على النحو الذي سبق انما هو لبراز ما زور للدينه ربه من  
 رد وضع وتبليغ على معانيدهم من اتواهم ولا يصح الموقف العقلي في الحوار  
 وليس معنى ذلك ارضاع القرآن لا قسم المناطم الجاسده اذ ان القرآن  
 هما عقليهم وروهم وادعاهم في لغزهم الموعودين - وانما هو كلام  
 لطعانهم .



المبحث الثالث

( الاعتماد على التذكير بنعم الله : للايمان به )

وما اتفق عليه اكثر الرسل أصحاب الدعوات سلوكهم مسلك التذكير بنعم الله وآياته الداله على صفاته وذاته . . . ودعوتهم الى الاتعاظ بقصص السابقين من الامم ليكونوا لهم عبره . . . مع الدعوة الى التأمل فيها للوصول الى التصديق والايمان بالله . . .

١ - فها هو سيدنا نوح عليه السلام : يعتمد في خطاب قومه على لفت انظارهم الى التأمل في الآيات الكونية ، ونعم الله في انفسهم في ارزاقهم ، فيقول " مالكم لا ترجون لله وقارا . وقد خلقكم اطوارا . ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا . وجعل القمر فيهن نورا وجعل الشمس سراجا . والله أبتكم من الأرض نباتا . ثم يحيدكم فيها ويخرجكم اخرجا . والله جعل لكم الأرض بسلا لتسلكوا منها سبلا فجاجا " ( ١ )

" مالكم لا ترجون لله وقارا " كان قال مالكم لا تؤمنون بالله والحال هـذـه موجبة للايمان به لانه خلقكم اطوارا أى تارات خلقكم أولا ترابا ثم خلقكم نطفـا ثم خلقكم علقا ، ثم خلقكم مضفا ، ثم جعلكم عظاما ولحما ، ثم أنشأكم خلقا آخر أولا لا تخافون لله حلما وترك <sup>معاملهم</sup> ~~العقاب~~ فتوئبوا هالكم لا تخافون لله عظمة . . . وعن ابن عباس لا تخافون لله عاقبة ، <sup>مستهم</sup> ويبتهم على النظر في انفسهم ودلائلها اقرب منظور فيه منهم ، ثم على النظر في العالم وما يمؤى فيه من العجائب الشاهدة على الصانع الباهر قدرته وعلمه ، من السموات والأرض والشمس والقمر

( ١ ) نوح من آيه ١٣ - ٢٠ .

وهذا المبحث مع المبحث السابق  
الذي ذكر فيه الصلوات والجماعات  
والسبح والذكر على الجوزية  
المطلوب مع الاستشارة اليها  
في كل ما يتعلق بها

وجعل القمر فيهن نورا وجعل الشمس سراجا يبصر أهل الدنيا في ضوءها كما يبصر  
 أهل البيت في نور السراج ما يحتاجون إلى إيماره ، والقمر ليس كذلك إنما هو نور  
 لم يبلغ ضياء الشمس " (١) ولفت النظر إلى الأرض صافيتها من النبات .. معناه  
 ما لكم لا تثبتون وحدانية الله تعالى وأنه الهدم لا اله لكم سواه ثم دلهم على ذلك  
 بقوله " وقد خلقكم أطوارا .. أي جعل لكم في أنفسكم آية تدل على توحيد .. " (٢)  
 فكان نوح عليه السلام " يضرب لهم الامثال ويوجه نظرهم إلى صنع الله تعالى يجعلهم  
 أطوارا مختلفة وبنائته بهم في ادوار حياتهم الجنينية .. وحياتهم في الدنيا وخلق  
 السموات والأرض وأن من بدأهم قادر على اعادة تهم .. ذلك أن من خلق الأرض متمهم  
 بما خلق قادر على اعادة تهم .. " (٣) .

وهذه الدلالة على الله تعالى تتلخص في : أن من خلق الانسان بأطواره المختلفة  
 وخلق السموات السبع والشمس والقمر والأرض صافيتها حيث جعلها مصدر الايمان ، فمنها  
 خلق الانسان ، وعلى نباتها وثمارها يعيش واليهسا يعود .. فالفاعل لكل هذا  
 بنظام دقيق يدب على رعيه واحد لا شريك له .. ان يدل نظام الكون على قدرة مدعه  
 والتوافق بين الكائنات على علمه تعالى بحاجات خلقه .. وهذا الاستمرار على ذلك النظام  
 يدل على وجوده ووحدانيته ..  
 إذ : " لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا " لوقع الخلاف بين الالهين ولكن العالم

(١) تفسير الكشاف ج١ ص ١٦٣ ، وانظر ابن عياض ص ٤٧٨ ، وابن كثير ج٤ ص ٢٦٩ .

(٢) تفسير القرطبي ج٧ ص ٦٨٨٣ ط الشعب .

(٣) النجار قصص الانبياء ص ٤٨ ، وانظر ابن كثير قصص الانبياء ص ٦٦ .

لم يفسد فانتفى وجوده مع الله وثبت أن الله واحد ويمكن القول : ان هذا الكون بدقته ونظامه . . له خالق . . لانه لا يمكن أن يوجد بنفسه . . أو يوجد بغير شيء . . ، وهذا الخالق هو الله ، ان لم يدع أحد أنه خالقه . . والخالق هو المستحق للعبادة فالله هو المستحق للعبادة . .

٢ - كما يحكى القرآن من دعوة هود عليه السلام : أنه اعتمد على التذكير بنعمة الله تعالى عليهم فيها هو سيدنا هو يذكر قومه ومعظمهم بمن سبقهم من الامم ويسمى الله تعالى عليهم ، قال تعالى : " أو عجبت ان جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم واذكروا ان جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح فزادكم في الخلق بسطة فاذكروا آلاء الله لعلكم تفلحون " (١) ويقول كذلك : " اتينون بكل ربيع آية تعيثون . وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون وإذا بطشتم بطشتم جبارين فاتقوا الله وأطيعون . واتقوا الذى أمدكم بما تعلمون أمدكم بأنعام وبنين وجنات ويعيون . إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم " (٢) فيذكر قول هود لقومه واذكروا ان جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح " اى اذكروا نعمة الله عليكم فى جعلكم من ذرية نوح الذى أهلك الله أهل الأرض بدعوتهم لما خالفوه وكذبوه فزادكم فى الخلق بسطة أى طولكم على الناس اى جعلكم اطول من ابناء جنسكم كقوله فى قصة طالوت " فزاد بسطة فى العلم والجسم " واذكروا آلاء الله - نعمه - منته عليكم لعلكم تفلحون كما يبالغ فى تشبيههم على نعم الله حيث أجملها ثم فصلها مستشهدا بعلمهم وذلك أنه ايقظهم عن سِنَةِ غفلتهم عنها حيث قال : " أمدكم بما تعلمون " ثم عددها عليهم ، ورفههم النعم بتعدد ما يعلمون من نعمه ، وأنه كما قدر أن يتفضل عليكم بهذه النعم فهو قادر على الثواب والعقاب فاتقوه ، ونحوه

(١) الاعراف ٦٩ .

(٢) الشعراء ١٢٨ - ١٣٥ .

قوله تعالى : " ويحذركم الله نفسه والله رءوف بالعباد " ، فان قلت كيف قسروا  
 النبيين بالانعام قلت : هم الذين يعينونهم على حفظها والقيام عليها " ( ١ ) . . .  
 " وقال لهم مذكرا اياهم بنعم الله عليهم : هل اثار عجبكم واستغرابكم أن يجيئكم  
 ارشاد من ربكم على لسان رجل منكم لينذركم سوء العاقبة بسبب الضلال الذي  
 انتم عليه ، الا تذكرون أن الله جعلكم وارثين للأرض من بعد قوم نوح الذين  
 أهلهم الله بذنوبهم وازادكم قوة في الجأء ان رقوة في السلطان وتلك نعمة تقتضى منكم  
 ان تؤمنوا بالله وتشكروه لا أن تكفروا به ، فنصحتي لكم ان تذكروا فضل الله عليكم  
 لعلمكم تفوزون بالسعادة في الدنيا والآخرة " ( ٢ ) وان يستعملوا عقولهم ليتبينوا  
 أن ما يعبدون من دون الله لا يضرهم ولا ينفعهم وانما الذي يضر وينفع انما هو الله  
 تعالى الذي أغدق عليهم نعمة وهو الذي خلقهم وهداهم ما اتهم " ( ٣ ) . . .

ونرى ان سيدنا هودا اعتمدا ايضا كما اعتمد سيدنا نوح على التذكير بنعمهم  
 الله عليهم في أنفسهم من انه زادهم بسطة في الخلق ثم بنعمه عليهم في خلقه النعم  
 وسعة الرزق . . . اما تذكير اياهم بقوم نوح وانهم خلفاء لهم . . . فذلك ليقبسوا انفسهم  
 عليهم فقوم نوح كذبوا فأغرقوا . . . وهم أى قوم عاد كانوا من الذرية الناجية بسبب  
 الايمان بنوح فمتى وجد الايمان تحققت النجاة ، متى انعدم الايمان انعدمت النجاة  
 وكان الهلاك فالمقل السليم يقتضى التمسك باسباب النجاة . . . وهو الايمان بالله  
 والتصديق برسوله حتى لا يحيق بهم مثل ما حاق بالمكذبين من قوم نوح .

- 
- ( ١ ) الكشاف ج ٣ ص ١٢٢ وانظر القرطبي ، وابن كثير سورة الشعراء .  
 ( ٢ ) مع الانبياء ص ٨٨ ، دعوة الرسل ص ١٩ .  
 ( ٣ ) اسنن ج ١ ص ٢٢ .

٣ - وسيدنا صالح عليه السلام نهج نفس النهج مع قومه عندما ذكرهم أيضا بنعم الله عليهم حيث يذكرهم بأن الله أنعم عليهم بأن جعلهم خلفاء من بعد عاد " واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد عاد ووأكم في الأرض تتخذون من سهولها قصورا وتنحتون الجبال بيوتا فاذكروا آلاء الله ولا تعثوا في الأرض مفسدين " (١)

" وإلى ثمود أخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره ، هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها فاستغفروا ثم توبوا إليه ان ربي قريب مجيب " (٢)

ويقول : " اتركوا فيما هاهنا آمنين في جنات وعيون • وفروع وتخل طلعتها هضيم • وتنحتون من الجبال بيوتا فارهين • فاتقوا الله وأطيعون " (٣)

فيذكرهم بأن الله تعالى جعلهم خلفاء في الأرض بعد أن أهلك عاد بسبب عنادهم وكفرهم حيث أهلكهم الله تعالى متجبا من آمن بهود وهم الذين خاطبهم سيدنا صالح عليه السلام فذكر أن سبب استخلافهم هو إيمانهم بهود وعبادتهم لله ، فإن هم تخلوا عن العبادة والإيمان استحقوا الهلاك من جديد ، وقد ذكر المفسرون أن أعمارهم كانت طويلة ، وما كانوا ينحتون من البيوت والقصور لم يكن يكفى أعمارهم ، هذا مع ما هم فيه من نعم كونه • • وقد أخذ نبي الله يذكرهم بنعم الله عليهم وأنه جعلهم خلفاء لعاد في الخضارة والعمران والقوة والبأس وأنه يوأهم في الأرض وجعلها منازل لهم وقد بين لهم ذلك بقوله : " تتخذون من سهولها قصورا وتنحتون من الجبال بيوتا " فذكرهم بما ألهمهم الله من فنون الصناعة وهندسة البناء ودقة النجارة ، وما علمهم الله من فن النحت وما آتاهم من القوة والصبر ، وقيل كانوا يسكنون الجبال في الشتاء لما في البيوت المنحوتة من القوة على الأمطار والعواصف ، ويسكنون السهول في سائر الفصول لأجل الزراعة والعمل " (٤)

(١) الاعراف ٧٤ • (٢) هود ٦١ •

(٣) الشعراء ١٤٦ - ١٥٠ •

(٣) النجار قصص الانبياء ص ٧٢ • وانظر دعوة الرسل ص ٢٨ •

ومعد أن شرح لهم العقيدة يُذكّرهم بما انعم عليهم بما هم فيه من اتقان وحذق للعمارة والهندسة ، صاهم فيه من رغد العيش رادعين آمنين \* ويجوز أن يكون انكار نبي الله صالح على قومه أن يفهموا أنهم يتركون في هذه النعم التي غرهم الله بها آمنين على أنفسهم من حلول عذاب الله بهم ، فيبدل لهم نعمهم شقاءً وأمنهم خوفاً مع أن موقفهم من صاحب النعم موقف الكافر لا موقف الشاكر أو أنهم يتركون في تلك النعم يدون جزاء عليها ، وكأنه يقول لهم إذا فهمتم من حالكم الوادع المطمئن أن هذه كل حياتكم وأنه ليس لكم حياة وراء هذه الحياة محاسبون فيها على كل ما قدمتم من خير وشر . إذا فهمتم ذلك فأنت مخطئون .

وهذه النعم هي الجنات والعيون والنخل طلعتها هضيم أي لطيف ضامر فذكرهم بنعمة الله في أن وهب لهم أجود النخل وأنعمه لأن الأناث ولادة التمر والبرنى أجود التمر وأطيبه ، ويجوز أن يريد أن نخيلهم أصابت جودة المناسبات وسعة الماء وسلمت من العاهات فحملت الحمل الكثير وإذا كثر الحمل هضم ، وإذا قل جاء فآخرا ، وقيل الهضم اللين النضج \* (١) .

وقد ذكر القرطبي أكثر من عشرة معانٍ للهضم كلها تدور حول ما ذكر ، فكانت قبلة تمود تدعى بعبادة الأصنام يشركونها مع الله في العبادة فأرسل الله إليهم صالحاً واعظاً وذكر لهم نعم الله عليهم وآلائه الدالة على توحيدهم وأنه لا شريك له وأقام لهم الدلالة القاطعة والبيّنة الواضحة على ضلالهم في عبادتهم ، وعلى أن الله هو الذي يجب أفراداً بالعبادة دون سواه . . . وهذه النعم والمشاهدات الكونية هي الدليل على أحقيته تعالى بالعبادة ، ونفس دلالتها هي نفس دلالة تذكير نوح لقومه بنعم الله عليهم ، ودلالة تذكير هود لقومه بتلك النعم وأنه استخلفهم

(١) الكشاف ج٣ ص ١٩ ، وانظر ابن كثير والقرطبي سورة الشعراء ، النجار قصص

الانبياء ص ٨٠ ، وقصص الانبياء - ابن كثير ص ١١٥ ، ومع الانبياء ص ٩٣ .

في الأرض بعد إهلاك من كان قبلهم فمن كفروا بنبههم وعاندوه . . وهذا المسلك لسيدنا صالح ، ونوح وهود عليهم السلام هو مسلك سائر الرسل وأصحاب الدعوات . .

٤ - وسيدنا إبراهيم تجلى مسلكه العقلى في إبطال عبادة قومه الاصنام ، والاثان من دون الله ، فقد حاور النمرود في ادعائه الألوهية لنفسه حتى الزمه الحجسة كما جادل قومه وحاوهم بذلك ، وفطنه بعد أن جعل أصنامهم " جذاذا " الا كبيرا لهم حتى اثبت لهم خطأ عبادتهم لتلك الالهة المزعومة كما يجارى فريقا من قومه عند الكواكب ويتظاهر بموافقتهم على ما يعبدون حتى ينتهي بهم السسى ان عبادتهم هذه الاجرام السماوية باطلة ، ويجب عليهم عبادة خالقها ومسيرها عبادة خالصة صادقة ( كما تبين من البحث السابق ) الا أن إبراهيم عليه السلام فيما وصف به ربه في احد مواقفه مع قومه نبهه إلى بعض نعمه تعالى على الانسان ، فقال مبينا صفات الاله المعبود بحق : " الذى خلقنى فهو يهدىنى . والذى هو يطعمنى وسقىنى . وإذا مرضت فهو يشفىنى والذى يمتىنى ثم يحيىنى . والذى أطمع أن يغفر لى خطيئتى يوم الدين " ( ١ ) .

بين الصفات التى يستحق بها أن يكون بها الهه ومعبوده فقال : الذى خلقنى فهو يهدىنى . بما وهبنى من الفطرة التى تدعونى إلى جلب النافع ودفع الضرر واعطانى من السمع والبصر والعقل ما استطع به أن اعرف الحق من الباطل واقف على ملكوت السموات والأرض وهدانى بالوحى السماوى الى ما فيه سعادتى فى الدنيا والآخرة ، وإلهه كنه ذلك كله لا يستوى هو وأصنام لا تملك من ذلك شيئا بل هى ملك الله وخلق من خلقه . . ثم وصفه بقوله : والذى هو يطعمنى وسقىنى . بما سخر لى من أسباب الرزق ووسائل المعيش وما أنزله ونزله من الأمطار وفجره من

المعبود ، ويجريه من الأشهار وَدَعَسَانِي إليه من العمل ، وأعدنى له بصحة وعافية واستطاعة لعمارة الأرض والانتفاع بخيراتها ، ثم يصفه بوصف آخر هو قوله : وَإِذَا . . . مرضت فهو يشفين . . . وقد اضاف المرض الى نفسه لأن كثيرا من اسباب المرض تحدث بتفريط الانسان في مطاعمه ومشاربه ووسائل حياته ، وقد نسب الشفاء الى ربه لأنه خلق لكل داء دواء ، وهدى الناس الى علاج امراضهم من طريق البحث في العقاقير ووسائل الادوية " ( ١ ) . . .

في هذا الفت للأنظار الى نعم عدة لله على الانسان : نعمة الهداية وقد خلق لها ما تستلزمه من السمع والبصر فزود الانسان بالعقل ، ونعمته الرزق وهي ما اشار اليه بالاطعام والسقيا وقد سهل الله سبيلهما وسرهما فلأمطار وتسجير السحاب المسخر بين السماء والأرض بالما الذي ينزل على الأرض حيث أراد الله فتخضر الأرض وتربو ، وَأَنْبَتَ <sup>النبات</sup> الطِّعْمَاتِ كلها من الأرض ، وتيسير سبل تحصيلها ، كما بين نعمة الشفاء والصحة والقوة التي يمنحها للانسان ليواصل العيش والحياة . . . وهذا كله مخلوق بعلم وقدرة وإرادة وهذا العالم القادر المريد هو المستحق للعبادة وهو الله رب العالمين .

٥ - وقد سلك سيدنا موسى نفس الطريق مع فرعون . . . فقد جادله جدلا عقليا في أمر التوحيد وصره له على ان الاله الحقيقي بالعبادة هو الله رب العالمين كما اتضح ذلك في البحث السابق . . . وقد استعمل أيضا أسلوب لفت نظره الى مظاهر النعمة الدالة على القدرة ، فقال فرعون متعابلا : " قال فمن ربكما يا موسى . قال ربنا الذي أعطى كل شئ خلقه ثم هدى . قال فما بال القرون الأولى . قال علمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى . الذي جعل لكم الأرض مهدا وسلك لكم فيها سبلا وأنزل من السماء ماء فاخرجنا به أزواجا من نبات شتى . كلوا وارعوا أعامكم ان في ذلك لآيات لأولى النهى " ( ٢ ) .

( ١ ) للعقود وى دعوة الرسل ص ٥٦ .

( ٢ ) سورة طه ٤٩ - ٥٤ .



فعندما سأل فرعون موسى أجابه بصفات الله تعالى فقال : الذى اعطى كل شىء خلقه . . . روى القرطبي في ذلك أقوالا : " قال ابن عباس وسعيد بن جبير والسدى أعطى كل شىء زوجة من جنسه ثم هداه إلى منكحه وطعمه ومشربه ومسكنه . . . وأعطى كل شىء صلاحه وهداه لما يصلحه ، وقال مجاهد : أعطى كل شىء صورةً ، لم يجعل خلق الانسان في خلق البهائم ، ولا خلق البهائم في خلق الانسان ، ولكن خلق كل شىء فقد ره تقديرا . وقال الضحاك أعطى كل شىء خلقه من المنفعة المنوطة به المطابقة له بمعنى الهدى للبطن والرجل للمشى واللسان للنطق ، والعين للنظر والأذن للسمع ، وقبل أعطى كل شىء ما ألهمه من علم وصناعة " ( ١ ) .

وهذه الأقوال كلها تدل على علم الله المحيط بخلقه ، وعلى قدرته تعالى ، " الا يعلم من خلق ؟ وهو اللطيف الخبير " وأعطى كل مخلوق ما يملكه من الحياة حسبما علم الله من خلقه ، ويعد سوءه عن القرون الأولى أجابه موسى بأن علمها عند الله تعالى " ثم عقب ذلك بقوله : الذى جعل لكم الأرض مهدا . . . أى فرائشا صالحة للمشى والضرب فيها لطلب الرزق ، وسلك لكم فيها سبلا فلم يجعلها جميعا جبالا حتى لا تكون صالحة للمشى ، ولم يجعلها جميعا بحارا بل جعل فيها الماء واليابس وجعل فيها الجبل والسهل ، وأنزل من السماء ماء فاخرجنا به أزواجا من بنات شتى مختلف في طوله وقصره ولونه وطعمه ودرجة حلاوته وحموضته كلوا ولرعوأ أنعامكم أى آذنين في الانتفاع بها ، مبهجين أن تأكلوا بعضها وتعلفوا دوابكم بعضها . . . " ان في ذلك لآيات لأولى النهى " . . . أى في ذلك كله من الأرض التى مهدها وجعل فيها السبل للمعيشة وانزال الماء من السماء فأبست به النبات المختلف ، وذلك كله دلائل وبر لأصحاب العقول " ( ٢ ) فموسى

( ١ ) تفسير القرطبي ج ٤٧ ط الشعب ص ٤٢٤٥ .

( ٢ ) العددى دعوة الرسل ص ٢٤٤ ، قصص الانبياء لابن كثير ص ٣١٨ .

عليه السلام قد لفت نظره إلى المخلوقات الكونية التي لم تُخلَقْ بنفسها ، ولم يخلقها فرعون كذلك . . . مستدلا بذلك على أن الخالق هو الله المستحق للعبادة فهذه الآيات تدل على انبعاثها وخالقها هو الله المعبود بحق . . .

٦ - وقد اعتمد سيدنا شعيب أيضا على التذكير بأحوال السابقين ممن هلك من الأمم فيقول : "ويا قوم لا يجرمنكم شقاقى أن يصبىكم مثل ما أصاب قوم نوح أو قوم هود أو قوم صالح وما قوم لوط منكم ببعيد " (١) كما يذكرهم بنعمة أخرى في قوله تعالى : " واذكروا ان كنتم قليلا فكثركم وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين " (٢) فيحكي القرآن خطاب شعيب لقومه " ويا قوم لا يجرمنكم شقاقى . . . اى يحملنكم معاد اتى على ترك الايمان فيصيبكم ما أصاب الكفار قاله الحسن وقتاده ، وقيل : لا يكسبنكم شقاقى اصابكم العذاب كما أصاب من كان قبلكم والشقاق هنا بمعنى العداوة ( وما قوم لوط منكم ببعيد ) وذلك أنهم كانوا حلف بئى عهد بهلاك قوم لوط . وقيل وما دام بار قوم لوط منكم ببعيد أى بمان ببعيد فلذلك وحد البعيد ، قال الكسابى : اى دورهم فى دوركم " (٣) وفى الكشاف : "وما قوم لوط منكم ببعيد " اى اهلكوا فى عهد قريب من عهدكم فهم أقرب الهالكين منكم ، أو لا يبعدون عنكم فى الكفر والمساوىء وما يستحق به الهلاك " (٤) . . . وذاكرنى قوله " واذكروا ان كنتم قليلا فكثركم " " يجوز ان كنتم مغلبين فقراء فكثركم فجعلكم مكثرين موسرين ، ان كنتم أقلية فاعزكم الله بكثرة العَدَدِ والعَدَدِ . . . وهذه نعمة من الله عليهم يجب شكرها . . .

(١) سورة هود ٨٩ .

(٢) الاعراف ٨٦ .

(٣) القرطبي ج ٣٧ ص ٣٣١٨ .

(٤) الكشاف ج ٢ ص ٢٨٨ .

فيقول شعيب لهم مذكرا " لا تساهروا الهوى وداعة الانتقام فان ذلك يجركم الى مآثم لا قبل لكم بها ، وهؤلاء قوم هود لماعتوا عن أمر الله وخرجوا عن حد و أرسل الله عليهم ريحا صرصرا في أيام محضاتٍ لئذيقهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ، وهؤلاء قوم هود هداهم الله فاستحيوا العى على الهدى فأخذتهم صاعقة العذاب الهون بما كانوا يكسبون ، ثم قال لهم : " ها قوم لوط منكم يبعيد " يريد أنهم أقرب الهالكين منكم فكان عليكم ان تعتبروا بهم وتذكروا بما حصل لهم " ( ١ ) في هذا يتضح لنا أن شعيبا عليه السلام قد اعتمد على لفت الانظار الى السابقين للاعتبار بهم والقياس عليهم وانتظار مصيرهم إن ساروا على نهجهم وطريقتهم في معصية رسولهم ، كما أنه لفت نظرهم الى الكثرة التي من الله بها عليهم فتحولوا من الذلة الى العزة ومن القلة الى الكثرة . .

صفة عامة فان الرسائل اعتمدت في تبليغها على لفت انظار المدعوين ، . . ودعتهم الى التأمل في الآيات الكونية في أنفسهم وفي البيئات المحيطة بهم . . لأنها تخاطب العقل مع الفطره . . ، كما استرعت الانظار الى التأمل في أخبار السابقين وأحوالهم ، من الأمم السابقة عليهم للاتعاظ والاعتبار بما حدث لها . .

وناءً على ما ذكر في هذا المبحث فان مجالات التأمل تنحصر في الآتى :-

- ١ - التأمل في النفس من حيث ابداع الخلق والهداية .
- ٢ - التأمل في البيئة المحيطة من نعم الله على الانسان ونعمة الرزق والصحة .
- ٣ - التأمل في أحوال الأمم السابقة والاعتبار بما حدث لهم .

( ١ ) العدوى دعوة الرسل ص ١٧١ ، قصص الانبياء لابن كثير ص ٢١٢ .

صن خلال هذه الكائنات وتلك النعم يخلص الانسان الى أن لها خالفا

عليما قد يرا سمعيا بصيرا مبدا هو الله رب العالمين . .

تقرير الدلالة العقلية للتأمل في الكائنات والتذكير بالنعم ، على الاله :

أولا : - بالنسبة لنعم الله على الانسان في ذاته ، هيئته : فيالمشاهدة يحصل

للانسان علم بوجود السماء والارض ومافيهما ، وانتظام حركتهما بدون خطأ او خلط

وما بنبت من الارض من شتى انواع الرزق لهاكل الناس والانعام ، كما يعلم بأنه لله

سمعا وصرا وعقلا واعضا متناسقة تعمل في انتظام ودقة . .

وهذه الاشياء وتلك الصور كلها تدل على أن لها فاعلا يعلم مقاد برها وتوجيهاتها

ويعلم مقدار حاجات الخلق اليها ، فوضعها في الكون بالصورة التي تتلاءم مع

تلك الحاجات والمطالب بحيث لا يطفى شئ على آخر ، ولا جنس على آخر . . فدلّت

على أن المُوجِّدَ لها عليم بمقاصدها وراميها فوجب على الخلق عبادته وطاعة رسله

وهذه الآيات وتلك الدلائل كأن من يذكر بها صلفت الاضمار اليها من الرسل صلوات

الله عليهم يقول لقومه :

أ - كل من يقدر على خلق هذه الكائنات وتلك الآيات وتنظيمها يدقه واحكـام

هو الاله وحده .

ب - والله هو القادر على ذلك الخلق والابداع . . لعدم ادعاء اي منهم لذلك

ج - نصل الى أن الله تعالى هو الاله وحده . . ولذا فعبادة غيره كفر وجمود

عقل وهذا في الاستدلال مايعرف بميزان التعادل الكبير .

ثانيا : والنسبة للفت الانتظار الى الامم السابقة وماحدث لهم - فهو ايضا

ترهيب وتهديد للمعاندين للوصول الى تصوير حقيقة ماينتظرهم في الدنيا والآخرة

من عذاب وهول .

فهو عبارة عن نوع من الاستدلال ، له دلالة واضحة وهو الاستقراء ، فهو انتقال

من الجزئى الى الكلى . . واهضاح ذلك على النحو التالى :

- أ - قوم نوح كفروا وعاندوا ولم يؤمنوا فأهلكهم الله غرقا .
- ب - وقوم هود كفروا به وعاندوه فلم يؤمنوا به فأهلكهم الله بريح صرصر عاتية .
- ج - وقوم صالح كفروا به وعاندوه وعقروا الناقة فأهلكهم الله بالطاغية .
- د - وقوم لوط كفروا وعاندوا واستمروا على فسقهم فأهلكهم بتدمير قراهم مع ملاحظة ان عقاب الله ونقمته قد يكون على الفور أو على التراخى على سبيل الامهال .

بتأمل ماسبق من أحوال تلك الامم وما حاق بهم ، يحصل لنا علم حاصله : أن

كل أمة لا تؤمن بالله وتعادى رسولها يهلكها الله نعمة عليها . .

بناءً على النتيجة السابقة للاستقراء ، يمكن انشاء دليل آخر هو : ان الله

تعالى ينتقم من كل أمة تعاند رسولها ولا تؤمن برسالته . .

وانتم تعادونى وتكذبونى فلا تؤمنون برسالتى . .

فالله تعالى ينتقم منكم . . اذا ظللتكم على ذلك - قياسا على ما علمتم من احوال

من سبقكم من اقوام وأمم . .

بناءً على هذا يتضح لنا مدى اعتماد الدعاء على هذا اللون من التذكير

والوعظ .

## ( المبحث الثالث )

( تعرضهم لجامدى العقول من المقلد بين والمترفين )

من الامور التي واجهت الدعاة أصحاب رسالات الاصلاح معارضة جماعات تجمدت عقولهم حيث تأثرت بالعواطف والاهواء ، فهجد ثنا القرآن في عرض الرسائل لرسالاتهم ودعواتهم أنهم اصطدموا بمقلدى الآباء والأجداد وأصحاب المناصب والجاه الذين يخشون ضياع جاههم اذا هم اتبعوا الرسل فلقى الرسل سلوات الله عليهم منهم العنت والجدل والاضرار على السير على نهج الآباء والاجداد رغم خطئهم وهذا يمثل الغاء لدور العقل في التفكير وتمييز الحق من الباطل ، كما أنه مواجهة عقلية بين نوعين من العقول : النوع السوى الحر في تفكيره وهو عقل الرسل والنوع الجامد المتوقف تعصبا وهوى . . . وهو عقل تلك الفئة من المقلد بين أو المترفين وهم نموذج ممتد الى قيام الساعة . . .

١ - وقد تعرض سيدنا نوح عليه السلام للمترفين المتعصبين من قومه ، قال تعالى " قال الملا من قومه انا لنراك في ضلال مبين " (١) ( ولم يكن هذا جواب قومه عامة ، اما هو جواب الاشراف والسادة الذين امتلأت قلوبهم بحسب الجاه والسمعة ، وحب الرياسة وهم المترفون الذين قال الله فيهم : " وما ارسلنا في قرية من نذير الا قال مترفوها انما بما ارسلتم به كافرون . وقالوا نحن اكثر أموالا واولادا وما نحن بمعذبين " (٢) (٣) .

(١) الاعراف ٦٠ .

(٢) سبأ ٣٤ ، ٣٥ .

(٣) دعوة الرسل ص ٢٠ .

فهم قد تكبروا عن الاذعان لدعوة نوح عليه السلام غرورا بما هم فيه من ترف وجاه  
ولا عجب فهم الغافلون عن آمن بنوح أنهم الاراذل : " فقال الملا الذين كفروا  
من قومه ما نراك الا بشرا مثلنا ، ما نراك اتبعك الا الذين هم اراذلنا بادي الرأي  
وما نرى لكم علينا من فضل بل نظنكم كاذبين " ( ١ ) لأنهم يزعمون أن الرسالة  
لا تنزل على بشر ، ولو أنزلت على بشر لكانوا هم أولى بها من نوح لما يشعرون به من  
فضل عليه . . . وهذا محض الكبر والتعصب . . .

٢ - وقد تعرض أيضا سيدنا هود لنفس النوع من القوم حيث، اعترضوا عليه  
ولاموه فعند ما يذكرهم بنعم الله عليهم ياذلوا في ذلك جهد قائلوا : " واذكروا  
اذ جعلكم خلقا من بعد قوم نوح وازادكم في الخلق بسطة فاذكروا آلاء الله لعلكم  
تفلقون . قالوا : اجئتنا لنعبد الله وحده ونذرا ما كان يعبد آباؤنا فأنتننا  
بما تعدنا ان كنتن الصادقين " ( ٢ ) ذكرهم هود عليه السلام بنعم الله من  
استخلافهم بعد قوم نوح وعطاياه لهم ونعمه عليهم فردوا عليه منكبين مستعدين  
اختصاص الله وحده بالعبادة وترك دين الآباء في اتخاذ الاصنام شركا معه حبا  
لما نشئوا عليه وإلغا لما كانوا قد صادفوا آباءهم يتدينون به " ( ٣ )

فقد أنكروا عليه أن يجهشهم بالتوحيد وترك ما كانوا من شرك واصنام كان يعبدها  
الآباء ، ثم قالوا له " اثنتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين " ( ٤ ) وهذا التعصب  
لما كان عليه الآباء والاجداد ، والاصرار على عبادة اصنامهم يدل على أنهم جمدوا  
عقولهم ولم يفكروا في تلك العبادة ، وأمام ما لفت اليه هود أنظارهم من مظاهر  
القدرة الالهية ونعمه عليهم . . . فاتقوا الله واطيعون . واتقوا الذي أمدكم  
بما تعلمون . امدكم بانعام وينين . وجنات وعيون . انى أخاف عليكم عذاب يوم  
عظيم " ( ٥ ) امام كل هذه النعم ، ماذا كان ردهم ؟ لم يتيحوا لعقولهم حتى

( ١ ) هود ٢٧ . ( ٢ ) الاعراف ٦٩ - ٧٠ .  
( ٣ ) دعوة الرسل ص ٢٠ . ( ٤ ) المرجع السابق ، وانظر مع الانبياء ص ١٠٨ .  
( ٥ ) الشعراء ١٣١ ، ١٣٥ .

مجرد التفكير في أمره ، بل قالوا في تعصب : " سواء علينا أوعظت أم لم تكن من الواعظين " ( ١ ) . . . أى كل ذلك عندنا سواء ، لا نسمع منك ولا نلوى على ماتقوله ( ٢ )

وقوم هود هنا قد نشثوا على عبادة الاصنام وضارت تلك العبادة جزءاً من سلوكهم الذى قلدوا فيه آباءهم وساروا على نهجهم وجمود عقولهم وتعصبهم لتلك الفكرة ، فذلك اصرار على عدم قبول الموعظة والدعوة " وهذا استبعاد روى يسيطر عليهم حيث ان تقليد الآباء سلبهم حرية النظر والتفكير ، كما نرى حجه هود عندما حول آلهتهم الى مجرد اسماء كأن ليس لها مسميات في عالم الحقيقة . . . وهذه الاصنام لا دليل فيها على ألوهيتها ولا توجد قوة لها تثبت بها وجودها " . . . وهم مع تجميد هم عقولهم واغلاقها عن كل تفكير وتأمل اتبعوا أهواءهم في الدفاع عما ألفوه من عادات آبائهم واتهموا من دعاهم الى الحق بالجنون حيث اتهموا هوداً بالجنون ، وأن آلهتهم قد ألحقت به سوءاً . . . مع ان أسلوب هود معهم كان ينم عن عقل راجح حيث كان يحلم معهم ولم يرد على انشائهم بمثلها حتى يتيح الفرصة لعقولهم لتفكر في أمره وتأمل حاله . . . الا أن تعصبهم للحكم المسبق عليه منعهم من ذلك . . . وظلوا على ما هم فيه من ضلال وجمود . . .

٣ - وعلى نفس الطريق كان قوم صالح عليه السلام : حيث يحكى القرآن دعوتهم لهم لعبادة الاله الواحد ، الله رب العالمين الذى لا اله غيره ، وقد جاءهم بالمعجزة الدالة على صدقه ، ناقة الله التى أمرهم بأن يتركبوها تأكل في أرض الله وحذرهم من الحاقى أى أذى بها . . . كما ذكرهم بنعمه تعالى عليهم فقال : " واذكروا ان جعلكم خلفاء من بعد عاد ورفؤاكر في الأرض تتخذون من سهولها قصورا وتنحتون الجبال بيوتا فاذكروا آلاء الله ولا تعثوا في الأرض مفسدين .

( ١ ) الشعراء ٣٦ .

( ٢ ) تفسير القرطبي ج ٥٣ ص ٤٨٤١ ، والكشاف ج ٣ ، وانظر مع الانبياء ص ٨٩ .



قال الملائكة الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا لمن آمن منهم أتعلمون أن صالحا مرسل من ربه ، قالوا انا بما أرسل به مؤمنون . قال الذين استكبروا انا بالذي آمنتم به كافرون " ( ١ ) في موضع آخر يقول عنهم : " قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا أتنهانا أن نعبد ما يعبد آباؤنا واننا لقى شك مما تدعونا إليه مريب " ( ٢ )

فهم عند ما يسألون المستضعفين منهم على سبيل السخرية والاستهزاء : أتعلمون أن صالحا مرسل من ربه ؟ فكان رد هم انما بما أرسل به مؤمنون ، سألوهم عن العلم بإرساله ، فجعلوا إرساله أمرا معلوما مكشوفاً مسلماً لا يدخله ريب ولا شبهة وانما الكلام في وجوب الايمان به ، فنخبركم انا به مؤمنون ، ولذلك كان جواب الكفرة : " انا بالذي آمنتم به كافرون " ( ٣ )

وإن اتباع الرسل هم المستضعفون لا الاغنياء المترفون ، لأنه لا يثقل على المستضعفين أن يكونوا تابعين لغيرهم وليس في قلوبهم من حب الرياسة ما يمنع من استماعهم للحق ، أما السادة والاشراف فيشق عليهم أن يكونوا مرؤسين وأن يخضعوا للأوامر والنواهي التي تحرم عليهم الاسراف الضاركة وتقف شهواتهم عند حدود الحق والاعتدال " ( ٤ ) .

وانقسام الناس الى مؤمنين مصدقين مجادلين بالحجة والبرهان ، والساكنين كافرين معارضين متعصبين امام الدعوات امر طبيعي على مدى الزمان ، والسدى دعا قوم صالح الى هذا التعصب هو جمود عقولهم حيث التزموا ما كان عليه الآباء وقد تساءلوا " أتنهانا أن نعبد ما يعبد آباؤنا " فهم اذا حريصون على تقليد

( ١ ) الاعراف ٧٤ - ٧٦ .

( ٢ ) هود ٦٢ .

( ٣ ) تفسير الكشاف ج ١

( ٤ ) دعوة الرسل ص ٢٩ .

الآباء في عبادتهم واخطائهم والجمود عليها وعدم التفكير فيها بل تعصبوا لها ورفضوا أى تفكير أو مناقشة في أمرها ٥٦ . كما كان لتعاليمهم وتكبرهم جانب كبير في ذلك ، حيث منعهم أن يؤمنوا ويتساووا مع المستضعفين والفقراء فسـ الایمان فخالقوهم مخالفة مطلقة لرفضهم هذه المساواة معهم ٥٥ . وهذا دأب ٥٥ المرتفين دائما ٥٥

٤ - وسيدنا ابراهيم قابل نماذج واضحة جليلة لنوعية المقلدين والمتعصبين الذين منعهم ذلك عن الاستجابة لدعوته ٥٥ بل ودعاهم الى التأمير عليه ٥٥ وشأن ابراهيم مع عبادة الاصنام عندما سألهم عن عبادتهم لها " ماهذه التماثيل التى انتم لها عاكفون . قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين قال لقد كنتم انتم وآباؤكم فى ضلال مبين " ( ١ ) ٥٥

ففى سوءاله لهم تصغير لشأن الاصنام " ماهذه التماثيل " ؟ ولم يردوا عليه بحجة ولابرهان بل عللوا ذلك بأن قالوا " وجدنا آباءنا لها عابدين " فكل ماغندهم من حجة لعبادة الاصنام أن وجدوا آباءهم عابدين لها ، وما دام ذلك عمل الآباء والأجداد فكيف نحيد عنه ؟ " عمدوا الى العقول فمطلوها والى الاسماع فأصموها والى الأبصار فأعموها اعتمادا على عقل الآباء والأجداد وتعويلا على سماع المتقدمين ، وكأن الله خلق لهم هذه الاسماع والأبصار ، ووهبهم اولئك العقول لمطلوها عن وظائفها وحولوا بينها وبين ادائها واجبها " ( ٢ ) ٥٥

بعد مناقشتهم وبان بطلان عبادتهم الاصنام العاجزه بعد بيان ذلك لهم عمليا يجعلها جذاذا بعد ان نكسوا على رؤسهم باقامته الحجة عليهم ، منعهم تعصبهم للآلهة من الاعتراف بالحق ، ودعاهم الى التماهى فى الباطل حيث قرروا احراق ابراهيم " قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم ان كنتم فاعلين " ٥٥

( ١ ) الانبياء ٥٢ - ٥٤ .

( ٢ ) دعوة الرسل ص ٥٣ .

في حوارهِ عليه السلام مع " النمرود " نلمس تكبر النمرود وفطرسته  
وادعائه الألوهية ، ومع إبطال حجته وإظهار عجزه أمام قومه إلا أن تعصبه  
منعه من التسليم لإبراهيم . . .

في حوار إبراهيم مع أبيه في شأن عبادة الاصنام وإبطال ذلك حيث انتهى  
لا تسمع ولا تبصر ولا تغنى عنه شيئا . . . إلا أن أباه ينهره ويتوعده " لكن لسم  
تنته لأرجمنك وأهجرني مليا " ( ١ ) أي لكن تكف عن شتم الاصنام وسبهها  
لاقتلك بالرجام أو لأضربنك حتى تتباعد ، واحذرنى واتركنى زمانا طويلا " ( ٢ )  
وهذا يدل على تعصب أبيه لفكرة صنع الاصنام وعبادتها ولم تشفع صلة القرابة  
ليتفاهم مع ابنه إبراهيم بالعقل والمنطق . . . بل يطرده من المنزل فقد كان  
التعصب للآلهة أقوى من عاطفة الأبوة عنده . . .

مع وضوح حجج إبراهيم عليه السلام وأدلتها وفطنته في الجدل والحوار  
إلا أن الجهل إذا استحكم في النفوس والتعصب العمى إذا لامس القلوب جعل  
النفوس تصل إلى مستوى حقير في الحكم على صحة الأشياء ، لهذا لما رأوا أنهم  
غلبوا على أمرهم وخافوا افتضاح حالهم ، ولم تبق لهم حجة عدلوا عن الجسد  
والمناظرة ومدوا إلى القوة يسترون بها فضيحتهم " ( ٣ ) وتلك دائما صفة المهزوم  
معدويا يلجأ إلى القوة المادية والتكبير والانتقام . . .

٥ - في حوار سيدنا موسى مع فرعون نلمس كذلك جانب الكبر والغطرسة والتعصب  
العمى والغرور القاتل ، فسيدنا موسى عليه السلام أولا يبلغهم دعوة الله  
تعالى ، ودعاهم إلى الإيمان به تعالى ، وأن يذروا ما كانوا عليه من شرك  
ووثنيه ، وأظهر الدليل والبرهان أمامهم عندما ألقى عصاه فإذا هي حية

( ١ ) مريم آية ٤٦ . ( ٢ ) النسخة ج ٣ ص ٣٧ .

( ٣ ) مع الانبياء في القرآن الكريم ص ١١٣ .

تسمى ، وأُخرج يده من تحت جناحه بيضاء من غير سوء آيتين على صدقه كعجزه  
 ودليل ، اتهموه " بالسحر " فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين . فلما جاءهم  
 الحق من عندنا قالوا ان هذا لسحر مبين . قال موسى أتقولون للحق لما جاءكم  
 أسير هذا ولا يفلح الساحرون . قالوا جئتنا لتلفتنا عما وجدنا عليه آباءنا  
 وتكون لكما الكبرياء في الأرض وما نحن لكما بمؤمنين " ( ١ ) " ماذا كان منهم  
 بعد انكار موسى عليه السلام أن ماجاء به كان سحرا ؟ كان منهم أن رجعوا  
 الى الآباء فتمسحوا بتقاليدهم واعتصموا بسلفهم الطالح في التمسك بآثارهم " .  
 " قالوا أجيئنا لتلفتنا . . . بهيرون أن عمك هذا من العبث ، ومحاولة باطللة  
 فان ديننا هذا قد وجدنا عليه الآباء يورثناه عن السلف فلا يمكن أن نحيد  
 عنه ، وهي حجة باطللة لانسمعها الا من قوم قد أعوزتهم الحجة فرجعوا الى  
 الآباء يتمسحون بهم والى ماتقد منهم في ذلك العمل يعولون على قبادتهم " ( ٢ )

وحتى لما ألقى السحرة ساجد بين وخذلوا فرعون ولم ينصروه على موسى وآمنوا  
 بموسى وهارون . . . نجد كبر فرعون وغطرسته وتعصبه بمنحه من الازعان والامان  
 بل بكابر ويهدد ويتوعد " فألقى السحرة سجدا قالوا آمنا برب هارون وموسى  
 قال آمنتم له قبل أن آذن لكم ؟ انه لكبيركم الذي علمكم السحر ، فلاقطعن ايديكم  
 وأرجلكم من خلاف ولاصليكنم في جذوع النخل ولتعلمن ايننا أشد عذابا وأبغى " ( ٣ )

بعد أن تسطح الآيات ويذعن السحرة يتوعد بالويل والثبور فطار صوابه وغلت  
 مراجل الحقد في صدره فصرخ بالسحرة اتؤمنون به وتخضعون له قبل أن آذن لكم ؟  
 انه اتفاق بينكم وبينه مدير ، فهو صهيكم وكبيركم الذي علمكم السحر فانفتحت معه على  
 فملك الشنيع هذا . . . فلاقطمن ايديكم وأرجلكم من خلاف ولاصليكنم في جذوع النخل

( ١ ) سورة يونس ٧٥ - ٧٨ .

( ٢ ) دعوة الرسل ص ٢٢١ ، وانظر قصص الانبياء لابن كثير .

( ٣ ) طه ٧٠ - ٧١ .

عقابا لكم وتمثيلا بكم .. لانكم كفرتم بي ..

وهذا لجوء الى القوة المادية بعد الهزيمة المعنوية ، والعجز عن مقارعة  
الحجة بالحجة والدليل بالدليل ، فقد يلجأ المبطل الى القوة المادية فيقتل  
بعض انبياء الله ويعذب بعضا آخر ، بعد أن تعوزه الحجة وتقصه الدليل والبرهان  
فيكون التجاؤء الى التعذيب والتقتيل عنوان خذلانته وعلامة على نصر أعدائه . وهذا  
نصر معنوي يظهر فيه الحق على الباطل ، وتظهر فيه الحجة على التقليد ، والبرهان  
على الشبهة ، وقوة الروح على قوة المادة " (١)

وهذا التعصب والعمى عن الحق بعد وضوحه هو الذي جعل فرعون وجنوده  
يطاردون موسى مع من آمن به من بني اسرائيل الى أن وصلوا الى البحر الذي أمر  
موسى بضربه بعصاه فتحول الى يابس ليمر هو ومن معه ولتتحقق لهم النجاة من عدوهم  
وعندما يصل فرعون ليرى ما رأى " فتحقيق ما كان يتحققه من قبل أن هذا من فعل  
رب العرش الكريم فأحجم ولم يتقدم وندم في نفسه على خروجه في طلبهم ، والحالة  
هذه حيث لا يتفق الندم ولكنه أظهر لجنوده تجلدا وعاملهم معاملة العدا ، وحملته  
نفسه الكافرة والسجية الفاجرة على أن قال لمن استخفهم فاطاعوه ، وعلى باطلته  
تأيموه : انظروا كيف انحسر البحر لى لا ذكرك عبدي الايقين من يدى " (٢) ؟  
ودخل البحر واندفع فرسه فيه فهلك وتبعه جنوده ، وتحقق وعد الله لموسى بالنجاة  
والنصرة على فرعون الذي أدركه الغرق هو وجنوده .. وعلى هذه الرواية لابن كثير  
التي ذكر فيها قول فرعون لجنده : انظروا كيف انحسر البحر ؟! نجد أن المكابرة  
والعناد والغرور ظلت معه حتى آخر لحظات حياته ..

(١) دعوة الرسل ص ٢٤١ ، وانظر : مجمع البيان الحديث في قصص النبيين فس  
القرآن الكريم ص ٤١٠ .

(٢) قصص الانبياء - ابن كثير ص ٢٥٤ .

فمن خلال العرض السابق لتلك النماذج من دعوات الرسل . . نلمس ان جميعهم قد اصطدموا في دعواتهم الى الله بتلك النماذج البشرية المتعصبه ، وهم جميعا متشابهون ، انهم اولئك الذين تعطلت عقولهم وجمدت عن التفكير الحري بسبب تعصبهم لما ورثوه من عبادات وعقائد عن الاءاء والاءاء كذلك التعرض لاءحاب الجساء والسلطان ارباب المناصب والمكانه في مجتمعاتهم فمنعهم خوفهم على جاههم وسلطانهم عن اتباع الرسل والاهمان بهم ودعواتهم فكابروا واءاءوا . . وقد اءلقوا عقولهم وقلوبهم عن كل قول يخالف اهواءهم . . فتلك آفة عقلية واءهت رسل اللقى الدعوات السابقه على البعثة المحمديه ، كما نلمس ان اغلب الاءاب من الفقراء والمستضعفين لاءههم لا يخافون على جاه او سلطان ولا منصب ، وهنا نجد ان بعض الفقراء قد لا يؤمنون ويشاءون اءحاب الجاه والمترفين ، او لمجرد تقليد الاءاء والاءاء . .

---

## " المبحث الرابع "

( التزويد بالمعجزات كأدلة وبراهين عقلية )

ومن الأمور التي اتفقت في جميع الدعوات السابقة أن الله تعالى زود كل رسوله بالحجج والبراهين الدالة على صدقهم والموئدة لهم أمام أقوامهم فالله أعطى البيان والفظانة لكل رسوله فجعلهم في المحاورات العقلية يفوقون أقوامهم في الجدال المثير المومدي لنتائج سليمة . . كما نص القرآن على بعض المعجزات التي زود الله بها رسوله بما يناسب المستوى العقلي والفكري الذي يعيشونه . . والمعجزة عموماً هي المقصودة بالحدث في هذا المبحث كبرهان دال على صدق الرسالة وداع إلى الإيمان بالرسول الذي أجرى الله المعجزة على يده .

١ - معنى المعجزة : المعجزة في اللغة من الفعل (عجز) يدور معناها حول مؤخر الشيء ، أو الضعف ضد القدرة " وهي من الحسن يراد بها مؤخر كل شيء ، والجمع أعجاز ، عجز الانسان ، وأعجاز النخل ، وأعجاز الأمور وعجز بهت الشعر خلاف صدرة ، والعجز ما تأخر وأتت الأزمان عليه ، وقيل عجز للذكر والأنثى ، ومن التأخر المعنوي ، قيل : العجز ضد القدرة عجز كضرب وسمع وقد يفرق في استعمال اليايين ، وأعجزته وعجزته ، وعاجزته جعلته عاجزاً ، والأعجاز القوت والسبق " (١) " والتعجيز التثييط والنسبة إلى المعجزة ومعجزة النبي صلى الله عليه وسلم ما أعجز به الخصم عند التحدي والها للبالغة " (٢) فالمعجز الضعف وعدم القدرة ، صعجز (بكسر الجيم) أي يجعل المعجز (بفتح الجيم) ضعيفاً وغير قادر وهذا شأن معجزات الرسل التي محسن يصددها فالمعجزة تضعف حجة المعاندين وتجعلهم غير قادرين على معارضتها .

(١) معجم الفاظ القرآن ص ٤١١ .

(٢) ترتيب القاموس المحيط ج ٣ ص ١٦١ وانظر مختار الصحاح ص ٢١٠ .

وأما في الاصطلاح : ففي المواقف : " حقيقته المعجزة ، وهي عندنا ما قصد به إظهار صدق من ادعى أنه رسول " ( ١ ) . . .

يقول البيهقي : " وأعلم أن المعجزة لغة مأخوذة من المعجز وهو وضد القدرة وعرفا : أمر خارق للعادة مقرون بالتحدي الذي هو دعوى الرسالة أو النبوة مع عدم المعارضة ، وقال السعد : هي أمر يظهر بخلاف العادة على يد مدعى النبوة والرسالة عند تحدي المنكرين على وجه يعجز المنكرين عن الاتيان بمثله " ( ٢ ) . . .

من هذا يتضح أن المعجزة أمر غير عادي يجريه الله على يد مدعى النبوة والرسالة تصديقا له في دعواه أمام قومه مع عجزهم عن معارضتها كما لا يستطيعون تفسيرها عقليا ، ولا يملكون إلا إعجازها إلى القدرة الإلهية تأييدا لهذا الرسول . . .

٢ - شروطها : وقد ذكر العلماء لها شروطها تحدد لها وتوضح معناها واجمالها فيما يلي : " أن تكون فعل الله ، أو ما يقوم مقامه من الترك لأن التصديق لا يحصل بما ليس من قبله ، وأن يكون خارقا للعادة . . . إذ لو كان الأمر عاديا لما حدث اعجاز ، وأن يكون ظهور هذا الخارق على يد مدعى النبوة ليتم العلم بأنه تصديق له ورهان ، وأن يكون مقارنا للدعوى حقيقة أو حكما لأنه شهادة وهي لا تكون قبل الدعوى ، وأن يكون موافقا للدعوى فالمخالف لا يعد تصديقا كمن قال معجزتي فلق الجبل فانفلق البحر ، وأن لا يكون ما يادعاه وأظهره مكذبا له . . . ، والامتناع معارضته . . . فزاد بعضهم إلا تكون في زمن نقض العادة كزمن طلوع الشمس من مغربها . . . " ( ٣ ) . . .

( ١ ) المواقف للابجي ص ٣٣٩ .

( ٢ ) شرح البيهقي للجوهرة ص ١٥٤ ، وانظر شرح عبد السلام اللقاني على الجوهرة ص ١١٦ .

( ٣ ) انظر المواقف للابجي ص ٣٤١ ، والبيهقي على الجوهرة ص ١٥٤ ، وحاشية الأمير على الجوهرة ص ١١٦ .



ومن مجمل محتزرات هذه الشروط يتضح أن المعجزة فعل الله الذي يجريه على يد مدعى النبوة والرسالة مصدقة له في دعواه ولا يمكن لغيره معارضته أو الاتيان بمثله ما جاء به من خوارق العادات ، حيث لا يمكن تفسير حد وثها حسب قواعد علم من العلوم ، أو بالعقل أو غير ذلك من الضوابط العادية . . .

ولا تجد أماناً إلا التسليم بأنها من انجازات القدرة الالهية التي لا تعارض لتكون دليلاً على صدق ذلك الرسول المبلغ عن ربه شرعه دينه .

٣ - دلالة المعجزة العقلية على صدق الرسول : والمعجزة تدل عقلاً على صدق من ظهرت على يده حيث إنها بمنزلة : صدق عدي فيما يبلغ عنى " فهي مقرونة بالتحدي منه سبحانه وتعالى نازلة منزلة قوله : صدقت وأنت رسولى وتصديق الكاذب محال لذاته ، وكل من قال له أنت رسولى صار رسولا وخرج عن كونه كاذباً فالجمع بين كونه كاذباً ، وبين ما ينزل منزلة قوله : أنت رسولى محال ، لأنه معنى كونه كاذباً أنه ما قيل له : أنت رسولى ومعنى المعجزة أنه قيل له أنت رسولى . . . (١) فهي دليل عقلى يعجز العقل عن معارضته بدليل آخر ومن هنا يلزم العاجز عن المعارضة بالابمان والتصديق والاذعان والا كان مكابراً . . .

ورسل الله صلوات الله عليهم قد أهدوا بالمعجزات تصديقاً لهم ، منها ما ذكر تفصيلاً ، ومنها ما اشير اليه تلميحاً . . .

وفيما يلى نماذج لذلك :-

١ - فهذا سيدنا نوح عليه السلام وكذا هود وشعيب عليهم السلام عندما يتحدث القرآن عن رسالاتهم مع أقوامهم ، يذكر عن سيدنا نوح قوله لقومه " قال يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربي وآتاني رحمة من عنده فعميت عليكم أنلزمكموها وأنتم لها كارهون " (٢) كما يحكى رد قوم هود عليه : " قالوا يا هود

(١) الاقتصاد في الاعتقاد ص ١٢٩ .

(٢) هود ٢٨ .

ماجئتنا ببينة وما نحن بتاركى آلهتنا عن قولك وما نحن لك بمؤمنين " (١) وعن شعيب عليه السلام : " والى مدى أخاهم شعيبا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره ، قد جاءتكم بيثة من ركم فأوفوا الكيل والميزان ولا تخسوا الناس أشياءهم ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها ، ذلكم خير لكم إن كنتم مؤمنين " (٢) والبيته تستعمل فيما يبين الشيء ويوضحه حسبا كان الشيء أم عقليا . . (٣)

وقد فسرت " البينة " في الآيات بمعنى البرهان والمعجزة ، " على بينة من ربي " : أى على بقاء من ربي وقيل على معجزة كـ . أو على دلالة وقيمين وحجة لا على هوى . . كما يجوز أن يراد بها المعجزة والرحمة النبوة . . (٤) وفى تفسير المنار : " والمعنى أخبروني يا قومي الاعزاء ما رأيكم وقولكم في حالى معكم إن كنت على حجة ظاهرة من ربي فيما جئتمكم به تبيين لى بها أنه الحق من عنده لا من عندي وكسبى البشرى الذى تشاركونى فيه ، وإنما هى فوق ذلك كله ، وآتاني رحمه من عنده ، وهى النبوة وتعاليم الوحي التى هى سبب رحمته الخاصة لمن يهتدى بها فوق رحمته لعباده كلهم . . " (٥)

وقوم هود عندما جادلوه وكابروه قالوا له : " يا هود ماجئتنا ببينة " أى . . بدليل وحجة صرهان على ماتدعيه واتهموه بالجنون بسبب من آلهتهم له قائلين : " إن نقول إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء " أى مانظن إلا أن بعض الآلهة أصابك بجنون وخيل فى عقلك بسبب نهيك عن عبادتها وعيبك لها .

(١) هود ٥٣ . (٢) الأعراف ٨٥ .

(٣) معجم الفاظ القرآن ص ٧١ .

(٤) انظر القرطبي ج ٣٦ ط الشعب ص ٣٢٥٣ ، الكشاف ج ٢ ص ٢٦٥ ، النسخ

ج ٢ ص ١٨٥ ، ابن كثير ج ٢ ص ٤٤٣ .

(٥) رشيد رضا تفسير المنار ط الهيئة العامة للكتاب ص ٥١ العدد ٦٣ .

كما يحلن شعيب عليه السلام لقومه أنه قد جاءهم ببينه من الله " قد جاءكم بينه من ربكم فأؤذوا الكهل والميزان " . . . يقول الكشاف : " أى معجزة شاهدة بصحة نبوتى أوجبت عليكم الايمان بي والاختد بما أمركم به والانتها عما أنهاكم عنه

. . . فان قلت ما كانت معجزته ؟ قلت : قد وقع العلم بأنه كانت له معجزة لقوله قد جاءكم بينه من ربكم .

ولأنه لا بد لدعى النبوة من معجزة تشهد له وتصدقه والا لم تصح دعواه وكان متنبها لانبياء غير أن معجزته لم تذكر في القرآن كما لم تذكر اكثر معجزات نبيها صلى الله عليه وسلم فيه .

ومن معجزات سيدنا شعيب ماروى من محاربة عصا موسى الثنين حين دفع اليه غنمه . . . لأن هذه كانت قبل أن ينهى موسى عليه السلام فكانت معجزات لشعيب<sup>(١)</sup>

وهذا الرأي مقبول على قول من قال إن صهر سيدنا موسى هو سيدنا شعيب عليه السلام رسول الله الى مد بن فتلك معجزة له ، أما على الرأي القائل بأن صهر موسى عليه السلام ليس شعيبا الرسول وإنما شعيب غيره ، أو ليس اسمه شعيبا مطلقا وإنما هو " ثيرون " أو ثيرون " أو ثيرون " المصرى ( ٢ ) ، فذلك يعتبر مجرد ارهاص لسيدنا موسى عليه السلام . . . حيث ان الارهاص مفارق للمعجزة في أنه غير مقسّم بدعوى النبوة والرسالة وإنما مخالف لها متقدم عليها .

وقد نص القرآن على معجزات بعض الرسل صراحة . . . فمن ذلك : سيدنا صالح عليه السلام حيث كانت معجزته " الناقة " التى جاء بها قومه بينه ود ليلا على صدق

( ١ ) الكشاف ج ٢ ص ٦٣ .

( ٢ ) من قالوا ان صهر سيدنا موسى ليس شعيبا وإنما هو ثيرون المصرى هو الدكتور محمد بن فتح الله بدرلن في كتابه الفلسفة الحديثة في الميزان وتأسيس القواعد من القرآن وساق لذلك ادله عديدة .

دعواه ، يقول ابن كثير : ذكر المفسرون أن شوبدا اجتمعوا يوما في ناديتهم فجاؤهم رسول الله صالح فدعاهم الى الله وذكروهم وحذرهم ووعظهم وأمرهم فقالوا له : إن أنت اخرجت لنا من هذه الصخرة — وأشاروا الى صخره هناك - ناقة من صفتها كيت وكيت وذكروا أوصافا سموها ونسعتوها وتعنتوا فيها ، وأن تكون عشرا\* طويلة من صفتها كذا وكذا . . . فقال لهم رأيتم ان أجبتكم اليس ما سألتكم على الوجه الذي طلبتم أتؤمنون بما جئتكم به وتصدقونني بما أرسلت به ؟ قالوا : نعم ، فإخذ عهدهم هوأثيقهم على ذلك . . . ثم قام الى مصلاه فصلى لله عز وجل ما قدر له ثم دعا ربه عز وجل أن يجيبهم على ما طلبوا فأمر الله عز وجل تلك الصخرة أن تنفطر عن ناقة عظيمة عشرا\* على الوجه المطلوب الذي طلبوا أو على الصفة التي نعتوا . . . فلما عاينوها كذلك كما أرادوا أمرا عظيما ، ومنظرا هائلا ، وقدرة باهرة ، ودلهلا قاطعا ومرهانا ساطعا فأمن كثير منهم . . . واستمر أكثرهم على كفرهم وضلالهم وبنادهم " ( ١ )

فوجه الإعجاز هو خروجها من طريق غير مألوف وهو الصخرة ، وهذا ليس من فعل صالح عليه السلام ، بل دعا أمامهم ربه ، ولم يدع واحد منهم أنه فعل هذا ، فتعجب أنها كانت من فعل الله تعالى ، وكأنه يقول : صالح رسول صديق فيما يبلغ عنى . . .

ب - وكذا ما حدث لسيدنا ابراهيم عليه السلام من معجزات باهرة ، عند ما ألقى به قومه في النار انتقاما لألتهتهم ونصرة لها ، وفروا كل الأسباب العادية للاحراق ، حيث وجدت النار مستعرة ، والجسم القابل للاحتراق وهو جسم خليل الرحمن ابراهيم . . .

( ١ ) قصص الانبياء لابن كثير ص ١١٧ ، وانظر مع الانبياء في القرآن ص ٩٤ .

وحدث القذف في النار ولكن تتحقق المعجزة وتعارض ارادة المخلوق العاجز  
 قوم ابراهيم وعلى رأسهم المخرور مدعى الأوهية النمرود . . مع إرادة العلى القدير  
 الله رب العالمين الذى يقول للشئ " كن فيكون " . . فيلقى القوم بابراهيم في نارهم  
 فيقطع الله بقدرته السبب عن مسببه ويسلب النار خاصيتها في الاحراق أمرا لها  
 " يا نار كونى بردا وسلاما على ابراهيم " بينما القوم الظالمون لا يشكون اطلاقا  
 في أن ابراهيم قد مَحَى أثره الى الأبد . . ولكنهم يفاجأون بإبراهيم وقد خرج ينفض  
 عن ثيابه آثار الرماد شاكرًا ربه . . فوجم القوم ولسان حالهم يقول : حقا ان ربك  
 لقدير . .

يمكن التحدى في تلك الحادثة أن احدا منهم لم يرد لابراهيم ان ينجس  
 وتغلبوا عليه وألقوه بقدرتهم القاصرة في النار التى أشعلوها . . ولكنه لم يحترق . .  
 هنا علموا بأن القدرة التى انقذت ابراهيم لانقاس بقدرات الخلق اطلاقا وانها قدرة  
 الخالق . . " وارادوا به كيدا فجعلناهم الاخسرين " (١) والتالى فقد كانت  
 آية ود ليلا على صدق ابراهيم فيما يدعوهم اليه ويبلغهم عن ربه . .

ج - وسيدنا موسى عليه السلام عندما جاء السحرة لهماضوه وألقوا حبالهم وعصيهم  
 وخيل للرائين أنها تسمى وألقى موسى عصاه فاذا هى تلسقف ما يأنكسون  
 هاضموا من السحر والباطل " وألقى ما في يمينك تلتف ما صنعوا انما صنعوا  
 كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث أتى . فآلقى السحرة سجدا قالوا آمنا برب  
 هارون موسى " (٢) فقد أمر الله موسى أن يلقى عصاه فاذا هى حية تسمى واذا  
 هى تبتلع حيات السحرة وتلتقمها فوقع الحق وظل سحرهم . . ود هس آل فرعون

(١) الانبياء ٧٠ .

(٢) سورة طه ٦٩ - ٧٠ .

والملائم قومه ، وعلم السحرة أن السحر لا يفعل مثل ذلك وإنما هي القوة الالهية قد صنعت هذا . . . فخروا ساجدين لله تعالى وآمنوا برب موسى وهارون مفضلين ذلك على الأجر الذي كانوا يرجونه من فرعون مستهينين بجزائه الذي سيوقعه بهم ، و علم فرعون أنه لم يعجز موسى ولكن موسى اعجزه فأراد ان يستر عواره فقال للسحرة : " انه لكبيركم الذي علمكم السحر " ولهذا كان أقوى منكم وغلبه سحره .  
سحرهم .

قال هذا مع علمه بأن موسى لم يعرفهم ولم يجتمع معهم من قبل بل كان ثابها في أهل مدين . . . " (١) والسحرة قد كانوا لعلمهم بالسحر أسرع الناس استجابة وإيمانا بكقوله " انما يخشى الله من عباده العلماء " وليس المراد وصفهم بالعلم لذاته ، وإنما المراد كونهم عالمين بالسحر جعلهم أعرف الناس بأن ما فعله موسى يستحيل ان يكون سحرا ولا يستطيع بشر أن يفعله قط وإنما يفعله واحد فقط هو الله سبحانه فلا يستطيع أحد ان يخلق حياة الا هو ولذلك انقلبوا فجأة السى ما وصفهم به القرآن " فألقى السحرة سجدا قالوا آمنا برب هارون موسى " (٢) . . .  
كما كان فلق البحر معجزه لموسى عليه السلام ضمن معجزاته " ولقد أوحينا الى موسى أن أسر بعبادى فاضرب لهم طريقا فى البحر يبسا لا تخاف فزكا ولا تخشى فاتبعهم فرعون بجنوده فغشيهم من اليم ما غشيهم وأضل فرعون قومه وما هدى " (٣)  
" كان البحر ماء قائما مثل الجبال مكفوزا بالقدرة الالهية العظيمة الصادرة من الذى يقول للشىء كن فيكون وأمر الله ريح الدبور فلفحت حال البحر فاذ هبته حتى صار يابسا لا يعلق فى سنايك الخيول والدواب ولما آل أمر البحر الى هذه الحال بيأن الرب الشد يد المحال أمر موسى عليه السلام أن يهزم به بنى اسرائيل فاتحدوا فيه مسرعين مستهينين مبادرين وقد شاهدوا من الأمر ما يحير الناظرين ويهدى قلوب المؤمنين " (٤) ولا يمكن تفسير هذا الأمر الا بإرجاعه دون مناقشه الى القدرة الالهية .

(١) التفسير قصص الانبياء ص ٢٢٤ ، وانظر مع الانبياء ص ٢٣١ .  
(٢) اسلوب المحاوراة فى القرآن ص ١٨٠ . (٣) سورة طه ٧٧ - ٧٩ .  
(٤) قصص الانبياء لابن كثير ص ٢٥٣ .

ومن ذلك اخبار القتييل الذي قتل في بنى اسرائيل عن قاتله عندما ضرب  
ببعض جلد البقرة " فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيى الله الموتى ويريكم آياته  
لعلكم تعقلون " (١) فهو معجزة لموس عليه السلام وآية على صدقه . .

د - كما كان رد بصر سيدنا يعقوب عند إلقاء قميص يوسف على وجهه معجزة  
ليوسف عليه السلام . . فقد أمر اخوته بأن يذهبوا بقميصه وهو الذي يلى  
جسده فيضموه على عيني ابيه فانه يرجع اليه بصره بعدما كان ذهب باذن  
الله وهذا من خوارق العادات ، ودلائل النبوات ، واكبر المعجزات " (٢)

هـ - كما زود الله سيدنا عيسى بمعجزات باهره ذكرت في القرآن الكريم صريحة  
واضحه ، قال تعالى : " أنى قد جئتمكم بآية من ربكم أنى اخلق لكم من  
الطين كهية الطير فانفخ فيه فيكون طيرا باذن الله ، وأبرى الأكمه  
والابرس واحيى الموتى باذن الله ، وانهبكم بما تأكلون واتدخرون في بيوتكم  
ان فى ذلك لآية لكم ان كنتم مؤمنين " (٣) عندما طالب قوم عيسى له بدليل  
على صدق رسالته بوهد هذا المقادير ، الله بالمعجزات الباهرة وهى :-

١ - صنع من الطين شكل طير ثم نفخ فيه فكان طيرا باذن الله .  
٢ - مسح على الاكمه ( وهو من ولد اعمى ) فعاد الاعمى بصيرا باذن  
الله .

٣ - مسح على الابرس فشفاه باذن الله .

٤ - احيا الموتى باذن الله أو اللمس .

(١) سورة البقرة ٢٣ .

(٢) مع الانبياء ص ٣٢٤ ، وانظر قصص الانبياء لابن كثير ص ٦٠ ، وقصص الانبياء  
للنجار ص ٤٨٦ ودعوة الرسل للعدوى ص ٣٤١ .

(٣) سورة آل عمران ٤٩ - ٥٠ .

٥ - أنبا الناس بما يأكلون وما يدخرون في بيوتهم ..

وكانت هذه المعجزات مناسبة لأهل زمان عيسى الذين كانوا ينكرون الروح فجاء المسيح بمعجزه هي في ذاتها أمر خارق ويصدق لما يأتي به .. وهي في الوقت نفسه اعلان صادق لحقيقة الروح وهرها قاطع على وجودها .. (١) .

وما فعله عيسى عليه السلام ما اجراء الله على يد به لا يمكن ان يخضع لأي تفسير عقلي من القدم ولم يعارض بمثله .. ولا يملك أولئك عندئذ الا التسليم بالقدرة الالهية المصدقة لرسوله عيسى عليه السلام بذلك الدليل والبرهان ..

هذه بعض المعجزات التي سقتها كمنهج لما ايد الله به رسله من تلك الخوارق المعجزه للعقل البشري ، منها ما هو مفصل في القرآن ، ومنها ما هو مجمل .. الا أنه بصفة عامة نجد ان التفوق العقلي على القدم في الحوار والجدل وهدى الموضوعية نفس المناقشة تعتبر برهاناً ودليلاً عاماً لكافة الرسل والانبياء على نحو ما اتضح في مباحث الجدول .

والدلالة العقلية لهذه المعجزات على صدق الرسل : تتضح فيما يلي ، فما تم الاستشهاد به من المعجزات يتضح فيه خرق الأمر للعادة وعدم خضوعها للتفسير العقلي أو التحليل العلمي لحدوثها .. فخرج ناقة صالح من الصخرة خارق لما تعودت القدم والفؤاد ونجاة ابراهيم من الاحراق بالنار لما ألقى فيها خرق لما ألفه القدم وعرفوه بالتجربه من احراق النار لكل ما يلقى فيها ، وخرقت عصا موسى التي تحولت الى حية تسعى علم السحر وما تعلموه من قواعد السحر وأصوله ، كما خرقت كل معجزات عيسى ما ألفه

(١) مع الانبياء ص ٣٢٤ ، وانظر قصص الانبياء لابن كثير ص ٦٠٠ ، والنجار قصص

الانبياء ص ٤٨٦ ، دعوة الرسل ص ٣٤١ .



القيم من علوم الطب والروح والعلاج ، وغير ذلك من سائر المعجزات الموفية  
للرسل لا يملك الشخص سوى امامها الا التسليم بأنها من عند الله د لـ  
صرهانا وآية بيّنة على صدق مدعى الرسالة . .

وهذا يلزم كل عاقل الايمان والطاعة . . . .

وتقرير هذا :

هذا الامر معجز لنا لاننا غير قادرين على معارضته او تفسيره ، وهو ليس من فعل  
الرسول الذي جرى على يده ، لانه لو كان من فعله لانكنا الاتيان بمثله  
لاننا مثل الرسول في القدرة البشرية ، ولكننا لم نستطيع الاتيان بمثله فهو ليس  
منه ، ان هذا الامر ( المعجز ) اما من النبي واما من ربه تصدقا له في دعواه  
ولكنه ليس من فعل النبي ، ان : هو من فعل الله تصدقا له في دعواه ، فهو  
صادق ، وكل صادق يجب اتباعه فيجب علينا اتباع هذا النبي لصدقه . .

وهذا دليل التعاند ، ويمكن القول أيضا : لو كان هذا الرجل ( النبي )  
كاذبا لخد له الله في دعواه ، ولكنه لم يخله ، ان هو ليس بكاذب وما انه ليس  
بكاذب فهو صادق ، وكل صادق يجب الايمان به ، فهذا يجب الايمان بما جاء به  
وهذا دليل مترتب على دليل التلازم . . كما يمكن القول : كل من جرى على يده  
معجزة صادقة في رسالته ، وهذا جرت على يده معجزة فهو صادق في رسالته  
ويجب الايمان به . .

والمعجزة دلالتها عقلية بكل المقاييس العقلية والموازن المنطقية الا أنه

وكالعادة دائما في تاريخ كل الرسالات نجد المكابرين والمعاندين مع وضوح الدلالة .

فقد تعرض كل الرسل تقريبا للاتهام بالسحر وأن ماجرى على أيديهم من المعجزات

انما هو من مظاهر ذلك السحر . . والواقع ان السحر علم له قواعد واصول وقوانين

بجهلها غالباً الناس وعلمها السحرة فقط ، واذنا علمها أى انسان آخر أمكنه  
ممارسة السحر .

والمعجزة لا يمكن تعلمها ولا تخضع لتحليل علم السحرة ، ولو أمكن  
ذلك لتمكن السحرة من التغلب على موسى عليه السلام ولكن خضوعهم وتسليمهم  
دليل على وجود البعد بين المعجزة والسحر . .

كذلك اتهم الرسل بالجنون والخيال . . وهذه طبيعة أصحاب الدعوات في  
كل عصر حيث يتهمهم اصحاب الهوى فى عقولهم . . ويكاد يكون ذلك سمه فى جميع  
الرسالات . .

وهذه السمات والمظاهر التى اتفقت فيها الرسالات من مواجهة المواقف  
الجدليه والاعتماد على الآيات الكونية ، ومعارضة متجمدى العقول من المقلد من  
واصحاب الهوى — كما سبق — تجمعت كلها لتواجه خاتم النبيين فى رسالته . .  
ودعوتيه باسليب اوبآخر . . على ما سيوضح بيانه ان شاء الله فى البحث التالى .

## " المبحث الخامس "

( اتفاق الدعوة المحمدية مع الدعوات السابقة في تلك الأمور )

اتضح مما سبق أن رسل الله صلوات وسلامه عليهم اتحدت دعواتهم ، وتشابهت مواقفهم مع أقوامهم ، مواقف الأقوام معهم ، فالجميع قد دعا إلى التوحيد ، والجميع عرضوا بأنهم بشر ، ووجدوا ، كما استعملوا أسلوب التذكير بنعم الله تنبيهاً للعقل للأيمان بالمنعم سبحانه وتعالى ، كما تعرضوا كذلك للمترفين المتعصبين المقلد بن جامدى العقول . . . ، والله تعالى قد أمد رسله بالمعجزات دللاً برهانا على صدق رسالتهم ما بدعوا أقوامهم ليهتد قلوبهم ويؤمنوا بهم فأقاموا بدعواتهم صرح الأخلاق والفضيلة والعقيدة . . . الملازمة لمصير دعواتهم ، المناسبة لأقوامهم التي شملت كل مجالات الأخلاق والعقيدة وكملت الدعوة والدين وتمت النعمة بالبعثة المحمدية التي شملت كل مجالات الأخلاق والعقائد والعبادات والمعاملات واكتمل النور فأشرقت النفوس بتمام النعمة " اللهم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً " ( ١ ) .

صُرِّي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :  
" مثل نبي الله من قبله كمثل رجل ابتنى بيوتاً فأحسنها وأجملها وأكملها  
الوضع لبنة من زاوية من زواياها ، فجعل الناس يطوفون بحجبتهم البنان يقولون  
الوضع ها هنا لبنة فبتم بيتناك ، فقال محمد صلى الله عليه وسلم : فكنتم أنا اللبنة (٢)

( ١ ) سورة المائدة آية ٣ .

( ٢ ) رواه مسلم كتاب الفضائل باب النبي صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين ج ٥ ص ١٤٨ .

ورواه البخاري في المناقب ج ٤ والترمذي في الادب ج ٥ ص ١٤٧ واللفظ المسلم .

في رواية أخرى عن ابي هريرة ايضاً : " فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين " (١) فمثل الرسول صلى الله عليه وسلم الاسلام - كدين متكامل - ببناء مشيد يعجب به من يراه ويدخله ، والرسول جميعاً بما أتوا به ودعوا اليه من التوحيد والاخلاق لبناء في هذا البيت ، الا أن الرائي يرى موضعاً خالياً للبنة ، حتى يتم ذلك البناء فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بدعوته الشاملة الكاملة هو تلك اللبنة التي اكتمل بها البناء وصار كامل الحسن والجمال والكمال ، لبأوى اليه جميع البشر محتسبين بتكاليف الشرع الحكيم والدن القويم ، ولبسود وايمانوا جميع المخاوف الي يوم القيامة " ولا تزال طائفة من امتي قائمة على أمر الله لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله " لا يضرهم من ضل لأنهم اهتموا والى رسهم ، وأووا الي دينه فتحصنوا بأحكامه وتعاليمه فانخنس عنهم الشيطان بساوسة وضلالاته . . .

وما أن الدعوة المحمدية هي الحلقة الأخيرة لسلسلة الرسالات وهي خاتمتها فهي باقية خالدة ، . . . في أثناء تبليغ الرسول صلى الله عليه وسلم لدعوته التي عالين كافة واجه الرسول صلى الله عليه وسلم من المناجج البشرية مثل ما واجهه اخوانه من الرسل صلوات الله عليهم أجمعين ، فان للحق اعداء الى يوم القيامة يقول تعالى : " وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً من المجرمين ، وكفى بربك هادياً وصبيراً " (٢)

والطبع فان دعوته هي دعواتهم وزيادة ، فقد دعا - مثلما دعوا - التي التوحيد " قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي انما الهكم اله واحد فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه احداً " (٣)

(١) رواه مسلم كتاب الفضائل باب النبي صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين ج ٥ ص ١٤٨ ورواه البخاري في المناقب ج ٤ والترمذي في الادب ج ٥ ص ١٤٧ واللفظ المسلم .  
(٢) الفرقان آية ٣١ .  
(٣) الكهف ١١٠ .

يقول تعالى : " وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه انه لا اله الا انا فاعبدون " (١) .

فاتفق الجميع في أن دعوا الى توحيد الله عز وجل والتوجه اليه بالعبادة وحده . . . وقد اتفقوا ايضا في الأمور الآتية :-

١ - ركزوا على عدم طلب الاجر على دعواتهم ، ونرى النبي صلى الله عليه وسلم يركز كذلك على تلك النقطة فيحكي القرآن عنه " أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده ، قل لا أسألكم عليه أجرا ان هو الا ذكرى للعالمين " (٢) كما يقول تعالى " أم تسألهم أجرا فهم من مغرم مثقلون " (٣) ويقول " قل ما سألتكم من أجر فهو لكم ان أجرى الا على الله وهو على كل شئ شهيد " (٤) . . .

فيأمر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم بالاقتداء بمن سبقوه من الانبياء في التوحيد وأصول الدين دون الشرائع لأنها مختلفة ، وانه لا يسأل قومه أجرا ولا جعلاً على القرآن وما ذلك الا موعظة للخلق وارشاد لهم من العمى الى الهدى " (٥) . . .

في آية سورة سبأ يأمره بأن يقول للمشركين " ما سألتكم من أجر فهو لكم " أى لا أريد منكم جعلاً ولا عطاءً على أداء رسالة الله عز وجل لكم ونصحى اياكم وأمركم بعبادة الله ( ان أجرى الا على الله ) وانما أطلب ثواب ذلك من الله وهو عالم بجميع الأمور بما أنا عليه من اخبارى عنه بارساله اياى اليكم وما أنتم عليه " (٦)

(١) الانبياء ٢٥ . (٢) الانعام ٩٠ . (٣) القلم ٤٦ .

(٤) سبأ ٤٧ .

(٥) راجع تفسير ابن كثير ج٢ ص ١٥٧ ، والقرطبي ج٢٧ ط الشعب ص ٢٤٧٣ .

والكشف ج٢ ص ٣٤٤ .

(٦) تفسير ابن كثير ج٣ ص ٥٤٤ .

ويؤكد في الآية الاخيرة انه لايسألهم اجرا ومع ذلك لايهتحيون له وكأنما هم من مفرم مثقلون . . . وقد سبق تقرير الدلالة العقلية لعدم طلب الأجر على صدق الرسول المبلغ عن ربه في المباحث السابقة . . .

ب - كما تعرضوا جميعا للاتهام بالسحر والكهانة والجنون . . . والقران الكريم زاخر ببها ن هذه المواقف التي تعرضوا لها ، وتعرض لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيقول تعالى حاكيا عن الاتهام بالسحر : -  
 " ولما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر وإنيابه كافرون " ( ١ ) كما وصفوا الآيات والمعجزات بأنها سحر " وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر " ( ٢ ) ، ومن رميه بالشعر يقول : " أم يقولون شاعر فترص به ريب المنون " ( ٣ )  
 وينفي القران تلك التهمة بقوله : " وما علمناه الشعر وما ينبغي له ان هو الا ذكر وقرآن مبين " ( ٤ ) كما وصفوه بالكهانة والجنون ونفى القران عنه ذلك " فذكر فما أنت بنعمة ربك بكاهن ولاجنون " ( ٥ ) . . .

وهذه الاتهامات وتلك الأوصاف هي نغم ما اتهم به رسل الله دائما مع أقوامهم كما أسها لتتوهمها تدل على اختلال عقول أولئك القوم فكلها لا تجتمع في شخص واحد لان الجنون انعدام العقل ، وسائر الأوصاف تحتاج الى فطنة العقل صفاء الذهن فكيف يجتمع الوصفان ( الجنون - وغيره ) في محل واحد ؟ ! ، ويذكر المفسرون إشارات الى هذه المعاني في تفسير قوله تعالى " انكم لفي قول مختلف " أي قولهم عن النبي صلى الله عليه وسلم انه شاعر وساحر وكاهن ( ٦ ) . . . الخ .

- 
- ( ١ ) الزخرف ٣٠ . ( ٢ ) القمر آية ٢ . ( ٣ ) الطور ٣٠ .  
 ( ٤ ) يس ٦٩ . ( ٥ ) الطور ٢٩ .  
 ( ٦ ) ابن كثير ج ٤ والكشاف ج ٤ .

ويشهد لهذا الاختلاف في القول ما روت كتب السيرة من قصة الوليد وموقفه من القرآن عندما أراد مع قومه أن يجمعوا رأيا واحدا في النبي ، حتى اذا سألتهم الوليد القادمة الى مكة لا يكذب بعضهم بعضا ، وقال : " قولوا رأيكم أسمع " قالوا : نقول : انه كاهن ، قال : لا والله ما هو بكاهن ، لقد رأينا الكهان فما هو بزممة الكاهن وسجعه ( فزممة الكاهن كلامه الخفى ) قالوا : " نقول انه مجنون " ، قال : " ما هو بمجنون ، لقد رأينا الجنون وعرفناه فما هو بخنقه " قالوا : " نقول انه شاعر قال : " ما هو بشاعر لقد عرفنا الشعر كله رجزه وهزجه وقريضه ومقبوضه وبسوطه فمأذوب بالشعر ( ١ ) ، قالوا فنقول : ساحر ، قال : ما هو بساحر ، لقد رأينا السحار وسحرهم فما هو ببنفثهم ولا عقدهم ، قالوا فما نقول يا ابا عبد شمس ؟ قال : والله ان لقوله لحلاوة ، وان أصله لعذوق ( اى ثابت ) وان قرعه لجثاة وما انتم قائلون من هذا شيئا إلا عرف انه باطل ، وان أقسرب القول فيه لأن تقولوا : ساحر ، جاء بقول هو سحر بفرق بين المرء وأبيه بين المرء وأخيه بين المرء وزوجته بين المرء وعشيرته . . . " ( ٢ )

فبعد أن ينفوا الشعر والسحر والكهانة والجنون عنه ينكصون على أعقابهم ويصفونه بانه ساحر ، ويناقضون انفسهم وينقضون ما شهدوا به . . . فيثبت الوليد له السحر بعد أن ينفيه عنه . . . فان كان النفي باطلا كان الاثبات حقا وان كان النفي حقا كان الاثبات باطلا . . . واذنا تأملنا كلام الوليد لوجدنا انه قد دل على نفي تلك الأوصاف عنه باستقراء سيرته وقياسها على حياة الشعراء والسحرة والكهان فكان النفي صحيحا عقلا وصنا على كلامه هو .

( ١ ) القرآن - اى ان ما يقوله محمد صلى الله عليه وسلم ليس شعرا .

( ٢ ) سيرة ابن هشام ج ١ ص ٢٤٣ .

وما أن النفي حقيقى فالاثبات باطل . . والقول مختلف متناقض كما وصف

القرآن . . لان الشئ ونقيضه لا يجتمعان .

ج - كما يحكى القرآن العديد من المواقف الجدلية والمعارضات القولية

التي تعرض لها عليه الصلاة والسلام ، ومدنه بعض الامثلة :

فمن ذلك قوله تعالى : " ومنهم من يستمع اليك ، وجعلنا على قلوبهم

أكنة أن يفقهوه في آذانهم وقرا ، وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها حتى

ان جاءوك يجادلوك يقول الذين كفروا ان هذا الا أساطير الاولين " (١)

وقوله تعالى : " ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وانه لفسق وان

الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوك وان أطمعتموهم انكم لمشركون " (٢)

فهم - كما تحكى الآية الاولى - يجادلون في القرآن منكرين له وذكر

الكشاف تفسير جد الهم فيقول : " والمعنى انه بلغ تكذيبهم الآيات الى انهم

يجادلونك ويناكرونك ، وفسر مجادلهم بأنهم يقولون ان هذا الا اساطير الاولين

فيجعلون كلام الله وأصدق الحد يث خرافات وأكاذيب وهى الغاية فى التكذيب " (٣)

والجدال يراد به الحاجة كذلك " حتى اذا جاءوك يجادلونك " أى يحاجونك

ويناطرونك فى الحق بالباطل " (٤) كما جادلوا فى الميتة والأكل منها كما تحدثت الآية

الثانية " وان الشياطين ليوحون الى أوليائهم ليجادلوك " أى يخاصمونكم فى أكس

الميتة والشرك وأن الملائكة بنات الله " . ذكره ابن عباس (٥) . .

(١) الانعام ٢٥ . (٢) الانعام ١٢١ .

(٣) انظر الكشاف ج٢ ص ١٢٤ .

(٤) تفسير ابن كثير ج٢ ص ١٢٦ .

(٥) ابن عباس ص ١١٨ .



وقد فسرت تلك المجادلة أى ليجادلوكم بقولهم : لا تأكلون مما قتلته

الله وتأكلون مما تذبحون بأيديكم \* (١) .

وس الصور الجدلية التي حكاها القرآن ، جد الهم بنى ابن مرهم فقال تعالى

” ولما ضرب ابن مرهم مثلاً إذا قومك منه يصدون . وقالوا آللهتنا خير أم هو ؟ ما ضربوه لك إلا جدلاً بل هم قوم خصمون . إن هو إلا عيب أنعمنا عليه وجعلناه مثلاً لبنى إسرائيل . \* (٢) ”

فقد ورد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قرأ على قريش : انكسروا

وما تعبدون من دون الله حصب جهنم ، امتعضوا من ذلك امتعضاً شديداً

فقال عبد الله بن الزبير : يا محمد أخاستنا لنا ولا آلهتنا أم لجميع الأمم ؟ فقال

عليه الصلاة والسلام هو لكم وآلهتكم ولجميع الأمم ، فقال خصمتك ورب الكعبة

الست تزعم أن عيسى بن مريم نبي وثني عليه خيراً وعلى أمه ؟ وقد علمت أن النصارى

يعبدونها ، وهن يعبدن الملائكة يعبدون فإن كان هؤلاء في النار فقد رضينا

أن نكون نحن وآلهتنا معهم ، وفرحوا وضحكوا وسكت النبي صلى الله عليه وسلم

فأنزل الله تعالى : ” إن الذين سبقوا لهم منا الحسنى ” . ونزلت هذه الآية

والمعنى ولما ضرب عبد الله بن الزبير عيسى بن مريم مثلاً وجدل رسول الله

صلى الله عليه وسلم بعبادة النصارى إياه إذا قومك قريش من هذا المثل يصدون

ترتفع لهم جلبة وضجيج فرحاً وجدلاً بما سمعوا منه من أسكات رسول الله صلى الله

عليه وسلم بجدله كما يرتفع لفظ القوم إذا تعيوا بحجة ثم فتحت عليهم ، وقالوا :

” آللهتنا خير أم هو ؟ نحنون أن آلهتنا عندك ليست خير من عيسى ، فإذا كان

(١) النسفي ج٢ ص ٣١ .

(٢) الزخرف ٥٧ - ٥٩ .

عمسى من حصب جهنم كان أمر الهتنا هينا ء ( ماضروه ) أى ماضروا  
المثل لك الا جدلا أى لأجل الجدل والغلبة فى القول ء لا لطلب المكيّر  
بين الحق والباطل . .

وقوله تعالى : " إنكم ماتمبون من دون الله حصب جهنم " وقوله  
عليه الصلاة والسلام : " هولكم ولا تهتمكم ولجميع الامم " انما قصد به الاضنام  
ومحال ان يقصد به الانبياء والملائكة " ( ١ ) ويقول القرطبي : " لو تأمل  
ابن الزيمرى الآية ما اعترض عليها لانه قال : " ماتمبون " ولم يقل :  
" من تمبون " وانما أراد الاضنام ونحوها مما لا يعقل ولم يرد المسيح  
ولا الملائكة وان كانوا معبودين " ( ٢ ) .

فهذه بعض الأمثلة من المواقف الجدلية التى واجهت رسول الله فى دعوته  
وسيرته زاخرة بالمواقف الجدلية صور اللجاج والمكابرة ء اكتفى منها بما ذكر  
تمثيلا لا حصرا .

د - الاعتماد على الآيات الكونية : وكما اعتمد الرسل السابقون فى دعواتهم  
على لفت الانظار الى نعم الله تعالى وآياته الداله عليه من خلقه كـ . فقد  
اعتمدت رسالة النبى محمد صلى الله عليه وسلم كذلك على لفت انظار الناس  
الى آيات الله فى السماء والارض والخلق لهدن الانسان لتلك الرسالة الخالدة  
ء فمن ذلك أمر بالتأمل والنظر فى السموات والارض وما فيهما ء يقول تعالى  
" قل انظروا ماذا فى السموات والارض ء ساتغنى الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون " ( ٣ )  
فيرشدنا الله فيه الى التفكير فى آياته وما خلق فى السموات والارض من الآيات الباهرة  
لذوى الالباب ء ما فى السموات والارض من كواكب نيرات ثوابت وسيارات ء والشمس

( ١ ) تفسير الكشاف ج ٣ ص ٤٩٤ .

( ٢ ) تفسير القرطبي ج ٦٥ ص ٥٩٢٣ ط الشعب .

( ٣ ) يونس ١٠١ .

والقمر والليل والنهار واختلافهما وإهلاج أحدهما في الآخر فبطول هذا وقصر هذا ، وهذا الأمر بالنظر ، أمر بالاعتبار والنظر في المصنوعات الدالة على الصانع ، والقادر على الكمال لمعرفة وتأمل عجائب الآيات . . . ( ١ ) .

من الآيات الباهرة الدالة على وحدانيته تعالى آيات سورة البقرة  
 فعندما نزل قول الله تعالى : " واليهكم الة واحد لا الة الا هو الرحمن الرحيم " وهي تقرير للوحدانية بنفي غيره وإثباته الرحمن الرحيم . . . وقد كان للمشركين حول الكعبة ثلاثمائة وستون صنما فلما سمعوا بهذه الآية تعجبوا وقالوا : ان كنت صادقات بآية نعرف بها صدقك فنزلت : " ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار . . . ( ٢ ) فقال تعالى ذاكرا الآيات الدالة على وحدانيته : " ان في خلق السموات والارض ، واختلاف الليل والنهار ، والفلك التي تجرى في البحر بما ينفع الناس ، وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الارض بعد موتها صحت فيها من دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والارض لايات لقوم يعقلون " ( ٣ ) فهذا الكون المنظم المشاهد لا يصدر الا عن قادر واحد ، ان : " لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا . . . ولكنهما لم تفسدا وهما منتظمان خلقا ، ودقة ، واحكاما فليس فيهما آلهة الا الله . . . لان لازم التعدد هو الفساد للكون ، ولكن الفساد منتف فانتهى التعدد وثبتت الوحدانية . . .

( ١ ) انظر تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٣٣٤ ، والنسفي ج ٢ ص ١٧٨ ، والقرطبي

ج ٣٦ ص ٣٢٢ ط الشعب .

( ٢ ) تفسير الكشاف ج ١ ص ٣٢٤ .

( ٣ ) البقرة ١٦٤ .

من ذلك ايضا قوله تعالى : " وهو الله لا اله الا هو ، له الحمد في الاولي  
والآخرة <sup>والجميع</sup> واليه ترجعون " ( ١ ) فهذا تقرير للوحدانية أيضا ، ثم لفت الانظار الى  
مظاهر القدرة والوحدانية من نظام الكون وابداعه فقال : " قل رأيتم ان جعل الله  
عليكم الليل سرمدا الى يوم القيامة ، من اله غير الله بآيتكم بضياء ، أفلا تسمعون  
قل رأيتم ان جعل الله عليكم النهار سرمدا الى يوم القيامة ، من اله غير الله  
بآيتكم بليل تنكون أفلا تبصرون . . من رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه  
ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون " ( ٢ )

فلفت الانظار إلى نعم الليل والنهار من كونهما للراحة وللمسعى على الرزق  
والعمل ثم يسأل : " من اله غير الله بآيتكم بضياء ، أو بليل ؟ والسؤال هنا  
ليس على حقيقته بل المراد به النفي ، فمعناه " ليس ثمة اله غير الله بفعل ذلك  
ويقدر على تعاقب النهار ، الاوّل للسكن والراحة ، والثاني للمعاش والعمل  
والمراد : " أخبروني من يقدر على هذا ؟ ( والميمد ) الدائم المتصل —  
السرد وهو المتابعة . . من رحمته زاحج بين الليل والنهار لأغراض ثلاثة : لتسكنوا  
في احدها وهو الليل ، ولتبتغوا من فضل الله في الاخر وهو النهار — وإرادة  
شكركم " ( ٣ ) وقد قال الله ذلك امتنانا على عباده ليشكروه بكثرة العبادة في الليل  
والنهار من فاته شيء بالليل استدركه بالنهار ، من فاته شيء بالنهار استدركه بالليل  
فهذا العالم البديع الدقيق الصنع ، الحسن الخلق ، لا يد وان خالقه قادر وليس  
له شريك في الملك . . وهو الحقيقي بالعبادة .

( ١ ) القصص ٧٠ .

( ٢ ) سورة القصص ٧١ — ٧٣ .

( ٣ ) انظر الكشاف ج ٣ ص ١٨٩ وابن كثير ج ٣ ص ٣٩٨ .

وما بلغت النظر إلى تأمل السموات والأرض لاثبات القدرة والعلم قوله تعالى : " الله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن ينزل المـر بينهن ، لتعلموا أن الله على كل شيء قدير ، وأن الله قد أحاط بكل شيء علما " ( ١ ) .

فالتأمل والنظر في خلق السموات والأرض هما بينهما يحصل به علم ، وهذا العلم هو يكون الله قد برا ، محيطا بكل شيء علمه فهذه السموات والأرضيين لا تصدر الا عن قادر عليم بحاجات خلقه ومتطلباتهم . .

وما بلغت النظر من الآيات إلى نعم الله وقدرته التي تتجلى في النفس قوله تعالى : " وفي الأرض آيات للموقنين . وفي أنفسكم أفلا تبصرون " ( ٢ ) . وقوله تعالى : " فلينظر الانسان ممن خلق ؟ خلق من ماء دافق " ( ٣ ) وغير ذلك كثير ، فالقرآن ناطق بمثل هذه الآيات الداعية الى النظر والتأمل في مظاهر القدرة الالهية والوحدانية ، وعلمه تعالى ، الهداية الى الايمان بخالق هذه النعم وتلك الآيات جل شأنه . . وفيما ذكرت من النماذج والامثلة كقراءة كشاهد للقول . .

هـ - معارضة المترفين ذوي الأهواء وجامدى العقول : وكما واجه الرسول السابقون صلوات الله عليهم نماذج بشرية من تجمدت عقولهم وانغلقت قلوبهم فقد وا ما كان عليه اباؤهم من الضلال والغى وتعصبوا لذلك تعصبا أعمى ، فقد واجه الرسول صلى الله عليه وسلم هذه النماذج في رسالته العامة ، وقد تحدث القرآن عن بعض هذه النماذج : فقال تعالى : " بل قالوا إنا وجدنا آباءنا على أمه وانا على آثارهم مهتدون . وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير الا قال مترفوها إنا وجدنا آباءنا على أمه وانا على آثارهم مقتدون . قال أولسو

( ١ ) سورة الطلاق آية ١٢ . ( ٢ ) الذاريات ٢٠ ، ٢١ .

( ٣ ) الطارق ٥ ، ٦ .

جئتم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم قالوا إنا بما أرسلتم به كافرون " (١) فهم لم يجدوا مستنداً لرفضهم اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم ولتمسكهم بعبادة الأصنام ، إلا أنهم وجدوا آباءهم يعبدونها ، وهي دينهم ، وهم مقلدون للآباء ، متمسكون لفكرتهم في ترسب خطأ آباءهم في الضلال وثباتهم على ذلك . .

وهذا الموقف من قريش يشبه ما كان من الأمم السابقة في إصرارهم على تقليد عبادة الآباء للأصنام . . ومع أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال لقومه : " أولو جئتم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم ؟ لم يكلفوا أنفسهم أن يسألوا : ما الذى أهدى معاليه آباؤنا ؟ أو ما الذى جئت به ؟ بل رفضوا ، وأعلنوا كفرهم بذلك ، وإن يحاولوا أن يعرفوه أو يسألوا عنه . . وهذا تعصب شديد واتباع هوى مقوت " (٢) . .

ثم هذه الصورة المقوتة من الكبر والغرور عندما جادلوا في القرآن ليدعوا أنه سحر أو شعر أو كهانة أو أساطير الأولين اكتتبها وثبت عجزهم وكذبهم فسي دعواهم . . يعلنون تكبرهم عن اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم لقوله - " ولما جاءهم الحق من عندنا قالوا هذا سحر وإنابه كافرون . وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم " (٣) أى ولما جاءهم الحق ، جاءوا بما هو شر من غفلتهم التى كانوا عليها وهو أن ضموا إلى شركهم معاندة الحق ومكابرة الرسول صلى الله عليه وسلم معاداته والاستخفاف بكتاب الله وشرايعه والأصرار على أفعال الكفرة والاحتكام على حكمه في تخيير محمد من أهل زمانه بقولهم : لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم (٤) . .

(١) الزخرف ٢٢ - ٢٤ .

(٢) انظر ابن كثير ج٤ ص ١٢٦ ، والنسفى ج٤ ص ١١٦ ، والكشاف ج٣ ص ٤٨٤ .

(٣) الزخرف ٣٠ - ٣١ .

(٤) الكشاف ج٣ ص ٤٨٥ .

ويقول ابن كثير : هلا كان انزال هذا القرآن على رجل عظيم كبير  
في أعينهم من القرىتين ، يعنون مكة والطائف . قال ابن عباس : . وعن مواقف  
أولئك المتكبرين المتعصبين من رسول الله صلى الله عليه وسلم افاضت كتب  
السيرة في سردكم هائل من الوقائع والأحداث .

فمن ذلك: أن قريشا تذامروا فيما بينهم على من في القبائل منهم ممن  
أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين أسلموا معه فوثبت كل قبيلة  
على من فيها من المسلمين بعد بيوتهم ويفتنونهم عن دينهم صنع الله رسوله منهم  
لعمري طالب ، وقد قام أبو طالب حين رأى قريشا يصنعون ما يصنعون فأسى  
بني هاشم حتى المطلب فدعاهم إلى ما هو عليه من منع رسول الله صلى الله عليه  
وسلم والقيام دونه فاجتمعوا إليه وقاموا معه واجابوه إلى ما دعاهم إليه إلا ما كان  
من أبي لهب عدو الله الملعون \* (١)

وقد أغروا به سفهاهم فكذبوه واذنوه بدموه بالسحر والشعر والكهانة  
والرسول مظهر لأمر الله لا يستخفى به ، وقد طلع صلى الله عليه وسلم يوماً  
عليهم فوثبوا إليه وثبة رجل واحد وأحاطوا به يقولون: أنت الذي تقول كذا  
وكذا ، لما كان يقوله من عيب آلهم ودينهم فيرد عليهم الرسول صلى الله  
عليه وسلم : نعم أنا الذي أقول ذلك فإذا برجل منهم اخذ بجميع روايته  
وقام أبو بكر وهو يبكي ويقول : ” اتقلتوا رجلاً أن يقول ربي الله “ . ثم انصرفوا  
عنه . . .

ومن صور استكبارهم عن اتباع الحق ، واصرارهم على اتباع الهوى ما رواه ابن  
هشام أيضاً من أن النبي صلى الله عليه وسلم لما جاءهم بما عرفوا من الحق عرفوا

(١) سيرة ابن هشام ج١ ص ٢٤٢ .

صدق فيها حدث هو وقع نبوته فيما جاءهم به من علم الغيوب حين سأله عما سأله  
 عنه حال الحسد بينهم وبين اتباعه وتصدقته فاعتوا على أمر الله وتركوا  
 أمره عيانا ولجوا فيما هم فيه من الكفر ، فقال قائلهم : " لاسمعوا لهذا  
 القرآن والنوا فيه لعلمكم تغلبون " ( ١ ) أى اجعلوه لغوا وماطلا لعلمكم تغلبون  
 بذلك فانكم ان ناظرتموه او خاصتموه يوما غلبكم ( ٢ ) ولم تجروا قريش أول الأمر  
 على النبل من رسول الله لمكانة عمه ابى طالب ولكن بدأوا يستخفون بدعوتهم  
 حتى تثبط عزيمته عن هذا الأمر واتخذوا لتلك السخرية اللاذعة امهر الشعرا  
 فبالغوا في هجوه ، ثم اخذوا يطالبون الرسول صلى الله عليه وسلم بالمعجزات  
 التى تثبت رسالته . . . ( ٣ ) وهذا على سبيل التعمت لا طلبا للحق والصواب .

وقد ذهب رجال من اشراف قريش و فى مقدمهم ابوسفيان بن حرب السى  
 أبى طالب وقالوا له : يا ابا طالب ان ابن اخيك قد سب آلهتنا وعلب ديننا  
 وسفه آحلامنا وذل آباؤنا ، فاما أن تكف عنا واما أن تخلى بيننا وبينه فرد هم  
 ردا جميلا " ( ٤ ) .

(٥)  
 فمن خلال الامثلة السابقة نجد انها تنضح بروج التكبر والمنجبهة والاستعلاء  
 والتعصب لما كان عليه الآباء من عبادة الاصنام . . .

وهذا اصرار منهم على الاعراض عن الحق ، واتباع الهوى ، والثبات على  
 دين الآباء والاجداد فجمدوا عقولهم واغلقوا قلوبهم على ما هم فيه من ضلال واتباع  
 للهوى استكبارا فى الارض ومكر السى ولا يحق المكر السى الا بأهله . . .

( ١ ) فصلت آيه ٢٦ . ( ٢ ) ابن هشام ص ٢٥٩ ، ٢٧٤ .

( ٣ ) د / محمود محمد زباده تاريخ العالم الاسلامى دار الطباعة المحمدية  
 سنة ١٩٦٩ ص ١٦٢ .

( ٤ ) د / محمد الطيب النجار دراسات فى السيرة ص ٦٦ .

٥ - صفى هذه الكلمات مرادفة ومصطلح الارضاع والمنجبهة لضم الجيم



و - التزود بالمعجزات إظهاراً للحق : وكما زود الله رسله بمعجزات وأمدهم بها كاد لته صراهمين على صدقهم في دعواهم واعلاءً لشأنهم - وقد سبق بها دلالتها العقلية على صدق الرسول عند الحديث عنها في معجزات الانبياء السابقين في البحث السابق ، ونضيف هنا أن الله تعالى أهد رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم بالمعجزات الدالة على صدقه في دعواه ، وقد ألزمت القوم بالإيمان لوضوح دلالتها العقلية التي تدركها العقول ثم تطمسئ بذلك القلوب وتهدأ النفوس وتنقاد للإيمان في رضا وثبات ، حيث تدعن للقدره الالهية وتصدق بالرساله السماوية إذا تحررت تلك النفوس من الهوى . .

معجزات النبي صلى الله عليه وسلم لها نوعان رئيسيان : المعجزات الحسية وهي ترى وتشاهد في حينها ، وهي مؤقتة بزمن وقوعها فتقيد من رآها فقط ، المعجزات العقلية وهي دائمة إلى يوم القيامة وتلك المعجزه هي القرآن حيث إن الله تحدى به البشر في زمن الرساله والنبوة ولا يزال التحدى به قائما الى يوم القيامة . .

وهنا روت كتب السنة في معجزاته الحسية : انشقاق القمر : فعمن ابن مسعود رضى الله عنه قال : بينما نحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسن فانشق القمر فلقطين ، فلقه من وراء الجبل فلقه دونه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشهدوا ، يعنى ( اقتربت الساعة وانشق القمر ) ( ١ )

وكان ظهور هذه الآيه دليلا وعلامة على قرب الساعة ، ومن تلك المعجزات : نهب الماء من بين اصابعه صلى الله عليه وسلم : فعن أنس رضى الله عنه قال : اتى

( ١ ) رواه الترمذى ج ٥ كتاب تفسير القرآن - تفسير سورة القمر ص ٣٩٧ ، والبخارى كتاب التفسير ج ٦ ص ١٧٨ ط الشعب .

النبي **إيانا** وهو بالزهور<sup>١</sup> فوضع يده في الأنا<sup>٢</sup> فجعل الماء ينبع من بين أصابعه فتوضأ القوم ، قال قتادة ، قلت لأنس كم كنتم ؟ قال : ثلاثمائة أو زهاء ثلاثمائة . . . (١) ومنها كذلك : حنين الجذع : فعن أنس أنه سمع جابر بن عبد الله يقول كان المسجد مستقوفا على جذوع من نخل وكان النبي إذا خطب يقوم إلى جذع منها ، فلما صنع له المنبر وكان عليه فسمعنا لذلك الجذع صوتا كصوت العشار حتى إذا جاء النبي صلى الله عليه وسلم فوضع يده عليها فسكنت \* (٢) .

ومن ذلك ما روى من أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم يستطعمه فاطعمه شطر وسقى شعير فما زال الرجل يأكل منه وامرأته وضيئفهما حتى كاله فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال لو لم تكله لا كُلتُم منه ولقام لكم \* (٣) . . .  
وفير ذلك ما روى في كتب السيرة كنجاة لهلة الهجرة إلى المدينة ومعجزة الغار وما حدث لسراقة الذي أراد القبض على ركب النبي صلى الله عليه وسلم ومعجزة الإسراء والمعراج وما فيها من دلالات ساطعة على القدرة الإلهية صراحين قاطعة على صدق الدعوة الإسلامية . . .

فهذه المعجزات الحسية لها دلالات على صدق دعوى الرسالة حيث يران العقل بمعجز عن تفسيرها لأنها خارقة للعادة ، وهي تقوم مقام : " صدق عبدى فيما يبلغ عنى " إلا أن هذه الدلالة مقصورة على من شاهدوها وجررت

(١) رواه البخارى ج٤ ص٢٣٣ باب علامات النبوة .

(٢) المرجع السابق ص ٢٣٥ .

(٣) رواه مسلم باب معجزات النبي صلى الله عليه وسلم كتاب الفضائل ج٥

ص١٣٨ ط الشعب .

امامهم فقط فهم مقبده بزمان حد وثها مكانه ، والاشخاص الذين شاهدوها فقط هدى اذ راكمهم لها . .

ولكن هناك المعجزة العقلية الخالدة الباقية الى يوم القيامة انها معجزة القرآن الكريم . . يقول الباقلاني : " الذي يوجب الاهتمام بمعجزة القرآن أن نبوة نبينا عليه السلام بتت على هذه المعجزة وان كان قد أهدى بعد ذلك بمعجزات كثيرة الا أن تلك المعجزات قامت في أوقات خاصة وأحوال خاصة وعلى اشخاص خاصة " ( ١ ) . .

وآيات التحدى في القرآن عدده منها على سبيل المثال لا الحصر قوله تعالى : " وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءهم من دون الله ان كنتم صادقين فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة اعدت للكافرين " ( ٢ )

من ذلك قوله : " ام يقولون افتراء ، قل فاتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين " ( ٣ ) وقوله : " ام يقولون افتراء ، قل فاتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين " ( ٤ ) .

فالتحدى بالقرآن قائم الى يوم القيامة وللانس والجن معا ، قال تعالى : " قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا " ( ٥ )

- 
- ( ١ ) . الباقلاني اعجاز القرآن ص ١٣ الطبعة السلفية ص ١٣١ .  
 ( ٢ ) البقرة آيتا ٢٣ ، ٢٤ . ( ٣ ) يونس ٣٨ .  
 ( ٤ ) هود ١٣ . ( ٥ ) الاسراء ٨٨ .

فالتحدى لهم بأن يأتوا بمثل القرآن ، أو بمثل عشر سور منه ، أو بسورة  
ولكنهم عجزوا في كل حالة ، ولو كانوا قد أتوا لتواترت الأخبار بذلك ، يقول  
الامام الغزالي في الاحياء : " قال ذلك تعجيزا لهم ، فعجزوا عن ذلك  
وصرفوا عنه حتى هربوا انفسهم للقتل ، ونساهم وذرايبهم للسبى ما استطاعوا  
ان يمارضوا ، والا يهتدحوا في جزالته وحينه ، ثم انتشر ذلك بعد  
في اقطار العالم شرقا وغربا قرنا بعد قرن وصرا بعد عصر ، وقد انقرض اليوم  
اكثر من خمسمائة سنة ( ١ ) . فلم يقدر احد على معارضته " ( ٢ ) .

وقد أعجز القرآن العرب فيما تفوقوا فيه من فنون القول والفصاحة ولم تفتح  
المعارضة من أى منهم ، كما أعجزهم وغيرهم في مجالات اخرى عديدة كالإخبار  
بالغيب ، وسائر مجالات العلم ، التي لم يكن العالم يعرفها ولم يعرف من  
أسرارها حتى اليوم الا القليل ، ومن قبل اخبار القرآن بالغيب " أخبر به  
من انتصار الروم بعد هزيمتهم في خلال عدد قليل من السنين " الم . غلبت  
الروم في ادنى الارض وهم من بعد غلبهم سيخليون في بضع سنين ، لله الامر  
من قبل من بعد ويهتد بفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز  
الرحيم " ( ٣ ) فمن أين عرف النبي صلى الله عليه وسلم هذا الانتصار  
بعد الهزيمة ؟ ما من ملك في أنه مانع النصر هو الذي أخبره ولا يمنح النصر  
الا الله " ما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم " وهو بذلك قد عرف  
النصر من صدره الاوّل من الله العزيز الحكيم .

- 
- ( ١ ) كان الزمان الذي مضى عند تأليف الاحياء ٥٠٠ سنة والآن قد انقضى  
على نزول القرآن ١٥٠٠ سنة ولم يقدر احد على معارضته ايضا . وهكذا  
إلى يوم القيامة لان الله اخبر بذلك " فان لم تفعلوا ولن تفعلوا " .  
( ٢ ) احياء علم الدين ج ٧ ص ١٣٣٩ ط الشعب .  
( ٣ ) الروم من ١ - ٥ .

كما اخبر عن الآيات التي يكشفها الله لعباده على مدى الزمان  
لهذعنوا لقدرة الله تعالى وعلمه وإرادته فيقول تعالى : " سنريهم  
آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق " ( ١ ) .

كما اشتمل القرآن على صور رائعة من الجدال المشر الموصول السي  
الحق والصواب " قال العلماء : قد اشتمل القرآن العظيم على جميع  
انواع البراهين والأدلة صا من برهان ، ودلالة ، وتقسيم ، وتحذير  
تهنى من كليات المعلمات العقلية والسمعية ، الا وكتاب الله قد نطق  
به ، لكن أورد على عادات العرب دون دقائق طرق المتكلمين ، لا مريين  
: أحدهما بسبب ما قاله " صا ارسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبيين  
لهم " والثانى : أن المائل الى دقبي الحاجة هو العاجز عن اقامة  
الحجة بالجليل من الكلام ، فإن من استطاع أن يفهم بالأوضح الذى يفهمه  
الاكثرون لم ينحط الى الأغصن الذى لا يعرفه الا الاقلون " ( ٢ ) .

ولا ينقطع التحدى بانقضاء زمن النبوة بل إن التحدى قائم الى يوم  
القيامة وقد ساق الباقلانى عدة اشارات رائعة الى ذلك فقال : " ان الله  
حيث ابتعث النبى جعل معجزته القرآن ، وبنى أمر نبوته عليه ، سسور  
كثيره وآيات تذكر بعضها ونهه بالمذكور على غيره .

فمن ذلك قوله تعالى : " الر . كتاب انزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات  
الى النور يا دن وهم الى صراط العزيز الحميد " ( ٣ ) فأخبر أنه أنزله

( ١ ) فصلت ٥٣ .

( ٢ ) السوطى الاثنان فى علوم القرآن ص ١٣٤ ج ٢ المكتبة الثقافية

بيروت . ( ٣ ) ابراهيم ١ .

لحق الهدى به ولا يكون ذلك الا وهو حجة ، ولا يكون حجة ان لم يكن معجزة ، وقال عز وجل : " وان احد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله " (١) فلولا أن سماعه اياه حجة عليه لم يقف أمره على سماعه ولا يكون حجة الا وهو معجزة ، وقال عز وجل " وانسه لتنزيل رب العالمين • نزل به الروح الامين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عيسى مبین " (٢) •

وهذا بين جدا فيما قلناه من أنه جعله سببا لكونه منذرا ثم أوضح ذلك بأن قال : " بلسان عيسى مبین " فلولا ان كونه بهذا اللسان حجة لم يعقب كلامه الاوّل به " (٣) ولأن الآيات باقية حكما وتسلية فالتحدى بها قائم الى يوم القيامة • •

ولا يخفى أن القرآن - بالاضافة الى كونه معجزة - للنبي صلى الله عليه وسلم والى صدق رسالته وتلزم الايمان بهيئته ، والاذعان لرسالته - لا يخفى أنه كتاب تشريع في كل مجالات الحياة وبرنامج عمل لبناء الأمة الاسلاميه ، وأخذ الاحكام منه هو الاتباع ، والاعراض عنه هو الابتداع والضلال ، واتباعه سر الامن والاستقرار " فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى • ومن اعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا ونحسره يوم القيامة أعمى " (٤) ويقول " اتبعوا ما أنزل اليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه اولياء قلها ما تذكروا " (٥) كتاب تشريع وبرنامج عمل ، ومعجزة خالده السى يوم القيامة ناطقه بنهية خاتم النبيين محمد صلى الله عليه وسلم •

- 
- (١) التوبة آية ٦ • (٢) الشعراء ١٩٢ - ١٩٤ •  
 (٣) المهاقلنى اعجاز القرآن ص ١٤ •  
 (٤) طه ١٢٣ - ١٢٤ •  
 (٥) الاعراف ٣ •

هنا ذكرنا من المعجزات انما هو أمثله ، ونماذج فقط ، ليس المقصود منها الحصر والاستقصاء لمعجزات النبي صلى الله عليه وسلم اذ أنها متعددة وكثيره وشاهد به صدق رسالته صلى الله عليه وسلم . .

كما ثبت ايضا ان الله تعالى زود رسله جميعا من لدن نوح الى محمد صلوات الله عليهم أجمعين بالمعجزات وأمد هم بالبراهين الساطعة الدالة على صدقهم فيما يبلغونه عن الله عز وجل . . وهذه سنة الله في رسالاته .

### وختلاصة القول فيما تقدم في هذا الفصل :

أن الرسائل السماوية جميعها قد اتفقت جميعا في سمات عقلية عامة تنم عن مدى احترامها للعقل البشري ووضعه في مكانه الصحيح في تفهم الدعوة والايمان بالرسالة ، كما تشابهت النماذج البشرية التي صادفها الرسل صلوات الله عليهم في عملية التبليغ والدعوة ، وكذلك تشابهت موضوعات الجدل والحوار على مدى الزمن مع اختلاف وتطور في أسلوب الجدل والحوار يتبع مدى النضج الفكري وتقدم الزمن واختلاف البيئة ، فجادل نوح قومه وجاد لهم وكذا شعيب وصالح عليهم الصلاة والسلام وتعددت موضوعات الجدل وأساليبه ، كما تطور في حوار سيدنا ابراهيم مع النمرود ، كما اتضح من الزام ابراهيم قومه الحججة في كل جولات الحوار ، وكذلك مدى عمق حوار موسى مع فرعون وهكذا . . الى زمن عيسى عليه السلام الى ان تم النضج الفكري وتعددت موضوعات الجدل وتشعبت القضايا في زمن البعثة المحمدية لينطلق العقل مفكرا مناقشا مجادلا لبعائق الوحي وتجدد الدعوة ولتتهقسي الى يوم القيامة . .

من المجالات التي تم الاعتماد فيها على العقل أيضا في جميع  
الرسالات من لدن نوح الى محمد عليهم السلام التأمل في الآيات  
الكونية ونعم الله تعالى على عباده ، هدى نظام الكون ودقته وإبداعه  
للتوصل من خلال التأمل العقلي في مشاهدات الكون الى معرفة الخالق  
بصفاته وآثارها . . .

كما واجه رسل الله صلوات الله عليهم نماذج بشرية متشابهة  
من أصحاب الأهواء من المقلدين والمتعصبين والمتكبرين وجاد لوههم  
بالعقل الراجح والفتانة المتميزة لوصولهم الى الحق ، صتركوا  
عبادة الجمادات والآثار التي أنفستوا أنفسهم عليها استعلاء على كلمة الحق  
واتباع الصواب .

ولقد زود الله جميع رسله ببراكين ساطعة على صدق رسالتهم  
وتلك هي المعجزات التي نطقت بصدقهم لتلزم اقوامهم الحجة فهوئمنوا  
والا كانوا مكابرين مستحقين للعذاب . . .

وهذه السمات كلها تعتمد على العقل في دلالتها على صدق  
الرسالة . وكل الرسل ايضا دعوا اقوامهم الى التوحيد الذي فيه احترام  
العقل والقلب وحفظ كيان المسلم كما اقترن هذا بعدم طلب الاجر  
في ذلك دلالة صدق الرسول على ما سبق بيانه في هذا الفصل أيضا . . .

هذا . . . ما سبق ذكره من المظاهر العقلية في تبليغ الدعوة من  
الجدل والمجادل ، هصادفة نماذج المتعصبين جامدى العقول  
منحرفى الأهواء ، واستخدام الآيات الكونية للتأمل والمشاهدة والمناقشة



هذا كله لم ينقطع بانقضاء زمن النبوة <sup>أ</sup> بل باق الى يوم القيامة وهذا اللون العقلي من التبليغ والدعوة الى الله من الاساليب النافعة في الدعوة الى الله <sup>أ</sup> الا أن التأييد بالمعجزات انقطع بانقضاء زمن النبوة لأن المعجزة خاصة بالرسول <sup>••</sup> الا ان الله يؤيد الدعاء اذا هم اخلصوا وجاهدوا النفس والشيطان <sup>•</sup> وقصدوا بدعوتهم ووجه الله تعالى دخولا تحت قوله تعالى <sup>•</sup> ومن يتق الله يجعل له مخرجا <sup>••</sup> وقوله <sup>•</sup> أليس الله بكاف عبده <sup>•</sup> ؟ وهذا الى يوم القيامة <sup>••</sup> يؤيد دائما دعاء الحق والفضيلة الذين يقولون كلمة الحق لا يخشون في الله لومة لائم <sup>••</sup> ولاعجب فهم الطائفة القائمة على امر الله التي اخبر عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم : <sup>•</sup> ولا تزال طائفة من أمتي قائمة على امر الله لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله <sup>•</sup> ( ١ )

وقد اتضح من ذلك أيضا ما للعقل من دور في تبليغ الرسل رسالتهم ودعواتهم الى أقوامهم <sup>•</sup> كما أن العقل أيضا وسيلة هامة لادراك الحقائق الایمانية الثابتة التي يطمئن بها القلب ويسكن الى الطاعة والاقبال <sup>•</sup> وهذا ما سيأتي ايضاحه في الفصل التالي ان شاء الله تعالى <sup>•</sup>

---

( ١ ) الحدیث رواه البخاری من حدیث من یروى الله بن خیرا بفقهه فی الدین <sup>•</sup>

# الباب الأول

## أفصل الثالث

وَتَظْيِيفَةُ الْعَقْلِ فِي الْوَصْوِوِيِ إِلَى

حَقَائِقِ الْإِيْمَانِ .

ويشتمل على :-

١- تمهيد

٢- المبحث الأول: دور العقل في فهم المواعظ

ومواطن الاعتبار .

٣- المبحث الثاني: دور العقل في فهم دلالات

المعجزات .

٤- المبحث الثالث: ارتباط العقل بالسلوك .

## ( تمهيد )

سبق بيان أن العقل هو القوة التي أودعها الله في الانسان للتمييز بين الحق والباطل والخطأ والصواب ، فيلزم الانسان من العمل أحسنه ومن السلوك أقمه ، وهدو القبح من القول والعمل ، إذ أن العقل يمسكه ويمعه عن مفارقة الدنيا ، ويعقله عن الشاذ من القول والفعل كذلك اتضح في الفصل السابق ما في الرسائل السماوية من ملامح عقلية ودلالات على صدق الرسل ، ومعرفة الصفات الالهية ، والادعان والتسليم لبارئ الارض والسماوات ، كما اتضح أيضا أن تأمل تلك الآيات الدالة على صدق الرسول لا يدركها ولا يهتدى بها الا من حرر عقله من الهوى والضلال وفكر وتأمل بدون تعصب أو استعلاء . . .

فطريق معرفة الحق والهداية الى الصواب هو العقل ، حيث انه الطريق الطبيعي لمعرفة الحق من الباطل وهو الهادي الى حقائق الايمان فحقيقة الايمان هي التصديق والادعان والتسليم ظاهر باطنا . . .

في الاحياء " والحق فيه - يريد الايمان - أن الايمان عبارة عن التصديق قال تعالى " ما انت بمؤمن لنا " أى بمصدق ، والاسلام عبارة عن التسليم ، والاستسلام بالادعان وترك التمرد والاباء والعناد ، وللتصديق محل خاص وهو القلب ، واللسان ترجمانه ، وأما التسليم فانه عام في القلب واللسان والجوارح .

فانه كل تصديق بالقلب ، فهو تسليم وترك الاباء والجحود ، وكذلك الطاعة والاعتراف باللسان والانقياد بالجوارح ، وكل تصديق تسليم ولهس

كل تسليم تصدقاً . .

هذا بالنسبة بمعنى الايمان في اللغة . . أما في الشرع فاستعمل لفظاً " الايمان والاسلام " على سبيل الترادف والتوارد ، حيث يطلق كل منهما ويراد به الآخر ، وعلى سبيل الاختلاف حيث يراد بكل منهما غير الآخر حيث يخصون الاسلام بالظاهر ، والايمان بالتصديق القلبي ، والتداخل حيث يدخل معنى احدهما في معنى الآخر فالتسليم عام يشمل الظاهر والباطن ، فتسليم الظاهر اسلام ، وتسليم الباطن تصديق . . " (١)

فمع تعدد الاطلاقات الشرعية على " الايمان " فإن الكل متفق على أن معناه " التصديق " وهو بالقلب - وتلك حقيقة التصديق والتسليم ، وللعقل دور هام في موضوعات هذا التصديق من الايمان بالله تعالى عن طريق التفكير والتأمل لمعرفة صفاته تعالى . .

وكذا صدق الرسل صلوات الله عليهم وثبوت رسالتهم عن طريق تأمل معجزاتهم ، وعدم القدح على معارضتها أو الاتيان بمثلها والايمان والتصديق بصحة إخبارهم لنا عن أحوال الآخرة وسائر السمعيات التي يعجز العقل عن تصورهما . .

فمعرفة صدق الرسل ومعرفة ما يجب لله ما يحوز ما يستحيل عليه تعالى ، طريقها العقل ، وهذا سائر العبادات شرطها العقل

(١) انظر احيا معلم الدين ج٢ ص٢٠٣ ط الشعب .

ومعرفة ما فيها من حكمة التشريع الالهي لصالح الانسانية طريقه العقل  
وهذا الدور الهام للعقل في الوصول لحقيقة الايمان وموضوعات  
التصديق الكامل والتسليم ظاهرا واطننا . عن طريق العقل  
المفكر هو ما يستتبع تباعا في المباحث التالية ان شاء الله . .



## ” المبحث الأول ”

( دور العقل في فهم المواعظ بمواطن الاعتبار )

ما اعتمد عليه القرآن في الدعوة الى الله هو لفت انظار الخلق  
وتنبيه قلوبهم واجتذاب ارواحهم نحو ما أبدع الله من الخلق  
في الكون . .

فوجه الانظار والعقول الى مظاهر القدرة الالهية ، ودلائل التوحيد  
الخالص . . دأبنا إلى التأمل والتفكير في حرية بلا قيود للوصول الى معرفة  
صفات الله تعالى عن طريق خلقه ونعمه على عباده ، وأبداعه في الكون ، فيقول  
تعالى منها على مظاهر قدرته تعالى في الكون : ” الله الذي رفع  
السموات بغير عمد ترونها ، ثم استوى على العرش ، وسخر الشمس والقمر  
كل يجرى لأجل مسي ، يدبر الأمر بفصل الآيات لعالمكم بلفظ ” ركب توفنون  
وهو الذي مد الأرض وجعل فيها رواسي وأنهاراً ومن كل الثمرات جعل  
فيها زوجين اثنين ، يغشى الليل النهار ، إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون .  
في الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب فزرع ونخيل صنوان وغير صنوان  
يسقى بماء واحد ونفصل بعضها على بعض في الأكل ان في ذلك لآيات لقوم  
يعقلون ” ( ١ ) فالسما التي رفعت بغير عمد والشمس والقمر اللذان  
سخرهما الله للانسان ولمنفعته ف ” جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره  
منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ” والأرض التي مدها مهيبتها وجعل  
فيها الجبال الرواسي الشم ، والأنهار الجارية بالرزق والحياة ، وانبتت  
في أرض أزواجا من نبات شتى . . وفيها قطع متجاورات من النخيل والأعناب

( ١ ) الرعد من ٢ - ٤ .

تسقى بماء واحد وهي مختلفة المذاق والطعم واللون وقيل " متجاورات  
 أي متدايات ترابها واحد وماؤها واحد وفيها زروع وجنات ، ثم  
 تتفاوت في الثمار ، فيكون البعض حلوا والبعض حامضا ، والغصن الواحد  
 من الشجرة قد يختلف فيه الثمر من الصغر والكبر واللون والطعم ، وإن  
 انبسط الشمس والقمر على الجميع على نسق واحد ، في هذا أول دليل  
 على وحدانيته ، وعظيم صمدانيته ، والإرشاد لمن ضل معرفته ، فإنه  
 نبه سبحانه بقوله " تسقى بماء واحد " على أن ذلك ليس إلا بمشيتته  
 وأرادته وأنه مقدر ، وهذا أول دليل على بطلان القول بالطبع إذ لو  
 كان ذلك بالماء والتراب والفاعل له الطبيعة لما وقع الخلاف وقيل وجه  
 الاحتجاج : أنه أثبت التفاوت بين البقاع فمن تربة عذبة ، ومن تربة  
 سخنة مع تجاورهما ، وهذا أيضا من دلالات كمال قدرته جل وعز عما يقول  
 الظالمون وتعالى علوا كبيرا . .

وقوله " إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون " أي لعلماء لمن كان  
 له قلب يفهم عن الله تعالى " ويقول ابن كثير بعض عرض تفسير تلك الآيات  
 " وهذا من أعظم الدلالات على الفاعل المختار الذي بقدرته فآوت بين  
 الأشياء ، وخلقها على ما يريد ولذلك قال : " إن في ذلك لآيات لقوم  
 يعقلون " ( ١ ) . .

فتلك الآيات والدلالات الكائنة بالعالم سهيل لليقين بوجود الاله  
 القادر المتصف بكل كمال المنزه عن كل نقص فهمي " لعلمكم بخلقكم بركم  
 توفنون " بعد تأمل الآيات الدالة على صفاته وذاته ، وتلك الآيات لا سهيل

( ١ ) انظر القرطبي ج ٣٦ ص ٣٥١ ط الشعب ، وابن كثير ج ٢ ص ٥٥٠ . .

لادراكها والاستفادة منها والوصول الى الحق بها ، الا بفكر ثاقب  
وعقل راجح . . إن في ذلك اى في تلك الآيات ، وذلك المذكور  
من مظاهر القدرة والجبروت ، لايات لعلامات وأدله صراحين يستفيد  
بها كل من فكر وعقل ، : لقمم يتفكرون او : لقمم يعقلون .

فالعقل المفكر المتأمل هو سبيل الوصول للحق واليقين عن طريق  
تأمله في خلق الله ، وملكوت السموات والارض ومافيهما من نعم الله  
على العباد . .

فالعقل اذن هو سبيل العلم بالله وصفاته ، ولذلك تكرر  
الامر بالنظر والتفكر .

يقول د / الغمراوي : " الاصل الجامع لذلك كله في العلم ونسب  
الدين هو تحكيم العقل في كل مايمرض للانسان من أمر . . " ، وهذه  
المشاهدات العلمية تستعمل فيها الحواس خصوصا السمع والبصر  
ولكن بشرط تربيتها وتدريتها من ناحية ، واعانتها على دقة الملاحظة  
بالآلات الدقيقة من ناحية اخرى .

وهذه الآيات هي في الواقع وسائل هدى الله اليها الانسان  
لتزيد في مدى حسه .

والآيات التي تأمر بالمشاهدة واستعمال السمع والبصر والعقل  
كثيرة في القرآن ، منها " قل سبروا في الارض فانظروا كيف بدأ الخلق  
ثم الله ينشئ النشأة الاخرة ان الله على كل شىء قدير " ( ١ ) . .

( ١ ) العنكبوت آية ٢٠ .



ومثل هذه الآيات ما يدعو لاستعمال السمع مع العقل \* افلم  
يسيروا في الأرض فتكون قلوب يعقلون بها او آذان يسمعون بها \* (١)  
واستعمال العقل مع السمع والبصر : \* ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من  
الجن والانس لهم قلوب لا يفقهون بها ، ولهم أعين لا يبصرون بها  
ولهم آذان لا يسمعون بها \* \* (٢) .

فهذه الآيات القرآنية تحض الانسان على استعمال العقل والسمع  
والبصر هما الهما من طرق المشاهدة الصحيحة بجميع اساليب  
الحض .

واخيرا فجماع أصول النظر العلمي أولها الا يتبع الانسان الا الحق  
وثانيها : أن طريقة الى الحق هو المشاهدة الصحيحة والتفكير  
الصحيح ، وثالثها : أن يتمسك الانسان بما وصل اليه من الحق  
عن طريق المشاهدة والتفكير \* \* (٣)

فالعقل هنا سبيل للوصول الى معرفة صفات الله ووجوب الايمان  
به تعالى \* .

وقد دعا القرآن العقل الى التأمل في النفس ، والخلق ، فقال  
تعالى : \* في الأرض آيات للمؤمنين \* في أنفسكم ، افلا تبصرون \* (٤)

---

(١) الحج ٤٦ . (٢) الاغراف ١٧٩ .

(٣) د / الغمراوي الاسلام في عصر العلم بتصرف ص ٦٦ .

(٤) الذاريات ٢٠ ، ٢١ .

أى فى الأرض دلائل وآيات على وجود الله وقدرته ، وكذلك فى أنفسكم  
آيات فى خلقها وتسميتها آيات ، كما قال تعالى : " فلينظروا  
الانسان مم خلق ؟ خلق من ماء دافق " ( ١ )

كما دعا الانسان إلى التأمل فى خلقه ومراحل عمره " هو السذى  
خلقتكم من تراب ، ثم من نطفة ، ثم من علقه ثم بخرجكم طفلا ، ثم  
لتبلغوا أشدكم ، ثم لتكونوا شيوخا ، ومنكم من يتوفى من قبل ولتبلغوا  
أجلا مسمى ولعلكم تعقلون " ( ٢ ) فالعقل هنا وسيلة للتأمل الذاتى  
فى المراحل الزمنية لعمره ، وتغيرها من القوة الى الضعف ليعقل  
الانسان ويتذكر قدرة خالقه ( ولعلكم تعقلون ) ذلك فتعلموا أن لاله  
غيره ، وتعقلون ذلك من العبر والحجج .

ولا يخفى ما للعقل من دور فى الوصول الى الحق وتأمل الآيات  
الكونية الدالة على خالقها مبدعها وقدرته وأرادته . . . ( ٣ )

مقتضى العقل والفطرة السوية شكر المنعم والاعتراف بفضله  
ولم يدع أحد أنه هو المنعم على المشران لا يستطيع أحد ادعاء ذلك  
قنبت ان المنعم المبدع هو الله وحده . . . فوجب شكره تعالى والاهمان  
به . . . ولا يجحد فضلته تعالى .

( ١ ) الطارق آيه ٥ ، ٦ .

( ٢ ) غافر آيه ٦٧ .

( ٣ ) تفسير القرطبى ج ٦٣ ص ٧٧٤ ، ٥٥٠ ، وابن كثير ج ٤ ص ٨٧ ، والنسفى

ج ٤ ص ٨٤ .

والعقل كذلك وسهلة لتأمل أخبار السابقين من الأمم ، والاتعاض  
بأمرهم بما كان من قصص ووقائع تعتبر آيات هواعظ لكل عقل واع وقلب متأمل  
فقال تعالى بعد الانتهاء من قصص يوسف وأخوته " لقد كان في قصصهم  
عبرة لأولئى الألباب ما كان حد يثا يفترى ولكن تصف بقى الذى بين يديه  
وتفصيل كل شىء " وهدى ورحمة لقمم يؤمنون " ( ١ ) فى قصصهم اى الأمم  
السابقة عبره اى فكره وتذكرة لأولئى الألباب اى العقول ، حيث صارت عاقبة  
الصبر والسلامة ، ونهاية المكر وخامة وندامة . . . وأولو الألباب ذوو العقول  
المبرأة عن الأوهام الناشئة عن الإلف والحس ، وأصل اللب هو الخالص  
من كل شىء ، ثم أطلق على ما زكا من العقل " ( ٢ ) . . . فالمعتبر  
بذلك القصص هم اولو الألباب وأصحاب العقول . . .

فى تدبيل قصة موسى عليه السلام مع فرعون يقول تعالى " وأنجيناه  
موسى ومن معه اجمعين . ثم افرقنا الآخرى . ان فى ذلك لآية لها كان  
أكثرهم مؤمنين " ( ٣ )

ومعد قصة نوح أيضا يقول : " فأنجيناه ومن معه فى الفلك المشحون  
ثم افرقنا بعد الباقى . ان فى ذلك لآية لها كان أكثرهم مؤمنين " ( ٤ )

وكذا بعد قصة هود : " فكذبوه فاهلكناهم ان فى ذلك لآية وما كان أكثرهم  
مؤمنين . . . " ( ٥ ) مثل ذلك فى قصة صالح عليه السلام " فعقروها

( ١ ) يوسف ١١١ . ( ٢ ) الألوسى ج ١٣ ص ٧٠٣ مجلد ( ٥ ) .

( ٣ ) الشعراء ٦٥ ، ٦٧ .

( ٤ ) الشعراء ١١٩ ، ١٢١ . ( ٥ ) الشعراء ١٣٩ .

فاصبحوا ناديين • فاخذهم العذاب ان في ذلك لآية ما كان  
اكثرهم مؤمنين • وان ربك لهو العزيز الرحيم \* (١) وهذا بعد  
قصة لوط ، وقصة شعيب ••

فكل هذا القصر ذكره الله \* آية \* اي برهان يد ليل يجب  
تأمله ، وتدبر ما فيه من أحداث وأحوال ليعلم المتأملون تلك الحقيقة  
الثابتة \* ان ربك لهو العزيز الرحيم \* وان كل مخالف لرسوله  
ينتقم منه الله العزيز الرحيم •• وان هؤلاء الكفار عوقبوا وحق بهم  
الهلاك بسبب كفرهم وعنادهم ، وانتم تباشرون نفس اسباب الهلاك  
والانتقام فما الذي يمنع من اهلاككم مثلهم ؟ \* انكاركم خير من اولئك  
أم لكم براعة في الزبر \* (٢)

وما أنكم لستم خيرا منهم وليست لكم براعة في الزبر فاتركوا سبب  
الهلاك والانتقام وهو الكفر والعناد ، وآمنوا بالله ورسوله ••

وهذه الحقيقة من وجوب الايمان بالله ، أوجبها العقل واهتدى  
اليها بالتأمل في أخبار السابقين وأحوالهم ••

صالعقل يتمرف الانسان على كثير من حِكَمِ تشريعات الاحكام :

فهناك بعض الآداب الاجتماعية والتشريعات الخلقية ، والعبادات تدبيل  
بأنها آيات وأدلة للعاقلين الفاهمين ، فمن ذلك قوله تعالى : \*  
وللمطلقات متاع بالمعروف حقا على المتقين • كذلك يبين الله لكم آياته  
لعلمكم تعقلون \* (٣) فالآيات تتحدث عن بعض الاحكام العملية

(١) الشعراء ١٥٨ ، ١٥٩ • (٢)

(٣) سورة البقرة ٢٤١ ، ٢٤٢ •

والتوجيهات الشرعية المتعلقة بأحكام النكاح والطلاق والعِدَّة كالمتموضى عنها زوجها ، وأحكام المتعة والنفقة . . . ثم يزيل كل هذه الأحكام بقوله " كذلك يبين الله لكم آياته لعلمكم تعقلون " بقول الألويس : " كذلك أى مثل ذلك البهان الواضح للأحكام السابقة يبين الله لكم آياته الدالة على ما تحتاجون اليه معاشاً ومعاداً لعلمكم تعقلون ، أى لئى تكمل عقولكم أو لتصدقوا عقولكم اليها أو لئى تفهموا ما يريد منها " ( ١ )

وحكمة هذه التشريعات العظيمة لا يدركها الا كل ذى عقل راجح وتفكير واع ، الذى يتأمل فى فقه الاحلال والتحريم ، والفروض والحدود والأمر والنهى فيتدبر ويتعقل . . . ( ٢ ) ومن ذلك قوله تعالى : " قل تعالوا أتتل ما حرم ربكم عليكم ، الا تشركوا به شيئاً والوالد بين احساننا ولا تقتلوا أولادكم من املاق نحن نرزقكم واباهم ولا تقرّبوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق . ذلكم وصاكم به لعلمكم تعقلون " ( ٣ )

فالأية هنا شاملة لبعض الاحكام ، وبعض الأمور المحرمة على العباد لصالحهم ومنفعتهم ، فحرقهم الشرك به تعالى ودعا الى توحيد تعالى فى ذلك أمن البشر وسكينة النفس وطمأنينة القلب ، كما أمر بالاحسان الى الوالدين عرفانا بفضلهم واحسانهم ، كما نهى عن قتل الاولاد بسبب الفقر مبينا أنه تعالى هو الرازق المتين ، صفة عامة حرم الفواحش

( ١ ) تفسير الالويس ج ٢ ص ٦٠ م ١ .

( ٢ ) انظر تفسير ابن كثير ج ١ ص ٢٩٨ ، واهب السعدي ج ٢ ص ٦٢ .

( ٣ ) الانعام ١٥١ .

الظاهرة والباطنة كما حرم قتل النفس . .

وهذه الأمور كلها وصانا الله بها أمرا ونهيا لتعمل العقول  
في تفهمها وتعقلها عن الله عز وجل والتوصل إلى ما في ذلك من  
حكمة ( لعلمكم تعقلون ) أي لتعقلوا عن الله أمره ونهيه وتستعملوها  
لتعقل نفوسكم وتحبسها عن القبائح المحرمة " ( ١ ) .

فالعقل هنا دوره النهي عن كل قبيح وفهم الأمر بالحسن الجميل  
وعلى أساس هذا الفهم يحبس الإنسان نفسه عن مباشرة القبيح ،  
ويطلقها لفعل الحسن . .

من ذلك أيضا قوله تعالى : " ليس على الأعمى حرج ولا على  
الأعرج حرج ولا على المريض حرج ، ولا على أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم  
أبيوت آبائكم ، أوبيوت أمهاتكم ، أوبيوت أخوانكم ، أوبيوت أخواتكم  
أوبيوت أعمامكم ، أوبيوت عماتكم ، أوبيوت أخوالكم أوبيوت خالاتكم  
أوما ملكتم منها تحته أو صدقتمكم ليس عليكم جناح أن تأكلوا مما  
أؤثنتا ، فإذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم تحية من عند الله  
مباركة طيبة ، كذلك يبين الله لكم الآيات لعلمكم تعقلون " ( ٢ )

فهذه الآية إحدى أربع آيات في هذا المقام تحدثت عن العبد بد  
من الآداب الاجتماعية والمورث وآداب الاستئذان ، فالآية الأولى

---

( ١ ) الألوسي ج ٨ م ٣ ص ٥٥٥

( ٢ ) النور ٦١ .

تحدد اوقات العمورات في الزيارة وانتهت بقوله تعالى " كذلك يبين  
الله الآيات والله عليم حكيم " ( ١ ) والثانية تحدثت عن استئذان  
البالغين ثم انتهت بـ ( كذلك يبين الله لكم آياته والله عليم  
حكيم " ( ٢ ) والثالثة تحدثت عن زينة القواعد من النساء اللاتى  
لا يرجون نكاحا ، ثم هذه الآية التى اكلت الحكم فى تلك الآداب ثم  
انتهت بقوله تعالى " كذلك يبين لكم الآيات لعلكم تعقلون "

فكل الآداب والاحكام المذكوره فى هذا المقام آيات تشريع  
فيها البيان لس تأمل وتدبر وفهم وامثل ونفذ واتبع . .

وهى أيضا ليعقلها المؤمنون وَيُحْمِلُوا عَقُولَهُمْ ، فيها ويدركوا  
مراميها وأهداها الاجتماعية فيتبعوا الحق ولا يضلوا عنه . .

والله تعالى يبين لعباده فى تلك التشريعات بيانا شافيا ليتدبروها  
ويتعقلوها .

فمن خلال هذا العرض تبين لنا أن العقل هو المخاطب بتشريعات  
الدين وله المكانة الهامة فى فهم العبر والمواظ والوصول السـ  
العقائد عن طريق التأمل والتفكر . . وهو طريق الحق الهادى للإيمان  
الصادق .

---

( ١ ) النور ٥٨ .

( ٢ ) النور ٥٩ .

## المبحث الثاني

( دور العقل في فهم المعجزات )

المعجزة دليل لا يثبت النبوة والرسالة ، كما أنها برهان من الله تعالى لنصرة الرسل صلوات الله عليهم ، وتأيدهم أمام أقوامهم وهي كما سبق بيانه أمر خارق للعادة يظهره الله على مدعى النبوة تصدقاً له في دعواه ، وما أنها امر خارق للعادة فلا يمكن تفسيرها أو تعليلها بأي تفسير عقلي مقبول ، ولا تحليل علمي صحيح ، لأن المسألة لو كانت كذلك لأصبح ظهور هذا الأمر كسبياً يمكن لأي شخص يتعلم قواعد أن يفعله ، وهذا مما تفارق به المعجزة السحر ، حيث إنه قواعد وأصول يتعلمها السحرة ويمارسونها ويظهر منهم الأفعال العجيبة فيندعش لها غير العالمين بذلك العلم ، وكذا المخترعات العلمية فهي تجارب أجريت ووضعت لها قواعد مدروسة وكلما طبقت تلك القواعد واتبعت .. كانت النتيجة المطلهه .. وهكذا

وقد سبق في الفصل السابق تقرير ان دلالة المعجزة على صدق الرسول الذي أجريت على يد به عقلية .. حيث لا يملك الانسان القدرة على تفسيرها أو تأويلها ..

كما أن العقل يحار في تكيفها وعندئذ لا يملك الانسان الا التسليم بأن الذي اجراها على يد الرسول هو الله القادر الذي لا تقاس قدرته تعالى بمقاييس العقل البشري القاصر ، فمناطق فهم المعجزة ودلالاتها على النبوة هو عجز العقل وتسليم القلب ..



ويقتضى ذلك التسليم بصدق الرسول ، ضرورة الايمان بالحق الذي جاء به . . . والانقياد لدعوته . . . وفيما يلي بيان لذلك تمثيلا ببعض المعجزات : ففي تسليم السحرة وسجودهم بعد هزيمتهم أمام سيدنا موسى ، وإعلانهم الايمان " قالوا آمنا برب هارون موسى " فذلك لانهم - علميا - أكثر اهل عصرهم تفوقا في السحر ، وقد وصفوا موسى قبل بالعلم على لسان فرعون ملكه حيث قالوا : " قالوا ارجه وأخاه وأرسل في المدائن حاشرين بأثوك بكل ساحر عليهم " في موضع آخر " قالوا ارجه وأخاه وأبعث في المدائن حاشرين بأثوك بكل ساحر عليهم " (١) وقد كانوا واثقين بعلمهم في انهم سوف يهلبون موسى - ظنا منهم - أنه ساحر مثلهم - حتى طلبوا الأجر قبل أن يفعلوا شيئا وانكدوا غلبتهم بقولهم : " بعزه فرعون انا لنحن الغالبون " ولكن لما ألقى موسى عصاه فاذا هي تلقف ما يافكون ونصره الله عليهم ، وجدوا أنفسهم امام حدث حاولوا تفسيره ، هل تفوق موسى عليهم بعلمه في السحر ؟ !

لقد استبعدوا ذلك لانه ليس هناك اعلم منهم ، فهل يرجع هذا التفوق لموسى الى قدرته الشخصية ؟ ! لو كان كذلك لغلبوه بكثيرتهم ، ولم يجدوا تفسيراً لما حدث الا أن موسى صادق في نبوته ورسالته وأن ماظهر ليس من قدره موسى وانما بقدره الله الذي أجرى الحق على يديه . . . فسلموا وسجدوا بعد ان ألزموا عقلا بعد عجز عقولهم وسحروهم عن تفسير ما حدث وأقرت العقول بعجزها امام قدرة خالقها . . . لانهم

(١) الشعراء ٣٧ .

ألزموا الحجة وثبت عند هم صدق موسى فوجب الايمان به .

في اذعان بلقيس لدعوة سيدنا سليمان واتيانها اليه مُسَلِّمَةً مُنْقَادَةً  
 هَدَّيْتَهُ " قيل لها ادخلي الصرح ، فلما رآته حبيته لجة وكشفت عن  
 ساقبها قال إنه صرح معرود من قوارير ، قالت رب انى ظلمت نفسي  
 وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين <sup>(١)</sup> وكان نقل عرش بلقيس معجزة  
 لسيدنا سليمان إذ هلت بلقيس ، ولم يستطع عقلها تفسيرها ، وقد  
 أوتيت العلم بكمال قدرة الله تعالى وَصَحَّتْ نبوة سليمان .

ولذا لم تجد بُدًّا من التسليم والاعتراف " قالت رب انى ظلمت نفسي  
 وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين " وكان خضوعها هذا تابعا لسا  
 احست به من العجز والضعف امام ما أوتى سليمان من الملك والتأييد  
 من الله عز وجل ، فايقنت بأنه صادق في نبوته ومخلص في دعوته وأنه  
 ليس مجرد ملك، يبغي توسعة مملكته ولذا سلمت واذنعت عن طريق العقل  
 المفكر ، ووصلت إلى الصواب والحق واطمأن قلبها بالايمان .

وكذلك احياء الموتى وبراءة الاكثم والابصر والخلق من الطين طيرا  
 باذن الله بالنسبة لسيدنا عيسى عليه السلام معجزة له لم يستطع فهمه  
 تفسيرها او القيام بمثلها رغم تقدمهم في الطب والادوية ، حيث إن عيسى  
 عليه السلام كان يفعل ذلك بغير الادوية أو العقاقير ، وانما بالدعاء  
 الى الله وعند ما وقف القوم مكتوفى الايدي أمام هذه المقدرة غير العادية  
 لم يجدوا بدا من الاذعان والتسليم . فتفكرهم فيما رأوا هداهم الي

(١) النمل ١٤ .

أن ماجرى ليس من فعل عيسى ، وإنما من فعل الاله الذي دعاه عيسى . . .  
ولذا ألزموا الحجة ووجب عليهم الايمان . . . قال تعالى " اذ قال الله  
يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتى عليك وعلى والدتك اذ اهدتك بسروح  
القد من تكلم الناس فى المهدي وكهلا ، واذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراه  
والانجيل واذ تخلق من الطين كهيئة الطير يا ذنى ، فتنفخ فيها  
فتكون طيرا يا ذنى وتبرى الائمة والابصر يا ذنى ، واذ تخرج الموتى  
يا ذنى ، واذ كفت بنى اسرائيل عنك اذ جثتهم بالبينات فقال الذين  
كفروا ان هذا الا سحر مبين " ( ١ )

فتلك المعجزات دلالات عقلية وراهيس تلزم بالتصديق والايمان  
ليشاهد ها . . . وقد سبق بيان الدلالة العقلية لذلك .  
وها هو خاتم الرسل صلى الله عليه وسلم بالاضافة الى ماله  
من معجزات حسية لها دلالات هادية للعقل الى العلم بصدق الرسول  
وادراك الحق . . .

وما لمعجزته الخالده : القرآن الكريم من الزام العقل بالايمان  
لان العقل المتدبر للقران مهتد الى الحق والصواب ، والمسلم دائما  
واجد حاجاته العقلية والوجدانية والاجتماعية وكل ما يقيم حياته نفس  
القرآن الكريم . . . هذا بالاضافة الى ما فيه من اعجاز . . .

فان للرسول صلى الله عليه وسلم معجزه كالاسراء والمعراج وقد  
تحدث عنها القرآن الكريم كما تحدثت عنها السنة ففى صبيحتها اخبر

---

( ١ ) المائدة ١١٠ .

الرسول قوه بما رأى فسَخِرُوا منه ولم يصد قوه ظنا منهم أنه يكذب أو يهتدى ولكن الله منحه ما يشهد له بالصدق أمامهم ليلزمهم بالتسليم والتصديق ، فعندما سأله عن المسجد الأقصى ووصفه وكان الرسول قد وصل إليه لئلا فلم يستطع وصفه ، إلا أن الله تصد بقا لرسوله كشف له عن ذلك وهو في مكانه فاحاط بكل أوصافه ورآه رأى العين فوصفه له بدقه ، وما كان من اخبارهم بالقافلته التي ضل منها بعير . . . الى غير ذلك ، يقول الرسول صلى الله عليه وسلم . . . لقد رأيتني في الحجر وقريش تسألني عن سراي عن أشيا من بيت المقدس لم أثبتها ، فكرت كربة ما كربت مثله ، قال فرفعه الله لي أنظر إليه ، ما سألتني عن شيء إلا انبأتهم به . . . (١) ولما ثبت عندهم أنه أسرى به كما أخبرهم ادركوا الدلالة على صدقه ونبوته صلى الله عليه وسلم وسلموا بذلك مذعنين . . .

فمن خلال ذلك نرى ان المعجزه — كحدث يقع — امام جماعة لا يدركها الا العقلاء اما غيرهم من المذبولين او المعتوهين أو البله فهم لا يدركون ما فيها من دلالة على صدق الرسول . . .

ولذا فان العقل هو الذي يقرر أن ما راه معجز ودليل صدق صرهان . . . كما يتوصل الى أنه تأييد من الله صرهان . . . وانه يقسم مقام " صدق عدى فيما يبلغ عنى " فيحصل في العقل علم حادث مؤداه

(١) روه مسلم — باب الاسراء والمعراج ج ١ ط الشعب كتاب الايمان

ص ٤١٢ . والرداء بتكرير (نقله) .

أن هذا الرسول صادق فيما يبلغ وفيما يقول . . وكل صادق يجب  
اتباعه فهذا الرسول واجب اتباعه .

وهذا حق اهتدى اليه العقل ، واطمأن له القلب وسكنت  
اليه الروح حيث أن ما يحدث من خوارق لا يمكن تعليله إلا إذا تم  
ارجاعه الى القدرة الالهية .



## \* المبحث الثالث \*

## ( ارتباط العقل بالسلوك )

من الامور البدئية ان العقل رغم وجوده في الانسان الا انه

لا يعكس ادراكه بالحواس الظاهرة ، وانما يدرك بآثاره ومظاهره . . .

مثاله في ذلك مثل الكهرباء - كقوة موجودة - فهي لا تـرى

ولا تدرك بأي وسيلة ادراك ولكن تدرك بآثارها . . . فاذا كان الصباح

الكهربى مضيقا علمنا بان الكهرباء موجودة ، اما اذا انطفأ فنعلم ان

الكهرباء ليست موجودة في الاسلاك ، فكيف حكمنا عليها بالوجود

او العدم ؟ كان حكمنا بذلك تابعا لادراكنا آثارها في الاضائة أو عدمها .

كذلك اذا رأيت شخصا يقوم بأعمال غير لائقة أو بهيذى بكلام غير

مفهوم فاننا نحكم عليه بأنه شخص غير عاقل أى لا عقل له يميزه بين الخطأ

والصواب واذا وجدنا شخصا هادئا متزنا في سلوكه العام وقلامه ، منظما

في تفكيره ، حكمنا عليه بأنه شخص عاقل . . . أى له عقل .

فعلى أى اساس <sup>حكمنا</sup> ~~حكمنا~~ بعدم وجود عقل الاوّل وعدم سلامته ، وحكمنا

بوجود عقل الثانى واتزانه ؟ ان حكمنا مبنى على اسلم مظاهر العقل

وآثاره في سلوك الشخص لما بينهما من ارتباط وثيق وتين .

فسلوك الشخص ان هو الدال على العقل وجودا أو عدما وصحة

او مرضا ، يقول مولفوكتاب علم النفس التربوى عن ذلك الارتباط : " هناك

اعمال جسامية ، واعمال معنوية عقلية ، وان هناك رابطة وثيقة بين هذه

وتلك • وان الرابطة بينهما متينة جدا • فلا يصدر عمل عقلى الا ووضحيه  
اثر أو عمل جسمانى • كما انه لا يحصل من شخص عمل جسمانى الا ووضحيه  
اثر عقلى ••

وتظهر هذه الرابطة فى أننا نحقق رغباتنا باعمالنا المادية • وأن آثار  
وجد اننا تظهر على وجوهنا • وأن شعوروا وجد انها عنيفا قد يميت • وأن  
التفكير مد • طويلة يتعب العقل ويحبب الصداق • ويومى الى الممرض  
وان فكره سارة قد تشفى علها • فى حين أن أخرى سيئة قد تسبب المرض • (١)

فأعمال الانسان وسلوكه يتبع فكره وما يعتقد • والمقتضيات العقلية  
فى السلوك السوى هى عنوان الانسان المتزن العاقل •• فمثلا إذا توقع  
الانسان خطرا فى المستقبل وتوصل بعقله الى ذلك فما يقتضيه العقل  
عندئذ الاحتياط والاستعداد لمواجهة هذا الخطر • والتزود بما يدفعه  
عنه ويمنعه منه • والا كان ناقص العقل وغير جاد فى تفكيره أو استنتاجه  
فاذا علم الانسان بعقله انه لانجاه الا لمن آمن وعمل صالحا • ثم كفر مع  
علمه بذلك كان ناقص العقل ••

وقد اعطى القرآن الكريم نماذج لذلك الارتباط بين العقل والسلوك  
فقال تعالى حاكبا عن الكفار : قال تعالى " يا ايها الذين لا تتخذوا  
الذين اتخذوا دينا منكم هزوا ولعبا من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم • والكفار  
اولياء • واتقوا الله ان كنتم مؤمنين • واذا نادىتم الى الصلاة اتخذوها  
هزوا ولعبا • ذلك بأنهم قوم لا يعقلون " (٢) فهو لا • قد سلكوا تجساه

(١) الجراسى وأخريين علم النفس التربوى ج١ ص٧٦ بتصرف •  
(٢) المائدة ٥٧ • ٥٨ •

الاسلام مسلكا كله سخرية واستهزاء\* وعند النداء للصلاة بهالغون فسى  
سخرتهم هاذلك الاسباب انهم ليعقلون لان مايقصون به من عمل يدل  
على عدم عقلهم ..

فلا يعقلون معانى عبادة الله وشرائعه وهذا الذى يفعلون من  
أفعال السفهاء والجهلة وكأنهم ولا عقل لهم ، يقول الألوسى : \* ذلك  
بانهم - اى بسبب انهم قوم لا يعقلون فان السفه يوصى الى الجهل  
بمحاسن الحق والهزء به ، ولو كان لهم عقل فى الجملة لما اجتروا على  
تلك العظيمة .. ، يقول الرازى : اى لو كان لهم عقل كامل لعلموا  
ان تعظيم الخالق المنعم وخدمته مقرونة بخاتمة التعظيم .. (١)

ففى هذه الآيه ربط بين السلوك والعقل ، حيث بين انهم لا يعقلون  
ولذا سلكوا هذا المسلك الشائن وهو الاستهزاء بالنداء للصلاة وكان  
الواجب عليهم أن يؤمنوا بالمنعم الخالق لان هذا هو مقتضى العقل  
وكونهم مصرين على الكفر دل هذا على ان عقولهم سترتها الأهوا  
وسيطر عليها التعصب فتجمدت وتعطلت عن التمييز بين انواع السلوك اللائق  
من وغيره ..

وقال تعالى : \* ان الذين ينادونك من وراء الحجرات اكثر هم  
لا يعقلون \* (٢) فقد نزلت هذه الآيه فى اعراب بنى تميم ، قدم الوفد  
منهم على النبى صلى الله عليه وسلم فدخلوا المسجد ونادوا على النبى

(١) انظر القرطبي ج٥ ص٢٥٠ - ٢٢٣ ، ابن كثير ج٢ ص٧٢ والكشاف  
ج١ ص٦٢٤ ، النسفى ج١ ص٢٩٠ ، الالوسى ج٦ م٢ ص١٧٢ ، الفخر  
الرازى ج٣ ص٤٢٣ ، (٢) الحجرات ٤ .



صلى الله عليه وسلم من وراء حجراته أن اخرج اليها فان مدحنا زكراً  
وذمنا شئين ، وكانوا سبعين رجلاً . . وكان النبي صلى الله عليه وسلم  
نام للقائلة \* (١) .

فهنا حكم بنقض عقولهم لمنافاة سلوكهم لمقتضى العقل من الالتزام  
بآداب الاسلام ، ونفى العقل عنهم تبعاً لسلوكهم تجاه الرسول  
صلى الله عليه وسلم ، ولو أنهم صبروا حتى تخرج اليهم لكان خيراً  
لهم .

من خلال ذلك يتضح الارتباط بين العقل والسلوك . . وقد  
يكون توقف العقل مؤقتاً - كما يحدث في حالات الانفعال الشديد  
كحالات الغضب ، أو الفرح الشديد .

ففي تلك الحالات قد يسلك الشخص سلوكاً غير واع لا يقره ولا يرضاه  
في حالة الهدوء . . فمثلاً في حالات الفرح الشديد نرى ان الشخص  
الفرح يفرح أو يضحك أو يرقص بينما وهو في هدوءه لا يضحك لنفسه ان يفعل  
شيئاً من ذلك . . والغاضب أيضاً يقوم باعمال ينفر منها في هدوءه يستنكرها  
عقله ، وينفر منها طبعه . .

وسيدنا موسى عليه السلام لما رجع الى قومه ووجدهم يعبدون المجل  
غضب غضباً شديداً وسلك سلوكاً في حالة الغضب يدل على ان انفعاله  
أوقف عقله عن التمييز ولما هدا انفعاله سلك عكس المسلك الأول ، يقول

---

(١) تفسير القرطبي ج٦٧ ص ٦١٢٨ .

الله تعالى حاكها تلك الواقعة : " ولما رجع موسى الى قومه غضبان اسفا ، قال بثسما خلفتموني من بعدي ، اعجلتم امر ربكم ، والقيس الا لواح ، واخذ برأس أخيه يجره اليه ، قال ابن ام ان القوم استضعفوني وقاتوا يقتلونني فلا تشمت بي الاعداء " لجعلني مع القوم الظالمين " (١)

فسيدنا موسى عليه السلام غضب بشده و أسف لعبادة قومه العجل في ثورة الانفعال يجر اخاه هارون من رأسه ولحيته . ولقى الا لواح التي في يده . بينما عندما تهدأ ثورته يسكن غضبه وتهدأ نفسه ويعمل العقل يفهم موقف أخيه ، يعود فيجمع الا لواح التي القاها " ولما سكت عن موسى الغضب أخذ الا لواح " بعد أن هدأ .

هذا الامر ما الحليم والدعوه الى نظم الغيظ عند الغضب واعتبار ذلك من مكارم الاخلاق الا لتتاح للعقل فرصة التفكير وضبط السلوك ازاء الموقف الذي حدث .

كما تبين لنا ان هناك ارتباطا بين العقل وتحرره من الاهداء ، وبين الايمان في سائر الرسالات السماوية .

فالرسول يبلغ والعقل يجادل ويتأمل يفكر ، ويرجح ويناقش ليصل الى وجود الخالق وصدق الرسول المبلغ ، وينهزم امام المعجزه ليسلم وينقاد صطمش القلب فيسلك سلوك المؤمنين ويلزم اعمال المسلمين من

(١) الاعراف ١٥٠ .

التسليم والاذعان بما جاء به الرسول ، والعقل كما أنه سهيل التصديق  
فهو أيضا مناط التكليف وأساس المسئولية التي لا تكون الا عن عمل  
وسلوك قائم على العقل . .

---

نتيجة هذا الباب و خلاصته :

بعد أن انتهت هذا الباب نخرج منه بالنقاط الآتية :

١ - معاني العقل : دارت معاني العقل ، ومدلول هذه اللفظة  
" عقل " حول كونه القوة المدركة العالمة التي ميز بها الله  
الانسان عن سائر الحيوان ، وأنه هو العلم ، وقد اختلفت  
تعبيرات العلماء عن العقل ، الا أن الجميع قد اتفق على أنه  
القوة الناطقة المفكرة في الانسان التي بها ادراك المعلوم وهو غريزي  
أو مكتسب .

وأن هذا العقل اختلف في محله فقال جماعة : ان محله الدماغ  
وقال آخرون ان محله القلب ، وهو وظيفة من وظائفه ، وكون محله  
القلب لا ينفي علاقته بالدماغ ، فهناك اتصال عضوي بينهما على ما سبق  
بيانه . .

٢ - كما تبين لنا المظاهر العقلية في عملية تبليغ الرسل صلوات الله  
وسلامه عليهم الدعوة ، الى أقوامهم ، فالجدل من ابرز مظاهر  
العقل وهو أيضا من وسائل تبليغ الدعوة ، فقد تبين أن جميع الرسل  
جودوا وعرضوا ، وردوا بمنتهى الفطنة جدل أقوامهم واظهروا الحق

---

وألزموا مجاد ليهم الحجة . .

كما اعتمد رسل الله على العقل أيضا عندما نبهوا القوم الى مظاهر  
النعمة الالهية عليهم وتأمل ثمارا لقدرة والعلم والوحدانية . . فاعتمدوا  
على آيات الله الكونية ومظاهر عظمتها داعين العقل الى التأمل والتدبر  
كما زود الله رسوله بالمعجزات كأدلة حسية وعقلية يراهين على صدق  
الرسول فيما يبلغون عن الله تعالى . . لعجز القوم عن الاتيان بمثلهما  
أو معارضتها . . فالحجة بالمعجزة على أساس عجز العقل عن تفسيرها  
أو تحليلها أو معارضتها . .

كما تبين لنا أيضا أن النماذج البشرية التي صادفت الرسل ومعارضهم  
كلها متشابهة - وكلهم اصحاب هوى وجاءه ، وأولئك قد جمدا وعقولهم  
واغلقوها فلم يتدبروا قولا ، ولم يسمعوا نصحا . .

وهذه النماذج تتكرر في كل العصور مما يتطلب مهارة خاصة من الدعاة  
في تبليغهم الدعوة . .

وقد لاحظنا ذلك كله على امتداد تاريخ الدعوة من لدن نوح النبي  
سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .

ونضيف هنا أن هذه المظاهر العقلية لم تنته بانتهاء زمن النبوات  
والرسالات ، بل هي ممتدة الى يوم القيامة لأن الطبايع البشرية لا تختلف  
والمبول والاهواء لا تتغير ولو كان ثمة تغيير لظهر على مدى زمن الرسالات

ولكن الجد ل موجود والمجاد لين موجود ون ، ولا تزال آيات الله متجددة مجال التأمل فيها كبير ، والداعية الناجح هو الذي يجسد الاعتماد على ذلك في دعوته . .

كما أن النماذج البشرية موجودة وعلى الداعية أن يحالج كل نموذج بما يصلحه ، ويرغبه في الايمان ، وهذا مما يتطلب تفوقا عقليا خاصا للداعية .

٣ - كما تبين كذلك أن حقائق الايمان ودقائقه تدرك بالعقل الحس غير المتعصب : فهو المتعرف على ما يجب لله مما يجوزها يستحيل عليه ، وهو الواصل الى حقيقة صدق الرسالات والرسول المهتدى الى الحجة والدليل والبرهان ، كما أنه وسيلة الوصول الى حكمة ما فس التشريعات الاسلامية من مصالح البشر الافراد والجماعات . وهو كذلك المدرك لما في المعجزات من دلالات وارشادات .

فالعقل اذن له دوره في فهم الدين كعالم وتوجيهات ، كما ان له الاثر الكبير في مرونة الدعوة وقابليتها للتطبيق الى يوم القيامة ، كما تبين لنا مدى اسهام العقل كقوة مودعة ، في عملية التبليغ والدعوة الى الله . . حيث اعتماد الرسول صلوات الله عليهم ، عليه في دعواتهم و مناقشاتهم وجد الهمة في كثير من المواقف وهو ركيزة للدعاة مع الفطرة السليمة الى يوم القيامة . ولأن الفطنة شرط عقلي للدعاة يجب اعتباره في عملية التبليغ وذلك ما سيوضح لنا ، وتبينه ان شاء الله تعالى في الباب الثاني من البحث حيث يتضح لنا فيه مدى العلاقة الوثيقة للعقل بالدين ، ومدى علاقته بعملية التبليغ والنشر ومدى اعتماد ذلك على العقل ، ومدى تمسك الدعاة بالجانب العقلي في التبليغ والدعوة الى الله . .



# ألباب الثاني

---

## علاقة العقل بالدعوة إلى الله .

---

ويشتمل على :-

تقديم .

- مجتث تمهيدى فى بيان معنى الفطرة والدعوة
  - الفصل الأول : مكانة العقل فى الدعوة الاسلاميه ورعايته
  - الفصل الثانى : أثر العقل فى الدعوة إلى الله ووسائلها
  - الفصل الثالث : من آثار العقل وعلاقته بالوحى
-

## ( تقديري )

انتهى بنا الحديث في الباب الى تحديد معنى العقل و ابراز ماله من دور في عملية تبليغ الدعوة ، في الرسائل القديمة و ابراز السمات العقلية بينها و اتفاق رسالته سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم مع تلك الرسائل السماوية السابقة على بحثته ، و قد برز واتضح ماله من دور في الوصول الى حقائق الايمان بادراك دلالات المعجزات العقلية للرسول و فهم المواعظ صو اطن الاعتبار في الأخبار ، و كذا معرفة مراسم الأوامر والنواهي من الحكم الجليلة والتوجيهات السامية . . فبدوه ذلك الى ضبط السلوك و تمييز الخطأ من الصواب ، و الحق من الباطل . وهذا هو دور العقل في كيان الانسان .

في هذا الباب الذي نحن بصدده بيان لمدى رعاية الاسلام للعقل كقوه موجودة في الكيان الانساني . . فنراه أنه قد كرمه و وضعه في مكانه اللائق به في المعرفة بعقيدته ، و وضع له من التشرهات ما يصونه و يحفظه من الخطأ و الزيغ ، كما لم يرهقه بالتفكير في القضايا التي لا تستطيع الوصول اليها أو ادراك حقيقتها بل جعل سبيل معرفتها مقتضى الايمان و التسليم و ذلك بجعل جزء من العقيدة سمعيا حتى لا يشعر العقل بالايجاب أو العجز .

و اذا وتف الاسلام من العقل <sup>هذا</sup> الموقف العظيم من الرعاية و التوجيه و العناية به و صانته . . و دعاه الى الفكر الحر والمنطق السليم الموافق للفطريه ما هذا الا لهدوه ذلك النوع من الفكر والاجتهاد والبحث والاستنباط و فهم مقاصد الشريعة ليعتمد عليه كمصدر للتشريع في القضايا التي لم يفرها

نص حسب قواعد الاجتهاد والمعروفة ، وهذا العقل الاسلامى لسه  
ارتباط وثيق بكل وسائل الدعوة ، فكل وسيلة فيها جانب عقلى يختلسف  
جلاء أو خفاء حسب نوع الوسيلة وطبيعة المدعوين كما سيتضح ذلك بعد .

ولعقل الداعية بالذات وفطنته دور هام فى تحديد نوع الوسيلة  
الملائمة لطبيعة المدعوين هدى استخدم العقل فيها كقدر مشترك بينه  
وبين المدعوين - وذلك حسب الحالة النفسية لكل طائفة .

كما سيتضح مدى الارتباط الوثيق بين العقل والوحى والتوافق الفطرى  
بينهما ، وإبراز العلاقة بينهما . هانجم عن اختلال تلك العلاقة من  
تقدم العقل على الوحى ويجعله حاكما على الشرع حسب الاهواء والميول  
وهى الفرقة والضلالات التى كانت ، وتعدد الفرق وزيع عقائدها ، ورواج  
البدع والباطيل بين المسلمين .

فى اطار هذه الفرقة وانتشار تلك الباطيل ، كانت الفرقة التاجية  
التي ردت بالعقل والمنطق والشرع والنص على كل تلك المجادلات . . فكانت  
المناظرات والمحاورات ، وكانت ثورة فكرية محاطة بنور الشرع وهدايته وذلك  
أثرى الدعوة اثراء فكريا هائلا . . ثم مدى حفظ الشرع للعقل من ان تضع  
طاقته وتهدى بها فى غير ما منفعه فمد أبواب الجد لغير المشر .

فالدعوة الى الله بوسائلها المتعددة يربطها رباط العقل المهتدى  
بنور الحق وتهدف الى سعادة البشرية بتصحيح مسار الفطرة السوية  
النقية ، وتخليصها من الشوائب التى تعلق بها ، فتلك الفطرة وضعها  
الطبيعى ان يتوافق العقل مع الوحى ويؤيد كل منهما الآخر . . وهذه  
مهمة الدعوة والدعاة .



ولأن الأصل في الدعوة هو تنقية الفطرة من شوائب الهوى وإعادتها  
إلى طبيعتها السوية وتوثيق الصلة بينها وبين الشرع .. كان من  
المناسب أن أصدر هذا الباب بمبحث تمهيدى لبيان معنى الفطرة  
والدعوة ، ليتحدد المعنى ويتضح المراد به عند قوّره خلال البحث  
في هذا الباب ..

مختصر هذا البحث

” مبحث تمهيدى ”

( معنى ” الفطرة ” و ” الدعوة ” )

لأن هذا الباب الذى نحن بصدده سوف نعرض فيه لعلاقة العقل بالدعوة من حيث رعايته وتوجيهه الى سبل الصواب ، وأن تلك التوجيهات تصل بالانسان الى السعادة والاستقرار لموافقها فطرته التى فطره الله عليها كان من اللازم ابضاح معنى كل ” الفطره ” و ” الدعوة ” والمقصود بهما لتكون على بينه فى البحث والاستنتاج . حيث ان الايمان له فى الانسان ركيزتان اساسيتان هما العقل والفطرة . . . وقد سبق بيان معانى العقل فى فصل خاص . . . فنحن الآن اذن بصدده معنى الفطرة والدعوة .

أولا : الفطرة :-

فالفطرة فى اللغة هى الخلق ، وفطر الله الخلق : بدأهم . . . قال ابن عباس : كنت لا أدرى ما فاطر السموات حتى أتانى اعرابيان يختصمان فى بئر فقال أحدهما : أنا فطرتها ، أى ابتدأتها . . . والفطرة جمعها فطر . . . ( ١ ) فى المعجم الوسيط : ” الفطرة . . . الخلقة التى يكون عليها كل مخلوق أول خلقه ، والطبيعة السليمة . لم تشب بعيب ، وفى التنزيل العزيز ” فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبدل لخلق الله . . . ”<sup>(٢)</sup> والفطرة السليمة فى اصطلاح الفلاسفة : ” استعداد لاصابة الحكم والتمييز

١ - انظر مختار الصحاح ١٨٦ ص ، وترتيب القاموس ج ص ٥٠٣

٢ - الاصل فى الفطرة هى الامعة ولذا قال ابو الوضوء ثابري رحمه الله « لربنا كبر معنى الفطرة والىها ص ٩٥ »

بيس الحق والباطل . . والفطرية : القول بان الافكار والمبادئ جيلية  
موجودة في النفس قبل التجربة والتلقين " (١) . .

في قول الله تعالى : " فاقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي  
فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن اكثر الناس  
لا يعلمون " (٢) وردت " الفطرة " ولها نفس المعاني السابقة . .

ففي تفسير الكشاف : " . . والفطرة الخلقه ، الا ترجمت قوله  
لا تبديل لخلق الله ، والمعنى انه خلقهم قابليين للتوحيد ودين الاسلام  
غير نائين عنه ، ولا منكرين له ، لكونه مجاوبا للعقل مساوقا للنظر الصحيح  
حتى لو تركوا لما اختاروا عليه دينا آخر ، ومن غوى منهم فباغوا شياطين  
الانس والجن منه قوله صلى الله عليه وسلم عن ربه " كل عبادي خلقت حنيفا  
فاجتالتهم الشياطين عن دينهم وامرهم ان يشركوا بي غيري " (٣) وقوله  
" كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون ابواه هما اللذان يهودانه وينصرانه<sup>(٤)</sup>  
لا تبديل لخلق الله اى ما ينمى ان تغير تلك الفطرة او تبديل " فالفطره  
هنا القابلية للتوحيد والاسلام ، وقد فسر الفطره بانها هي الاسلام . . (٥)  
وقد روى النسفي قول الزجاج : ( معناه ان الله فطر الخلق على الايمان  
به على ما جاء في الحديث : " ان الله اخرج من صلب آدم كالذر واشهدهم  
على انفسهم بأنه خالقهم " ) فقال واذا اخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم

- (١) المعجم الوسيط ج٢ ص٦٩٤ . (٢) سورة الروم ٣٠ .  
(٣) رواه مسلم في صحيحه ج٤ ص١٦٦ طبع  
عنه ص١٦٦ طبع  
(٤) رواه مسلم في صحيحه ج٤ ص١٦٦ طبع  
البيان ص١٦٦  
(٥) انظر الكشاف ج٣ ص٢٢٢ ، ابن كثير ج٣ ص٤٣٢ والنسفي ج٣ ص٢٧٢ .

الى ان قال " بلى " وكل مولود من تلك الذرية التي شهدت بان الله خالقها ، فمعنى فطرة الله : دين الله . . . " ويذكر القرطبي في تفسيره عدة اقوال لمعنى " الفطرة " : فقال في معنى " الفطرة " في الآية : " قيل معنى ذلك اتبعوا دين الله الذي خلق الناس له . . . وسميت الفطرة ديناً لأن الناس يخلقون له ، قال تعالى " ما خلقت الجن والانس الا ليعبدون " .

فالمراد هنا بالفطرة : الدين ، ويقول : " واختلف العلماء فى معنى الفطره المذكور فى الكتاب والسنة على أقوال متعددة منها : الاسلام قاله ابو هريره وابن شهاب وغيرهما وقالوا : وهو المعروف عن السلف عامتهم ، من اهل التأصيل وقال آخرون : الفطرة هى : الهداية التى ابتدأهم الله عليها ، أى ما فطر الله عليه خلقه من أنه ابتدأهم للحياة والموت والسعادة والشقاء ، والى ما يصيرون اليه عند البلوغ قالوا الفطرة فى كلام العرب : الهداية ، والفاطر المبتدى " وهناك من فسرها بأنها سابقة السعادة والشقاوة ، الا أنه قال عن التفسير المذكور هذا يلبق بالفطرة المذكورة فى القرآن لأن الله تعالى قال : " لا تبدىل لخلق الله " . . . وقال طائفة من أهل الفقه والنظر : الفطرة هى الخلقه التى خلق المولود عليها فى المعرفة بربه وكأنه قال كل مولود يولد على خلقه يعرف بها ربه . . .

ويذهب القرطبي الى ان الفطرة معناها العقل فينقل فى تفسيره : " قال ابن عطية والذي يعتمد عليه فى تفسيره هذه اللفظة " الفطرة " أنها الخلقه والهبة التى فى نفس الطفل التى هى معدة وهبة لأن يميز بها

مصنوعات الله تعالى ويستدل بها على ربه ويعرف شرائعه ويؤمن به  
فكانه تعالى قال أقم وجهك للدين الذي هو الحنيف ، وهو فطيرة  
الله الذي على الاعداد له فطر البشر لكن تعترضهم العوارض ، ومنه  
قوله صلى الله عليه وسلم : " كل مولود يولد على الفطرة فابواه يهودانه  
او ينصرانه ويمجسانه " فذكر الابن انما هو مثال للعوارض " ( ١ )

وقد استعمل لفظ " الفطرة " أيضا في الحديث بمعنى الدين ، أو الاسلام  
وقد روى الامام مسلم رضى الله عنه في حديث الاسراء قول الرسول صلى  
الله عليه وسلم : جئني جبريل عليه السلام باناء من خمر وانا من لبن  
فاخترت اللبن فقال جبريل : صلى الله عليه وسلم : " اخترت الفطرة " ( ٢ )

ويعلق النووي بشرحه : " فسروا الفطرة هنا بالاسلام والاستقامة  
ومعناه - والله اعلم - اخترت علامة الاسلام والاستقامة ، وجعل اللبن  
علامة لكونه سهلا طيبا سائغا للشاربين سليم العاقبة " ( ٣ )

كما روى البخارى : " هي الفطرة انت عليها وامتك " ( ٤ ) كما  
يروى ايضا " ما من مولود الا يولد على الفطرة فابواه يهودانه او ينصرانه  
او يمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة هل تحسون فيها من جدعاء ؟ " ثم  
يقول ابو هريرة رضى الله عنه " فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل  
لخلق الله ذلك الدين القيم " ( ٥ )

- 
- ( ١ ) تفسير القرطبي ج ٦ ص ٥٦٠ - ٥١١٠ بتصرف ط الشعب .
  - ( ٢ ) رواه مسلم عن شيبان كتاب الايمان باب الاسراء برمول الله صلى الله عليه وسلم ج ١ ص ٣٨٨ .
  - ( ٣ ) شرح النووي على مسلم ج ١ ص ٣٨٨ ( ط الشعب ) .
  - ( ٤ ) رواه البخارى من حديث الاسراء عن ابي هذبه بن خالد باب المعرج ج ٥ ص ٦٦ ط الشعب .
  - ( ٥ ) رواه البخارى عن عیدان من حديث ابي هريرة ج ٢ باب اذا اسلم الصبي فمات ص ١١٢ ط الشعب .

كما روى أيضا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا أصبح قال  
أصبحنا على فطرة الاسلام وكلمة الاخلاص ، ودين نبينا محمد صلى الله  
عليه وسلم وملة آبينا ابراهيم حنيفا مسلما " (١) .

وقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم رجلا اذا أخذ مضجعه أن يقول :  
اللهم أسلمت نفسي اليك ، ووجهت وجهي اليك ، وفوضت امري اليك  
والجأت ظهري اليك ، لا ملجأ ولا منجأ منك الا اليك آمنت بكتابك الذي  
أنزلت فيه الذي أرسلت . فان مات مات على الفطرة " (٢)

ويعلق ابن حجر على حديث الاسراء " ثم اتيت باناء من خمرة  
فقال : هي الفطرة التي انت عليها هرامتك - اي دين الاسلام قال  
القرطبي يحتمل أن يكون سبب تسمية اللبن فطرة لأنه اول شيء يدخل بطن  
المولود ويشق أمعاءه ، والسرفى ميل النبي صلى الله عليه وسلم اليه  
دون غيره لكونه مألوا له ولأنه لا ينشأ عن جنسه مفسده " (٣) فيراد بالفطرة  
طبيعة الانسان الاصلية مجردة عما لحقها من شوائب المادة وسوءات الهوى .

فالفطرة عبارة عن ملكات الحس والفكر والوجدان في الانسان وهى  
مستودع اليقين ، بل انها باحثة عنه لاترضى بغيره بدلا ، ان الانسان  
ساعة يؤمن ايمانا حقيقيا يشعر بحلاوة الايمان ولذة الرضا وسعادة

---

(١) رواه الدارمي من حديث محمد بن يوسف كتاب الاستئذان باب مايقوله

اذا أصبح ج٢ ص٢٩٢ .

(٢) الدارمي باب الدعاء عند النوم ج٢ ص٢٩٠ .

(٣) فتح البارى بشرح صحيح البخارى لابن حجر ج١٥ ص٦٥ ط الكليات

الازهرية .

المعرفة والوصول لأنه وصل الى حاجات فطرته الصحيحة أما غير المؤمن فإنه قلق متألم مريض شقى لأنه بعدم الايمان يعاند الفطرة ويبعد عن منهج سعادتها الذي لا يمكن تبدل به او تغيير أثره في فطرة الناس . . . (١)

من الذين عَرَفُوا الفطرة بانها العقل صاحب كتاب المعرفة العظمى فيقول " العقل السليم العارف بقصوره كان يلجأ الى تصحيح منطلقه بقس من نور قلبه وفطرته السليمة . لاسيما وأن المعارف مفروشة في الاصل فطرة من الله ، والتلقين والدرس والتعليم أمور اذا أضيفت الى ما في الفطرة من لمح تلقائى للمعرفان تفيد المعقولات والمعلومات وتثبتها وتوسعها لانها أصلا كلها جاءت عن هذا النبع نبع الالهام قبل الكتب والعلم .

كما يرى ان الفطرة هي العقل الباطن حيث انه الفطرة المودعة في الانسان ، كما أن المعرفة درجة من اليقين جعلها الله في قلبه خلقه . . . (٢) . . .

فالاصل ان الله خلق عباده على الفطرة التي ان تركت على سجيتهما عرفت الحق وهملت به لانها جبلت على الصحة في الادراك وفي الحركة ، لذلك يأتي دور الرسل عليهم السلام بتكميل الفطرة الانسانية لا بتغييرها ، قال تعالى " سنريهم آياتنا في الافاق وفي انفسهم . . . "

(١) د / أحمد غلوش اصول الدعوة ص١٤٤ مطبعة دار البيان سنة ١٩٧٩ .

(٢) محمد ابو الفيض المشوفى-المعرفة العظمى ص٦٢ ، ص٢٢٦ ، ص٢٣ بتصرف

شديد .

وهذا التطابق والتوافق بين آيات الله تعالى في الآفاق والانفس مع الآيات السمعية القرآنية ، لأن القرآن الذي أخبر به عباده حق فتتطابق الأدلة البرهانية القرآنية والبرهانية المعانيية ، ويتصادق موجب الشرع المنقول والنظر المعقول " (١) .

فالفطرة هنا يراد بها توافق العقل والشرع والتصالق بين موجب العقل والنقل . . . فالدين فطرة الانسان ، والفطرة موافقة العقل للشرع ، فالدين هاد للعقل من الجنوح والجمود والتهور والسلبية في الاخلاق والعلم والسلوك . . والفطرة مشتركة بين جميع البشر " (٢) .

وعلى هذا فالفطرة ركيزة من أهم ركائز الدعوة في الانسان ، بل تكاد تكون اهمها على الاطلاق ، وقد دارت معانيها حسبما اتضح من العرض السابق حول المعاني الآتية :

في اللغة : دار حول معنى " الخلقه " والطبيعة التي خلقها الله قبل ان تشوبها الشوائب ، السليمة من العيوب . .

في الشرع : في استعمالات القران والسنة دارت حول المعاني الآتية :  
أ - بمعنى " الدين " كما في حديث النبي صلى الله عليه وسلم " اصبحنا على فطرة الاسلام " اي على دين الاسلام .

---

(١) د / مصطفى كمال حلمي منهج علماء الحديث والسنة من اصول

الدين ص ٢٢٥ ، وانظر ابن تيمية كتاب منهاج السنة ج١ ص ٨٢

(٢) د / حسن الشرقاوي نحو تربية اسلامية ص ٥٩



ب - بمعنى " الاسلام " نفسه ، كما في أحاديث الاسراء " اختبرت  
الفطرة " اى اخترت الاسلام .

ج - بمعنى " العقل " كما فسرها القرطبي بذلك حيث ان المراد  
بها هو ما خلق الله من الادراك والتمييز في الانسان . . . فهى  
الخلقة والهيئة التى فى نفس الطفل التى هى معدة مهياة لان يميز  
بها مصنوعات الله تعالى ويستدل بها على ربه . . .

كما رأى البعض انها عسارة : عن موافقة العقل للنقل ، أو أنها  
هى : القابلية للتوحيد والعبادة .

ولامانع من كل ذلك ففوة التمييز والادراك مودعة فى الانسان من  
ساعة خلقه ، فتلك فطرة سوية جعلها الله وسيلة للمعرفة والادراك وهذا  
العقل هو الفطره قبل ان يتأثر بالهوى والضلال والمؤثرات الخارجية .  
ولما كان بارى العقل بنقاوته هو المشرع الآمر الناهى توافق ديبه  
الذى هو الاسلام بما فيه من تعاليم واسلام قلب وجوارح مع العقل السوى  
الحر .

وهذا التوافق اضفى على الانسان طمأنينه وسكينه حتى تمسوا  
الجميع صار كالتى الواحد واطلق الاسلام على الفطره ، والفطره على  
الاسلام . . .

والرسل والدعاء مهمتهم تنقيه الفطره مما شابهها من الأهواء المبعده  
لها عن الايمان وتحريرها من الجمود وما اصابها فهم ليسوا منشئين

لشيء غريب عن النفس محاولين توفيقه معها ، لوضع فيها ، وإنما هم  
مظهرون للنفس منقون لها مما شابهها ليرسخ فيها الحق الذي هو  
فطرتها .

الفطرة ووجود الله تعالى : مما لا شك فيه أن الاحساس بوجود الله تعالى  
احساس فطري ، حيث ان الشعور بالمعجز امام قوة عظمى مركب انساني  
فالانسان بطبيعته العاجزه بحسب قوة تقهره وتسيره <sup>ك</sup> ولذا فقد بدأ  
ببحث عنها وتصورها <sup>ك</sup> وهذا ما اتضح على مدى تاريخ البشرية  
فالفلاسفة يبحثون فيما وراء الطبيعة . .

فمن قال لهم ان وراء الطبيعة شيئاً ؟ <sup>ك</sup> وعباد الاصنام والكواكب  
والاجرام ، والحيوانات . . ما الداعي لهم الى ذلك؟ ان هذه المعبودات  
لم تجبر عابد بها على عبادتها ، كذلك لم تجبر الطبيعة الفلاسفة  
على أن يبحثوا فيما وراءها . . ولكن الجميع يحاولون تلبية احساسهم  
بوجود قوة عظمى مسيطرة مهيمنة على الكون متصفة بكل كمال ومنزهة  
عن كل نقص . . . اذن ففطرتهم ووجدانهم يقر ويعلم أن هناك شيئاً  
وراء الكون ، وليس من الممكن ان يكون الكون لحاله . . فلا بد ان يكون  
هناك خلف الطبيعة <sup>خالع</sup> فبحثوا ووجهوا فكرهم الى ما وراء الطبيعة .  
صحتهم عن دليل على وجود الله شهادة فطرية على انهم آمنوا  
بأن هناك لها موجودا يريدون ان يستدلوا عليه .

اذن فالذى دعا العقل للبحث عن الادلة على وجود الله انما

هو الايمان الوجدانى المركز في النفس " (١) .

يقول الاستاذ العقاد : " لما ظهرت الادهان الموحدة كان

الجدل في صفات الله أكثر وأعنف من الجدل في وجوده فقضى اللاهوتيون  
زمننا وهم لا يشعرون بحاجة الى اقناع أحد بوجود خالق لهذه المخلوقات  
ولم يشعروا بهذه الحاجة الا بعد اختلاط العقائد الدينية بالآراء الفلسفية  
صناعتهم للمقاطعة والمفلسفين في صناعة الجدل والبرهان " (٢)

عبادة هذا الاله المدرك بالفطرة تلبية لمطالبها " واذ كانت  
روح التعبد فطرة في الانسان فانه اذا أدى العبادة لله تعالى فقد استجاب  
لنداء الفطرة وحقق مطلبها من مطالبه الروحية ، وذلك يكون قد حقق  
لنفسه نوعا من السعادة لأن الانسان يشعر بذلك بأنه متصل بخالقه  
وأنه قد أدى واجبه نحوه ، ولذلك فهو يكلومه صرعاة مكافئة على أعماله  
ان عاجلا أو آجلا ، وان أمره دائما موكول الى من بيده الأمر ، مصيره  
راجع الى من هو عنده راض " (٣) .

من هذا يتضح لنا ان الاحساس بوجود الله فطرة في الانسان ، وانه  
بحسب حلاوة الخضوع والانقياد في عبادة خالقه . وهذا الامر فيه ، وانما  
اخفا من اخطأ في تصور ذلك الاله ، وتلك القوة المهيمنة " والذي اتعبنا

(١) الشيخ الشعراوي عقيدة المسلم ص ٣٦ ط مكتب التراث الاسلامي .

(٢) العقاد - الله - كتاب في نشأة العقيدة الالهية ص ٢٠٦ .

(٣) مقداد بالجن منهج الدعوة الى الاسلام في العصر الحديث ص ٤٠ .

الفلاسفة والفكرين جميعاً أنهما خلطوا بين شيء اسمه " التعقل " وشيء اسمه " التصور " فأدخلوا التصور على مهديان التعقل ، وخلطوا التعقل في مهديان التصور كيف ذلك ؟ واهضاح هذا المعنى : التعقل هو ان يحكم العقل بوجود قوة ما وراء الكون ، هذا من قدر العقل <sup>ذلك</sup> انما ليس الفروض في العقل ان يقول لي : ما اسم هذه القوة ؟ ما شكلها ؟ ما صفتها ؟ ما مظهرها ؟ ماذا تعمل لمن يطعمها ؟ .. العقل لا يقول عن ذلك .. اننا اذا اغلقنا الباب ودق الجرس فكلمنا نستوى جميعاً في تعقل ان بالباب طارقاً .. هذا هو التعقل .. فاذا اكتفينا بهذا القدر لسم يحصل خلاف بيننا ..

فاذا بدأنا نقول من بالباب ؟ رجل ، امرأة ، صغير ، كبير ، ابيض ، اسمر ، بشير ، نذير فقد بدأنا نختلف ، لان هذه ليست عملية العقل هذا تصور " (١)

فالطرق على الباب اثر ليد له من مؤثر فاعل اقر الجميع بوجوده واختلغوا في وصفه .. وهكذا فالكون اثر وصنعة الكل متفق وقر على ان له مؤثراً وصانعاً ، واختلغوا من اختلف في تصور صفاته ولذا كانت مهمة الرسل هي تصحيح مفهوم ما اعتقدوا الناس من صفات المعبود ، الاله الحقيقي بالعبادة والتوحيد .

---

(١) الشعراوى عقيدة المسلم ص ٣٧ .

ثانيا : معنى الدعوة : -

الدعوة هي مهمة الرسل صلوات الله عليهم اجمعين ، مهمة الدعوة  
الدعاة من بعدهم الى يوم القيامة ، ويطلق لفظ " الدعوة " ويراد به عدة معان - ينتظمها خط واحد :

الدعوة في اللغة : دعا - الدعوة الى الطعام بالفتح

يقال : كنا في دعوة فلان ، ودعاة فلان ، وهو مصدر ، وداعت الحيطان  
للخراب : تهادمت ، ودعاها صاح به واستدعاه ايضا . . . والدعا هو  
الريفة الى الله . . .

ودعا الله : رجا منه الخير . . . ودعا الى الشيء حثه على تصده  
يقال دعاه الى القتال ، ودعاه الى الصلاة ، ودعاه الى الدين ، والى  
المذهب : حثه على اعتقاده ، والدعوة : يقال هومنى دعوة الرجل :  
ببنى مینه قدر ما يبني والذي ادعوة . . . صاهدعى اليه من طعام او شراب  
فيقال نحن في دعوة فلان . . . في ضافته . . . ( ١ )

في لسان العرب : " وقوله : له دعوة الحق " قال الاجاج <sup>الزجاج</sup> جامسى  
التفسير أنها شهادة الا اله الا الله ، وجائز أن تكون والله اعلم دعوة  
الحق انه من دعا الله موحدا استجيب له دعاؤه ، ودعاية الاسلام وداعية  
الاسلام اى دعوته فهو مصدر بمعنى الدعوة كالعافية والعاقبة والدعوة  
بكسر الدال - والدعوة بفتحها - والمدعاه بكسر الميم - وفتحها  
: مادعوت اليه من طعام وشراب . . . ( ٢ ) .

( ١ ) انظر مختار الصحاح ص ٥٥٢ ، وترتيب القاموس المحيط ج ٢ ص ١٨٧  
والمعجم الوسيط ج ٢ ص ٢٨٧ .

( ٢ ) ابن منظور لسان العرب ص ١٣٨٨ .

في السنة : استعمل الرسول صلى الله عليه وسلم الدعاية والدعاية

ويريد بها " الدعوة " كما جاء في كتابه الى هرقل بدعوه الى الاسلام :

( " بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى هرقل عظيم

الروم ، سلام على من اتبع الهدى ، اما بعد فانى أدعوك بدعاية الاسلام

اسلم تسلم ، اسلم يوحىك الله أجرك مرتين ، وان توليت فعليك اثم

الايوبيين و " باهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد

الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا آربابا من دون الله فان

تولوا فقولوا اشهدوا باانا مسلمون " ( (١) ) (٢)

" قال القاضى ويجوز ان تكون ( داعية ) هنا بمعنى دعوه ، والمراد

بها " دين " : دعوة الاسلام أى دين الاسلام " . .

ومن اطلاقات الدعوة في السنة على المدعوبه أو اليه : " اتقوا دعوة

المظلم فإنها ليس بيننا وبين الله حجاب " فليس المراد اتقا " مجرد

الدعوة ، التي هي سؤال الله والطلب منه بمجرد الكلام ، وانما

المراد بها المدعوبه وهو انتقام الله تعالى من الظالم للمظلم . .

في القرآن الكريم دار معنى الدعوة حول عدة معان :

يقال " دعاه بدعوه دعاه " : ناداه وطلبه ، ودعا الله بدعوه : سأله

كشف ضر أو طلب نفع ، ودعاه : عبده ، ودعاه استعان به واستغاث به

---

(١) آل عمران ٦٥ .

(٢) رواه مسلم في كتاب الجهاد باب كتاب النبي الى هرقل ج٣ ص ٣٩٧ .

دعا بالشئ طلب احضاره ، ودعاء الى الشئ وللشئ حثه عليه ، ودعاء الى الله : الى عبادته ، ودعاء الى غيره ولغيره نسبه وجزاء ، دعاء كذا أو بكذا سماه به . . . ( ١ ) . . .

ومن امثلة ذلك :-

- ١ - الدعوة : بمعنى السؤال والطلب : " هتاللدعا زكريا ربه قال رب هب لى من لدنك ذرية طيبة انك سميع الدعاء " ( ٢ ) اى :  
سأل ربه .
- ٢ - الدعوة : بمعنى الحث على العبادة : " قال رب انى دعوت قهى ليلا ونهارا " ( ٣ ) اى حثتهم على الايمان به .
- ٣ - الدعوة بمعنى النداء : " ومن آياته ان تقوم السماء والارض بأمره ثم اذا دعاكم دعوه من الارض اذا انتم تخرجون " ( ٤ ) اى ناداكم . . .
- ٤ - الدعوة بمعنى النسب : " تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا . ان دعوا للرحمن ولدا " ( ٥ ) اى نسبوا اليه الولد .
- ٥ - الدعوه بمعنى العبادة : " وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله احدا " ( ٦ ) و " فادعوا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون " ( ٧ ) اى فلا تعبدوا مع الله احدا ، وواعبدوا الله مخلصين له العبادة .

- 
- ( ١ ) معجم الفاظ القرآن ص ٢٠٤ . ( ٢ ) آل عمران ٣٨ .  
( ٣ ) نوح ٥ . ( ٤ ) الروم ٢٥ .  
( ٥ ) مريم آيتا ٩٠ ، ٩١ . ( ٦ ) الجن آيه ١٨ .  
( ٧ ) غافر آيه ١٤ .

٦ - والدعوة بمعنى التسمية : " قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن  
ايا ما تدعوا فله الاسماء الحسنی " تَسْمُوا .

وعلى هذا فلفظ " الدعوة " يطلق ويراد به الحث على اتباع الدين  
والعمل بتعاليمه . أو يراد به نفس الدين خاصة وقد اتضح من معانيها  
في اللغة انها تطلق ويراد بها المدعو اليه ، اوله والذي يوضح ذلك هو  
السياق الذي ورد فيه اللفظ ، فعندما نقول : دعوتنا الى الله تكون  
بالحكمة والموعظة الحسنة ، فالمراد بذلك التبليغ والحث على اتباع  
الاسلام ، وعندما نقول : إن التوحيد دعوتنا ، ودعوة جميع الرسل  
التوحيد فالمراد هنا : الدين اى : التوحيد ديننا ، ودين جميع  
الرسل التوحيد ، وعلى <sup>ذلك</sup> يخلص الى أن الدعوة لها استعمالات : بمعنى  
الدين ، ومعنى التبليغ وهذا بيانها في مفهوم الدعوة :

١ - الدعوة بمعنى : " الدين " : تعرف الدعوة الاسلامية بأنها  
الدين الذى ارتضاه الله للعالمين ، وأنزل تعاليمه وحيا على  
رسول الله صلى الله عليه وسلم وحفظها في القرآن الكريم ، ومنها في السنة  
النبوية .

فهى بهذا المعنى : " النظام العام والقانون الشامل لأمور  
الحياة صناهج السلوك للانسان التى جاء بها سيدنا محمد صلى الله عليه  
وسلم من ربه وأمره بتبليغها الى الناس ما يترتب على ذلك من ثواب  
وعقاب " ( ١ ) " معلوم ان الاسلام ينقسم الى اصول وفروع يتميز أحدهما

( ١ ) د / أحمد غلوش الدعوة الاسلامية ص ١٤٤ .



عن الآخر صفتوق وان كانا معا بكونان الدين كله . فالأصول اعتقاد  
 محله العقل والوجدان ، هلزمه التصديق القلبي واليقين النفسى  
 والفروع أعمال تؤم بها الجوارح ولا بد لها من التطبيق والسلوك .  
 ان الاسلام يحتم تعانق الأصول والفروع ، ولا ينفرد احد هما  
 دون الآخر " ( ١ ) .

يذكر د / محمد عبد راز <sup>الله</sup> عدة تعريفات للدين عند الغربيين  
 ثم يقول : " اما الاسلاميون فقد اشتهر تعريف الدين عندهم بأنه : ( وضع  
 إلهى سائق لذوى العقول السليمة باختيارهم الى الصلاح فى الحال ،  
 والفلاح فى المآل ) ويمكن تلخيصه بأن نقول : " الدين وضع إلهى يرشد  
 الى الحق فى الاعتقادات والى الخير فى السلوك والمعاملات " ( ٢ )

ويستخلص د / راز من جميع تعريفات الغربيين والاسلاميين عدة عناصر  
 للعقيدة الدينية محللها شارحا وهى : تقديس ذات غيبية مرهدة متصله  
 بالمتدين معنويا ، فتك العناصر هى : عنصر الذات ، وعنصر الغيبية  
 اى لا يقع عليها حس العابد ، وعنصر الروحية ، والاتصال بالعابد بين  
 اتصالا معنويا تسمع سرهم ونجواهم ، وشكواهم وتعنى بالآسهم وآمالهم  
 وتكشف ان شئت - الضر عنهم ، وهذا يمكن جمعه فى لفظ " تأليه " الذى  
 ان ينتهى الى تعريف الدين بقوله : " الدين هو الاعتقاد بوجود ذات  
 اوزوات غيبية علوية لها شعور واختيار ، ولها تصرف وتدبير للشئون التى

( ١ ) د / غلوش اصول الدعوة ص ٨ .

( ٢ ) د / محمد عبد الله د راز الدين ص ٢٩ مطبعة السعادة سنة ١٩٦٩ .

تعنى الانسان اعتقاد من شأنه أن يبحث على مناجاة تلك الذات السامية  
في رغبة ورهبة في خضوع وتمجيد " . . .

ومعبارة موجزة : " هو الايمان بذات الهية جد برة بالطاعة  
والعبادة " (١) وهذا التعريف للدِين عام لجميع الاديان . . .

وأما الاسلام كدين : فهو شامل العقيدة بأصولها من الايمان  
بالله ملائكته وكتبه ورسوله واليوم الآخر والقدر ، والشريعة بما فيها من  
عبادات ومعاملات ، والاخلاق التي هي ثمار العقيدة والشريعة . . .

في حديث جبريل جمع الرسول صلى الله عليه وسلم بين العقيدة  
والشريعة والاخلاق ثم سماها جميعا دينا ، عندما قال " هذا جبريل  
أتاكم يعلمكم دينكم " فقد روى مسلم رضى الله عنه بسنده عن عمر رضى  
الله عنه أنه قال : " بينما نحن جلوس عند رسول الله صلى الله عليه  
وسلم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر ، لا يرى  
عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد حتى جلس الى النبي صلى الله عليه وسلم  
فأسند ركبتيه الى ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه ، قال يا محمد : أخبرني  
عن الاسلام ، قال : الاسلام أن تشهد الا اله الا الله وأن محمدا  
رسول الله ، وتقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة ، وتصوم رمضان وتحج البيت  
إن استطعت اليه سبيلا ، قال صدقت ، قال فعجبنا له بسأله وصدقه

---

(١) د / دراز - الدين من ص ٤٠ الى ص ٥٠ .

قال فأخبرني عن الايمان ، قال أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله  
واليوم الآخر ، وتؤمن بالقدر خيره وشره ، قال صدقت ، قال فأخبرني  
عن الاحسان : قال أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فإنه  
براك ، قال : فأخبرني عن الساعة ، قال ما المسئول بأعلم من السائل  
قال فأخبرني عن أماراتها قال : أن تلد الأمة ربتها وأن ترى الحفاة  
العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان ، قال ثم انطلق فلبث  
مليا ، ثم قال لي يا عمر أتدري من السائل ؟ قلت : الله ورسوله أعلم  
قال : هذا جبريل أتاكم يعلمكم دينكم " ( ١ )

ويعلق النووي ناقلا عن القاضي عياض : " قال القاضي عياض رحمه  
الله : " وهذا الحد يث قد اشتمل على شرح جميع وظائف العبادات  
الظاهرة والباطنة من عقود الايمان ، واعمال الجوارح ، واخلاص السوائر  
والتحفظ من آفات الاعمال حتى أن علوم الشريعة كلها راجعة اليه وتشعبت  
منه " .

وقوله " هذا جبريل أتاكم يعلمكم دينكم ، فيه أن الايمان والاحسان  
تسمى كلها ديناً " ( ٢ ) . . . والاسلام تسليم الظاهر والباطن ، أو القلب  
والجوارح . . .

وهي هذا فالدعوة بمعنى الدين : هي ما يعتقده الانسان وهو من  
به من وجود الله تعالى واتصافه بكل كمال وتنزهه عن كل نقص لا يليق بذاته

( ١ ) رواه مسلم - كتاب الايمان - تعريف الاسلام والايمان ج ١ ص ١٣٣ .

( ٢ ) شرح النووي على مسلم ج ١ ص ١٣٥ .

والإيمان برسوله صلوات الله عليهم ، والكتب السماوية ، والآخرة  
من ثواب وعقاب وسؤال صحت وحساب في الهم الآخر ، وقضائه تعالسى  
وقدره مايقوم به الانسان من شعائر الدين من عبادات ، وما يسلكه  
في المعاملات من تحليه بالأخلاق الكريمة التى مثله فيها رسول الله  
صلى الله عليه وسلم .

أتيا ما أمر به ، منتهيا عما نهى عنه ، وعماد في ذلك الكتاب  
والسنة .

صاحب الدعوة الذى يتصدى للتبليغ : لا بد له من الالمام بالدعوة  
بهذا المعنى - الدين - عالما بالأوامر والنواهى منهج الله الذى  
رسمه في الدين لتسير عليه الحياة ، وهالما بالعقائد والأخلاق حتى يكون  
ملما بما يدعو اليه ويبلغه للناس . والا كان كحاطب بلبل .

٢ - " الدعوة " بمعنى التبليغ والتشر : وهذا هو المعنى الثانى  
من معانى الدعوة - وهو المقصود غالبا عندما يقال : تدرس الدعوة  
أو قسم الدعوة - أوكلت الدعوة فالمقصود عندئذ فنون تبليغ الدعوة  
من أساليبها وتاريخها وأصولها منهاجها وتاريخ دعائها . والا كانت  
جميع فروع العلم الدينية في مختلف التخصصات دراسة للدعوة ، وهذا  
لا يمنع . لأن المطلوب المعرفة التامة والواعية بأحكام الدين وتعاليمه  
وفقهه وأصوله وفروعه .

فلا بد لمن يتصدى لمهمة القيام بالدعوة من المعرفة التامة بالدين  
الذى يدعو اليه معرفة مستمدة من الأصول والمصادر ليكون على بينة وصيرة

والله سبحانه وتعالى يقول لرسوله صلى الله عليه وسلم : " قل هذه سبيلي ادعوا الى الله على بصيرة انا و من اتبعنى وسبحان الله وما أنا من المشركين " (١) ثم معرفة كيف يبلغ هذا الدين الى الناس على مختلف بيئاتهم وأفكارهم ناهجا مع كل فئة المنهج الذى يناسبها ويعطى قدر الحاجة دون زيادة أو نقص . . وهذا لا يتأتى الا بمعرفة الدعوة كتبليغ . .

وهذه بعض التعريفات لذلك الفن :-

- ١ - الدعوة : " حث الناس على الخير والهدى والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر للقفز بسعادة العاجل والآجل ، كما تعرف بأنها نقل الأمة من محيط الى محيط بتصويرها بأمر دينها ودينها على قدر الطاقه الانسانية . . " (٢)
- ٢ - الدعوة : الى الشيء الحث على قصده ، فى العرف حث الناس على الخير والهدى ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ليقفوا بسعادة العاجل والآجل . . " (٣)
- ٣ - الدعوة : " هى العلم الذى تعرف به كافة المحاولات المتعدده الرامية الى تبليغ الناس الاسلام بما حوى من عقيدة وشريعة وأخلاق " وهذه المحاولات : قوله كالخطبة والدرس ، أو فعلية كالقصد والطاعة لدين الله ، وهى فنية لأنها تراعى جانب التطبيق النظرى وتلحظ عمليات التأثير فى نفسية المشاهد والمستمع ، وهى متعددة .

---

(١) يوسف آيه ١٠٨ .  
(٢) د / طلعت ابو صير الدعوة الاسلامية ودعاتها مطبعة السعادة ص ٧٠ .  
(٣) المرجع السابق ص ٥٠ .  
(٤) الشيخ على محفوظ هداية المرشدين ط صبح ١٧٠ .

لأن بعضها متجه الى العقل ، وبعضها الآخر متجه الى  
الم عاطفة والوجدان ، وهى هادفة ، وهدفها نشر دين الله وتبليغه  
الى الناس اجمعين \* (١)

فهذه التعريفات كلها اتفقت على أمور اساسية :-

- ١ - الدعوة ومن التبليغ علم له قواعده وأصوله يجب الاكتمال بها ، وهذه  
القواعد اذا رويها استطاع الدعاة النجاح في نشر الدعوة .
- ٢ - للدعوة اساليب ووسائل تتنوع الى قولية وفعلية حسب مقتضى حال  
المدعوين في كل بيئة ، وأساسها القدوة الحسنة .
- ٣ - انها تتجه الى العقل أو الوجدان والعاطفة .
- ٤ - ان الدعوة لا بد أن تكون هادفة الى صلاح الفرد والمجتمع وترقى  
الامة عن طريق ربطه بربه واشباع فطرته .

ارتباط العقل بالدعوة بمعنى : الدين ، أو التبليغ :

للدعوة بكلا معنيها ارتباط وثيق بالعقل حيث انه لب الانسان هوطن  
الادراك والتمييز فيه . والدعوة تهدف الى صلاح الانسانية .

موقف الدين من العقل : هو موقف الراعى والموجه ، والمرع الحافظ  
له فوجهه الى ما يصلح من حرية الفكر والتأمل والبحث والاستنتاج ونهيه  
عن كل ما يضره أو يعطله أو يجمده . . .

ولذا فقد أُعْتِدَ عليه في الاجتهاد في الفروع هلامتها المعصوم والدعوة

---

(١) د / احمد غلوش الدعوة الاسلامية - اصولها ووسائلها ص ١٠ .

ما جعل الدعوة تجمع بين المرونة والثبات .. فأحكامها تلبى حاجات  
كل عصر مع ثبوت الاصول .

وآثار العقل على الدعوة : كدبر تجد يد الأحكام والاجتهاد مما  
جعل الاسلام خالدا معاصرا لكل الأزمنة ، وآثاره عليها كتبليغ : فهو  
القوة الفطنة التي تُكسب الداعية المعرفة ، والموازنة بين أحوال المدعويين  
ومدى حاجاتهم ، وعلامة أسلوب دعوتهم لهم حسب مقتضى حالهم  
وبيئاتهم مخاطبا إياهم بما يفهمون ..

## الباب الثاني:

# الفصل الأول

مكانة العقل في الدعوة ..

الإسلامية ورعايته .

ويتناول على المباحث الآتية :

- ١- إعتباره وسيلة لمعرفة أصول العقيدة .
- ٢- تعهده بالتشريعات التي تصونه وتحفظه .
- ٣- تحريره من الجمود والتقليد والتعصب المؤدى للعناد .
- ٤- إعفاؤه من التفلير في القضايا التي لا يتطبع إدراكها .
- ٥- إعتباره مصدرا للتشريع فيما لم يرد فيه نص .



( البحث الأول )

( اعتبار العقل وسيلة لمعرفة أصول العقيدة )

وضع الاسلام العقل في مكانه اللائق به ، وجعله في مكانة سامية حيث خاطبه بالتكاليف الشرعية والعقائد الالهية ، وما ذلك الا لانه القوة الفطرية المميزة المدركة في الانسان ، فهو لذلك سبيل الوصول الى اصول العقيدة والايمان بها ، واطمئنان القلب بالتوحيد والايمان .

ولذا فقد خاطبه القرآن بمختلف الأدلة موجها اياه الى التفكير والتأمل كنوع من التربية الاسلامية ، وهو عندما يتأمل وتدبر ينطلق الى آفاق رحبة فسحة فيقر بوجود صانع هذا الكون من أجل أن تستقر العقيدة وتمتج باللحم والدم والشعور والانفعال والعاطفة ، وتوجيه القرآن ادراك الانسان الى الآيات الباهرة في الكون - فوق أنه ينهيه الادراك نفسه الى معرفة الصانع ، وقدرته ، وعظمته ، ونعمه - فهو بطبع ذلك الادراك الانساني بخصائص تلك الصنعة .

فالعقل اذن يتعامل مع الآثار الدالة على الله حتى يتأمل في خلقه متلمسا آثار الالهية ومظاهر القدرة مثلثة فيها .

والقرآني اذ يسلك مسلك الاستدلال على وجود الله من ذلك فإن مساقته من أدلة العناية والاختراع وغيرها وهي أدلة عامة ثلاثم جميع العقول . ولا تترك في جوانبها شيئا من الشكوك إضافة الى هذا فانها أدلة حية تخلق ايمانا حيا ، لإيهدي اليها الا كل عقل به قيس من نسر

الله ونقاء الفطرة . . . (١)

" ان وجود الخالق تدل عليه تنظيمات لانهاية لها تكون الحياة بدونها مستحيلة " وان وجود الانسان على ظهر الارض والمظاهر الفاخرة لذاته ، انما هي جزء من برنامج ينفذه باري الكون .

وانى لأدرك قول " أوسبورن " في هذا المجال : " بين جميع الأشياء التى لا يمكن ادراكها فى الكون يقف الانسان فى الطليعة ، وبين الأشياء التى لا يمكن ادراكها فى الانسان تتركز الصعوبة الكبرى فىمسا له من مخ وذكاء وذاكرة وآمال وقوة كشف صحت وقدرة على تدليل المعقبات " (٢)

فالكون والانسان موضوع التأمل والتفكير لمعرفة الله وصفاته من قدرة وعلم و ارادة و وحدانية . . . ومع أن الاحساس بوجود الله تعالى فطرى فى الانسان كما سبق تقريره فى البحث التمهيدي الا أن القرآن الكريم حفل بالادلة الكونية والبراهين العقلية على وجود الله تعالى ليقطع الحجة على كل ملحد أو جاحد ، أو مشكك أو مغالط ، لأنه خالد الى يوم القيامه يرد على كلِّ ، على مدى الأزمان . . .

والسهيل الى الرد هو التأمل العقلى فى الآيات الكونية ، بقول

---

(١) انظر الفكر الاسلامى بين العقل والوحى ص ٢٧ ، سيد قطب خصائص التصور الاسلامى ص ١٤٢ ص ١٦٤ ، ابن عجيبة ايقاظ الهمم ص ٤٣٧ ، مقداد يالجن منهاج الدعوة الى الله ص ٨٣ ، سورة العقل ص ١٢٣ .

(٢) ٩ - كريسي موريسون العلم يدعو الى الايمان ص ٤٦ .

العقاد : " كان فيمن خاطبهم القرآن أناس ينكرون وجود الله  
" وقالوا ما هي الاحياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر ، وما لهم  
بذلك من علم ان هم الا يظنون " وكان يوجد فيهم من يدنون للأوثان  
ولا يقبلون عبادتي غير العبادة الوثنية كما توارثوها عن الاجداد والآباء  
وكان فيهم من يسمون الوحدة بالوثنية ، ومن يختصمون على تأويل  
الكتب المنزلة على نحو ما اختصمت طوائف اليهود وطوائف المسيحيين .  
وكان يخاطب العقل ليقتنع المخالفين بالحجة التي تقبلها العقول  
الانسانية فجاء بالبراهين وجعل الهدى من الله ولكنه من طريق العقل  
والالهام والصواب " ( ١ ) . .

وقد تعددت الآيات الكونية الدالة على الوجود بما فيها من ابداع  
ودقه ونظام وعظمة تدل على أن خالقها عظيم عليم قادر وهو موجود .

نماذج من الآيات الكونية مع توضيح وجه الدلالة فيها :

١ - قال تعالى : " ألم نجعل الأرض مهادا • والجبال أوتادا ،  
وخلقناكم أزواجا وجعلنا نهمكم سباتا • وجعلنا الليل لباسا  
وجعلنا النهار معاشا ونينا فوقكم سباعا شدادا • وجعلنا سراجا  
وهاجا • وانزلنا من المعصرات ماء نجاجا • لنخرج به حيا ونباتا وجنات  
ألفافا " ( ٢ ) فتلك آيات القدرة الالهية التي يتأملها العقل ليرى أنها

---

( ١ ) العقاد - الله ص ٢٢٢ .

( ٢ ) النبأ ٦ : ٢٦ .

نظام له منظم موجودات لها موجد ونعم لها منعم رحيم بعباده .  
٢ - يقول تعالى : " ألم ترو كيف خلق الله سبع سموات طباقا وجعل القمر فيهن نورا وجعل الشمس سراجا . والله انبتكم من الارض نباتا ثم يعيدكم فيها ويخركم اخراجا " ( ١ ) وهذه الآيات الاخرى حكم العقل بأن لها موجدا اذ لم يدع أحد أنه خلقها ، وهى أيضا لم تخلق نفسها ولم توجد بدون خالق .

٣ - يقول : " ان فى خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لاؤلى الالباب " ( ٢ ) قال هذه الآيات : السموات بما فيها والارض بما عليها وتعاقب الليل والنهار ، مما جرى فيها بعد ان تحدث عن قدرة الله فقال " والله على كل شىء قدير " " ان فى خلق السموات والارض ليعطى برهاننا ودهللا يدركه أصحاب العقول الواعية ، والالباب السامية على قدرة الله عز وجل . .

فهذه الآيات تتحدث عن مظاهر القدرة والعلم والارادة لان ما فيها من احكام دقيق ، ونظام بدیع ، واعطاء كل مخلوق خلقه وحسنه يسد على احاطة علم الخالق وقدرته ، ووجدانته .

والعقل ونشاطه فى التأمل والحوار الذاتى مع النفس <sup>٦</sup> يصل الانسان الى أدلة القرآن على الاله وصفاته فى دلهل الابداع : يقول تعالى : " أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت والى السماء كيف رفعت . والى الجبال كيف نصبت والى الارض كيف سطحت " ( ٣ )

( ١ ) نوح ١٥ - ١٨ . ( ٢ ) آل عمران ١٩٠ .

( ٣ ) الفاشيه ١٧ - ٢٠ .

في دليل العناية : " الله الذي سخر لكم البحر لتجرى الفلك فيه بأمره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون • وسخر لكم مافي السموات وما في الأرض جميعا منه ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون " ( ١ ) •

في دليل الحركة : " والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقد بسر العزيز العليم والقمر قد رنا منازل حتى عاد كالمرجون القديم • لا الشمس ينهى لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون " ( ٢ )

في دليل الحدوث يقول : " هل أتى على الانسان حين الدهر لم يكن شيئا مذكورا " ( ٣ ) •

هذه الانواع من الأدلة تهدى العقل وترشده الى معرفة ربه والايمان به ، فالابداع في الخلق : في جعلهم على تلك الصعود وغيرها كيف خلقت ؟ خلقت الابل ، وزورها خالقها بما يلائم حياتها ومنفعة الانسان والسماء التي رفعت بلائها والجبال الشم الرواسي التي تصون الارض من أن تمهد بمن عليها ، وتلك الأرض التي خلقها الله بصفحة ملائمة لبقاء الحياة عليها باطنها حار فيه المعادن ومقومات الصناعات وقشرتها صالحة للزراعة والحياة ••

---

( ١ ) الجائبة ١٢ - ١٣ • ( ٢ ) بين ٣٨ - ٤٠ •

( ٣ ) الانسان ١

والله تعالى يحكم علمه وارادته وعظيم قدرته بحرك الكون من كواكب  
وأفلاك وشمس وقمر بنظام محكم دقيق لا تصادم ولا تعارض فهذه الحركة  
الدقيقة للكون لا بد لها من محرك قادر عليهم . موجود لأن قيام  
النظام يدل على وجود منظمه والحركة تدل على المحرك . وانتظام  
الكون يدل على علم ذلك المحرك لجميع ما في الكون ودقيقه . انه الله  
رب العالمين .

وعناية الله بتسخير النعم للعباد حيث هبأ البحر لتسير فيه الفلك  
وسخر لمنفعتهم كل نعمة في السموات والارض . .

ثم هذه الحوادث كلها التي وجدت بعد العدم من موجدها ؟  
ومن الذي رجح وجودها على عدمها ؟ . . انه الله رب العالمين ( ١ ) . .

يشير الى هذا الدليل وحيد الدين خان فيقول : \* هناك  
شواهد طبيعية كثيرة تثبت أن الكون لم يكن موجودا مندا الأزل وأن له  
عمر محدودا وعلى سبيل المثال نجد علم الفلك يقرر أن الكون يتسع  
بالتسلسل الدائم وأن كل مجاميع النجوم والأجرام والأجسام الفلكية  
تتباع بسرعة مذهلة بعضها عن بعض ويمكن أن نفسر هذه الحالة  
تفسيرا جيدا اذا نحن سلمنا بوقت للبد \* كانت فيه كل الاجزاء التركيبية  
مركزة ومجمعة بعضها مع بعض ثم بدأت الحركة والحرارة . .

---

( ١ ) الفزالي عقيدة المسلم ص ١٨ وما بعد ها حتى ٢١ .

ويقدر العلماء أن هذا الكون قد وجد نتيجة لانفجار فوق العادة وقع منذ ٥٠٠٠٠٠٠٠٠ سنة فالإيمان بهذا الكشف العلمي وهو أن للكون عمرا محددًا يتعارض مع انكار موجد هـ هـ مثل من يؤمن بحدوث الكون مع انكاره لوجود خالقه كمثل من يزعم أن " تاج محل " قام بنفسه من غير بنائين ومهندسين مع تسليمه بأنه بُني في القرن السابع عشر الميلادي ولم يكن موجودا منذ الأزل " (١) . وإذا رأى طفل آلهه طبع لا يدرك لها غاية وهدفا بل هو ظن أن الآلهة وأجزائها قد اجتمعت مع بعضها مصادفة . ولا يعرف بروية أفعال الآلهة وترتيب أجزائها . إن الذي قد صنعها لا بد أن يكون حكيمًا قادرًا ، فإنه لحكمته وقد رتبته قد صنعها بأتقن أسلوب وعلى أقوم صورة بحيث ليس جزء من أجزائها عبثًا ولا غير متناسب مع وظيفته . فإذا أقام الطفل بناءً على مشاهدته هذه الآلهة من آلات الطبع نظرية قائمة بأن الآلة ليست فيها علة فاعلية ولا علة غائية ولا تصرف في صناعتها شيء من الحكمة ولا قدر وعيت فيها غاية من الغايات . فهل لرجل عاقل بالغ أن يعترف بأن ذلك الطفل قد أقام نظرية صحيحة في ما يتعلق بحقيقة تلك الآلة ؟ . فإذا كان هذا صحيحًا بالنسبة للآله فهو من باب أولى صحيح بالنسبة لهذا الكون الذي تتجلى فيه حكمة خالقه وهبده . (٢) .

(١) وحيد الدين خان الاسلام يتحدى ص ٥٠ ط المختار الاسلامي .

(٢) سعيد حوى الاسلام ص ٢١ ج ٤ مكتبة وهبية .

والمؤمن المتدبر المتأمل " يعقل عن الله تعالى آياته في تدبيره  
وحكمته في آثار صنعته ودلائل حسن تقديره فيعلم أنه بقدره نافذ  
قد رها حكمة كاملة اتقنها ، معلم محيط اخترعها ، وسمع نافذ  
سمع حركاتها ويصبر مدرك لها دبر لطائف خلقها وفوامض كوامنها  
وما وارته حجبها وسواترها " ( ١ )

وهذه المظاهر الكونية الدالة على وجوده تعالى وقد رته موضوع  
تأمل الانسان وتفكره ، فالانسان يعيش في نعم الله تعالى ويدع خلقه  
ومظاهر حكمته وعلمه وقد رته فيرى السماء المرفوعة والأرض الموضوعة والافلاك  
السيارة ، والازمنة المتعاقبة . . . وما يظهر من كسوف وآيات على مسر  
الزمان ولا يخفى على عاقل يدبر نظره على عجائب خلق الله في الأرض  
والسموات ودائع فطرة الحيوان والنبات ان هذا الأمر العجيب والترتيب  
المحكم لا يستغنى عن صانع يدبره وفاعل يحكمه ويقدره ، بل تكاد فطرة  
النفوس تشهد بكونها مقهورة تحت تسخيرها ، ومصرفه بمقتضى تدبيره " ( ٢ )

والانسان يتأمل في نفسه في الكون من حوله مشاهدا يدع خلقه  
ومظاهر قدرة الباري ثم يسأل بعقل حريّ عن الهوى والعصبيّة :  
" أم خلقوا من غير شيء ؟ أم هم الخالقون ؟ أم خلقوا السموات والأرض  
بل لا يوقنون " (٤) وتلك الآية تتساءل مع تلك العقول " هل خلق

---

( ١ ) الحارث المحاسبى ما نبه العقل ص ٢٢٥ تحقيق حسين الوائلي

• دار الفكر

( ٢ ) الغزالي احياء علوم الدين ج ١ ص ١٨٢

( ٣ ) الطور ٣٥ ، ٣٦



هو ملاء من غير رب خلقهم وقد رهم ، وقيل من غير أب ولا أم فهم كالجماد ولا يعقلون ولا تقوم عليهم حجة كـ . أم هم الذين خلقوا أنفسهم فهم لا يأترون لأمر الله ، وهم لا يقولون ذلك وإذا أتوا أن ثم لهم خالقا غيرهم ، فما الذى يمنعهم من الاقرار له بالعبادة دون الاصنام ومن الاقرار بأنه قادر على البعث \* (١) .

فهذا التساؤل اثار في النفس والعقل عدة تساؤلات : هو ملاء المنكرون مخلوقون والكون كذلك مخلوق ، وهو ملاء المخلوقون جميعا اما أن يكونوا قد خلقوا أنفسهم ، او خلقوا بدون خالق ، او خلقهم خالق . .

وهذه الفروض العقلية المحتملة في الآية غير مقبولة : فكأنهم خلقوا أنفسهم بأنفسهم هذا مما يحيله العقل لأن هذا يستلزم ان يكون الشيء متقدما على نفسه متأخرا عنها ، أو بعبارة أخرى أن يكون موجودا ومعدوما وهذا محال عقلا ففرض هذا الفرض ، . وكأنهم وجدوا بدون خالق اي بدون سبب هذا ايضا مما يحيله العقل لأن المشاهدات تربط بين الاسباب والمسببات والمقدمات والنتائج هكذا اقتضت ارادة الله في نظام الكون وفطرة الانسان . فعلى زعمهم هذا يكونون مسببا بدون مسبب وصنعة بدون صانع وتبجته بلا مقدمة كـ وهذا أيضا محال ولابد لهم من سبب وخالق كـ كذلك لم يدع ظم يكلف احد هم نفسه مشقه ادعاء ذلك كـ ولذا بطل هذا الفرض أيضا . . وعلى هذا سلم لنا الفرض

(١) تفسير القرطبي ج٦٨ ص٦٢٤٤ وانظر ابن كثير ج٤ ص٢٤٤ والكشاف

الاخير وهو أن لهم خالفا خلقهم بقدرته ووفق علمه وارادته ، صلهم  
سرهم ونجواهم .

ما في الكون من نظام دقيق ، ومظاهر ابداع ، دليل ايضا  
على وحدانية الله تعالى ، يقول الامام الرازي : " اثبت القرآن الصانع  
وتوحيد ، وبين ذلك بخمسة أنواع من الدلائل ، أولها : أنه استدل  
على التوحيد بأنفسهم واليه الاشارة بقوله : " اعبدوا ربكم الذي خلقكم "  
وثانها ، بأحوال آياتهم وأجدادهم ، واليه الاشارة بقوله " والذين قبلكم "  
وثالثها : بأحوال أهل الارض ، واليه الاشارة بقوله : " الذي جعل  
لهم ارض فراشا " ، ورابعها : بأحوال أهل السماء ، واليه الاشارة  
بقوله : " والسماء بناء " ، وخامسها بالأحوال الحادثة ، واليه الاشارة  
بقوله : " وانزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم " ولما  
ذكر هذه الدلائل الخمسة رتب المطلب عليها فقال : فلا تجعلوا لله  
أندادا وأنتم تعلمون " .

وهذه الدلائل تدل على وجود الصانع من وجه ، وعلى كونه تعالى  
واحدا من وجه آخر . فانها من حيث انها حدثت مع جواز الاتحدت  
مع جواز ان تحدث على خلاف ما حدثت به ، يدل على وجود صانع  
واحد قادر ، كما قال تعالى " لو كان فيها آلهة الا الله لفسدتا "  
فلهذا السبب ذكر بعد الدلائل الخمسة دَلِيلُ المطلبين : أحدهما  
اثبات الصانع ، والثاني إثبات كونه واحدا . وقد قامت الأدلة والبراهين  
على وحدانيته تعالى وكلها تعتمد على المناقشة العقلية ، من ذلك  
ما ذكره البيهقري في تحفته " يقول : " لو كان هناك الهان لما وجد

شيء من العالم ، لكن عدم وجود شيء من العالم باطل بالمشاهدة  
فما أدى اليه وهو التعدد باطل - وإنما لزم من التعدد عدم وجود  
شيء من العالم لأنهما - أي الالهان - اما ان يتفقا واما أن يختلفا  
فان اتفقا : فلا جائز أن يوجداه معا لثلا يلزم اجتماع مؤثرين  
على امر واحد ، ولا جائز ان يوجداه مرتبا بأن يوجد احدهما ثم يوجد  
الآخر لثلا يلزم تحصيل الحاصل ، ولجائز أن يوجد أحدهما البعض  
والآخر البعض ، للزوم عجزهما حينئذ لأنه لما تعلقت قدرة أحدهما  
بالبعض سد على الآخر طريق تعلق قدرته به فلا يقدر على مخالفتها  
وهذا عجز ، وهذا يسمى برهان التوارد ، وان اختلفا بأن اراد أحدهما  
ايجاد العالم والآخر اعدامه ، فلا جائز ان ينفذ مرادهما معا لثلا يلزم  
عليه اجتماع الضدين ، ولا جائز ان ينفذ مراد أحدهما دون الآخر  
للزوم عجز من لم ينفذ مراده ، والآخر مثله لانعقاد المماثلة بينهما  
ويحكي عن ابن رشد : أنه اذا نفذ مراد أحدهما دون الآخر كان  
الذي نفذ مراده هو الاله دون الآخر ، وتم دليل الوحدة .

وهذا يسمى برهان التمانع لتمانعهما وتخالقهما ، وقد ذكر المولسي  
سبحانه وتمسالي هذا الدليل في قوله : " لو كان فيهما آلهة الا الله  
لفسدنا " أي لو كان فيها آلهة غير الله لم توجدا لكن عدم وجودهما باطل  
لمشاهدة وجودهما فبطل ما أدى اليه وهو وجود جنس الآلهة مع الله  
وثبت ان الله واحد " (١) وتلك الوحدة التي ثبتت بالعقل هي مادعا

(١) البيجورى - شرح البيجورى على الجوهرة ص ٦٦ .

اليه الرسل صلوات الله عليهم جميعا - فالتوحيد رساله جميع الرسل  
 وثبوت الوحدة انية لله ينتفى عنه التعدد بكل صورته : فلا تتركب ذاته  
 من اجزاء ، ولا تتعدد ذاته تعالى فلا يوجد الهان - وهذا ما يعرف  
 بوحدة الذات ، وكذا لا تتعدد صفاته ، بمعنى انه ليس له صفتان  
 من نوع واحد كقدرتين أو ارادتين أو اكثر - وهذا ما يعرف بوحدة  
 الصفات . وهناك وحدة الافعال فالفاعل والمقدر هو الله وحده لا غيره  
 فهو السبب الاول لكل شىء ، كما انتفى عنه الضد والشريك والوالد  
 والولد ، ما اتخذ الله من ولد مما كان معه من اله ، وقد انتفى  
 الولد عنه بالادلة العقلية والبراهين اليقينية لتخلص عقيدة التوحيد  
 للمؤمن الواعى الفكر المتأمل الذى أمده الله بعقل راجح وقلب سليم .

منظرة عامة الى صفات الله : نرى أن الادلة التى تثبتها عقلية  
 تعتمد على التأمل فى الكون ونظامه وسيره واتقانا صنعته ، واحكام خلقته  
 وابداع محاسنه ، حيث ان هذا كله لا يصدر الا عن علم و ارادة وقسرة  
 وهذا النظام لا يسيره الا واحد موجود حى سميع بصير ، ومنهج اصلاح  
 تلك الحياة فى الكون لا يصدر الا عن إله أحاط بكل شىء علما . الأ يعلم  
 من خلق وهو اللطيف الخبير .

فالعقل اذن قد اعتمد عليه الاسلام فى معرفة الخالق وصفاته ليسلم  
 بها ويذعن لقدرته تعالى ، ويخضع لمنهجه ودينه ، فالحقيقة العليا هى  
 " الله " فكل الحقائق نسبه الا " الله " فهو حقيقته ثابتة لا تتغير ، وعقلا  
 ثبت لله عز وجل أنه متصف بكل كمال ومنزه عن كل نقص أن هذه الحقيقة

والإيمان بها والتسليم لها هي محور الارتكاز في نفس المؤمن ٤ متى  
رسخت في عقله ووجد أنه سلم بعقائد كثيرة ٥

ومن طريق العقل أثبت الإسلام عقيدة البعث واليوم الآخر ، فساق  
العديد من الأدلة العقلية والشواهد القرآنية التي تؤكد قدرة الله  
تعالى على البعث ٤ من ذلك على سبيل المثال ، قول الله تعالى :  
” يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث ، فإنا خلقناكم من تراب ثم  
من نطفة ثم من علقه ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ، ونقر فؤوس  
الارحام ما نشاء إلى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلاً ، ثم لتبلغوا أشدكم  
ومنكم من يتوفى منكم من يرد إلى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم  
شيئاً ، وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وانبتت  
من كل زوج بهيج ٥ ذلك بأن الله هو الحق وأنه يحيى الموتى وأنه عسى  
كل شيء قدير ٥ وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من فؤوس  
القبور ” (١)

فالله تعالى ذكر لنا من مشاهداتنا لمظاهر قدرته على خلق الإنسان  
من التراب ثم النطفة ثم العلقه ثم المضغة ٥ ثم جعل المضغة عظاماً ، وهذا  
القادر على الخلق ، قادر على إعادة ما أبدأه ، بل هذا أدخل في القدرة  
من تلك وأهدون في القياس ، والقادر على إحياء الأرض بالماء التي أعاد  
اليها الحياة والخضرة قادر على إعادة الاجساد بإعادة الروح اليها وجمع  
ما تفرق منها ٤ فهذا دليل مُشَاهِد يقين العقل عليه لمسلم بأن هناك بعثاً  
وحساباً في اليوم الآخر ٥

(١) الحج آيات ٥٥ ، ٦٤ ، ٧٠

ومن ذلك ايضا قوله : " أحسب الانسان أن يترك سدى • ألم بك نطفة من منى يعنى • ثم كان علقه فخلق فسوى • فجعل منه الزوجين الذكر والانثى • اليس ذلك بقادر على ان يحيى الموتى " أى أيقظ الانسان أن يترك هكذا بلا حساب ولا سؤال ، وأنه لن يبعث يوم القيامة •

هذا خطأ فى تفكير الانسان إن ظن ذلك •• ثم أتبع الآيسة بالأدلة المشاهدة المتجلية لمظاهر القدرة فى الخلق والميلاد ليقاس عليها البعث والاعادة •• ثم قال " اليس ذلك " الخالق للانسان من النطفة والعلقة ، اليس صاحب هذه القدرة ، قادرا على ان يحيى الموتى ؟ مقتضى العقل : بلى ، قادر •

ومثل ذلك أيضا : " فليُنظر الانسان من خلق • خلق من ماء دافق يخرج من بين الصلب والثرائب • انه على رجعه لقادر • يوم تبلى السرائر " (٢) وهذا قياس عقلى لغائب على مشاهد - فمن قدر على الخلق قد رعى البعث ••

العقل واثبات التوبة والرسالة : الرسل هم وسائط بين الله وعباده يتقبلون إليهم شريعته ويخلصون توحيدهم من شوائب الشرك وقد تعرض الرسل لتكذيب أقوامهم واضطهادهم ولكن الله تعالى صدقهم وأيدهم وأظهرهم على القوم •

(١) القيامة ٣٦ - ٤٠ •

(٢) الطارق ٥ - ٩ •

وقد اعتمد المولى عزوجل في تأييد رسله أمام أقوامهم على العقل  
 "الاساني" فأيدهم بالمعجزات وخوارق الأمور ، والمعجزة كما  
 مرد لالتها عقلية على صدق الرسول الذي أجريت على يديه .

كذلك بما للرسول من سيرة ذاتية مع أقوامهم حيث اشتهروا بينهم  
 بالصدق والأمانة فكانوا - عقلا - يقيسون أخبارهم بالرسالة  
 على أخبارهم قبل الرسالة فلم يجربوا عليهم كذبا - ولم يوجد أثناء  
 الرسالة ما يرجح كذبهم ، وينفى صدقهم ، فصَدَّقوا بدلالة المعجزة  
 العقلية ، وقياس الحاضر على الماضي من حياة الرسول ، وهذا  
 أيضا من عمل العقل وتأمله " أولم يتفكروا ؟ ما يصاحبهم من جنة " أي أنهم  
 إن تفكروا بلا تعصب أو هوى لعلموا أن رسولهم ليس مجنوناً ولا كذاباً  
 ولسلموا له بالرسالة والتبليغ عن الله . .

فالتسليم بصدق الرسل وإثبات النبوة بالعقل والدليل والمعجزة  
 ومتى سلم للقلب تصديق الرسول فيما يبلغ عن ربه ، وأنه مرسل من الله  
 مؤيد بالمعجزة . . ثم تصدِّقه فيما يخبر به من الدين والرسالة ، ومن  
 ذلك السمعيات ، التي لا يستقل العقل بإدراكها بنفسه بل يعتمد  
 في معرفته بها على أخبار الصادق الذي آمن بصدقها ، وهو الرسول  
 الذي سلم له بالصدق عقلا وشرعا ، ومن هذه السمعيات : الملائكة  
 وسؤال القبر ، والحساب ، والجنة والنار ، والحشر .

من منطلق تصديق الرسول بأنه مرسل من الله حقاً يلزم الإيمان بجميع رسالات الرسل والإيمان بالكتب السماوية .

والإيمان بالقدر : تابع للإيمان بالله تعالى الذي سلم به العقل ، وأدعى لقدرته ، وهو من توحيد الأفعال فالمؤمن بالقدر لا يرى فاعلاً إلا الله تعالى ، ولا معبوداً سواه ، ولا مستولاً إلا إياه .  
ولذا يمكننا أن نقول إن أصول العقيدة كلها ، يعتمد الإيمان بها على العقل .

فمن طريق الأدلة والبراهين كان الإيمان بالله ووجدانيته وسائر صفاته التي تليق بذاته .

وبالأدلة العقلية والمشاهدات التأملية : كان الإيمان بعقيدة البعث والحساب والجزاء . . . . . ومن طريق العقل وعجزه عن معارضة المعجزه ثبتت صحة النبوة وصدق الرسالات والمبلغين عن الله ، والتسليم بما جاءوا به من أخبار عن الله ومن أمور الآخرة والجنة والنار والثواب والعقاب والسؤال . . . والملائكة . . الخ . .

وكذا التسليم بما أخبروا به من الكتب السماوية المنزلة على رسل الله " كل من أس بالله وملائكته وكتبه ورسله " فثبت صدق جميع الرسل وصحت سببه ما جاءوا به من الكتب إلى الله تعالى .

فيتضح بعد ذلك أن : العقل اعتبره الشرع وسيلة لمعرفة أصول العقيدة ولم يهمله ، بل سار معه إلى آخر طاقاته وعند عجزه عن مسابرة الشرع والوحى قاده بالإيمان والتسليم إلى عقيدته الكاملة .

---



( المبحث الثاني )

( تعهد به بالتشريعات التي تحفظه وتصونه )

مما كرم به الاسلام العقل أن وضع له من التشريعات ما يصونه  
ويحفظه من الضلال والزيغ ، ويضمن له هدوء التفكير واستوائه واتزانه  
ليكون مصيبا في أحكامه على الأمور ، متخذا الطريق الصائب والسلوك  
الامثل ، وهذا لا يتأتى الا اذا أُعِين العقل بصورة طبيعية غير  
متأثر بآية مؤثرات خارجية اود اخلية ، أو تحت اى ضغوط نفسية  
أوجسدية . . .

ولذا فقد كانت تشريعات الإسلام تتعهد العقل بما يحفظه من  
كل ذلك لأن الحالات النفسية سريعا ما تؤثر على الضبط العقلي لسوا  
الانسان ، فراعى الاسلام مشاعر الانسان وحالته النفسية في تشريعه  
وأمره ونهيه وتحذيره وإباحته . . .

وحفظا للشعور عند طريان ما يخجل الانسان ما ارشدت اليه السنة  
من التخلص من مكروه بأمر سهل لا يسبب حرجا لفاعله فروى عن عائشة  
رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " من احدث  
في صلاته فلينصرف ، فان كان في صلاة جماعة فليأخذ بأنفه ولينصرف " ( ١ )

---

( ١ ) الحديث رواه ابن ماجة عن عائشة باب الهوى في الصلاة - من احدث

في صلاة كيف ينصرف ج ١ ص ٣٨٦ .

فهذه وأمثالها من الحيل التي أبحاثها الشرعية ، وهي تَحْبِيل  
الانسان بفعل مباح على تخلصه من ظلم غيره وأذاه - وأيضاً لدفع  
الحرج عن الانسان (١) وأمسك المحدث بأنفه عند مفادرة الجماعة حتى  
يتظاهر بنزول الدم من أنفه وهذا ممالا يسبب الحرج لصاحبه بخلاف  
الحدث .

ولما كانت الناحية الجسدية مرتبطة بالناحية النفسية والعقلية نفس  
الانسان وان كلا منهما يتاثر بمرض الاخر " وكما نرى المريض من جسده خاصة  
اذا كان سبب مرضه احد الجزأين الشريفين ، اعنى الدماغ او القلب  
يتغير عقله ويمرض حتى ينكر عقله وذهنه وفكره وتخيله وسائر قوى نفسه  
الشريفة كذلك نرى المريض من جهة نفسه إما بالغضب واما بالحزن واما  
بالعشق واما بالشهوات الهائجة ، تتغير صورة جسده حتى يضطرب ويرتعد  
ويصفر ويحمر ويهزل ويسمن " (٢) لذلك كانت ضرورة العلاج صيانة لقوى  
الفكر .

نصفه عامه فان انفعالات النفس اذا سيطرت على القلب اثرت على  
التفكير والحكم على الامور تبعاً لما يسيطر على القلب من أخلاق وما يحكمه  
من انفعالات . . .

والسلوك السوى المتزق إذاً المواقف المختلفة يسمن عن عقل راجح  
وتفكير سليم لأن المؤمن " كيم فطن " ولا يرتباط العقل بالسلوك نجسد

(١) ابن القيم الطرق الحكمية في السياسة الشرعية ص ٣٥ .

(٢) ابن مسكويه تهذيب الاخلاق ص ١٥١ .

الاسلام قد وضع من الضوابط في التشريعات ما يجعل العقل في مأمن من الضغوط التي تعطل مهمته الفكرية :

١ - يادى " ذى بد " نجد ان الاسلام قبل الانسان كما هو ، قبله ككائن له روح وجسد وعقل وشهوه ووضع تشريعاته على هذا الاساس وضع ما يركى الروح ، صون الجسد ، وحفظ العقل ، ويلبى مطالب الشهوة ، " والله تعالى قد سخر لنا الارض بما ينسجم وتركبنا الادمى من اجل ان نواصل مسيرتنا لإعمار العالم وعبادة الله وحده ، وانه لمن التناقض المكشوف المرفوض في القرآن قطعاً ان يركب الانسان - من قبل خالقه - تركيباً معيناً وان تسخر الارض - بإرادة الله - لتلبية متطلبات هذا التركيب ثم تجى " الأديان من عند الله أيضا - لكن تنصب الحواجز وتضع الاسلاك الشائكة بين متطلبات التركيب الادمى وبين خيارات الارض ومنافعها المسخرة " (١)

فالتشريعات إذن ليعق الانسان جسدا وروحا وعقلا ووجد انسا وأما الكبت بالحرمان وهو حرمان الجسد من بعض غرائزه الطبيعية التي ربما شذ مستعملها عن المألوف في الأفعال السوية وترها بحجة أنها ليست مشروعة وهذا خطأ لأن الله لم يخلقها عبثاً فقط امرها باتباع الصراط المستقيم ، لأن الانسان ينال متطلبات جسده وفريزته بالوسائل المشروعة في الدين والاخلاق كالفرق بين الزنا والزواج ، والسرقه والتكسب

(١) د / عماد خليل العقل المسلم والروية الحضارية ص ٣٩ .

فالعمليات واحدة والوجهة والنية والتنفيذ يختلف . . . (١)

فلا سلام بهذا ليس كذلك النظم التي حركت الجسد واشبعته الروح  
 فاشبعتهما على حساب الجسد وقواه . ما أو أشعبت الجسد على  
 حساب الروح ، بل رسم طرق إشباع الغرائز والشهوات في الجسد  
 كما وجه إلى إشباع الروح وتغذيتها بالعبادات ، بينما هناك نظم  
 تحرم على الانسان مجرد الاحساس بشهواته . فالتعاليم الكونية  
 مثلا تحرم على الناس ان يحسوا بهذه الشهوات فينشا الكتب والاضطراب  
 النفسى . (٢) بينما نجد الاسلام يعترف بالطبيعة البشرية حيث يقول  
 القران " زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة  
 من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث . . . (٣) والاسلام  
 إذ يعترف بهذه الأمور يخلص المؤمن من الكبر والاضطراب النفسى  
 يقطع السبيل على سلسلة طويلة من الامراض النفسية المؤدية الى اضطراب  
 عملية التفكير ، وتعطل العقل عن المهمة التي خلق من أجلها وهى  
 ضبط السلوك وتمييز الحق من الباطل . وسلامة العقل من تلك الضغوط  
 النفسية يستوى السلوك ويتزن الانسان .

ب - ترتبط الناحية العقلية والنفسية للانسان بالايمان بالله حيث اتصل  
 بربه بعد اطمئنان القلب بالايمان ، التابع من التفكير العقلى  
 والتأمل الفكرى ، في الكون يسلم الانسان بوجوده قادر واحد

(١) ابو الفيض المتوفى - المعرفة العظمى ص ١١٤ .

(٢) محمد قطب الانسان بين الماديه والاسلام ص ٧٣ .

(٣) سورة آل عمران ١٤ .

عالم حتى أصبح بصير ، مالك الملك بيد الخلق والأثر ، لا يقع في ملكه  
الا ما يريد ، وكلم المؤمن أنه لن يصيه الا ما كتب الله له ، يتلو  
ذلك قرآنا حُتتقرا في وجد انه ممتازا بروحه ، مالكا عليه كيانه : " قل  
لنصيننا الا ما كتب الله لنا " وعلم كذلك : " أن الامة لو اجتمعوا  
على ان يضره لم يضره الا بشئ " قد كتبه الله عليه ، ولو اجتمعوا  
على أن ينفعوه لم ينفعوه الا بشئ " قد كتبه الله له ، ووقر في قلبه  
أيضا أن خالقه ومعبوده هو مالك الملك " قل اللهم مالك الملك توحي  
الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء  
بيدك الخير انك على كل شئ قدير " ( ١ )

واستقر في قلبه وسكن في روحه أن المال مال الله ، والغنى والفقر  
بيد الله ، والصحة والمرض بإرادة الله وقدرته . .

فالله وحده هو الفعال لما يريد ، فالفاعل لكل شئ هو الله ، والسبب  
الأول هو الله ، أما الاسباب العادية المشاهدة والتي اقتضت إرادة الله  
وجودها في الكون فهي عبارة عن وسائط لنقل فعل الله الى الخلق ، واذا  
انقطعت تلك الوسائط والاسباب بين فعل الله وبين خلقه كانت خوارق  
وكرامات وليس هذا عزيزا على قدرة الله " ومن يتق الله يجعل له مخرجا  
ويرزقه من حيث لا يحتسب " . .

---

( ١ ) آل عمران ٢٦ .

سَلَّمَ المؤمن بَدَلَ هذا انطلاقة من عقيدة الإيمان بالقدر خير وشره  
 حلوه صره واذا رسخت تلك العقيدة في القلب اطمأن بها وهدأت النفس  
 وانتظم الفكر وسلم العقل . . . واذا حدث خلل نفس بالإنسان بسبب  
 إلقاء الشيطان دوسوته فإن التشريمات الالهية فيها العلاج الناجح  
 الحافظ للعقل والنفس والجسد . . . وهذه امثلة يوضح تلك الحقيقة :-  
 ١ - فالخوف مثلا حاله نفسية تعترى الانسان ، وهو : " بمرض من  
 توقع مكروه وانتظار محذور ، والانتظار والتوقع انما يكونان للحوادث  
 في الزمان المستقبل . . . " (١) . . . واليه تعود معظم الامراض النفسية  
 مثلا " الحصر أو القلق العصابي " مرض نفسي يجعل سلوك الانسان  
 شاذا ونفسه ضعيفة وتفكيره مضطربا مشوشا ، يخاف من كل شيء من اي  
 شيء حتى ولو كان تافها ، حتى يكاد المريض يظهر حيا وهوميت من  
 الناحية النفسية مصاب بالحساسية الانفعالية بشور لاتفه الاسباب .

وهذا المرض يرجع سببه الرئيسي الى الخوف من شدة اشد الحيات  
 وكوارثها . . . كما أنه يتطور ليصل الى حالة " الينورستينيا " وهو مرض  
 التذبذب النفسى يظهر المريض هادئا في حركته وكلامه بينما هو ناثري باطنه " (٢)  
 والطبع لا يخفى ما لهذه الامراض من تأثير جسدي على عقل الفرد وفكره واستواء  
 سلوكه (٣) . . . ولكن عقل المؤمن عصمه صلته بربه فقد قضى الاسلام على  
 كل اسبابها . . . أي أسباب الأمراض .

(١) تهذيب الاخلاق لابن مسكويه .

(٢) الفرد / خليفة بركات الفكرة في كتاب علم النفس العام ص ٢٩٦ صاعد ها .

(٣) محاولة لتفسير الشحور بالعداوة .

وهذا الخوف قمان : خوف من الله ، وخوف من الخلق ، فاما  
الخوف من الله فهو دليل الايمان به تعالى ، قال تعالى " وأما من  
خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى " (١) وقال  
: " ولمن خاف مقام ربه جنتان " (٢)

وهذا الخوف يدعو الانسان الى الخير وينهاه عن الشر ويسمعه  
من المعاصي والسيئات ، والخوف من الله لا يصل بالخائف الى اليأس  
والقنوط من المغفرة والا تحول الى معصية وخطيئة ، فهو كالضرب السدى  
يومدب الولد فيرده عن الخطأ ، واذا زاد الضرب أفضى الى الموت  
فذلك لهم مقصودا منه لأن الغرض منه التأديب والاصلاح وليس الموت والقتل .  
وأما الخوف من الخلق فهو ناشئ عن ضعف الايمان ، يلقيه الشيطان  
في نفسه ليتمكن من السيطرة على قلبه وعقله وفكره فيصرفه عن السلوك القويم  
والطريق المستقيم . . الى السلوك الشاذ وطريق الضلال المرفوض : " انما  
ذلكم الشيطان يخوف اوليائه فلا تخافوهم وخافون ان كنتم مؤمنين " (٣)

ولكن العقيدة التي وقرت في قلب الانسان واطمأن بها علمته ان معبوده  
وخالقه ورازقه واحد ، فان خاف من الناس وتوقع ضرر ، او قوت نفع منعه  
فان ايمانه علمه أن النافع الضار هو الله " وان يمسك الله بضر فلا كاشف  
له الا هو ، وان يمسك بخير فهو على كل شئ قدير " (٤) .

(١) سورة النازعات ٤٠ - ٤١ .

(٢) الرحمن ٤٦ . (٣) آل عمران ١٧٥ .

(٤) الاحكام ١٧ .

مالك الملك هو الله تعالى " قل اللهم مالك الملك تومي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء " بيدك الخير ، انك على كل شئ قدير " (١) وان جميع العباد ما يملكونه عارية من الله تعالى . . ولا يملك أى من خلقه مهما كانت صفته أو منصبه أو جاهه ان يوجد في ملك الله غير ما أراد .

من هنا فلا سهيل للخوف من الناس الى قلب المؤمن ولا اضطراب لعقله — لأن صلته به به جعلته هادئ النفس والوجدان .

٢ — واذنا أساء الانسان الى احد كأن اعتدى عليه بالقول او الفم — ثم عاد الى نفسه وراجعها فأحسن بذنبه وندم عليه ، أو أهمل في حقوق الله تعالى ثم استشعر التقصير فعاد نادما ، فشمس بعقد الذنب وتأنيب الضمير ، لو ترك هكذا تحت تأثير الشعور بالذنب تحول الأمر الى عقد نفسية رهيب تؤثر تأثيرا بالغا في سلوك الانسان وتجره الى الامراض النفسية ، مثل " الهستيريا " التي تنشأ من عدم التكيف أو الفشل في مواجهة الحياة الواقعية ، والشاعر — بالاثم غير راض عن نفسه وواقعه فيصل الى الهستيريا القلبية التي تتمثل أعراضها في المخاوف التي تساور المريض والانزعاج الفكري والاحلام المزعجة . .

ولكن الاسلام قطع الطريق على كل هذه السلسلة الناتجة من عقد الشعور بالاثم ففتح باب الاستغفار والتوبة الى الله تعالى ، ولما كانت بعض الذنابات تتطلب في التوبة ان يحترف المخطئ بذنبه امام رجال الدين

(١) آل عمران ٢٦ .



كما في المسيحية حيث " يعتقد النصارى أنه لا يمكن دخول الجنة الا بعد  
الاقرار بالذنب للقسيس ، وإنَّ كل من يخفى ذنبا منه فلا ينفعه اقراره " (١)

وهذا المطلب من الاعتراف امام القسيس ربما خشى الانسان بسببه  
القضحة أو الخجل من ذنبه الذي ستره الله عليه فيمنعه ذلك من التوبة  
فتستحل عنده العقده . . . ولكن الاسلام جعل ذلك بين العبد وربه  
حيث يندم الانسان على ذنبه وحزم على عدم العودة لثله موقنا بقبول  
التوبه مما يجسب التأيب راحة نفسية وسكينه قلبيه فاذا كان بعض المرضى  
بالعقد النفسية يذهبون الى اطباء النفس للاعتراف بالخطأ امامهم فسان  
الله تعالى أولى بالاعتراف امامه من غيره وتقران الله مؤد لتسامح الضمير " (٢)

ونظريه الاعتراف بالذنب امام الله هي نظريه قرآنية لها آثارها الفعديه  
في النفس الانسانية والخوف من الله معه رجاء القبول " قل يا عبادي الذين  
أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله أن الله يغفر الذنوب جميعا " . . (٣)

يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : " يا ايها الناس تموا الى الله  
واستغفروه فاني أتوب اليه في اليوم مائة مره " (٤) فالاستغفار طلب المغفرة  
والتوبه هي الرجوع عن الزلات والندم على فعلها ، وهما تكررت الذنوب  
وندم الانسان عليها وتاب فانه الله يقبل توبته " كل ابن آدم خطاء وخير  
هم من اعترف بخطاياه "

(١) عهد الله الرحمان الانفلسي تحفه الاديب في الرد على اهل الصليب  
تحقيق دكتور / محمود حمابه ص ٩١ ط اولى سنة ١٩٨٣ .  
(٢) عفيق طباره روح الدين الاسلامي ص ١٨٦ .  
(٣) سورة الزممر ٥٣ . (٤) رواه مسلم كتاب الذكر والدعاء  
باب التوبه ص ٥٥٣ ط الشعب .

## الخطائين التوابين \* (١)

والقرآن والسنة زاخران بالآيات والاحاديث التي تحت على التوبة والاستغفار والرجوع الى الله . . . ورسول الله صلى الله عليه وسلم نسي الحد يث السابق بأمر بالتوبة والاستغفار ثم يقول " فاني اتوب اليه في اليوم مائة مرة " وهذه رعاية لنفسية للمذنب الذي يريد التوبة ، فان التوبة تزيده عزا بأدائها وهو ليس خيرا من رسول الله الذي كان حربيا عليها رغم أن الله غفر له ماتقدم من ذنبه ما تأخر وهذا يكسب النادم راحة نفسه عند أداء التوبة والقيام بها ، لا يشعر معها بالحرج ولا يخل من احد ا أبدا . . . الا ما يدعو اليه ايمانه وحياومه من الله .

٣ - في مضار الحياة والمعاملات يتعرض الانسان لبعض المواقف التي تثير انفعاله نحو المشاجرة والمقاتلة . . . اي تثير غضبه فتسبب عسر على عقله حدة الغضب فيهيج ويفعل مايفعل وهو لا يدري لأن العقل يعطل مؤقتا بسبب الغضب . . . فله تأثير مباشر على الجسم والمقل معا " فالقرد اذا ثار احمر منه الوجه والمينان وانتفخت الابداج لشوران الدم والمرء اذا جراه فاندفع في الانتقام ارداه . . . " (٢)

(١) رواه الترمذي ككتاب الدعوات ج٥ وقال حد يث حسن .

(٢) الادب اليبوي تأليف محمد عبد العزيز الخولي ص ١٥٤ .

وقد روى : أنه استب رجلان عند النبي صلى الله عليه وسلم فجعل  
احدهما يهضبه ويحمر وجهه وتنتفخ أوجاهه ، فنظر اليه النبي صلى  
الله عليه وسلم فقال " انى لا أعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ذاك " اعوذ  
بالله من الشيطان الرجيم " فقام الى الرجل رجل ممن سمع النبي صلى  
الله عليه وسلم فقال : هل تدرى ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم  
آنفا ؟ قال : لا . قال : انى أعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ذاك : لو قال  
" اعوذ بالله من الشيطان الرجيم " فقال الرجل أمجنونا ترانى ؟ " (١)

بعلق الاستاذ / حسن ابوب على ذلك بقوله : " هذه سقطه  
من هذا الرجل الذى اشتد غضبه حتى لم يقبل نصيحة رسول الله صلى الله  
عليه وسلم . . . "

" والقرن المشرون ملئ بمن غضبوا لباطلهم وأشخاصهم ففتحوا  
للشعب المناقى والسجون والمعتقلات وعلقوا المشانق لمن لا يدنون لهم  
بولا . وأدخلوا الاحزان والآام على كل أسرة ، وسددوا سهام  
الظلم والتعذيب والتنكيل الى كل انسان يهض فيه عرق بحرية او عسزه  
او كرامة " (٢) فالغضب قربن الحقد والظلم والحسد .

والغضب من اجل الله او بسبب انتها احترامه غضب محمود . . . ولما  
كان الغضب مركبا فى طبيعة الانسان . فلذلك كانت توجيهات الاسلام

---

(١) رواه مسلم كتاب البر والصدقه باب فضل من يملك نفسه عند الغضب ج٥

ص ٤٧٠ .

(٢) حسن ابوب السلوك الاجتماعى ص ٧٩ .

تنحصر في الحلم وكظم الغيظ والعفو حيث إن ذلك يعطى العقل فرصة للمراجعة والشعور بالآثار المترتبة على الاندفاع والتهور \* لأن نار الغضب متى قصت والتهبت اعمت صاحبها وأصمته عن كل موعظة لأن الغضب يرتفع الى الدماغ فيغطى على معادن الفكر \* وربما تعدى الى معادن الحس فتظلم عينه حتى لا يرى بيمينه ويسود الدنيا في وجهه \* (١) ولذلك اعتبر الشرع كظم الغيظ فضيلاً ، فقال تعالى : \* وسارعوا الى مفغمره من ربكم وجنة عرضها السموات والارض اعدت للمتقين \* الذين بنفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين (٢) معنى كظم الغيظ : \* اي اذا نار بهم الغيظ كتموه فلم يُعْلِمُوهُ وفعلوا مع ذلك عمن أساء اليهم \* (٣)

وقد روى في الحديث : أن اعرابيا بال في المسجد ، فقام الناس اليه ليقموا به فقال النبي صلى الله عليه وسلم : دعوه واربعوا على بولمسجلا من ماء او ذنبا من ماء فانما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين \* (٤) فهم قد اغضبهم فعل الاعرابي - غير العالم بالحكم - وأثار غضبهم - ومقتضى ذلك سلكوا الاقناع به من السب والشم ، الا أن النبي صلى الله عليه وسلم حلم - مع انه لم يرض بما فعل الاعرابي - حتى دلهم على الطهارة ثم عرّف الاعرابي الحكم في ذلك \* ويقول : \* اذا غضب

(١) ابن قدامة مختصر منهاج القاصدين ص ١٥٨ ، وانظر : نحو تربية اسلاميه ص ٢٥٢ - ٢٥٣ .  
 (٢) سورة آل عمران ١٣٣ ، ١٣٤ .  
 (٣) تفسير ابن كثير ج ١ ص ٤٠٤ .  
 (٤) رواه البخاري كتاب الوضوء - باب صب الماء على البول في المسجد ج ١ ص ٦٥ .

احدكم وهو قائم فليجلس ، فان ذهب عنه الغضب ، والا فليضطجع " أى  
أن تغيير الهيئة او الضوء او النسل هو علاج الغضب وهذه حقيقة أقرها  
علماء النفس .

فكظم الغيظ والحلم خلق فاضل وعظيم من أخلاق الاسلام يكبت الغضب  
ليتيح الفرصة للعقل ليفكر صهداً . . . فيحفظ سلوك الانسان من الشذوذ .  
ويبعد الحلم من أشرف الأخلاق وأحقها بذوى الاليل وهو ضبط  
النفس عند هيجان الغضب . . . واذا كانت الفضيلة وسط بين رذيلتين - كما  
يقول ارسطو - فان الانسان لو بلغ ذروة الحلم صار ملائكة ولو صار السي  
شهوته العمياء اصبح بهيمياً ، ولو اعتدل بين هذه وتلك كان انساناً  
سليماً ، في هذا جاء قوله الكريم حاسماً قاطعاً : " اعد لوا هو اقرب للتقوى " .  
ويذكر الحارث المحاسبى أثر الحلم فى النفس : " اننا قادرون ان نتوصل  
الى كظم الغيظ الذى دعانا الله الى التحلى به وذلك عندما تكون لدينا  
قناعة عقلية بأن الحلم ليس ذلاً وإنما على العكس من ذلك اكرام للنفس وتبني  
لها ، وعندما يتأكد للانسان ذلك يصبح قادراً على كظم الغيظ ، فيصبر النفس  
وحبس الجوارح ، والصبر وحبس الجوارح عندما يعقل الانسان أن الحلم  
زينة والسفه ذل وشين . . . " ( ١ ) ولذا فالحلم من أهم التشرهعات والاخلاق  
المحافظة على سلامة العقل واستوائه .

---

( ١ ) الحارث المحاسبى مائمه العقل ص ١٧٩ ، وانظر ادب الدنيا  
والدين ص ٢٦١ ، د / سيد الجبلى الاعجاز الفكرى فى القرآن ص ٣٣ .

٤ - والانسان في حياته مَعْرَضٌ للصدّات والشدائد كالمصائب التي يبتلى فيها بفقد مال او نفس ، او فقد لعزيز او حبيب الى النفس او بمرض في بدنه او ماشابه ذلك ، وربما آلمه ذلك من الناحية النفسية لانه يحزن على ماضع منه او ابتلى به ، ويشهد الحزن حتى يهد صاحبه من الناحيتين النفسية والجسدية . . . ويتأثر عقله . . . بل وان هناك بعض الناس يصابون عند الصدمة بهستيريا - او اكتئاب . . . لكن الاسلام يشرق علينا بتهاليمه السامية فيوصي بالصبر فيقرر ان الصبر من اكبر الاخلاق وافضلها وان للصابرين اجرا عظيما غير محسوب ولا معدود لانهم قبلوا قضاء الله بنفوس راضية دون جزع أو يأس - وتجلت فيهم عقيدة الايمان بالقدر . . . فأيقنوا بأن ثوب الله خير ، فقال تعالى " ولنبلونكم بشئ من الخوف والجوع ونقص من الاموال والانفس والثمرات وشرب الصابرين الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون . اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة واولئك هم المهتدون " ( ١ ) ويقول تعالى " قل يا ايها الذين آمنوا اتقوا ربكم للذين احسنوا في هذه الدنيا حسنة وارض الله واسمعة انما يرضى الصابرون اجرهم بغير حساب " ( ٢ ) ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : " عجا لامر المؤمن ، ان امره كله خير وليس ذلك الا للمؤمنين ، ان اصابته سراة شكر فكان خيرا له ، وان اصابته ضراة صبر فكان خيرا له " ( ٣ ) . . .

( ١ ) البقرة ١٥٥ ، ١٥٦ . ( ٢ ) الزمر ١٠ .

( ٣ ) رواه مسلم كتاب الزهد باب النهي عن المدح ص ٨٤ ج ٥ .

والصبر معناه حبس النفس على المكروه ويعتبر ضابطاً ليس لانفعال الحزن فقط حتى لا يطفى على النفس والسلوك بل ضابطاً لكثير من الانفعالات النفسية التي يُعتبر تجاوزها شاذاً من الناحية السلوكية، وحافظاً للعقل من الانحراف في الفكر نتيجة لذلك الحزن والالام النفسى وهو - اى الصبر - مصدراً للطأمنةة في كل شىء ففى حد يث لرسول الله صلى الله عليه وسلم بقول فيه " الصلاة نور . . والصبر ضياء " (١) وظاهر ذلك أن الصبر أقوى تأثيراً في النفوس البشرية من الصلاة ففسد جعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ضياءً بينما جعل الشمس نوراً والضياء أقوى وأوضح من النور كما أشار الى ذلك القرآن الكريم ، قال تعالى : هو الذى جعل الشمس ضياءً والقمر نورا " والواقع يؤيد ذلك ويوضحه فان الصلاة لا يمكن اقامتها الا بالصبر عليها . .

هذا ، والصبر ثلاثة أقسام : صبر على المعاصى حتى تجتنب

وعلى الطاعات حتى تؤدى ، وعلى شدائد الحياه (٢) . .

٥ - والقلق نوع من الخوف الذى له اسباب داخلية ، واحياناً يقسم الانسان بعمل ما وينتظر نتيجته فيقلق من أجلها . . واذا زاد قلقه عن المألوف وغل ايضاً فى قائمة طهولة من الامراض النفسية الستى تنعكس آثارها على الجسم والصحة وعلى السلوك وأسلوب المعاملة مع الناس صلب بالتوتر النفسى الشديد كما فى حالات الحصر أو القلق

(١) الحديث مروي بتمامه مسلم - كتاب الطهارة فضل الوضوء ج١ ص ٥٠٠ واوله : الطهور شطر الايمان . .  
(٢) د / محمد السيد ندا محاضرات فى الاحاديث المختاره ، السيد محمد الحكيم ص ١٥ ، ١٦

المصائب ٥ وذلك لأنه يخشى من نتيجة ربما لا تكون مرضيه بالنسبة له فيشعر بالهَمِّ الشديد ٥٥ ولكن الاسلام يأتي ليعلمنا خلق التوكُّل على الله فيرشدنا إلى أن نترك الأمر لله ٥ والرضا بتقدير الله وقضائه توكل ٥ وهذا التوكُّل دليل الايمان القوى بالله ففبه تليم الامر لله فأمر الماضي والحاضر والمستقبل بيد الله ٥ وقد ربط الله بين التوكُّل والايمان في كثير من الآيات " قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون " (١) ويقول " يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم ان يسطوا اليكم ايديهم فكف ايديهم عنكم واتقوا الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون " (٢) والله تعالى كقيل بارضاه المتوكِّلين عليه المسلمين له وهو كافهم وانعمهم ما يخافون فقال: " من يتوكل على الله فهو حسبه ان الله بالغ امره " (٣) وقال: " اليمن الله بكاف عبده ويخوفوك بالذين من دونه من يضل الله فماله من هاد " (٤) فمادام اللماكبيا عبده فلماذا يخاف غيره ؟ والتوكل من آثار الايمان فالذي يؤمن بان الله بيده تصاريف الحياة ويده النفع والضرر يتترك الامر اليه يرضى بمشيئته فلا يفزع المستقبل وما يخبئه من مفاجآت يستعاض عن الخوف بمسكينه واطمئنان الى عدل الله ورحمته " (٥) ولهم معنى التوكُّل ترك الاسباب العادية ٥ بل على الانسان أن يندل كل ما في وسعه من طاقات مستخدم ما

(١) التوبة ٥١ ٥ (٢) المائدة ٢٣ ٥

(٣) الطلاق ٣ ٥ (٤) الزمير ٣٦ ٥

(٥) عفيف طيارة روح الدين الاسلامي ص ١٩٦ ٥



وسائل العلم باذلا الفكر والتخطيط ثم بعد ذلك يترك النتيجة للسه  
عازما على الرضا بما يكون من إرادة الله تعالى وتقديره وهذا يكسبه  
سكنه قلبه وسلامه عقله وفكره .

٦ - في هذا الضمار أيضا حرم الطيره والتشاوم لما لها من تأثير  
على أسلوب التفكير ، ولما لها من افساد للعقل ، يقول ابو الحسن  
البصرى في ادب الدنيا والدين : " ليس شئ أضر بالرأى ولا أفسد  
للتدبير من اعتقاد الطيره - وهى التشاوم بالشئ - -  
ظن أن خوار بقرة أو نعيب غراب برد قضاء أو يدفع مقدرا فقد  
جهل . . . " فان المتطير معطل لعقله وتفكيره لمجرد سماعه صراخ  
بهم أو نعيب غراب ، وهادة تكون من لوازم الفاشلين فيقول " قلما  
يخلو من الطيرة أحد لاسيما من عارضته المقادير في ارادته وصد  
القضاء عن طلبته فهو يرجو والبأس عليه أغلب ، وآمل والخوف اليه  
أقرب ، فاذا عاقه القضاء وخانه الرجاء جعل الطيره عذر خيسته  
ونقل عن قضاء الله عز وجل وشيئته . . . " ( ١ )

وهذه الحالة أيضا منشؤها عدم اكتمال الايمان بالله والتسليم بالقضاء  
والقدر . . . ولذا نهى الرسول صلى الله عليه وسلم عنها حتى يحرر الرأى  
والفكر حيث قال : " لا عدوى ، ولا طيره ، ولا هامة ، ولا صفر " ( ٢ ) . . .

---

( ١ ) البصرى الماورى ادب الدنيا والدين ص ٣٢٢ .

( ٢ ) الحديث رواه البخارى كتاب الطب باب لاهامة ج ٧ ص ١٧٥ ، وسلم  
باب السلام .

ويقول : " ٠٠ " واذا تطيرتم فامضوا وهلى الله فتوكلوا " فالتطير  
هذا علاجه حسن التوكل على اللصع مباشرة الاسباب العادبة كما سبق ٠٠  
وصفه عامة ، فانه من منطلق عقيدة الرضا بالقدر ، وقضاء الله  
تعالى ، والتلبيح بها قد عولجت كثير من الامراض النفسية والرضا : علاج  
للطمع ، والحدق على الآخرين وحسد هم ، لان الراضى بما قدر الله  
راض بنعمة عليه قلت او كثرت ، ولا يَدْخُلُ نفسه في مقارنة مع من هم اكثر  
منه في المال ، واذا حدث وَأَدْخَلَ نَفْسَهُ فان رسول الله يطلب منه أن ينظر  
الى من هو أسفل منه " اذا نظر احدكم الى من فضل عليه في المال والخلق  
( بفتح الخاء وتسكين اللام ) فليُنظر الى من هو أسفل منه ممن فضل عليه " ( ١ )  
في روايه : " فهو اجدر الاتذروا نعمه الله عليكم " ٠٠

وهذا مما يسد الباب على حقداء على الآخرين وحسداه اياهم علس  
ما آتاهم الله من فضله فيتحرر عقلهم الهوى التابع للكراهية والحدق . لانه  
بمقارنة نفسه بمن هو اقل منه أحسن بنعمة الله عليه ، في المال والصحة  
فيشكره عليها بدلا من حقداه على غيره وفضبه عليه لانه في الحقيقة غاضب  
ليس على المنعم عليه ، وانما على المنعم الرازق ذاته (٢) فخرج بذلك من دائرة  
الايهان .

---

( ١ ) رواه البخارى باب الرقاق ج ٨ ص ١٢٨ ط الشعب ، وسلم كتاب الزهد

ج ٥ ص ٨١٢ .

( ٢ ) الادب النبوى ص ٢٢٤ بتصرف شديد .

٧ - من ابرز التشريعات الحافظة للعقل والكرامة : تحريم الخمر  
 وما في حكمها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " كل مسكر  
 خمر وكل خمر حرام " (١) وتحريم الخمر لما فيها من الاسكار الذي  
 يستر العقل ويغمه ويحول الانسان من شخص مميز عاقل الى حيوان  
 هائج منقطع عن الوعي والادراك . وصدق اسم الخمر على كل  
 ما أسكر في أى صورة سائلة أو جافة أو غازية ، وهو خمر حرام بسوى  
 صاحبه الى العقوبة الذميمة والخرصة .

" والخمر هي : ما خمر العقل وخالطه سوا" اكان من العنب أم من  
 غيره ، وهذا هو الذى عليه جمهور العلماء سلفا وخلفا " (٢) فكسل  
 ما أسكر وقطع العقل عن الواقع في أية صورة ، وتحت أى اسم من الأسماء  
 فهو خمر وهو حرام .

وبسبب الطبع فان هذه الخمر ضارة بالعقل والجسم ، أجمع على ذلك  
 كل أصحاب الفطر السليمة والطبائع المستقيمة فهي : شديدة الضرر بالماغ  
 الذى هو مركز العقل عند الاطباء والفقهاء ، يقول أبقراط : " ضرر الخمر  
 بالرأس شديد لأنه يسرع الارتفاع اليه ، ويرتفع بارتفاعه الاخلات التى تعلو  
 البدن وهو لذلك يضر بالذهن " وقال صاحب الكامل : " ان خاصية الشراب

- 
- (١) الحدیث رواه مسلم كتاب الاشرية باب كل مسكر خمر ج٤ ص ٦٨٦ ط الشعب .  
 (٢) د / محمد محمد محمد ابو شهبه الحدود في الاسلام مقارنتها بالقوانين  
 الضميمة - سلسلة البحوث الاسلامية العدد ٧٢ ص ٢٦٠ .

الاضرار بالهاغ والعصب " (١) من اضرار الخمر أيضا " أن شارب الخمر أول ما يصاب بآد رآكه وعقله مما يجعل الانسان ينحدر الى وضع المجانين كما انه يفقد ارادته وقوة ضبطه لنفسه فيكثر هيمانه وتكثر سقطات لسانه وكلما أوغل في شرب الخمر اكثر كلما زادت عنده هذه الظواهر ، وان كثيرا من الحوادث والجنايات والخيانات سببها الخمر ، كما أن كثيرا من الامراض الجسمية والمصبية تسببها الخمر فانفجار الشرايين في الدماغ ، وارتفاع الضغط ، وفسر الهضم وكثير من الامراض للخمر دخل في وجودها " (٢)

كما أنها إذ تذهب بالعقل فأسباب تحريمها تقرها الفطر السليمة والعقول السوية .

ما يحصل لشاربها من نشوة ولذة وسبان للهموم والاحزان على ما يزعم شاربوها لا يساوي عشر معشار ما يعقب شربها من آثام وأضرار ولو لم يكن فيها الا الجناية على العقل الذي هو أعز ما منح الله الانسان والجوهرة الالهية التي صار بها انسانا . . . " لكفى ذلك شرا " (٣)

وهذه الاضرار ، بالاضافة الى ما ذكره القرآن قرين تحريمها ، ان يقول تعالى : " يا ايها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والانصاب والالام رجس من عدل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون . انما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر صفكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون " (٤) فهي من عمل الشيطان بجر اليها شاربيها

- 
- (١) ابن القيم - الطب النبوي - ع عبد الغنى عبد الخالق احببا - التراث لبنان ص ١٢٣ .
- (٢) سعيد حوى - الاسلام ج ٤ ص ٧ .
- (٣) محمد محمد سبيه - الحدود في الاسلام ص ٢٨٣ .
- (٤) سورة المائدة ٩٠ ، ٩١ .

لهلقى بمنهم المداوة والبغضا\* ويعد هم عن ذكر وعن الصلاة . . . والقلوب  
إذا غفلت عن ذكر الله ، وتركت الصلاة حل البغض محل الحب والخوف  
محل الأمان ، والجحود محل الشكر وسيطر الهوى والشر على العقل  
التالف بسبب شرب الخمر مما يؤدى الى الانهيار الاجتماعى .

ولانها أهم الكبائر وسبيل للانهيار والضياغ فان الإسهام جعل لها  
حدا وعقوبة تقام على شاربها ، فقد روى مسلم بسنده عن علي قال \* جلد  
رسول الله أربعين ، وأبو بكر أربعين ، وعمر ثمانين وكل سنة وهذا  
أحب الى \* (١) يقول ابن رشد \* وأما الواجب فهو الحد والتفسيق ،  
الا أن تكون التوبة ، والتفسيق فى شارب الخمر باتفاق ، وان لم يبلغ  
حد السكر ، وفيه بلغ حد السكر فيما سوى الخمر ، واختلف الذهب  
وأما تحريم قليل الأثنية فى وجوب الحد ، وأكثر هو ملا على وجهه الا أنهم  
اختلفوا فى مقدار الحد الواجب ، فقال الجمهور : الحد فى ذلك ثمانون  
وقال الشافعى وأبو ثور وداود : الحد فى ذلك أربعون ، وهذا فى حد  
الحرام والجمهور على الحد واقامته على شارب الخمر (٢) . . . وهذا  
ردعا له فزجرا لامثاله ، وهذا التشريع الحكيم يبين لنا حرص الاسلام على  
الانسان ، وعقله .

وعنها فهذا التشريع وغيره يؤيد لنا مدى رعاية الاسلام للعقل نفس  
تشريعاته التى تصونه وتحفظه ليعمل ويفكر ويجتهد ويتكلم ، ويميز الحق

(١) رواه مسلم كتاب الحدود - باب حد الخمر - من حديث ابن بكير  
ابن شيبه ج ٥ ص ٢٦٠ ط الشعب .  
(٢) ابن رشد - بداية المجتهد ونهاية المقتصد ج ٢ ص ٥٢٤ .

من الباطل والخطأ من الصواب . .

وكذلك ما شرع في الاسلام من المحرمات من الاطعمة وغيرها من  
الخبائب \* وحل الطبقات وحرمة عليهم الخباثت \* فكل محرم خبيث  
وكل خبيث ضار . فمحرم من الخباثت لصالح جسم الانسان وصيانة  
لجسده فانه في الواقع لصيانة العقل أيضا لانهما - العقل والجسد  
مرتبطان يتأثر كل منهما بالآخر ولأن العقل السليم في الجسم السليم  
كما هو معلوم .

” البحث الثالث ”

( تحريره من جمود التقليد والتعصب )

من رعاية الاسلام للعقل أن حرره من جمود التقليد والتعصب للمذاهب والمعتقدات ، وتترك النظر ، فحرره من تقليد الآباء فسي عفاك هم وضلالهم حيث إن ذلك يعتبر تجميدها للعقل وتعطيلا للمهمة التي خلق لها ، وغايته التي وضع من أجلها وهي الفكر والتأمل ” لأن الفكر إما يكون فكرا له وجود صحيح إذا كان مطلقا مستقلا يجرى في مجراه الذي وضعه الله عليه إلى أن يصل إلى غايته ، وأما الفكر المقيد بالعمادات المستعبد بالتقليد فهو المرذول الذي لا شأن له ، وكأنه لا وجود لـه وقد جاء الاسلام لمُعتق الأفكار من رقبها ، وحلها من عقابها ، وخرجها من ذل الأسر والمبودية ، فنرى القرآن قاعياً على المقلدين ذاكرا لهم بأسوأ ما يذكر به المجرم ” ( ١ ) .

فالعقل وَضَعَهُ الطبيعي أن يعمل ليصل إلى العقيدة السليمة . . ليس عن طريق التقليد الاعمي وليتضح لنا معنى التقليد من الاتباع فإننا نعرض لذلك بما يجاز غير مختل :

معنى التقليد : ” التقليد لغة : وضع الشيء في العنق مع الاحاطة بصيغته ذلك ” قلادة ” ثم يستعمل في تفويض الأمر إلى الشخص استعارة كأنه ربط الأمر بعنقه ، أما اصطلاحاً : فهو قبول قول بلا حجة .

---

( ١ ) د / محمد عماره تحد يد الفكر الاسلامي ص ٤٢٠ - كتاب الهلال عدد ٣٦٠ .

وهو يتسق مع المعنى اللغوي فكأن المقلِّد يطوق عنق المقلِّد بمسئوليه  
ما يفتهه . والتقليد ليس طريقاً إلى العلم لا في الأصول ولا في الفروع (١)

وقيل في تعريفه أيضاً : " التقليد هو الأخذ بقول الغير من غير  
أن يعرف دليله ، والمراد بالأخذ : الاعتقاد ، أي اعتقاد مضمون قول  
الغير ، والمراد بالقول ما يشمل الفعل والتقرير . . (٢) . .

وعلى هذا فالمقلِّد مُفْلِقٌ عَقْلَهُ معطله عن الفكر ملقباً ذلك على غير  
فهو يفكر بمقول الآخرين .

وأما الفرق بين التقليد والاتباع : فالتقليد قبول قول الغير بلا حجة  
أما الاتباع فهو السير على منهج رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد قيام  
الأدلة على نبوته ، المنقوليننا بواسطة أهل الاتقان من الثقات من السلف  
ملا بعد كثرة المعجزات والبراهين والدلالات (٣) . . فالمقل له عمل  
واضح في الاتباع دون التقليد . لأن الوصول إلى صدق النبي عن طريق  
العقل ودلالاته . . ثم السير على منهج ذلك النبي الذي سلم العقل بصدقه  
في رسالته .

موقف القرآن من التقليد والمقلد : اتخذ القرآن من مقلدي الآباء  
والجمود على عقيدتهم الباطلة مع التعصب لها ، والاستعلاء على قبول  
الدعوة خوفاً على المنصب والجاه والسلطان . . اتخذ منهم موقف الذم والاهانة

- 
- (١) محمد هشام الأبهى - الاجتهاد ومقتضيات العصر - دار الفكر -  
الأردن ص ١٤٥ وانظر تفسير القرطبي ص ٥٩١ ط الشعب .  
(٢) شرح الجوهري ص ٣٦ ، وانظر منهج علماء السنة ص ٧٤ .  
(٣) المرجع السابق ، وانظر إيقاظ الوسنان في العمل بالنسبة والقرآن -  
محمد بن علي السنوسي - ط دار الكتاب اللبناني ١٩٦٨ ص ١١٩ .



حيث انهم تشبهوا بالجمادات غير العاقلة فأغلقوا عقولهم وقلوبهم فلم يناقشوا أو ينظروا، بل جادلوا وكابروا واتبعوا أهواءهم وهولهم الشخصية وتمصبوا لها، حتى قالوا : " سواء علينا أوهظت أم لم تكن من الواعظين " فسواء اكننت على الحق أم على الباطل فإننا لن نتبعك وهذا قمة الجمود والتعصب والحناد . .

ويحكى القرآن عن سيدنا ابراهيم مع قومه ذاتاً لهم بسبب جمودهم على عبادة الاصنام الجامدة ، قال : " . . ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون . قالوا وجدنا آباءنا على آباءنا عابدون . قال لقد كنتم أنتم وآباؤكم في ضلال مبين " (١) أى أنهم لا دليل عندهم على صحة عبادتهم تلك التماثيل الا أن آباءهم كانوا يعبدونها ، فأين عقولهم هم ؟ ولماذا جمدها على عبادة تلك التماثيل ، وتمصبوا لها ؟ لقد كان آباؤهم مخطئين ، وهؤلاء أيضاً مخطئون لأنهم تابعوهم في تلك العبادة وأهلوا عقولهم فلم ينظروا فيها ليحلوا خطأها لذا قال لهم " لقد كنتم أنتم وآباؤكم في ضلال مبين " .

وهؤلاء قوم آخرون يحكى القرآن عنهم : " بل قالوا انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آفأارهم مهتدون . وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير الا قال مترفوها انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آفأارهم مقتدون . قال اولو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم " ؟ قالوا انا بما أرسلنا به كافرين " (٢) فهم يحلنون أنهم متمسكون بما عليه آباؤهم . . هند ما

(١) الانبياء ٥٢ - ٥٤ .

(٢) الزخرف ٢٢ - ٢٤ .

بمرض رسولهم قوله اولو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم ؟ أى بأهدى  
وأفضل منه ، وخير منه . أعلنوا كفرهم بمصدق ما جاء به ، ولم يكلفوا  
انفسهم حتى مجرد السؤال عن ذلك الهدى ! بل رفضوا لا لشيء الا لأنه  
لا يتفق مع ميولهم ولا يوافق أهواءهم . . .

وهو لا أيضا : " اذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع  
ما آلقينا عليه آباءنا ، أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون " ( ١ )

وتعلق قوم بهذه الآية في ذم التقليد لزم الله تعالى الكفار باتباعهم  
لابائهم في الباطل واقتد اشهم بهم في الكفر والمعصية . . وهذا في الباطل  
صحيح ، أما التقليد في الحق فأصل من أصول الدين ، وعصمة من عصم  
المسلمين بلجأ اليها الجاهل المقصر عن درك النظر . . واذ كان التقليد  
هو قبول القول بلا حجة فعلى هذا من قبل قول النبي صلى الله عليه وسلم  
من غير نظري معجزته يكون مقلداً ، وأما من نظر فيها لا يكون مقلداً . . وقد  
اجمعنا الأمة على إبطال التقليد في العقائد " ( ٢ ) . .

يذكر الفخر الرازي في تفسيره : " يقال للمقلد: هل يعترف بأن شرط جواز  
تقليد الانسان أن يعلم كونه محققاً ، أم لا ؟ فان اعترفت بذلك لم تعلم جواز  
تقليد الأبعد أن تعرف كونه محققاً أم لا ؟ فان اعترفت بذلك لم تعلم جواز  
تقليد الأبعد أن تعرف كونه محققاً فكيف عرفت انه محقق ، وإن عرفته بتقليد  
آخر لزم التسلسل ، وإن عرفته بالمقل فذلك كاف فلا حاجة الى التقليد  
وإن قلت ليس من شرط جواز تقليد ، ان يعلم كونه محققاً فان قد جوزت

( ١ ) البقرة : ١٧٠ . ( ٢ ) تفسير القرطبي ص ٥٩١ .

تقليده ، وان كان مبطلا ، فاذن أنت على تقليدك لا تعلم أنك محقق  
 او مبطل . . . وقد ذكر الله تعالى هذه الآية عقب الزجر عن اتباع  
 خطوات الشيطان تنبيها على أنه لا فرق بين متابعة وساوس الشيطان  
 وبين متابعة التقليد ، وفيه أقوى دليل على وجوب النظر والاستدلال  
 وترك التعويل على ما يقع في خاطر من غير دليل أو على ما يقوله الغير —  
 غير دليل ( ١ )

يقول الالوسي : " في الآية منع من التقليد لمن قد ر على النظر  
 واما اتباع الغير في الدين بعد العلم بدليل ما أنه محق فاتباع في الحقيقة  
 لما أنزل الله وليس من التقليد المذموم في شيء . . . وقد قال تعالى : فاسألوا  
 أهل الذكر ان كنتم لاتعلمون " ( ٢ ) وكل ما نزل من آيات القرآن فس  
 مدح العلم وفضله واستقلال العقل والفكر وحرية الوجدان والمطالبه  
 بالبرهان ، وندم اتباع الظن فيما يطلب فيه العلم والايمان دليل على ندم  
 التقليد ، وقد ندم اللمن اتبعوا ما ألفوا عليه آباءهم من ناحيتين : الجمود  
 على ما كان عليه آباؤهم والاكتفاء بذلك عن الترقى في العلم والعمل ، وأنهم  
 قد فقدوا المزية البشرية في التمييز بين الحق والباطل والخير والشر  
 والحسن والقبح بطريق العقل والعلم ، بدليل قوله تعالى : " واذا فعلوا  
 فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها قل ان الله لا يأمر بالفحشاء  
 أتقولون على الله ما لاتعلمون " ( ٣ ) ( ٤ )

- ( ١ ) الفخر الرازي ج ٢ ص ٧٨ . ( ٢ ) تفسير الالوسي ج ٢ مجلد ( ١ ) ص ٤٦ .  
 ( ٣ ) الاعراف ٢٧ .  
 ( ٤ ) عبد الله المشد حصاد التشريع الاسلامي ص ٢٨ .

في آية البقرة " أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون " الهيمزه هنا داخله على محذوف تقديره : أيتبعون آباؤهم ولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا فيتبعونهم في عدم عقلهم .

والاسلام لا يكتفى اذاء العقل بمجرد ذم التقليد والمقلد من رفضه فقط ، بل يشور عليه صطلق العقول من قيودها لتنتقل سابعة في عالم التأمل والفكر والهدى . . كما جعل العقل والنظر سهيلا للوصول الى الحقائق الصحيحة والمعارف الواضحة . .

١ - ففي نهي القرآن عليهم تقليد آباؤهم في الضلال ، والتعصب لما كانوا عليه من الضلال ، فيه دعوة مخالفة مقتضى الذم وداعية ، . . . . .  
النظر والتفكر " أولم يتفكروا ؟ ما بصاحبهم من جنة " وقوله " لقد كنتم أنتم وآباؤكم في ضلال مبين " وقوله " أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا يهتدون " . . . . .  
مخلقه وعقولهم جامد ، مثلهم . . . . .  
بلا تعصب أو هوى - للوصول للحقيقة .

٢ - تكررت في القرآن الآيات الداعية الى النظر والتأمل ، والتدبر والتفكر ، والفقه كقوله تعالى : " قل انظروا ماذا في السموات والارض صاتغنى الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون " ( ١ ) وقوله : " أفلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها صالحا من فروع . والارض مددناها وألقينا فيها رواسي وانبتنا فيها من كل زوج بهيج " ( ٢ ) فهذه أوامر داعية

( ١ ) يونس ١٠١ .

( ٢ ) ق ٧٥٦ .

الى النظر وتعقل الامور والاحداث ما خلق الله في الكون من آيات دالة عليه تعالى . . . ، كما قال تعالى : " أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا " ( ١ ) يقول : " أفلم يدبروا القول أم جاءهم ما لم يأت آباءهم الأولين " ( ٢ ) . . . يقول أيضا " قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم انى ملىك ان اتبع الا ما يوحى الى قل هل يستوى الاعمى والبصير أفلا تتفكرون " ( ٣ ) ويقول كذلك : " أولم يتفكروا فى أنفسهم بما خلق فى السموات والارض ما بينهما الا بالحق واجل مسمى وان كثيرا من الناس بلىقاء ربهم لكافرون " ( ٤ )

وقد ورد الفقه فى معرض المدح للذين يفقهون ، والذم للذين لا يفقهون وس ذلك قوله تعالى " انما تكونوا بدركم الموت ولو كنتم فى بروج مشيدة وان تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله ، وان تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك ، قل كل من عند الله فما ل هو لا القوم لا يكادون يفقهون حد بشا ( ٥ ) وقوله : " هم الذين يقولون لا نتفوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا ولله خزائن السموات والارض ولكن المنافقين لا يفقهون " ( ٦ ) . . . وهذا كله دعوة للنظر والفكر .

٣ - وكما دعا الى التأمل والتفكر وحث عليهما تصريحاً أو تلميحاً ، مما أن النفوس البشرية تحب المدح والثناء ، فقد مدح الله اصحاب المقول وأولى الالباب المفكرين فقال تعالى : " ان فى خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لايات لاولى الالباب . الذين يذكرون

( ١ ) النساء ٨٢ . ( ٢ ) المؤمنون ٦٨ .

( ٣ ) الانعام ٥٠ . ( ٤ ) السورم ٨ .

( ٥ ) النساء ٧٨ . ( ٦ ) المنافقون ٧ .

الله قياما ورفوعا وعلى جنوسهم ويتفكرون في خلق السموات والارض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانه فقنا عذاب النار " (١) كما قال ايضا : " اعد الله لهم عذابا شديدا . فاتقوا الله يا اولى الالباب الذين آمنوا قد أنزل الله اليكم ذكرا " (٢) . . .

فهذه التوجيهات الالهية والاشارات الحكيمه القرآنية تدعو العقول لكسر قيد التقليد والجمود للتأمل والنظر والبحث ليكون في موضعه الصحيح ومكانه السليم في التمييز بين الحق والباطل والفت والثمين ، ومعرفه الصدق من الكذب لهسير الانسان في طريق الله . . . وفيه كذلك دعوة السى ترك الاعجاب برأى الآباء ، وآرائهم هم حيث قلدوا كبراءهم فدعاهم ذلك الى التعصب .

وان الاسس التي يعتمد عليها التقليد ترجع الى قوة الزمن فكلما ازداد الشئ قدما زاد ثقيمته في رأى الناس وتميز عن غيره بالافضليه . . .

وترجع قوة الزمن الى : الاعتماد على العواطف والمشاعر في تفضيل الماضى ، فالمؤسسات الاجتماعية التي ارتبطنا بها سنوات طويله ، تفضى علينا رضا ورفاء ما لا يتوفر مع الجديدة . ، والاعتماد على قوة الزمن بناء على قضية منطقية مؤادها أن الكبار أحكم من الصغار ، والشيخ أحكم من الشباب ، ولذا فعلينا أن نقبل آراءهم ، كما أن هناك وهما أساسه أن الدنيا لا تأخذ في التقدم والتطور وانما تأخذ في التدهور والتدهور . . . (٣)

(١) آل عمران ١٩٠ ، ١٩١ . (٢) الطلاق ١٠ .

(٣) سعيد اسماعيل على الفلسفة ص ٢٤ ط ١٩٦٩ .

وهذه الأمور كلها لا ارتباطها بعاطفة الانسان تجعل التقليد مرتبطا بالتعصب للهوى ، والميل الشخصي ، فالمقلدون متعصبون لما هم فيه ، فالتعصب والعناد قرين التقليد والجمود واتباع الهوى رد بسف التعصب ، وقد عد الامام الفزالي التعصب للأهواء والمذاهب مدخلا عظيما من مدخل الشيطان الى قلب الانسان \* (١)

والتعصب بمعنى التشدد لفكرة معينة أو لذهب معين .. أو لشخص معين كفى المعجم الوسيط : " تعصَّب شد العصابة ، وتعصب القوم تجمعوا ويقال تعصب معه ، أو تعصب له : نصره ، أي شد أزره .. ويقال يوم عصب أي شد يد ، وتمعصب متشدد .. " (٢)

والهوى : ميل النفس الى خلاف ما يقتضيه الشرع وهو يأتي ايضا في معنى الشهوات مما تميل اليه النفس في المذاهب والاعتقادات ونحو ذلك مما يستميد النفوس ويجاني الحق (٣) ..

ولذلك كان امتناع المشركين عن الايمان راجعا الى رسوخ عصبية التقاليد في المجتمع العربي ، مما استهدفته الدعوة الاسلامية من هدم كثير من تقاليد المجتمع العربي الاصلية والفرعية أو تعدلها كالشرك على أنواعه ، والاستشفاع بالملائكة وهقمة كونهم بنات الله ، وما شب ذلك من وثنية مادية كالعصبة الاجتماعية الضيقة ، مما كانت لتشدد فيهم حزبات عائلية وقبلية وتجبر اليهم من اسراف في الدماء وفي هذا من الأمور التي فوجئوا بالدعوة تتعرض لها .. (٤)

(١) انظر الاحياء ج ٨ ص ١٣٩٩ ط الشعب .  
 (٢) المعجم الوسيط ج ١ ص ٦٠٣ ، وانظر مختار الصحاح ص ٣٦ .  
 (٣) انظر ادب الدنيا والدين ص ٢٤٤ ، معجم الفاظ القرآن ص ٢٠٤ .  
 (٤) د / عبد الغفار عزيز الدعوة الاسلامية بين التنظيم الحكيم والانتزاع الديني ج ١ ط ثانية ١٩٨٣ ص ٨٥ .

فعلامة العقل بالهوى التضاد . . حيث ان من أسباب انتصار الهوى على العقل استئصال الفكر في تمييز ما اشتبه وطلب الراحة فسي اتباع مايسهل حتى يظن أن ذلك أوفق أمزجه ، وأحمد حالته اغترارا بأن الأسهل محمود ، والاعسر مذموم . قال عامر بن الظرب : الهوى يقظان والعقل راقد فمن شَمَّ غلب ، وقال سليمان بن وهب " الهوى امنع والرأى أنفع ، في المثل: السعقل فزهر ناصح والهوى وكبل فاضح " (١)

فالهوى اذن لا يقوى الا عند خمول العقل كما أنه مرتبط بالتقليد لأن نشاء الابناء في أسر تربيتهم على سلوك معين يرسخ في وجدانهم فبالفونه وترتبط به عواطفهم ومشاعرهم ، ومن ذلك العبادة والمقصدات حيث يرتبط مهولهم بها ويقلدون فيها آباءهم ومعاينهم مجادلين ككل فكرة خالفت هواهم لها القوة . كما أنه يشددوا في تعصبهم لماهم فيه من ضلال موروث حتى رفضوا مجرد المناقشة فيه فجمدت افكارهم وعقولهم ودأب ضلالهم .

ولذلك كانت ثورة القرآن العقلية ودعوته الى الفكر والتأمل والبحث والنظر . وكما أنها كانت اخراجا للعقل من جمود التقليد المسيطر عليه فقد كانت تخلصها له من الهوى والميل الى الباطل والتعصب له ، ليتحرر في فكره وأحكامه .

(١) ادب الدنيا والدين ص ٢٩ .



### المبحث الرابع \*

( اغاوة من التفكير في القضايا التي يعجز عنها )

والعقل كقدرة بشرية أودعها الله تعالى في الانسان للتمييز له حسد ومنتهى ادراك معين ، لا يتخطاه واذا حدث فإنه لا يصل الى نتيجة وهما أجهد نفسه فانه لن يصل الى اليقين والحكم الجازم ، ولذلك كانت هناك قضايا فكرية تخرج على إطار قدراته الفكرية ولا يستطيع ادراكها منفردا .

يقول ابن خلدون : ( ١ ) " اتبع ما أمرك به الشارع من اعتقادك وصلحك فهو أحرص على سعادتك وأعلم بما ينفعك لأنه من طور فوق إدراكك من نطاق اوسع من نطاق عقلك . . . وليس ذلك بقادح في العقل هداركه بل العقل ميزان صحيح فأحكامه يقينية لا كذب فيها غير انك لا تطمع ان تزن به امور التوحيد والآخره وحقيقة النبوة وحقائق الصفات الالهية وكل ما وراء طوره فان ذلك طمع في محال يقال ذلك رجل رأى الميزان الذي يوزن به الذهب قطع أن يوزن به الجبال وهذا لا يدرك ، على أن الميزان في أحكامه غير صادق ، ولكن العقل قد يقف عنده ولا يتعدى طوره ، حتى يكون له ان يحيط بالله وصفاته فانهم نذرة من ذرات الوجود الحاصل منه ، وتقطع في هذا الغلط من يقدم العقل على السمع في أمثال هذه القضايا واضمحلال رأيه ، ولأن العقل لكى يتصور غائبا لا بد ان يكون ذلك له ارضية من المحسوسات . . . فالانسان لا يتصور العدميات إلا على الف ما رأى من محسوسات بل لعل أن الشئ الذي يغيب عن الناس ، وعد ذلك نريد ان نعطيهم صورة عنه ، تقول لهم : مثل الشئ كذا وكذا ننقله الى صورة معلومه ، فالإيمان بالآخره تعقل أما تفصيل ما فيها

( ١ ) مقدمة ابن خلدون ص ٤٠٤ - مكتبة عبد السلام شقرون ص ٤٠٤ .

فهو من جملة الاخبار الصادقة السمعية ٠٠ والاسلام يحدد مجال النظر العقلي فيصون الطاقه العقلية أن تتبدد وراء الغيبات التي لا سبيل للعقل البشري أن يحكم فيها . وهو يعطى الانسان نصيبه من هذه الغيبات بالقدر الذي يلبي مبله للمجهول . ولكنه بكل أمر ذلك الى الروح فهي القادرة على ذلك **المَرَوِّقُ** الوصول أما العقل فربما يتعلل الى الله لمعرفة الحق هي تدبير الظاهر للحس والمدر ك بالعقل من ثم يحدد الاسلام مجاله بهذا النطاق . ولا يتركه يخرق في التبه الذي غرقت فيه الفلسفة من قبل واللاهوتيات ، فلم تصل الى شيء حقيقي يستحق ما بذل فيها من جهد ان لم تكن قد غيبت مرآة الفكر البشري وشئت ما ينعكس عليها من أضواء " (١)

والموقف العقلي اذاً حقائق الوحي لا شأن له بالعقل اذ يقوم هذا الموقف على مبادئ محددة ، ولا يمكن للعقل ولا للانسان ان يجادون اساس من تلك المبادئ ، فعلى أساس تلك المبادئ يقيم تنبؤاته العلمية وفهمه العقلي . فاذا رضى العقل عن هذه المبادئ واعتبرها قياساً ثابتاً التزم بها فقد لا يرضى بها الوحي ولا يلتزم بها وقد يحمل الوحي على هدماً لها . فالوحي يقدم لنا حقائق والعقل يقدم اجتهادات نحو فهم حقائق الوحي . . . . . وعندما نعترف بحدود العقل في مواجهته للوجود اللأفقول . . . . . وعندما نعترف بمتناقضاته البائسة للمألوف فليس معنى ذلك أننا نكتشف ما يتصف به العقل من قصور وانما نكتشف قوة العقل والمعرفة وحدودها " (٢) من خلال ذلك نصل الى أن العقل له حدود في تفكيره

(١) محمد قطب - منهج التربية الاسلامية ج١ ص ٧٧ ط الشروق .  
(٢) د / محمد ابراهيم القيسوي - العلق الانساني الانجلوط ٢ سنة ١٩٨٠ ص ٤١٣ بتصريف .

حيث انه يتعامل مع الحسوسات تأملا وتفكرا ليصل الى ما وراءها من حقائق ولكن هناك أمورا غيبية ليست على الف ما يرى الانسان من الحسوسات فالمقل ليس طريقا للوصول الى معرفتها ، أو إدراكها . . ولو حاول ذلك لضاع جهده سدى ، وكان ظلما له واهانة . حيث وضع في غير موضعه وكلف بمالا طاقه له به . . فاذا كان من العقل أن أكلف صبيا في العاشرة أن يحمل حجلا بوزن خمسة كيلو جرامات . . فان من اللا عقل من الازلال والتعذيب أن أكلفه بحمل خمسين كيلو - ومحاولة ذلك عبث منه . .

ولذا كان من صون الاسلام للعقل وكرامته أن حدود له مجال تفكيره وقدم عليه الوحي ، لمساعدته فيما عجز عن ادراكه من القضايا والمعارف . . وحقائق العقيدة . . وجعل عن طريقه معرفة وجود الله تعالى ما يليق به تعالى ، ما يجب له وما يستحيل عليه . . وادراك صدق النبوات والرسالات ومعرفة أنهم يتلقون الوحي من الله حقا وهم صادقون فيما يتلقون عنه .

الى هذا . . يعمل العقل . . ولكن هناك الغيبات التي لا يستطيع العقل الوصول اليها ، فالإيمان بها مترتب على التليم أولا لله والانقياد له وكذا التسليم بصدق الرسل صلوات الله عليهم .

فمصدر معرفة هذه الامور الغيبية هو السماع من اطمان القلب السي أخبارهم وصدقهم ، ولذا جعل جزء من العقيدة " سمعنا " اي بمسرف ما فيه من أقوال الرسل صلوات الله عليهم ، وصدق أخبارهم ، وأخبار القرآن بها . .

وهذه السمعيات : سؤال القبر ٠٠ وعذابه ضعيفه ٠٠ والهم  
 الآخر مايقع فيه من حشر وحساب ميزان ٠٤ صراط ٠٤ وجنه وفساد  
 من ذلك : الملائكة ٠٠ فقد صحت الأخبار والنصوص بكل هذه الأمور  
 من الكتاب والسنة يؤمن أحدهما ٠٠ وقد أفاضت في الاستدلال على ذلك  
 العديد من المؤلفات كالأحياء والجوهره وغيرها من كتب التوحيد وكتاب  
 الروح لابن القيم ٠

من الأمور الخارجة على مجال تصور العقل : التفكير في ذات الله  
 لأنه تعالى ليس كمثله شيء ٠ - فهو ليس على الف المحسّات فلا يماثله  
 من خلقه شيء ٠ لأن العقل المحدود لا يستطيع أن يلمس هذه المرحلة  
 أو يطرق بابها وقد نهى الإسلام عن ذلك " تفكروا في خلق الله  
 ولا تفكروا في الله ٠ وكل ماورئي بالك فالله بخلاف ذلك " (١) والتفكير  
 في الله جنون ليستقيم مع المنهج السليم وكيف يفكر المحدود في اللامحدود  
 والقائى في الباقي ٠ والمعجز في القوى ٠ والملت في الحى ٠ (٢) وفى  
 اطار الوحي الالهى والتوجيه الربانى فان الايمان بالغيب والتسليم  
 به والتصديق بكل ما فيه ليس ايماءً بالخرافه او التخمينات أو الخيالات  
 " فاذا كان الدين يتضمن جانباً من الايمان بالغيب ٠ وهو كذلك يتضمن  
 جواب من عالم الحس والحركة ٠ والجانب الأول ينظم الجوانب الأخرى ٠  
 ويساندها ولا يحيف عليها أو يشردها بها ٠ فان الايمان بالغيب ليس ايماناً  
 بالوهم ولا اندازاً بالقوضى " (٣) ٠٠ وانما اراحة وطمانينة للقلب والعقل

(١) الحديث رواه البيهقى في الشعب ٠

(٢) الفكر الاسلامى بين العقل والوحى ص ٣٠ ط الشروق ٠

(٣) الغزالي - ركائز الايمان - دار الاعتصام ص ٩٢ ٠

وصونا له من الضلال والضوابة وسدا لطريق الشيطان في الوسوسة والتضليل  
والإغواء في تلك الأمور .

اذن فهذا التحديد لمجال العقل وعمله ليس فيه حرمانه من مطلبه  
بل انه يكون عوناً له وشفقة به حتى لا يهرق بما لا يجدى التفكير فيه .

من ناحية أخرى : فان سد باب التفكير في السمعات واغفاء العقل  
من التفكير فيها فيه صون لطاقة العقل ، وحفظ لها ، من ان تضع وتبدد  
في قضايا ليست في قدرته وطاقته . وتوجيهها الى مجال آخر للنظر والهداية  
والفائدة له ولغيره .

✽✽✽

### المبحث الخامس

( اعتباره مصدرا للتشريع فيما لم يرد فيه نص )

لما كان للعقل هذه القيمة ورعاه الاسلام كل الرعاية ، وحفظ له أعلى مكانة ، فانه ترك له مجالاً يحمل فيه في الشرع في التعرف على الاحكام والتوجيهات ، فجعل له مجالاً في الرأي يقضى فيه بما يرى ، وتقبل أحكامه مالم تعارض أصلاً من الأصول الثابتة فهو في المرتبة الثالثة بعد الوحى والنهية بعد ذلك له رأيه ، وفتح له مجال عمله وسيد ان انتاجه . . . وقضى حديث معاذ بيان لذلك ، فقد روى أن رسول الله لما بعث معاذاً الى اليمن قال له : " أرأيت ان عرض لك قضاء ؟ كَيْفَ تَقْضِي ؟ قال اقضى بكتاب الله قال : فان لم يكن في كتاب الله ؟ قال : فيسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : فان لم يكن في سنة رسول الله ؟ قال : اجتهد رأيي ولا آلو قال : فضرب النبي صدره ثم قال : الحمد لله الذى وفق رسول الله لما يرضى رسول الله " ( ١ ) ففى هذا دليل على أن الفقيه له أن يجتهد فيما لم يرد فيه نص من كتاب الله أو سنة وحمل عقله و يرى رأيه ، ولا يعطى القضية موضوع الافتاء ، وهذا ما استحسنته الرسول صلى الله عليه وسلم من أعمال العقل واجتهاد الرأي ، وحثا على أعمال الفكر واطلاق حرية الرأي فيما لا يعارض الأصول الثابتة فان للمجتهد المخطئ اجراً ، وللمصيب أجرين . . .

وروى ان عمر لقي رجلاً فقال له : ما صنعت ؟ قال : قضى على يزيد بكذا قال لو كنت لقضيت بكذا ، قال فما يمنعك والامر الهك ؟ قال لو كنت أردك الى ( ١ ) رواه الدارس عن عمرو بن الحارث - باب الفتيا وما فيه من الشدة ج ١ ص ٦٠ ط دار احياء السنة النبوية . وهو حديث حسن .

كتاب او الى سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لفعلت ولكنى اريدك الس  
 رأي والرأى مشترك . . . قلم ينقض عمر ما رآه على يزيد لعدم مخالفته لنص  
 مقطوع به ، وفي كتاب أبي موسى الأشعري : " لا يمنعك قضاء قضيت  
 به اليوم فراجعت فيه رأيك وهديت فيه لرشدك أن تراجع فيه الحق ، فان  
 الحق قديم لا يهطله شيء " ، ومراجعة الحق خير من التماضي في الباطل  
 قال ان مراده الرجوع عن الحكم الصادر عن الاجتهاد اذ اظهر مخالفته  
 للنص أو الاجماع كما لا يحق لمجتهد أن ينقض حكم مجتهد آخر  
 الا اذا خالف نصا او اجماعا لأن احد الاجتهاديين ليس أولى بالصواب  
 من الآخر . . . ( ١ ) .

فلا سلام اذن يعتبر الرأي ويحترمه فيما لم يرد فيه نص ولذا حث  
 على الاجتهاد ودعا اليه ، فان في القرآن الكريم بعض الآيات محكمة مفصلة  
 والبعض الآخر مجمل متشابه ، فالمحكمة فيها تفصيل كامل لما تضمنته من  
 أحكام ، وقد جاءت أحكام العبادات وما ألحق بها من الأحوال الشخصية  
 والموارث مفصلة لأن اكثرها تعبدى لاجال للعقل فيه غير أن السنة بينت  
 مجملها أو قيدت مطلقها أو خصصت عامها ، وأما ما عد ذلك من الأحكام  
 المدنية والجنائية والدستورية والدولية والاقتصادية فقد جاءت أحكامها  
 ذات قواعد عامة وبيادى ، ألسية ليمكن ولاية الأمور والمجتهدون فيها من  
 تفصيلها واستنباط ما يتناسب مع مصالحهم في حدود وأسس القرآن دون اصطدام  
 بحكم جزئى فيه " ( ٢ ) .

( ١ ) انظر اعلام الموقعين عن رب العالمين - ابن القيم ج ١ ص ٧٤ ، ج ٣  
 ص ١٣٠ ط الكليات الأزهرية ، الأستاذ / عبد الله المشد - مصادر التشريع  
 الاسلامى ط معهد الدراسات الاسلامية ص ١٠٦ .  
 ( ٢ ) عبد الله المشد - مصادر التشريع ص ٤١ ، عبد المال سالم مكرم  
 الفكر الاسلامى بين العقل والوحى ص ٤٦ .

والقرآن الكريم يرفض الاجتهاد والرأى فى مقابلة نص محكم لأن رأى  
المخلوق لا يقابل حكم الخالق • وهذا لا مجال لقياس ولا نظر •

مع ذلك فان مجال الاجتهاد فى الاسلام واسع جدا وهو فى قوة  
الاستيعاب لكل العصور والمجتمعات • وهذا الاجتهاد هو الذى يحدد  
للاسلام حيويته ودوامه • • ويجعل الانسان فى كل آن • والمجتمع نفس  
كل ظرف من الظروف • متصلا بالاسلام واقعا على حكمه • وهو المعامل  
الفكرى الذى يهبط المسلم بالحياة والحق " (١) •

فما سبق يتضح لنا أن مجال الرأى واعمال الفكر والاجتهاد هو النصوص  
ظنية الدلالة أو النصوص المجملة • والاحكام التى تتغير بحسب اقتضاء  
المصلحة والزمان والمكان والحال • " وان النطق<sup>الربط</sup> الذى يكون الاجتهاد  
ضمنه هو : تعرف معانى النصوص من الفاظها واستخراج الاحكام منها  
وتعرف المراسى والمقاصد من جملة النصوص الشرعية • بأن تتعرف الحكمة  
فى كل نص شرعى جاء بحكم • والاستنباط مما وراء النصوص فيما لم يوجد فيه  
نص لأن الحوادث لا تنتهى والنصوص تنتهى • • " (٢)

هنا كان الاجتهاد ضرورة لإيجاد الحلول الشرعية لما يستجد  
من قضايا وتطور بتطور الزمان • وتلك الأحكام من ثمار العقل المسلم الواعى  
المسلم بجوانب دينه المدرك لمراميه المحيط بما فيه من أمر ونهى • وبما يلى  
بيان ذلك •

(١) د / حسين أنبى من مقال بعنوان الاسلام فى الزمان والمكان - جامعة  
انقرة عن مجلة المسلم المعاصر العدد ٢٨ د بغير ١٩٨١ ص ٤٦ •  
(٢) محمد هشام الايوى - الاجتهاد ومصعبات العصر ص ٤٦ •



تعريف الاجتهاد :

الاجتهاد في اللغة : افتعال من الجهد ، وحقيقة معناه استفاد  
الجهد في طلب الشئ المرغوب في ادراكه حيث يرجى وجوده فيه ، اوحث  
بوقن بوجوده فيه .

في الاصطلاح : استفراغ الوسع في طلب الظن بشئ من الاحكام الشرعية  
على وجه يحسن من النفس المعجز من المزيد عليه .

وقيل في تعريفه ايضا : " استفراغ الجهد في ادراك الاحكام الشرعية  
القرعية من أدلتها التفصيلية الراجعة كلياتها الى أربعة أقسام الكتاب  
والسنة والاجماع والقياس . .

وقد عرفه الامام ابو زهره : فقال : بذل الفقيه وسعه في استنباط  
الاحكام العلمية من أدلتها التفصيلية ( ١ ) . . وهذه التعريفات كلها  
تتجه اتجاهها واحدا هو تعريف الاجتهاد ضمن نطاق الفقه ، لكن الاجتهاد  
الذي عرفه المسلمون في عصور الاجتهاد لم يكن مقصورا على الناحية الفقهية  
المتعلقة بالاحكام التشريعية ، بل وجدناهم يجتهدون في العلم كلها ،  
فهم يجتهدون في إيجاد قواعد اللغة وهم وان لم يخرجوها من المسمى  
فقد قننوها وقعدوها . . ولا ننسى أن اجتهادهم جعلهم يتفرقون نفس  
بعض القواعد الى اكثر من رأى . . وغير ذلك من العلم ، ثم هلم كعلم مصطلح

---

( ١ ) الامدى - انظر في التعريف : الاحكام في اصول الاحكام ط المعارف  
ج٤ ص ٢١٨ ، الشيخ ابو زهره اصول الفقه ط دار الفكر ص ٣٠١ .

الحدث ، ألهم ثمة للاجتهاد في حفظ سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذا المعلم المختلفه التي قامت ، انما قامت على اكتاف رجال اجتهاد وا في حفظ هذا الدين فلقُر ذلك فروها مختلفة من العلم ( ١ ) .

• • ولا يخفى ما للعقل من دور في ذلك •

شروط الاجتهاد : اتضح مما سبق ان الاجتهاد عمل عقلي لتبين الاحكام في القضايا التي لانص فيها ولكن لا بد للمجتهد من شروط اشترطها علماء الأصول ، وهي بايجاز : العلم بالعربية : لان القرآن الذي نزل بهذه الشريعة عري ، والسنة التي هي بيان له جاءت بلسان عري ، وقد حد الفزالي القدر الذي يجب معرفته فقال : انه القدر الذي يفهم به خطاب العرب واداتهم في الاستعمال ، و علم المجتهد باللغة يجب الابتصاص عن معرفة اسرارها في الجملة • والعلم بالقرآن : ناسخه ومنسوخه حيث انه حميل الله فبنا الى يوم القيامة ، مصدر هذه الشريعة ، وقال العلماء انه يجب أن يكون عالما بدقائق آيات الاحكام ، عالما بما نسخت أحكامه منها على فرض ان فيها ناسخا ومنسوخا ، وهي خمسمائة آية • والعلم بالسنة : القولية ، والفعلية والتقريبية في كل الموضوعات التي يتصدى لدراستها ، وان يكن عالما بكل السنة التي تشمل الاحكام التكليفية بحيث يكون قارئا لها وذاها ومدركا كل مراتبها ، وناسباتها ، والناسخ والمنسوخ منها ، والعام والخاص ، والمطلق والمقيد ، واسناد الحديث

( ١ ) محمد هشام الابهى - الاجتهاد ومقتضيات العصر - ص ٢٠ •

وقوة الرواه ، عالما بأحوال الرجال .

معرفة مواضع الاجماع : مواطن الخلاف ، مواطن الاجماع  
أصول الفرائض وأصول الموارث ، والمحرمات التي جاء بها القرآن  
والسنة . . مواضع الخلاف كاختلاف فقه المدينة ومنهاجه من فقه  
العراق ومنهاجه وذلك حتى لا يفتى بغير الحق والصواب .

معرفة القياس : ويقول الشافعي ان الاجتهاد هو العلم بأوجه  
القياس وطرائقه مبل انه يقرر اكثر من ذلك ان الاجتهاد هو القياس ،  
فلا بد أن يعرف منهج القياس السليم ويكون عنده من العلم بالاصول المستنبطة  
من النصوص التي وردت بالاحكام ما يمكنه من أن يختار أقربها للموضوع  
الذي يجتهد الفقيه في معرفته ، وان العلم بالقياس يقتضى ثلاثة أمور :  
أولها : العلم بالاصول من النصوص التي بنى عليها ، والعلل التي قامت  
عليها هذه النصوص ، ثانيها : العلم بقوانين القياس وضوابطه ومعرفة  
أوصاف العلة ، ثالثها : أن يعرف المناهج التي سلكها السلف الصالح  
في تعرف علل الأحكام ، والاصناف التي اعتبروها أسما لبنا ، الأحكام عليها  
واستخرجوا طائفة من الأحكام الفقهية . .

وقد عد البعض العقل من شروط الاجتهاد حيث انه مستند النفس  
الأصلي للأحكام ، ان العقل قد دل على نفي الحرج في الأقوال والأفعال  
وهي نفس الأحكام عنها من صور لانهاية لها ، أما استثنائه الأدلة السمعية  
من الكتاب والسنة فالمستثناء محصورة وان كانت كثيرة ، فهينفى أن يرجع  
في كل واقعة الى النفس الأصلية والبرائة الأصلية ، يعلم أن ذلك لا يفسر  
الا بنص أو قياس على نص فتأخذ في طلب النصوص ، في معنى النصوص

الاجماع وأفعال الرسول " (١) قال أهل الاجتهاد : لا يجوز الاجتهاد الا لمن علم ما أنزل الله عز وجل في كتابه من الأحكام ، وعلم السنن ، وما أجمع عليه المسلمون حتى يعرف الأشباه والنظائر صرد الفروع الى الاصول " (٢) .

يقول د / محمد سعاد جلال : اشترطوا كما قال الغزالي وغيره أن يكون المجتهد مجتنباً للمعاصي الفاحشة ، والعدالة وهذا الشرط في الحقيقة ليس شرطاً لذات الاجتهاد ، ولكنه شرط لقبول فتوى المجتهد الحاصلة من اجتهاده " (٣) . فهذه شروط الاجتهاد بما يجاز .

حكم الاجتهاد : للاجتهاد دور هام حيث انه يحرر الفكر ويجدد الشريعة ويجعلها صالحة للتطبيق في كل عصر وأوان كما يكسبها خلوداً . . . واغلاق بابها يمنع حرية النظر مومي الى اضطهاد الفكر والعلم والعلماء بصورة وحشية ، كما انه يومي الى عمق التأليف الفقهي وتعطل الفكر الديني وظهور المصنوعات المذهبية الشنيعة من أصحاب المذاهب . . . ومع أن بعض العلماء منع الاجتهاد واغلاق بابها . . . الا أن البعض الآخر يرى الاجتهاد ضرورة كالحنايلة حيث يرون أن باب الاجتهاد ليس

- 
- (١) الامام ابي زهره - اصول الفقه من ص٣٠٢-٣٠٧ ، والايراني الاجتهاد مقتضيات العصر ص٢٥ وما بعد ها - بتصريف شد يد ، ويد الوهاب خلاف - كتاب علم اصول الفقه من ص٢١٦ .
- (٢) مقالات الاسلاميين ج٢ ص١٧٤ - للاشعري - تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ط مكتبة النهضة المصرية .
- (٣) د / محمد سعاد جلال - الاجتهاد في الشريعة الاسلاميه - كتاب غيبي د ويصدر عن دار ثابت للنشر والتوزيع - الكتاب الساد من رجب ١٤٠٢ مايو ١٩٨٢ .

يخلق ، وأن العصر لا يخلو من مجتهد وساقوا لذلك أدلة منها : قوله عليه الصلاة والسلام : " لا تزال طائفة من أمتي على الحق حتى يأتسى أمر الله وظهر الدجال " (١) وقوله " العلماء ورثة الأنبياء " (٢) . . وورثة العلم يقتضى وراثته في الاجتهاد من حيث ان وراثته غير منقطعة والاجتهاد غير منقطع ، من ناحية العقل : قالوا ان التفقه في الدين والاجتهاد فيه فرض على الكفاية بحيث لو تركته جميع الأمة أثموا ، فلو فرضنا خلوا العصر من وجود مجتهد يفقه الأمة ويمين لها الاحكام للزم من ذلك اغتياق الأمة على الخطأ والضلالة ، واغتياق الأمة على الخطأ والضلالة ممتنع لقوله عليه الصلاة والسلام " لا تجتمع امتي على ضلالة " . .

وقد اختلف الخوارج في الاجتهاد فمنهم من اجازوه ومنهم من انكروه ولا يقول الا بظاهر القرآن ، وكذلك الزيدية منهم من رأى أنه جائز ومنهم من منع ، وقد منعه نهائياً الرافضة (٣)

ولأن الحوادث متجددة وتتطور بتطور الزمان ، ولا بد من ايجاد حلول وأحكام لكل ما يجد من حوادث ومناسبات . . فان هذا لا يتأتى الا عن طريق الاجتهاد واعمال الراى ، والنظر في الأدلة والقياس والنصوص واستخراج الاحكام مما يكسب الدعوة مرونة وجدّة وخلوداً ومعاصرة مما يكسبها

(١) الحديث رواه البخارى من حديث معاوية بلب قول النبي لا تزال طائفة من أمتي جا ٩ ص ١٢٥ .

(٢) الحديث رواه ابن ماجه عن أبي الدرداء - المقدمة - فضل العلماء . وخسنه حاص ٨١

(٣) انظر مقالات الاسلاميين جا ١ ص ٨٩ ، ١٤٩ ، ٢٠٢ .

(٤) رواه البيهقي كتاب الفتن باب ما جاز في لزوم الجاهل باسم الجعفر بن محمد السلام  
في رجال النعماني هربث باسم عربي من هذا الوجه

ثراء في الأحكام والمسائل مما يرفع الحرج عن كل متدبر ملتزم . .

ولذا فالاجتهاد في الاطار الذي رسمه العلماء واجب علمي يتطلبه العصر . . الذي نعيشه حيث تتوالى الوقائع والاحداث ويطلب رأي الدين فيها .

القياس : اشترط بعض العلماء في المجتهد ان يكون عالما بالقياس بل وقالوا ان الاجتهاد هو القياس - والقياس جهد عقلي في فهم النص وادراك العلة واستنتاج الحكم المناسب . . وقد عرفه علماء الأصول بتعريفات كـ هذا بعضها . .

تعريف القياس : " القياس لغة التقدير ، يقال قاس الثوب أو الأرض بالمر إذا قدره أو قدرها به ، وطلق ويراد به التسوية ، يقال فلان لا يقاس بفلان فضلا او علما اي لا يساويه . .

وبد علماء الاصول : هو إلحاق واقعة لانصر على حكمها بواقعة ورد نص بحكمها في الحكم الذي ورد به النص لا اشتراك الواقعتين في علة هذا الحكم " ( ١ ) . .

وليس القياس منشئا ولا مثبتا لحكم لم يكن موجودا في المقيس وانما هو كاشف ويظهر لحكم موجود وثابت للمقيس باشتماله على علة الحكم في المقيس

---

( ١ ) هذا تعريف القياس الاصولي ، بخلاف القياس المنطقي حيث ان . . المناطقة قالوا في القياس : وهو استنتاج نتيجة خاصة موجودة في نفس مقدمات عامة اوسع منها وتتألف عادة من ثلاث قضايا : مقدمتين ونتيجة ( الدراسات النفسية عند المسلمين ٣٥١ ) .

عليه والمجتهد بحمله قد أظهر الاشتراك في هذه العلة فظهر الاشتراك  
بينهما في الحكم . .

وهو حجة : حيث ذهب جمهور العلماء الى أنه حجة شرعية يجب  
المعمل بها ، وقد ذهب الظاهرية وعض المعتزلة والشيعه الى أنه ليس  
بحجة ، وطلت عليهم نفاة القياس . . حيث نقلوا عن عمر وعض الصحابة  
ذمهم للرأى ، فمن ذلك ما روى عن عمر رضى الله عنه انه قال وهو على  
المنبر : أيها الناس ان الرأى انما كان من رسول الله صلى الله عليه وسلم  
مصيها ، ان الله كان يريه ، وانما هو منا الظن والتكلف ، قلت ان مسراد  
عمر رضى الله عنه " انا انزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما اراك  
الله ولا تكن للخائنين خصيما " ( ١ ) فلم يكن له رأى غير ما أراه الله ايها  
كما نقل عنه أنه قال : اياكم واصحاب الرأى فانهم اعداء السنن أعبتهم  
الاحاديث أن يحوها وتفلقت منهم ان يحفظوها فقالوا في الدين برأيهم " (٢)

واركان القياس هي : الاصل : وهو ما ورد بحكمه نص يسمى ايضا  
المقيس عليه والمشبه به ، والمحمول عليه ، الفرع : وهو ما لم يرد بحكمه نص  
ويراد تسميته بالأصل في حكمه ، حكم الاصل : وهو الحكم الشرعى الذى  
ورد به النص فى الأصل ويراد أن يكون مثله فى الفرع ، والعلة : وهى الوصف  
الذى بنى عليه حكم الأصل ، ولوجوده فى الفرع ظهر وجود حكم الأصل نفس  
الفرع . . ومثال القياس : قتل الوارث لموته أصل أو نازلة ورد النص بحكمه

(١) النساء آيه ١٠٥ .

(٢) انظر اعلام الموقعين ج ١ من ص ٥٤٤ ٥٩٦ .

وهو حرمانه من الميراث بحديث " لا ميراث لقاتل " <sup>(١)</sup> لعلة هي قتلته لمورثه واستعمال الشيء وهو الميراث قبل أو انه فيعاقب بحرمانه . . . وقتل الموصى له للموصى نازلة أخرى فرع لأنه لم يرد فيه نص بحكمه لكن الموصى له القاتل ساوى الوارث القاتل لمورثه في العلة وهي أنه قتل الموصى واستعجل شيئاً قبل أو انه قيساه في الحكم وهو حرمانه من الوصية كما حرم الأصول من الميراث للعلة نفسها " (١)

والقياس ترد الاحكام التي يجتهد فيها المجتهد الى الكتاب والسنة لأن الحكم الشرعي يكون نصاً أو حملاً على نص بطريق القياس ، ويقول الشافعي في مومى القياس : كل ما نزل بمسلم ففيه حكم لازم وعليه؛ اذا كان بعينه اتباعه واذا لم يكن فيه بعينه طلب الدلالة على سبيل الحق بالاجتهاد والاجتهاد هو القياس . . . وهو من باب الخضوع لحكم التماثل بين الأمر الذي يوجب التماثل في أحكامها لأن قضية التساوى في العلة اوجدت التماثل في الحكم فهو ان مشتق من أمر فطري تقره بداهة العقول اذ أساسه ربط ما بين الاشياء بالمماثلة ان توفرت أسبابها ووجدت الصفات المتحددة المكونة لها . . . وان الاستدلال العقلي في كل نتيجة براهين المنطق قائم على الربط بين الأمور بالمماثلة الثابتة فيها لتوافر الشرط في انتاج المقدمات لنتائجها وان هذه المماثلة لاتنتج نتائجها المقررة الثابتة الا بالاعتماد على الهدى بهية المقررة الثابتة ، وهي أن التماثل يوجب التساوى في الحكم (٢)

(١) عبد الله الشد - مصادر التشريع ص ٦٩ ، ٧١ .

(٢) أبو زهرة - اصول الفقه ص ١٢٢ .

دعوى مدعى (ميراث) عن أبي زهرة كتاب الفرائض باب ما جاز في المال ويران  
القاتل ص ٤٢٥ وصورة ميراثهم



فلا اجتهاد والقياس من السمات العظيمة التي يتمتع بها الاسلام  
يقول العقاد : " يقوم الاجماع على اجتهاد أولى الراى وأهل الذكر  
بما اشتمل عليه من قياس ، واستحسان أو مصالح مرسله ، أى مصالح لم  
تتقيد بحكم خاص ينطبق عليها فى جميع الأحوال وجميع الأزمنة ولكنها من  
العوارض المتغيرة التي ينظر فيها المسلمون الى مصالحهم بحسب أحوالها  
وازمنتها . . . والفهم واجب على المسلم فى الاخذ من جميع هذه المصادر  
والعمل بها فلا تعارض بين النص والاجتهاد فى وجوب الفهم فى كل منها  
والتفكير فى أمور الدين أصل من الأصول المقررة أما التقليد فهو حاله من  
حالات الضرورة التي يحفى من الاجتهاد بالفهم من يعجز عنه ولا يستطيعه  
ومن أباح لنفسه أن يحرم على الناس نعمة العقل والعلم الى آخر الزمان  
فقد اجتهد اجتهاداً أهدى فى الدعوى من كل ما يدعيه المجتهدون على  
حق أو على باطل ، فإنه يلقى أوامر الله لعباده حيث يتحرى المجتهدون أن  
يبتغوا الوسيلة اليها . . . وليس التفكير فى الاسلام عوضاً عن النص أو ما يشبهه  
النص فى الاحكام بل هو فرضه منصوص عليها مطلوبة لذاتها ولما يتوقف عليها  
من فهم الفرائض الأخرى " . . . ( ١ )

فإعمال العقل فى النصوص لفهمها وفهم أحكامها والقياس عليها مطلب  
اسلامى يكسب الاسلام تجدداً وشباباً مستمراً . . . وقد اجتهد الراى صاحب  
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما اجتهد عليه الصلاة والسلام . . . فى أمور  
لانص فيها اعمالاً للراى والعقل وإشارة الى ضرورة ذلك فى كل عصر .

( ١ ) عباس محمود العقاد - التفكير فرضه اسلاميه ط أولى - دار العلم  
بالقاهرة ص ١٤٢ ، ١٤٧ بتصرف .

وفيما يلي نماذج من هذه الاجتهادات :-

١ - ها هو رسول الله صلى الله عليه وسلم يستشير أصحابه في شأن أسرى بدر ، فيشير عليه أصحابه أبو بكر وعمر ، فأبو بكر يشير عليه باطلاق سراحهم وقبول الفدية ، وعمر يرى ضرورة قتلهم ، ويجتهد الرسول لاختار رأى ابي بكر لما فيه من الرحمة . . . ولم ينزل نسي المسألة وقتئذ نص ولكن بعد ذلك نزل قول الله تعالى : " ما كان لنبي ان يكون اسرى حتى يبئثن في الأرض تتردد ون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم " ( ١ ) . . . فكان مؤيدا للرأى عمر من غير نقض لما تم العمل به من رأى ابي بكر .

ب - من ذلك أيضا : اجتهاد ابي بكر وعمر في الفاء سهم المولفاه قتلهم وهو ما ورد فيه نص لزوال العله الموجبة . . . وكان لهؤلاء المولفاه قتلهم سهم في الزكاة بأخذونه من رسول الله صلى الله عليه وسلم تألفا لقلوبهم أمام ضعف الاسلام وضعف عقيدتهم ومنهم عباس بن مرداس والاقرع بن حابس ، وهيب بن حصن وأبو سفيان بن حرب وابنه معاوية فلما ولي الصديق جاءوه يسألونه سهمهم هذا فكتب لهم بذلك الى عمر فمزق الكتاب ، وقال لا حاجة لنا بكم فقد أعز الله الاسلام وأغنى عنكم ، فان اسلمتم والا فالسيف بيننا وبينكم ، فلما رجعوا الى الصديق يستشيرونه يسألونه والله لاندري أنت الخليفة أو عمر قال : بل هو ان شاء الله وأمضى ما فعله عمر " ( ٢ ) .

( ١ ) سورة الأنفال ٦٧ ، ٦٨ .  
 ( ٢ ) التفكير فريضة اسلامية ص ١٤٢ .

ج - وعمر رضى الله عنه : اسقط حد السرقة عام الجاعة ، وجماع  
حد الشرب ثمانين . .

د - كما يذكر التاريخ أيضا أن ابا بكر رضى الله جمع المصحف بمعد  
ان كان متفرقا وثمان بن عفان جمع الأضار على مصحف واحد واحرق  
ماعداه . .

كما اعتد الرسول صلى الله عليه وسلم على اجتهاده في الحكم بالقربه  
فقد روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قاتل اهل خيبر حتى الجأهم  
الى قصرهم فغلب على الزرع والارض والنخل فصالحوه على ان يجلوا منها  
ولهم ما حملت ركابهم ولرسول الله صلى الله عليه وسلم الصفراء والبيضاء  
وشرط عليهم الا يغيروا شيئا فان فعلوا فلانمسه لهم ولاعهد ، فغيروا  
سكا فيه مال وحلى لحبي بن أخطب كان احتمله معه الى خيبر حين  
اجلست النضير . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر حبي بن اخطب  
ما فعل مسك حبي الذى جاء به من النضير قال أذ هبته النفقات والحروب  
قال : العهد قريب ، والمال اكثر من ذلك فدفعه رسول الله صلى الله عليه  
وسلم الى الزبير فمسه بعداب وكان قبل ذلك دخل خربه . فقال : قد  
رأيت صبيا بطرف في خربه هاهنا فذهبوا فطافوا فوجدوا المسك في الخريصة  
فهاتان قرينتان اجتهد فيهما رسول الله صلى الله عليه وسلم هما كثر  
المال ، وقصر المدة . وقد أصاب في اجتهاده ، وحصل على المال  
المخبأ ( ١ ) . .

---

( ١ ) ابن القيم - الطرق الحكمية ص ٧ ، ٨ .

وكان أول اجتهاد بعد زمن النبوة هو اجتهاد المهاجرين والانصار  
 في أمر الخلافة حيث اجتهد ممثلو كل فريق في الاسباب المرشحة للخليفة  
 منهم ورضوها جميعا . . الى أن انتهوا الى مبايعة ابي بكر رضى الله  
 عنه خليفة للرسول صلى الله عليه وسلم لاسباب ومرشحات أقرها جميعا  
 وأعملوا عقولهم فيها في فهمها . .

معد . . فهذه النماذج التي اخترتها متفرقة . للدلالة على أن  
 أعمال الرأي والاجتهاد بأقره رسول الله صلى الله عليه وسلم . والخلفاء  
 الراشدون من بعده . . فلكل اجتهاد مالم يكن هناك نص . . وقوله صلى  
 الله عليه وسلم لعائذ بعد ان قال : " اجتهد رأيي ولا آلو " الحميد  
 لله الذي وفق رسول الله لما يرضى الله " فيه استحسان لأعمال  
 العقل وإفاره الى ان ما يرضى الله هو عمل العقل في النظر والترجيح  
 ومعرفة الأحكام وان ما يفضيه هو تجميد العقل والحيرة أمام القضايا المتجددة  
 التي تلح في طلب حلول عاجلة حتى لا يفتار المسلمون في أمر دينهم فالسلام  
 قد اعتبر العقل مصدرا للتشريع فيما لم يرد فيه نص من كتاب أو سنة . .

والقرآن الكريم قد نهى المسلمين الى ذلك من ذلك قوله تعالى : . .  
 " يا أيها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم  
 فان تنازعتن في شئ فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم  
 الآخر " وليس الرد الى الله والرسول الا بمعرفة الامارات الدالة منهما على  
 ما يريمان اليه . وذلك بتعميل أحكامهما والبناء عليها وهذا هو القياس .

من ذلك أيضا : قول الرسول صلى الله عليه وسلم في القياس : " كل مسكر همر ، وكل خمر حرام " <sup>(١)</sup> فهماوى الخمر حكما في الحرمة كل ما ساواها في العلة وهي الاسكار . . . مثل ذلك كثير في القرآن والسنة وهي مجال بحث ونظر وتأمل واهراز للأحكام . . .

وكل دامة مسلم عليه الاحاطة بهذا الجانب العقلى في التعرف على الاحكام المختلفة والمتطورة للأحداث المتواليه . . . وخاصة وان الاسلام من خلال تكريمه للعقل جعله مصدرا للتشريع فيما لم يرد فيه نص شرعى احتراميا له وحفظا لمكانته في الفكر والعمل . . .

\*\*\*

---

١ - براد صلح عمه ابيه عمر - كتاب الاشرية باب كل مسكر همر ص ٢٤٦

## ألفصل الثاني

### أثر العقل في الدعوة إلى الله ووسائلها ..

ويشتمل على :-

تمهيد ...

١- المبحث الأول: دوران وسائل الدعوة حول الحكمة والوعظة

الحسنة والمجادلة بالحسنى .....

٢- المبحث الثاني: أثر العقل ودوره في الدعوة عن طريق المجادلة

بالحسنى .....

٣- المبحث الثالث: أثر العقل ودوره في الدعوة عن طريق تأهل الآيات الكونية

٤- المبحث الرابع: أثر العقل ودوره في الدعوة عن طريق القصة وأخبار السابقين

٥- المبحث الخامس: أثر العقل ودوره في الدعوة عن طريق ضرب المثل .

٦- المبحث السادس: دور العقل في الاتصال بالعقل الفردي والجمعي في الدعوة .

٧- المبحث السابع: أثر العقل ودوره باستغلال وسائل الإعلام المتاحة في الدعوة

٨- المبحث الثامن: أثر العقل في تحديد نوع وسيلة الدعوة .

( تمهيد )

في الفصل السابق اتضح لنا مدى عناية الاسلام واحترامه للعقل الانساني  
 ومنها موقف الاسلام منه ، فقد وقف منه موقف المرشد والمعلم المسكوم له حيث  
 جعله سبيلا للمعرفة والايان ، واعتمد عليه في معرفة العقيدة وأصولها ، ولذا  
 فقد وضع له من التشريعات ما يصونه ويحفظه ، وقد رعاها رعاية نفسية وجسدية  
 كما حرره من الجمود وتقليد الآباء ، وحثه على الفكر بانقائه من التعمصب  
 والهوى والعناد .

ولما كان العقل له حدود معينة في قدرته على التفكير ، فقد أعفاه  
 من التفكير في القضايا التي تعجزه ولا يستطيع ادراكها حتى لا يحس بالمهانة  
 والذل ويجعل جهل معرفته بها يعتمد على السماع من الصادق الأمين ، ومن  
 وحس القرآن الذي أس به ، في اطار جعل العقل في مكانه فقد اعتبره الاسلام  
 مصدرا من مصادر التشريع فيما لم يرد فيه نص شرعي ، وهذا كله يمثل علاقته  
 العقل بالدعوة كدين ومنهج حياة ، فالدين حرره وحفظه ورعاها وكرمه ووضعها  
 في مكانه اللائق به ، والعقل بدوره له أثر هام ودور بالغ في عملية التبليغ والنشر  
 فالعقل الواعي الحر في منهج فكره له دوره في الدعوة - كعملية تبليغ ونشر  
 للاسلام .

وان الدين عند الله هو الاسلام وهو دين جميع الرسل وقد اتم الله النعمة  
 على عباده باكمالهم ، وكملت اللبنة التي كان موضعها خالها في بنيانه ببعثه  
 المصطفى صلى الله عليه وسلم حيث قال تعالى " اليوم اكملت لكم دينكم واتممت  
 عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً " ( ١ ) وقال صلى الله عليه وسلم

( ١ ) سورة المائدة آية ٣ .

” فأنا هذه اللبنة وأنا خاتم النبيين ” (١) ، وما انه صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين فقد انقطع الوحي السمي يوم القيامة ، ولما كانت رسالته باقية ودينه خالد الى يوم القيامة ، وهي عامة لجميع البشر فقد وجب التبليغ على الأمة . . ودعوة الخلق للإيمان بالله . . والتزام مبادئ الدين وآدابيه .

والتبليغ يتنوع بحسب المدعوين الى : دعوة المسلمين فيما بينهم حيث يدعون بعضهم بعضا الى الخير وأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر . . . والى دعوة غير المسلمين حيث يجب دعوتهم الى الايمان والاسلام والطاعة وقد كان صلى الله عليه وسلم ان أمر أميراً على جيش يوصيه بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيراً ثم يقول : ” أغزوا باسم الله في سبيل الله ، قاتلوا من كفر بالله ، اغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليدًا ، اذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم الى ثلاث خصال فأيسبهن ما أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم ثم ادعهم الى الاسلام فان أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم ” (٢) في ارساله الكتب الى الملوك والأمراء اشارة الى وجوب دعوة غير المسلمين الى الاسلام ، وعلى هذا فتبليغ الدعوة ونشرها ، اما ان يكون بين المسلمين بعضهم ، واما ان يكون لغير المسلمين ، فأما دعوة المسلمين حثهم على الخير وهداية الطاعة ، وهم اما ان يكونوا غير عالمين بالحكم الشرعي المخالفين له ، وهذا يقتضى ايضاح هذا الحكم لهم وتسهيل الطاعة عليهم ، واما ان يكونوا عالمين به ولكن الهدى أحاطت بتطبيقاته واتباعه فأحدثوا فيه ما ليس منه ، وهو لا بد ان يأمروا عن وجهة نظرهم بها القوية من عادة . . مما يستلزم تصحيح خطأ

(١) سبق تخريج الحديث .

(٢) رواه مسلم عن ابي بكر بن شيبة - كتاب الجهاد والسير ، باب بأمرير الامراء ج٤ ص٣٣١



أولئك مع عدم الاصطدام بمشاعرهم أو جرحهم ، ودعوتهم الى الصواب . . . وأما غير المسلمين فإن العقل هو الرسول بين الداعى وبينهم ، حيث الاعتماد عليه في المناقشة الجدلية المثمرة البناءة ، المجادلة بالحسنى ، لأن الركيزة النفسية تختلف من فئة الى فئة ، فالمسلمون المخالفون في قلوبهم ركيزة الايمان والتصديق بالله ، والتصديق برسوله والتسليم لهما ، ففطرتهم نقية وسليمة وعلى هذا الاساس يصح الداعية الخطأ يناقشهم فيه ، ويوضح لهم الأدلة ويرسخها في نفوسهم ، فهناك محور ارتكاز للمناقشة تدور حوله وهو الايمان بالله ورسوله والإزعان لهما .

أما غير المسلمين فلم يستف في قلوبهم ركيزة من التسليم أو الايمان ، بل ويتمسكون لعقيدته خاطئة ، أو لمذهب باطل ، أو بنكره الدين من أصله كالملاحدة ولذا فإن الداعية يعتمد مع هذا الصنف في دعوته على القضايا المسلم بها لدى المدعو ، ويقرها العقل وغالباً ما يكون ذلك من خلال الآيات الكونية وتأملها أو المسلمات العقلية من الأدلة والبراهين على وجوده تعالى وصفاته - كما سبق بيانه في الفصل الثاني من الباب الأول .

وهو لا المدعوون تحيط بهم بهيئات مختلفة من الحضرة والريف والأسلوب بالطبع يتنوع بما يناسب الاطار الفكرى والمرجمى للمدعو حسب ما نشأ فيه من بيئته ، والغاية على أية حال أن يصل الداعى بالمدعو الى بر الأمان والعقيدة السليمة .

والمدعوون أشبه بالمرضى ، وطبئهم هو الداعية الذى يختار الدواعى المناسب لكل مرض ويحدد أسلوب استعماله ، والهدف هو الوصول الى الصحة . . . وقد تعددت وسائل الدعوة وتنوعت أساليبها والهدف هو الوصول الى غاية واحدة

هي سعادة البشرية بتمسكهم بيد من الله تعالى " فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى " . ومن أعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى " (١) والقرآن قد جمع هذه الوسائل في قوله تعالى : " ادع اللى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجاد لهم بالتى هي أحسن ان رسلك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين " (٢) وسوف يأتي تفصيل فيما يلى من مباحث لهذه الآفة . .

الا أن العقل الداعية الدور الفعال والهام في اختيار الوسيلة المناسبة التى تلائم حال المدعوين . . فما يصلح لدعوة قوم قد لا يصلح لآخرين وفراصة الداعية وظيفته هي التى تحدد نوع الوسيلة وأسلوب التبليغ . .

في المباحث التالية بيان لتلك الوسائل وابرار لدور العقل في كل منها كدعوة عملية ، ومداتها بمبحث خاص لبيان اندراج جميع الوسائل في الحكمه والموعظة الحسنة والجدال بالحسنى ، حيث تدور جميعها حول تلك الوسائل المذكورة في الآفة . . والمباحث التالية هي :-

- ١ - دوران وسائل الدعوة حول الحكمة والموعظة والمجادلة بالحسنى .
- ٢ - اثر العقل في الدعوة الى الله بالمجادلة بالحسنى .
- ٣ - دور العقل في الدعوة عن طريق تأمل الآيات الكونية .
- ٤ - دور العقل في الدعوة بالقصة وتأمل أخبار السابقين .
- ٥ - الدعوة الى الله باستخدام المثل .
- ٦ - الاتصال بالعقل الفردى والجمعى .
- ٧ - الدعوة ووسائل الاعلام المتاحة .
- ٨ - العقل وتحديد نوع الوسيلة . . وفيما يلى التفصيل . .

(١) طه ١٣٣ - ١٣٤ .

(٢) سورة النحل ١٢٥ .

### المبحث الأول

( ديران وسائل الدعوة حول : الحكمة ، والمهظة ، والمجادلة بالتى

هى أحسن )

سبقت الإشارة الى ان الله تعالى جمع وسائل الدعوة فى قوله تعالى :  
 " ادع الى سبيل ربك بالحكمة والمهظة الحسنة ، وجاد لهم بالتى هى أحسن " .  
 ولذا فان الهدف من هذا البحث هو ايضاح تلك الحقيقة مع ابراز الجانب العقلى  
 فى تلك الوسائل المذكورة فى الآتة . . . فهى خطاب وأمر لرسول الله صلى الله  
 عليه وسلم ولائته بأن يدعو الى الله والى دينه والتزام منهجه فى الحياة والايمان  
 والتسليم بالقلب والجوارح ، متبعا فى ذلك اسلوب الحكمة ، والمهظة الحسنة  
 وان استدعى الامر جدا الا فليكن بالتى هى أحسن . وذكر المفسرون أقوالا  
 عديدة فى تفسير الآتة : " قال ابن جرير فى تفسير " الحكمة " وهو ما انزل الله  
 من الكتاب والسنة ، والمهظة الحسنة ، أى بما فيه من الزواجر والواقفيع بالناس  
 وذكرهم بها ليجذروا بأس الله تعالى ، وقوله وجاد لهم بالتى هى أحسن - أى  
 من احتاج منهم الى مناظرة وجدال فليكن بالوجه الحسن برفق ولين وحسن خطاب  
 لقوله تعالى ( ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتى هى أحسن الا الذين ظلموا )  
 كما أمر موسى وهارون عليهما السلام حين بعثهما الى فرعون فى قوله " فقولا له  
 قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى " ( ١ ) ويقول الزمخشري فى الكشاف " الحكمة :  
 أى المقالة المحكمة الصحيحة وهى الدليل الموضح للحق المزيل للشبهة والمهظة  
 الحسنة : وهى التى لا يخفى عليهم أنك تناصحهم وتقصد ما ينفعهم ويجوز  
 أن يريد بها القرآن الذى هو حكمة مهظفة حسنة . وجاد لهم بالتى هى  
 أحسن : بالطريقة التى هى أحسن طرق المجادلة من الرفق واللين من غير  
 فظاظة ولا تعنيف . . . " ( ٢ ) يقول القرطبي : " أمره أن يدعو الى دين

( ١ ) تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٥٩١ .

( ٢ ) الكشاف ج ٢ ص ٤٣٥ وانظر تفسير ابن عباس ص ٢٣٢ .

الله بتلطف ولين دون مخاشنه وتعنيف ، وهكذا ينبغي أن يهبط المسلمون الى يوم القيامة . . . فهى محكمة فى جهة العصاة من الموحدين ، ومنسوخة بالقتال فى حق الكافرين ، وقبل أن من امكنت من هذه الاحوال من الكفار ورجى ايمانه دون قتال فهى محكمة ، والله اعلم " ( ١ ) فى " الناسخ والمنسوخ " : يقول : " ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن . منسوخ نسختها آية السيف " ( ٢ ) والواقع أن السيف وسيلة لازالة العقبات التى تحول دون وصول الدعوة الى المدعوين اما عند وصولها فان الوسائل المذكورة هي الأساس كما نطقت بذلك السنة .

من خلال العرض السابق لأقوال المفسرين نجد ان وسائل الدعوة تنحصر فى الحكمة ، والموعظة الحسنة ، والمجادلة بالتي هي أحسن . . . وفيما يلى ابضاح لتلك المعانى فى معاجم اللغة . . .

فالحكمة : " هي معرفة أفضل الاشياء بأفضل العلوم ، والعلم والتفقه فى التنزيل : ولقد آتينا لقمان الحكمة ، وللمدل ، والعلة : يقال فى حكمة التشريع أى علقته . . . " ( ٣ ) فى القاموس : " الحكمة بالكسر : العدل والعلم والحلم والنبوة والقرآن والانجيل وأحكمه أى اتقنه فاستحكم " ( ٤ ) فهى بهذه المعانى تدور حول الدقة والضبط ، " فالحكمة اذن تدور مادتها على معنى الاحكام والتحكم المنضبط بالعلم والعقل والحلم ، وغير ذلك من صفات تقتضيهما الحكمة ، فقد جاء فى صفات القرآن فى قوله تعالى " ذلك نتلو عليك من الآيات والذكر الحكيم " ( ٥ ) أى المنضبط الذى لا يأتبه الباطل

- 
- ( ١ ) تفسير القرطبي ج ٤٢ ص ٣٨١٦ ط الشعب .  
 ( ٢ ) الناسخ والمنسوخ لابي القاسم هبة الله بن سلامه ابي النصر - هامش كتاب اسباب النزول للواخدي ط عالم الكتب - بيروت ص ٢١٠ .  
 ( ٣ ) المعجم الوسيط ج ١ ص ١٩٠ .  
 ( ٤ ) ترتيب القاموس المحيط ج ١ ص ٦٨٥ .  
 ( ٥ ) آل عمران ٤٨ .

من بين يديه ولا من خلفه أو الحكيم بمعنى الحاكم لكم وعليكم أو هو المحكم الذي لا اختلاف فيه ولا اضطراب كما هي الآفة الأخرى ( الكتاب احكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير ) ( ١ ) أي احكمت وفصلت بجميع ما يحتاج إليه من دلالة على توحيد الله وتثبيت النبوة وشرايع الاسلام \* ( ٢ ) ونقل د / غلوش عن المعنى : \* ان الحكمة توصف كوسيلة للدعوة هي التعلسم المتقن الدقيق الواضح الدلالة وان اختلفت صورها ودارت بين التفسير والفقهاء وغيرهما ، وهي تفيد اليقين وحينما يقول الله تعالى ادع الى سبيل ربك بالحكمة فان معناها كما يقول ابو السعود - المقالة المحكمة الصحيحة وهي الدليل الموضح للحق المنزى للشبهة الى الفكر مباشرة من غير اشارة الوجدان وتهيج الانفعال \* ( ٣ ) فهي اذن خطاب للعقل بألوب منضبط حكيم متقن واضح ..

والموعظة الحسنة : ففي اللغة \* وعظه وعظا ، وعظه ، وموعظة

أي ذكره بما يلين قلبه من الثواب والعقاب فاتعظ \* ( ٤ ) و \* الوعظ هو النصح والتذكير بالعواقب ، وقد وعظه من باب وعد وعظا ، وعظه أيضا بالكسر فاتعظ أي قبل الموعظة \* ( ٥ ) في المعجم الوسيط \* وعظه بعظه ، وعظا وعظمة نصحه وذكره بالعواقب ، وأمره بالطاعة ووصاه بها واتعظ : قبل الموعظة وائتمر وكف نفسه .. والموعظه : ما يعظه به من قول أو فعل ، والجمع مواعظ ، والواعظ من يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر \* ( ٦ ) ، في معجم ألفاظ القرآن : \* الموعظة ما يرقق القلب ويهمله نحو الطاعة من قول أو فعل \* ( ٧ ) ..

- ( ١ ) هود ١ • ( ٢ ) د / عمارة نجيب فقه الدعوة والاعلام ص ٣٧ •  
 ( ٣ ) الحافظ المعنى عمدة القارى بشرح البخارى ادارة الطباعة المنيرية طاولى •  
 ( ٤ ) القاموس المحيط ج ٤ ص ٦٣١ •  
 ( ٥ ) مختار الصحاح ص ٢٧٩ •  
 ( ٦ ) المعجم الوسيط ج ٢ ص ١٠٤٣ •  
 ( ٧ ) معجم ألفاظ القرآن - المجمع اللغوى ص ٧٣٠ •

فالموعظة مصدر مهي من الفعل وعظ وهي بمعنى الوعظ . . . . وقد اتضح أنها متوجهة الى القلوب والعواطف والانفعالات أكثر منها الى العقول وان كان هذا لا يعني انعدام توجيهها الى العقول "وتطلق في الاصطلاح : على الحق الذي يلين القلوب ويومئى النفوس ، ويكبح جماح النفوس المتمردة ، ويزيد النفوس المهذبة ايمانا وهداية . . . ويعتمد على جناحى الترهيب فى الزجر والتخويف ، والترغيب فى الاستمالة . . . " ( ١ ) كما عرفت الموعظة أيضا " بانها توجيهات تفيد القرب النفس بين الداعى والمدعو بما تشمله من اثاره الافعال وابقاظ الشعور مع وضوح أن الداعى يقصد النصح للمدعو ويخاف عليه " ( ٢ ) . . . والاصل فى الموعظة أو الوعظ بدور على معنى النصح والتذكير بالعواقب بالكلمة التى يوجهها من يتقضى خسير الآخرين وابعادهم عن الشر ، فهى دعوة من طرف بملك زمام المبادرة حين يجد فرصة لتقبلها أو لإقامة الحجة بها على المخاطب أو المدعو لتذكيره وتليين قلبه وترغيبه او ترهيبه بالثواب والعقاب . . . وصفها بالحسن بمعنى ضرورة مراعاة الاسلوب المناسب والاذاء أو الوسيلة المناسبة لحال المخاطب " ( ٣ )

يقول الالوسى : " فهى مجموعة من العبر النافعة والخطابات المقنعة والارشادات المخوفة على وجه لا يخفى على المدعوى أن الداعى يناصحهم بها يقصد ما ينفعهم وهى فى كل أشكالها أمارات ظنية ودلائل ائعافى بخلاف الحكمة فانها محكمة قطعية فى مقدماتها ونتائجها . . . " ( ٤ ) فهى تخاطب الوجدان وتثير الانفعال واستثمار ذلك فى الاستمالة نحو الخير والحق ، والابعاد عن الشر والباطل . . .

( ١ ) الشيخ على محفوظ هداية المرشد بن ص ٦٨ بتصرف .

( ٢ ) د / غلوش الدعوة الاسلامية ص ٢٢٩ .

( ٣ ) د / عمارة نجيب فقه الدعوة والاعلام ص ٣٩ .

( ٤ ) تفسير الالوسى ج ١ ص ١٤٤ .

والمجادلة بالحسنى : هي : مفاعله من الجدل ، والمفاعله تكون صادرة من طرفين ، وقد عرف بانه : طريقه في المناقشه والاستدلال صورها الفلاسفة بصور مختلفة ، وهو عند منطقة المسلمين قياسي مؤلف من مشهورات او مسلمات ٠٠٠ (١) في المختار ٠ الجدل هو شدة الخصمة ٠٠٠ (٢) فمعنى الجدل في اللغة " اللد" في الخصومة والقدرة عليها ، والجدل أيضا مقابلة الحجة بالحجة والمناظرة والمخاصمة ، والمجادلة والجدل يعنى الحوار بين متخاصمين وقد تطور مفهوم الجدل في اللغات الاجنبية حتى اصبحت كلمة " د بالكتيك " تعنى " صراع " ولأن الصراع في الوجود مصدره الحقيقي الصراع الفكرى وتناقض المعارف والمعتقدات والشجاءات فقد صار معنى الجدل هو الصراع بين متناقضين او متقابلين " (٣) وقد عرف أيضا بأنه أد له كلامية يوردها الداعى ليلزم الخصم ويفحمه ويجعله يؤمن بالدعى - بفتح العين - واتصفت المجادلة بالحسنى ابعادا لها عن مفهوم المجادلة الاصطلاحية الذى يعرف المجادلة بأنها ليست لظهور الصواب بل لالزام الخصم ذلك لأن حكمة الدعوة يقصدون اظهار الصواب دائما والوقوف على الحق باستمرار واقناع الخصم بالحسنى " (٤)

فالمجادلة بالحسنى متوجهة الى العقل بتقرير الادلة ومقارعة حجج المجادلين من المدعين حجة بحجة ، ودليل بدليل ليصل فى النهاية الى تسليم عقل الخصم بدعوة الداعى والاذعان لها ٠٠

(١) المعجم الوسيط ج١ ص ١١١٠

(٢) مختار الصحاح ص ٣٨٤ وانظر ترتيب القاموس المحيط ج١ ص ٤٥٩٠

(٣) د / عمارة نجيب فقه الدعوة ص ٤٢

(٤) د / غلوش الدعوة الاسلامية ص ٢٨٠

" والفرق بين الجد ل والموعظة الحسنة : أن المجادلة منازعة بين طرفين متعارضين والخصم فيها ليس صامتا وإنما يناقش ويردد بما رسخ في نفسه من أوهام وشبهه ، بخلاف الموعظة فإن المدعو بها يستمع اليها ويستثار بها وينفعل معها بلا ضرورة المنازعة الكلامية " يمكن أن يقال في التفريق بينهما : إن الموعظة تتوجه الى القلب واتارة الانفعالات وتليين القلوب بينما تتوجه المجادلة الى العقل لمناقشة الأدلة والزام الخصم بالحجة ، كما يمكن التفريق بينهما حين الحكمة بمأن الحكمة وان كانت تتوجه الى العقل بتقريب الدليل واقامة البرهان . . الا أنها لا يوجد فيها طرف يرد الحجة وينازع فيها ، بل ان الداعي فقط هو الذي يعرض ادلته الدقية الملائمة لحال المدعوين . .

وهذه الوسائل يرى البعض أنها تنقسم الى قسمين : أولهما الحكمة والموعظة الحسنة ، وثانيهما : المجادلة بالحسنى . . والآية قد راعت مخاطبين حسب أحوالهم ، لأن الانسان له ثلاثة أحوال : اما ان يعرف الحق ولا يعمل به فيدعي بالحكمة ، واما ان يعرفه ولا يعمل به ، اذ تخالفه نفسه فهذا يوعظ الموعظة الحسنة ، فهاتان هما الطريقتان الحكمة والموعظة الحسنة ، وعامة الناس يحتاجون الى هذا وهذا ، فان النفس لها هوى يدعوها الى خلاف الحق ، وان عرفته فالناس يحتاجون الى الموعظة الحسنة والى الحكمة فلا بد من الدعوة بهذا وهذا ، ولكن النوع الثالث من الناس لا يعرف الحق فحسب بل يعارضه ، ولهذا فلا يدعي بالجد ل ، بل هو من باب دفع الصائل ، فاذا عارض الحق معارض جيد ل بالتى هى أحسن ، ولهذا قال : " وجاد لهم بالتى هى أحسن " فجعله " فعلا " مأمورا به مع قوله " أدعهم " فأمره بالدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة ، وأمره ان يجادل بالتى



أحسن ، وقال في الجدل : " بالتى هى أحسن " ، ولم يقل : بالحسنة  
كما قال في الموعظة لأن الجدل فيه مدافعة ومعارضة ، فيحتاج أن يكون  
بالتى هى أحسن حتى يصلح ما فيه من المدافعة والممانعة . . . ( ١ ) فترى  
ان ابن تيمية قد اعتبر أن عامة الناس يدعون بالحكمة والموعظة الحسنة  
أما الممارضون منهم فيدعون بالمجاد له بالحسنى . . .

أقسام المدعوى : وقد قسم المدعوى حسب بيئاتهم وطبائعهم الساس  
أقسام . . . يقول الشيخ على محفوظ : " ان هذه الآفة اشارة الى ان المدعوى  
على ثلاثة احوال : منيب متذكر ، وهذا شديد الحاجة الى معرفة الاوامر  
والنواهي ، صعرض غافل : وهذا شديد الحاجة الى الترفيب والترهيب  
( الموعظه ) . . . ، صعرض متكبر : وهذا شديد الحاجة الى المجادل لـ  
فجاءت الآفة الكريمة في حق هؤلاء الثلاثة ، ولم يقيد الحكمة بوصف الحسنة  
ان أنها كلها حسنة ، بخلاف الموعظة ان ليس كل موعظه حسنة ، وكذا لك  
الجدال ، وهذا قد يرجع الى حال المجادل وقلظته ولينه وحدته ورفقه  
فهو مأمور بمجاد لتهم بالحال التى هى أحسن . . . ( ٢ ) . . .

أما الامام الغزالي فيقول : " الناس ثلاثة أصناف : —

- ١ - عوام ، وهم اهل السلامة البلية .
- ٢ - خواص وهم اهل الذكاء والبصيرة .
- ٣ - وتتولد منهم طائفة اهل الجدل . . . اما الخواص فاني أعالجهم بأن  
أعلمهم الموازين القسط ، وكيفية الوزن بها فيرتفع بينهم الخلاف على  
قرب ، وهؤلاء قوم أتوا ثلاث خصال : احداها القرحة النافذة والفظنه

( ١ ) ابن تيمية الرد على المنطقيين ط لاهور ١٩٧٦ ص ٤٦٨ .

( ٢ ) على محفوظ هداية المرشد ص ١٧٩ .

( ٣ ) نصيب نقى للدراسات ص ١٧٩

القصة ، والثانية : خلويواطنهم من تقليد وتعصب لمذهب موروث أو مسموع فإن المقلد لا يفهم ، والبلبل إذا أصغى فلا يفهم ، والثالثة : ان يعتقدوا أنى من اهل البصيرة بالميزان ، ومن لم يؤمن بأنك من أهل الحسب لا يمكنه ان يتعلم منك . . . ، وأما الهله : وهم جميع العوام ، وهؤلاء ليست لهم فطنة لفهم الحقائق فأدعو هؤلاء الى الله بالموظه ، كما أدعوا أهل البصيرة بالحكمة ، وأدعوا أهل الشغب بالمجادلة . . . وقد جمع الله هذه الثلاثة في اية واحدة " ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ، وجادلهم بالتى هي أحسن " فعلم أن المدعوا بالحكمة قوم ، والموظه قوم ، والمجادلة قوم . . . ( ١ ) فيمكن حصر الناس في ثلاث طوائف متباينة : فطائفتهم أصحاب نفوس مشرقة قوية الاستعداد لا يراى المعانى قوية الانجذاب نحو المبادئ العالمة ، مائلة الى تحصيل اليقين على اختلاف مراتبه ، وهؤلاء يدعون بالحكمة ، والطائفة الثانية : عوام نفوسهم كدرة ضعيفة الاستعداد شديدة الالف بالحسومات قوية التعلق بالرسم والعدادات قاصرة عن درجة البرهان ، لكن لاعناد عندهم ، وهؤلاء يدعون بالموظة الحسنة ، والطائفة الثالثة : معاندة مجادلهم بالباطل تقصد وحض الحق لما غلب عليها من تقليد الاسلاف ورسخ فيهم من العقائد الباطلة وهؤلاء يدعون بالمجادلة بالحسنى . . . وهذا التقسيم للناس بحسب الطوائف تقسيم لطيف لأنه يوافق انواع الناس فعلا من متعمق غير سطحي الى من يستوعق موضوع تبيينه فيقف امام الموظه واللفظه الجميله والقصة الشبهه<sup>الشيعة</sup> والمثل النادر . . . ومنهم من يهوى اللجين وحشقه يتازع ويجادل " وقد صنف القرآن حسب معتقداتهم واتجاهاتهم

( ١ ) الغزالي تهافت الفلاسفة ص ٦١ ط دار المعارف ، تحقيق د / سليمان

دنيا الطبعة السادسة ١٩٨٠ .

على النحو التالي : مسلمين وكفار مشركين ومناقضين ثم صنف الكفار الى  
أهل كتاب والى غير أهل كتاب ، كما صنف المسلمين الى مؤمنين  
صادقين ومحسنين ومسلمين عاديين ، وغير ذلك من تصنيفات جاءت معها  
أوصافها التي تعرف بها ، وادواؤها وعلاجها وعوامل الوقاية من أمراض  
القلب وعوامل الحماية للدعوة والدعاة وعوامل الانتصار والهزيمة الى غير  
ذلك من العلوم والمعارف التي خدمت مناهج الدعوة والدعاة ، وكانت  
سببا رئيسيا في فهم كثير مما يخفى على غير المسلمين وكانت عاملا قواما  
عوامل نجاح الدعوة الاسلامية \* ( ١ ) .

منا\* على هذا يمكننا تقسيم المدعوين الى الاقسام الآتية :-

- ١ - قوم آتاهم الله عقلا راجحا وفطانه مصيرة ، وهم المنيبون الى الله  
الذاكرون له . . . وهؤلاء\* يدعون بالحكمة .
  - ب - قوم قلت عقولهم ، وضائق مداركهم وضعفت فطنتهم ، وهم - كما  
صفهم الغزالي - البله العاقلون ، فلا يستطيعون فهم الحقائق  
ولا ادراك الادلة . . . وهؤلاء\* يدعون بالموعظة الحسنة .
  - ج - قوم أوتوا عقلا ، لكنهم تعصبوا وتكبروا فعاندوا وكابروا وجادلوا  
فهؤلاء\* يدعون بالمجادلة التي هي أحسن لايفضح الحق لهم ، وانارة  
طريق الهدى أمامهم . . .
- وللناس حسب مايعتقدون تقسيم آخر :-
- ١ - مسلمون : وغالبا يدعى هؤلاء\* بالحكمة والموعظة الحسنة لوجود  
أرضية من الايمان في نفوسهم يركز عليها الدعاة . . .

---

( ١ ) د / عمارة نجيب فقه الدعوة والاعلام ط اولى سنة ١٩٨٣ ص ٢٨ .

ب - غير مسلمين : وهو "لا بدعون اما بالحكمة ، او بالمجادلة بالحسنى لعدم وجود الركيزة الايمانية في نفوسهم ، والداعى عليه مهمه انشائها في عقولهم وقلوبهم ووجدانهم . . . وهو "لا جميعا بمشابة مرضى - كما سبقت الاشارة - بعالمهم الداعية من أمراض القلوب وعليه الدقه في اختيار الأذوية المناسبة وهذا يتمثل في فطنته في اختيار انفع الوسائل للدعوة . . . ذلك الاختيار الذى يحتاج الى عقل صبيره لماحه وفراسته ينظر فيها بنور الله . . . وقد روى عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : " كان النبي صلى الله عليه وسلم يتخولنا بالموظة في الايام كراهة السامة علينا " ( ١ ) أى أنه عليه الصلاة والسلام كان بتحسين الأوقات المناسبة ، والأحوال الملائمة لموظته حتى لا يتسرب الملل والسامة الى نفوس المدعوى فهو كالطبيب يعطى الدواء بالمقدار المناسب للملائم للمرض ويتمشى معه في طريق العلاج مترقياً في مقدار الدواء حتى لا يهل المريض ، ويكره الدواء فيصعب علاجه ويحز شفاؤه . فى الحق أن للنفوس أوقاتا تكون فيها راغبه في العلم تَوَاقُّه السى سماع الموظة وذلك في حالة صفائها واستراحتها من العناء والمشقة كما أن لها أوقاتا تكون فيها مكيدة ضجرة قد أثقلتها متاع الحبسة وشغلتها صوارف الأيام فلا تقبل علما ولا تقبل على عالم ، ومن الخطل في الرأي أن يبتغى الناصح لها في تلك الأوقات وهذا أو يرب لها اصلاحا . . . ( ٢ ) فمراعاة الاستعداد النفسى والذهنى للدعوى أساس لنجاح الدعوة وتبليغ شرع الله ، كما أن على داعى أن يختار

( ١ ) رواه البخارى كتاب العلم باب كان النبي يتخولهم بالموظة والعلم جـ ١

صـ ٢٢٠

( ٢ ) الآدب النبوى صـ ٢٥٢ .

الأسلوب الملائم والوسيلة المناسبة لحال المدعو وثقافته وحيثته " فان الحكمة اذا غدى بها أهل الموهظة أضرت بهم كما تضر المطفل الرضيع التغذية بلحم الطير ، وأن المجادلة اذا استعملت مع أهل الحكمة اشأزوا منها كما يشتمز طبع الرجل القوى من الارتضاع بلبس الآدمي ، وأن من استعمل الجدال لا بطريق الأحسن كما تعلم من القرآن كان كمن غدى الهدى بخبز البر وهو لم يألف الا التمر ، أو الهدى بالتمر وهو لم يألف الا البر . . . " (١) وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطى كل سائل جوابه حسب حالته وما يناسبه ، " في هذا المعنى ما أخرجه ابوداود أن رجلاً سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن المباشرة للصائم فرخص له ، وأتاه آخر فنهاء عنها فاذا الذي رخص له شيخ والذي نهى شاب ، كما كان يجيب عن السؤال الواحد بأجبهه مختلفة لاختلاف أحوال السائلين . . . فقد وجدنا من يسأله عن رصه جامعة ، فيقول له : " لا تغضب " وآخر يقول له : " قل آمننت بالله ثم استقم " وثالث يقول له : " كف عليك لسانك " وهكذا يعطى كل انسان من الدواعى ما يرى أنه أشقى لمرضه وأصلح لامره . . . " (٢)

فهذه الوسائل المذكورة في الآيات من الحكمة والموهظة والمجادلة بالحسنى يتحرك فيها الداعية فيختار منها ما يناسب حال مدعوه من حيث الثقافة والهيئة والقدرات العقلية . . . وكما اتضح مما سبق ينبغي ألا يعطى أكثر من المطلوب في دعوته . . . فهناك أسلوب الحكمة لا يجدى مع البسطاء في التفكير حيث لا تتحمل عقولهم إيراد دليل أو شبهة ومناقشته . . .

(١) الغزالي تهافت الفلاسفة ص ٦١ .

(٢) القرضاوى الخصائص العامة للإسلام ص ٢٣٦ .

(٣) معنى المباشرة الجماع ودراسة المادوسم للجماع ومقوماته كما لتفصيل ولنا فقير علماء وفقه المباشرة التي أنظرها الصائم جانبا المباشرة الشخصية - ولنا فقا أجزاء العيصم المباشرة بدون مشورة في بعضنا من بعض المصورة بالمباشرة التي مفردا - ودراسة المباشرة عن الجماع بالوسط .

وأصحاب العقول الناضجة والأذهان الصافية والأفكار المتحررة قد لا تصح معهم الموعظة ولا يكفهم مجرد إثارة انفعال أو استمالة قلب وربما اعتبروا من يدعوه أقل منهم فكراً وأضعف عقلاً . . . وصفه عامة فان لكل مقام مقالاً وهذا متروك لفطنة الدعي ولهاقته . . .

وأخيراً يجب التأكيد على أن جميع وسائل الدعوة وأساليبها تندرج تحت ما ذكر من الوسائل التي ارستها الآية الكريمة ، حيث أن جميعها إما أن تتوجه إلى العقل المحض ، أو تتوجه إلى العاطفة والوجدان . . .

أ - فتذكير المؤمنين بنعم الله عليهم ، ووجوب شكره عليها بالطاعة وتأمل ما في الكون من مظاهر القدرة والارادة والعلم تندرج تحت الحكمة التي تتوجه إلى ذوى العقول غير المعاند من الطالبين للهدى واليقين .

ب - وتأمل أحوال الأمم السابقة ، مما كان من أمرهم والتحذير من السير على نهجهم في المعاصي والسيئات ، والخوف مما حاق بهم .

وكذا تأمل النعم المترتبة على الايمان بالله من سعة الرزق ، والرغد في العيش يدخل كل هذا في اطار الموعظة الحسنة . . .

ج - ولا يخفى ما في الجدال من اعتماد على العقل المحض وهو قائم بذاته لدعوة المعاند من المتعصبين " وجادلهم بالتي هي أحسن " .

والقرآن الكريم قد رسم لنا اسلوب الدعوة الى الله تعالى حيث خاطب البشرية كلها بكل طوائفهم وطبائعهم وميالتهم واهبتهم بهراكلهم في الحياة الاجتماعية والسياسية . . . كما كانت السنة النبوية المشرفة تطبيقاً عملياً لما فسح القرآن من أوامر ونواهي ، فهي تمثل حركية القرآن في الدعوة . . . ولذا فقد كان القرآن الكريم والسنة النبوية وسيلتين من اهم وسائل الدعوة حيث جملا الداعية على بيته من أمر دعوته وهدى دعوته من حيث نفسياتهم ، وأفكارهم ، وموضوعات

جد لهم ، وزودا الدعوة بالبريد المنطقية العقلية ، والمعظات والعبر والتأملات  
والمقارنات والاقبسة . . هذا بالاضافة الى انهما رسما للمسلم منهج حياته  
بالتفصيل . .

ونلاحظ أيضا أن وسائل الدعوة كلها تعتمد على العقل اعتمادا كاملا  
فعقل الداعية له دوره وآثاره في عملية التبليغ بالاسلوب الأمثل كما ان عقل المدعو  
له دوره في التلقى الصحيح والفهم العميق وسلامتهما شرط لتبليغ الدعوة  
وقبولها . .

وذلك ما سيبين لنا امره وتتضح معالمه في المباحث الآتية ان شاء الله . .

✈\*\*\*✈

### المبحث الثاني

( أثر العقل ودوره في الدعوة إلى الله بالمجادلة بالحسنى )

قد سبق أن الجدال اد له كلامية يوردها الداعي ليلزم الخصم ويفحسه ويجعله يؤمن بالمدعى ، وهو متوجه إلى العقل حيث أنه يقرر الأدلـس ويقارع حجج المجادلين ضد حضاها ( ١ ) ٠٠ كما تبين أيضا أن رسل اللـه صلوات الله عليهم اجمعين تعرضوا لمواقف جدلية مع معاندى أقوامهم حيث يسجل القرآن مجادلة فرعون لموسى عليه السلام فى أمر الالوهية والتوحيد كما يسجل مجادلة النمرود مع ابراهيم عليه السلام ، ومنه وبين عبدة الكواكب كما أشار إلى جدال نوح مع قومه ، وكذا هود وصالح مع أقوامهما كما سجل العديد من مواقف الجدال والعناد بين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وقومه فى أمر الالوهية والتوحيد وغير ذلك ( ٢ ) ٠٠ وقد بينا التزام الرسائل جمعا بالمنهج العقلى فى الجدال والحوار وينتهى ذلك بالزام الخصم وانجامة والزامه الايمان ٠٠

والجدال او المجادلة بالحسنى وسيلة هامة من وسائل الدعوة لها قيمتها الفنية ، فهو يتسم بالاقناع العقلى المجرد حيث خاطب العقل وناقش الخصوم مناقشة تعتمد على كثير من المسلمات حتى يقطعوا بصحة المدعى أمامهم وكان الجدال فى هذا يستنتج النتائج الصحيحة بعد ذكره المقدمات الصادقة " ومن أجل الوصول إلى اقتناع كامل بالشىء الذى هو محل الجدال ، رأينا

( ١ ) انظر المبحث السابق .

( ٢ ) انظر المبحث الثانى من الفصل الثانى الباب الأول ص .



الجدل ينتهي بالأمر المتناقض فيه وحلله الى منتهى أقسامه ويرد على كل قسم على حدة لينتهي أخيراً الى الرأى الحق ، وهذا ما يعرف بالسبب والتقسيم ، وهو يزيل الشك وتستريح النفس وينتقى العقل المجدل والفكر السليم . . .

والجدل يقسم بمراعاة الطبايع النفسية <sup>(١)</sup> فان الانسان المعتمد برأيه - وفكرته وان كانت خاطئه ، والمعاندون اكثر الناس تشدد انفسى هذا المجال - فان الجدل يراعى هذه الناحية في مناقشاته حتى نسرى فى طرق الجدل ما عرف بـ " مجازاة الخصم " وهو التسليم ببعض مقدمات الخصم للإشارة الى انها لا تنتج ما تريد ان تستنتجه وانما هى بعيدة عنه فى هذا النوع استدراج للخصم واستجلاب لإصغائه . . . فى مجازاة الخصم تقدر للفكر وللعقل السليم . . . وتطرق الجدل ما عرف بـ " قياس الخلف " . . . وهو جدل يثبت الأمر باثبات نقيضه ، ومن مراعاة الطبايع ايضا ما نلمسه من بعض الصور المتجهة الى مناصحة العدو وارشاده وال أخذ بيده السبب الصواب . . . كما انه يتم بملاحظة التنوع البشرى : فليس اسلوب الجدل لجميع المجادلين على وتيرة واحدة ، فمن الناس المجادل العنيد ومنهم المناقش السهل . . . ومع العناد يُلجأ الى افحام الخصم والزامه ، ثم يأخذ بيده الى الحقيقة . . .

وان ادباً المعاند بإلقاء شبهة على المسلمات لينكرها ، انتقل السبب دلهل آخر ليس عليه شبهة كما فى حوار ابراهيم مع النمرود الذى سبق تقريره وانما كان الخصم سهلاً فان الجدل يلين معه فى المناقشة ويرد الى أمور مسلمة . . .

١- هذا بيان لمعى المصطلح (عقل الجدل)

ولأنَّ الجد ل المأمور به في الدعوة لابد ان يكون بالحسنى فان الجد ل  
 يضع فيه حدا لعناد وكابره الخصم الذي لا يستفيد مطلقا حتى لا يخرج  
 عن الحسنى ، لقوله تعالى : " لكم دينكم ولي دين " يقول الامام  
 الخازن : المخاطبون بهذه السورة كفرة مخصوصون ، وقد سبق في علم  
 الله أنهم لا يؤمنون ، ولذلك أمر الله رسوله ان يترك الجدال معهم ، ويمنهم  
 أن له دينه ولهم دينهم والأمر لله ، بعد أن اوضح لهم الحجة وألزمهم  
 المحجة . . . ( ١ )

وتنوع الحوار والجدل في القرآن يعني تنوع موضوعات الجد ل حيث شملت  
 الدين والمقيد ، وسائر نشاطات الحياة وهو أسلوب يعتمد على العقل وتوجهه  
 الى ابراز الحجة والمنطق العقلي ويتابع التسلسل المنطقي مهما بلغ من صور  
 الافتراضات التي تتنافى مع أسس القرآن ، حتى اننا نجد ان الله تعالى  
 ذاته يوجه نبيه في حوار مع المشركين الى أن يفترض لهم أن هناك آلهة أخرى  
 مع الله ثم يحاورهم كيف تكون النتيجة فيقول تعالى " قل لو كان معه آلهة  
 كما يقولون اذن لاتبخوا الى ذى العرش سهلا " " لو كان فيهما آلهة  
 الا الله لفسدتا " وهكذا نجد اسلوب المحاوره في القرآن يعتمد على العقل  
 المجرد أثناء المحاوره ، كما أنه ينصف الخصم ويحافظ على حقه متجردا  
 من المومترات ، والأكتكام الى حكم يرتضيه الطرفان وهذا هو المنطق السليم  
 لأن العقل يرتضى منهما وقد رمتفق عليه بين الناس جميعا ، واحترام الخصم  
 أثناء المحاوره له جانب هام فوجب حمايته مهما كان رأيه ضعيفا فلا يهقر ولا يهقر  
 ولا يسخر من رأيه كما لا يوصف بالخطاء الا في نهاية المحاوره والجدل ، كما  
 يرفق به عند هزيمته كالمنهج الذي رسمه القرآن لحوار الرسل مع أقوامهم

( ١ ) د / غلوش الدعوة الاسلامية ص ٤٠٤ ، ٤١٠ بتصرف .

ومجاد لتهم بالحسنى ، ولأنهم دعاء يريدون كسب المدعوين في جانبهم ، ولكن  
يراعى أن يكون ذلك في غير ضعف ، لأن للاحاساس بقوة الخصم تأثيره فـ  
نفس الطرف الآخر (١) .

وقد تحدث الغزالي عن موازين وطرق المجادلة بالحسنى فقال : " أولاً :  
الجدال من القرآن الكريم ، حيث قال تعالى : " ادع الى سبيل ربك بالحكمة  
والموعظة الحسنة وجاد لهم بالتي هي أحسن " . فعلم أن الدعوى الى الله  
بالحكمة قوم ، والموعظة قوم ، والمجادلة قوم . . . بيان صدق موازين القرآن  
معلوم من القرآن . . . موازين القرآن في الاصل ثلاثة : ميزان التعادل ، وميزان  
التلازم ، وميزان التعاند ، ولكن ميزان التعادل ينقسم الى ثلاثة أقسام :  
التعادل الاكبر ، والتعادل الاوسط ، والتعادل الاصغر ويقول محقق القسطاس  
المستقيم : ميزان التعادل الاكبر كناية عن الشكل الاول لأن حده الاوسط  
محمول في الصغرى موضوع في الكبرى كما في قوله تعالى : " ان الله يأتي بالشمس  
من المشرق فأت بها من المغرب " - ويقول الغزالي : " وكما ل صورة  
هذا الميزان : كل من يقدر على اطلاق الشمس فهو الاله ، فهذا اصل ، والهي  
هو القادر على اطلاق الشمس وهذا اصل آخر يلزم من مجموعهما : ان اله  
هو الاله " (٢) . . . وقد سبق تقرير هذا الميزان وشرحه في الباب الاول (٣) . . .  
وأما ميزان التعادل الاوسط فحده : أن كل مثلين وصف أحدهما بوصف  
فسلب ذلك الوصف عن الآخر فهما متباينان أى أحدهما يسلب ذلك الوصف  
عن الآخر ولا يوصف به ، كما في قول ابراهيم " لا أحب الاقلين " فالاله بنفسه  
عنه الاقول ، والقمر يثبت له الاقول فهذا يوجب التباين بين الاله والقمر

- 
- (١) انظر اسلوب المحاوره في القرآن الكريم من ص ٢٩ : ص ٤٢ .  
(٢) انظر القسطاس المستقيم من مجموعة القصود العوالي ص ٢٠ .  
(٣) الفصل الثاني من الباب الاول في مبحث جدل سيدنا ابراهيم للنمرود .

وعلى هذا لا يكون القمر لها ولا الاله قصراً . .

ميزان التعادل الأصغر ، حده : بقول عنه محقق القسطاس المستقيم :

هو كناهه عن الشكل الثالث من القياس الاستثنائي ، لأن حد أمثله موضوع في الصغرى والكبرى . . وقد مثل الغزالي لذلك بقول الله تعالى " ها قد روا الله حق قدره اذ قالوا ما انزل الله على بشر من شيء " ، قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا وعلمتم ما لم تعلموا أنتم ولا آباؤكم قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون " (١) فالمقدمتان : موسى بشر ، والثانية : موسى انزل عليه الكتاب وعندئذ يحصل لنا النتيجة : بعض البشر أنزل عليه الكتاب . .

واما حد ميزان التلازم ، فيقول عنه الغزالي : " واما حد هذا الميزان

فلأن كل ما هو لازم للشيء فهو تابع له في كل حال ، فنفي اللازم يوجب بالضرورة

نفي الملووم . . وجود الملووم يوجب بالضرورة وجود اللازم . .

وحد ميزان التعادل : فهو أن كل ما انحصر في قسمين فيلزم من ثبوت

احدهما نفي الآخر ، ومن نفي أحدهما ثبوت الآخر ، ولكن بشرط أن تكون

القسمتان منحصرتان ، لا منتشرة كقوله تعالى : " قل من يرزقكم من السموات

والارض قل الله وانا اواباكم لعلى هدى أوفى ضلال مبين " (٢) وههنا

الموازى القرآنية تمثل الجدول القرآني في الدعوة ، والمجادلة بالحسنى كما

ذكر في الآية " (٣)

(١) سورة الانعام ٩١ . (٢) سورة سبأ ٢٤ .

(٣) الغزالي - القسطاس المستقيم - مجموعة القصص العوالي من ص ١٨

الى ٤٠ .

وهذه الموازين القرآنية والادلة الواضحة الجليته التي تلزم كل معاند أو مكابر قوالب فكرية تعتمد على مسلمات الخصم . . يمكن للدعاء أن يستخدموها في دعواتهم ان دعت الحال الى ضرورة الجدل مع المدعيين ولافتعلسه الداعي لأن اضعاف الجهد في جدل عقيم لافائدة من ورائه منهم عنه وندمهم شرعا ، حيث يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لعائشة رضی اللہ عنہا : " اذا رأيتم الذين يجادلون في الله - اي في الله - فهم الذين عناهم الله فاحذروهم " ( ١ ) وقال : " ماضل قوم بعد هدى كانوا عليه الا أوتوا الجدل " ( ٢ ) . .

ففى الحد يثين بيان لهذا النوع من الجدل المدموم الضيع للجهد وقد روى الغزالي في الاحياء اقوالا في حكم تعلم الجدل والمناظرة ، وذكر عن حرماو الجدل اقوالا منها ما نقله عن الحسن : " لا تجادلوا أهل الأهلوا وتجالسوهم ولا تسمعوا منهم ، وقد اتفق أهل الحديث من السلف على هذا ولا ينحصر ما نقل عنهم من التشديدات فيه ، وقالوا : ما سكت عنه الصحابة مع انهم اعرف بالحقائق وأصح بترتيب الالفاظ من غيرهم الا لعلمهم بما يتولد عنه من الشر ، ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم : " هلك المتظعمون هلك المتظعمون هلك المتظعمون " أى المتعمقون في البحث والاستقصاء . . والذين اباحوا الجدل استندوا الى ان الرسل صلوات الله عليهم كانوا يحتاجون المنكرين ويجادلونهم ، وقد قال تعالى " وجاد لهم بالتي أحسن " فالصحابة رضی اللہ عنہم كانوا يحتاجون المنكرين ويجادلونهم ، ولكن عند الحاجة

( ٢ ، ١ ) الحد يثان رواهما ابن ماجه : الاول من حديث اسماعيل بن عليه

والثاني عن محمد بن فضيل ج ١ ص ١٩ وروايتها ثقات .

٢ - رواه مسلم عن ابن عمر بن الخطاب - كتاب العلم باب من لا يجادل في طريقه

وكانت الحاجة اليه قليلة في زمانهم \* (١) يقول الاشعري : \* وأهل السنه ينكرون الجدل والمراءى في الدين ، والخصومة في القدر ، والمناظرة فيما يتناظر فيه أهل الجدل ويتنازعون فيه من دينهم بالتسليم للروايات الصحيحة ولما جاء من الآثار التي رواها الثقات عدلا عن عدل حتى ينتهي ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يقولون : \* كيف \* ولا \* لم \* لأن ذلك بدعة \* (٢) فالدعاة اذا دعت الضرورة الى استخدام الجدل استخدموه ولكن بشرط ان يكون بالتي هي احسن كما قده القرآن بهدف الوصول الى الحق والصواب . . . وعليتهم ان يلاحظوا ان بعض اعداء الاسلام والحاقدين عليه يعتمدون اثاره قضايا فرعية لتكون موضوع الجدل لينشغل الدعاء بنناقشتها والرد عليها - عن القضايا الهامة في الاسلام ، ولذا فان الدعاء عليهم ان يتبهاوا لشل هذه الأمور حتى لا ينغمسوا في الجدل المقيم مع خصوم الاسلام واصحاب الأهواء وتضيع جهودهم فيما لا يجدى ولا يفيد . . .

كما لا ينبغي عن وهى الداعى ان وسيلة \* المجادلة بالحسنى \* هذه تعتبر علاجاً لمرض ، أو مفاضة لصاحب هوى ، ولا تصلح مع البسطاء أصحاب الفطر النقية والسرائر الزكية من عامة الناس على نحو ما سلف ذكره في البحث السابق . . . والا كان وضما للشئ في غير موضعه . . . وعلى الداعية أيضا أن يكون ملما بمذاهب المخالفين بها معتقدون عليه من آراء ، ومواطن الزلل فيها ليستطيع الرد عليها بدقه وتنتهى المجادلة لصالح دعوته . . . ولأن النماذج البشرية تتكرر ، والطبائع متشابهة في كل عصر من العصور ، وللإلحاد زعماءه وللإشراك دعائه ، وللهدع مرجوها من اصحاب الأهواء الذين يعتقدون صحتها

(١) انظر احبا علم الدين ج١ ص ١٦٦ ط الشعب .

(٢) الاشعري مقالات الاسلاميين ج١ ص ٣٤٧ .

ويتعصبون لها ، فان تلك الوسيلة باقية مابق العناد والشر الى يوم القيامة  
لان لكل صنف من هؤلاء جرعة التي تناسبه من الجدل ليعود الى الصواب  
ويذر الخطأ والضلال وأن على الدعاة ان يستخدموها في دعوتهم في مكانها  
مقامها من الحوار والاقناع في مختلف القضايا من العقائد والعبادات والمعاملات  
ولا يفتعلونها مع المدعين اظهارا لبراعتهم في الجدل - مثلا - ولكن  
تكون لرد الصائل ، وهداية الضال وصد المعتدى مع الالتزام بالحسنى  
وعدم التمريض ، او الاهانة للخصم . . لان الحسنى ادعى الى التزامه  
وامثاله . . والعودة الى الحق والصواب الذي اقتنع به عقلا دون ايسلام  
نفسى . . فتنقى فطرته وتعود سوية سريره .



## \* المبحث الثالث \*

( أثر العقل ودوره في الدعوة الى الله عن طريق تأمل الآيات الكونية )

قد اعتمد رسل الله صلوات الله عليهم ، في دعوتهم أنوامهم على لغت انظارهم الى ما في الكون من آيات الابداع الالهى ومظاهر القدرة والارادة والصفات الكاملة التامة ( ١ ) . . وهذا أسلوب فعال جدا لان آيات الله تعالى موجودة ومشاهدة لكل راء متأمل أو باحث \* فالآيات النفسية والكونية ————— أمانا ثابتة النواميس ولكن وسائل العلماء احدثت في التصور والاختراع فاستطاعوا اختراع آلات المقاييس والمجاهر التى عمقت وزادت من القدرات الانسانية على الاكتشاف ووسعت قوى الادراك حيث يرى العلماء الآن في عالم الانسلاك مالم يره علماء العصور السابقة . .

فالسنة الالهية اذن ثابتة ولكن التطور حدث في وسائل الانسان لمعرفة أسرارها ، في ضوء هذه الحقيقة ، أمر الله تعالى في كتابه بالحكمة والتدبير والتفقه والنظر والاستدلال بآيات من حولنا وآيات في أنفسنا والمستقرى للآيات القرآنية بلحظ ان أسلوب الدعوة القرآنى يقوم على استثارة الفطرة الانسانية كمثل قوله تعالى \* أفى الله شك فاطر السموات والأرض ؟ \* بدلا من لغنة الفلسفة التى لجأ اليها اغلب المتكلمين ظنا منهم أنها تؤدى للدفاع عن الاسلام \* ( ٢ ) .

والتأمل في تلك الآيات الباهرة ، والأدلة الظاهرة الناطقة بقدره خالقها \* وقد عقل عن الله تعالى آياته في تدبيره ، وحكمته في آثار صنعته ، وتقديره

- ( ١ ) راجع مبحث الاعتماد على الآيات الكونية - الباب الاول الفصل الثانى .  
( ٢ ) منهج علماء الحديث والسنة ص ٢٧٧ .



فعلم انه بقدره نافذة قدرها ، وحكمه كاملة أتقنها ، وصعلم محيط اخترعها  
 وسمع نافذ سمع حركاتها ، ويصر مدرك لها دبر لطائف خلقها ، وغوامض  
 كوامنها وإرادته حُجَّيها وسواترها ، فاستدل بذلك على انه الاله العظيم  
 الذى لا اله غيره ولا رب سواه . . . ( ١ ) وأمره بالنظر فى خلق السموات  
 والارض صانفيهما من الطرق الموصلة الى الايمان والتسليم . . . فمن آياته  
 الجواهر المودعة فى الجبال ، والمعادن من الذهب والفضة ، وكذلك  
 النفط والكبريت والقار ، ومن آياته البحار العظيمة العميقة المكتنفة  
 لأقطار الارض التى هى قطع من البحر الاعظم المحيط بجميع الارض .  
 وما خلق الله من اللؤلؤ والمرجان والى عجائب السفن كيف امسكها الله على  
 وجه الماء . . . ( ٢ )

فمن خلال ما سبق يلاحظ تنوع الآيات ، وفى كل بيضة من البيات آيات  
 ولكل ثقافة مجال فى تأمل الآيات ، وتلك الآيات تناسب مختلف العقول  
 والثقافات والبيات . . . وههارة الداعية تتجلى فى شرح الآيات ، وتبسيط التأمل  
 فيها ، والاتعاظ بها .

” ولو أن المسلمين استجابوا لله ورسوله فى تفهم الكون واستشفاف  
 آفاهه لا طرد تقدمهم فى علوم الكيمياء والطبيعة والنبات والحيوان وغيرها  
 ولكانوا اسبق الامم الى امتلاك ما فى البر والبحر من ثروات ولا علوا بذلك راية  
 الاسلام وحرروا الضلال من السباب البقاء والمتعة ، لكنهم من آثار الثقافة  
 المريضة لم يدركوا أن آيات العظمة الالهية مودعة فى خلق الارض والسما .

( ١ ) المحاسبى مائة العقل ص ٢٢٥ .

( ٢ ) انظر مختصر منهاج القاصدين ص ٣٣٠ .

والقرآن أحصح الى علم الكون والحياة منه الى علوم المعانى والبيسان  
والبديع \* (١) ، ويجب أن نعلم أن القرآن الكريم ما جاء فيه ماجاء  
من آيات العلم الكونى لم يذكر ما ذكر لتأصيل أصول علمية وثبتت قواعد  
فتية ، وإنما ذكر ذلك فى سياق العظة والمعبرة مقام الارشاد والاعتبار  
والاستدلال على قدرة الخالق وحكمته فى مخلوقاته لتوجه الانسان ببصيرته  
الى خالقه فمسيحه ومجده ويعبد . . . جاءت للعظة والمعبرة وقد أبدتها  
وعززتها العلوم المعاصرة فالعلم نصير الدين دائما \* سترهبهم آياتنا  
فى الآفاق حتى يفتين لهم انه الحق . . . \* (٢) (٣)

والقرآن الكريم قد دعا عن طريق تأمل الآيات الكونية \* حيث يدعو  
الى تدبر الآيات ، والنظر والتأمل فى سائر المخلوقات ، ونهى عن الاعراض  
عنها ، وَدَوَّمَ التَّقْلِيدَ وَالْمَقْلَدِينَ . . . فيقول فى سورة الاعراف : \* أولم ينظروا  
فى ملكوت السموات والارض ما خلق الله من شئ \* ، وأن عسى أن يكون قد  
اقترب أجلهم فبأى حديث بعد . . . يومنون \* (٤) كما يدعو بالحكمة الى معرفة  
الله تعالى من معرفة أفعاله بعرض آياته فى الآفاق فى النفس ، بل هيست  
أنظار العقول وطالبتها بالنظر والتأمل والتفكير فيها فقال تعالى  
\* إن الله فائق الحب والنوى يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى  
ذلكم الله فأنى توهمون . فائق الإصباح ويجعل الليل والشمس والقمر  
حسابنا ذلك تقدير العزيز العليم، وهو الذى جعل لكم النجوم لتهتدوا  
بها فى ظلمات البر والبحر قد فصلنا الآيات لعلهم يعلمون . وهو الذى أنشأكم

- 
- (١) الغزالي ركائز الايمان ص ١٥٦ بتصرف .  
(٢) سورة فصلت من آيه ٥٣ .  
(٣) عبد الوهاب حمودة القرآن وعلم النفس سلسلة المكتبة الثقافية فبراير  
١٩٦٢ العدد ٥٥ ص ٣٢ .  
(٤) الاعراف ١٨٥ .

من نفس واحدة فمستقر ومستودع قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون • وهو الذى أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شىء فأخرجنا منه خضرا نخرج منه حبا متراكبا ومن النخل من طلعها قنوان دانية وجنات من أغناب والزيتون والرمان مشتبها وغير متشابه انظروا الى ثمره اذا اثمر وينعه ان فى ذلكم لآيات لقوم يؤمنون • وجعلوا لله شركاء الجن وخلقهم وخرقوا له بنين وبنات بغير علم سبحانه وتعالى عما يصفون • يدع السموات والأرض أئى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وخلق كل شىء وهو بكل شىء عليم

فبعد عرض مظاهر قدره والعلم فى الخلق ، من الحيوان والنبات واثبات أنه ليس له ثوبك ولا ولد ولا صاحبه يخلص من هذه المقدمات الى النتيجة المطلية وهى طلب معرفته ومعرفة صفاته ، فيقول : " ذلكم الله ربكم لا اله الا هو خالق كل شىء " ، فاعبدوه وهو على كل شىء وكيل " ( ٢ ) ولا شك فى أن فى معرفة الله صفاته العلم الكامل الذى يحقق السعادة فى الدارين ، والعلم بالله يستدعى التفكير والنظر فى خلق السموات والأرض وذلك هو الأساس الذى قام عليه العلم الحديث المبني على التجربة والمشاهدة ولذلك يقتضينا الانصاف ان نقول : ان الدعوة الاسلامية دعوة عقلية تقوم على الدليل الحس والبرهان المنطقى ما فى ذلك من شك •

وبلغت الله تعالى الانظار الى آياته فى النفس للتدليل على البعث ، قال تعالى " أو لم ير الانسان أنا خلقناه من نطفه فاذا هو خصيم مبين وضرب لنا مثلا ونسى خلقه ، قال : من يحيى العظام وهى رميم • قل يحييها الذى أنشأها اول مرة وهو بكل خلق عليم " ( ٣ ) فيعرض القسرة

( ١ ) سورة الانعام الآيات من ٩٥ الى ١٠١ •

( ٢ ) الانعام ١٠٢ •

( ٣ ) يس ٢٧ - ٢٩ •

على العقول نظام الخلق وآياته التي هي من صنع الله الخالق ويطالبها  
 بالنظر والتأمل والتفكر فيها صميم فيها حججها ودليلها القاطع  
 على صحة ما تدعو إليه بأساليب شائقة تتفق مع عقول الناس على اختلاف  
 درجاتهم ، فهي ولا شك رسالة تستند على العقل وتقوم على الحجج  
 والبرهان بأفضل الأساليب وتجاوز التقليد والتلقين . . . ( ١ ) ولو تأمل  
 الانسان الخلق من حوله لوجد حكمة الله تتراعى فيهم لتدل على أن خالق  
 الخلق واحد وعليم بحاجاتها وقادر على انجاز ما علم و اراد ففيها جميعا  
 وحدة بناء و وحدة غاية . . . فالخلية هي الوحدة التي تتألف منها  
 الأجسام الحية ، ومن الخلايا تتألف الأنسجة كنسيج البشرة ومن الأنسجة  
 تتألف الأعضاء كالصعدة ، ومن الأعضاء تعالفا الأجهزة كالجهاز الهضمي  
 فالشعر من مشتقات البشرة - كما أن القصر والظلف والحافر وريش  
 الطير كلها من مشتقات البشرة . . . وهي في جميع الحيوانات مع الانسان  
 الا ان الله تعالى جعلها في كل بالصورة التي تلائم حياته ليتمكن من العيش  
 واستمرار الحياة . . . كما أن هناك تماثلا في هياكل جميع الحيوان في الأجزاء  
 الأساسية ولكن الله جعلها في كل كائن حسب ما تلائم ظروف حياته وبيئته  
 التي يعيش فيها . . . فذلك العضو . . . طويل في هذا قصير في ذاك . . .  
 في صورة يد هنا واجنحة هناك . . . كما يتجلى علم الله بحاجات خلقه في العديد  
 من الصور فمثلا هناك بعض الزواحف كالتماسيح عندما تمسك بضحيته  
 من فوق الأرض تجرها الى الماء لتغرقها لتموت ثم تأكلها . . . فمن علمها  
 أن الماء مقبرة الاحياء ؟ وناء نحل العسل اقراصه بشكل هندسي بدس

( ١ ) أحنفي أحمد - التفسير العلمي للآيات الكونية ط دار المعارف ١٩٨٠م

ونظام دقيق فمن علمها ؟ . . . وغير ذلك مما يدل ويؤكد أن الخالق واحد موجود حكيم مرشد . . . ( ١ ) ومن الأمثلة الدالة على علم الله بحاجات خلقه أيضا ذلك التكامل بين الحيوان والنبات في عملية التمثيل الكلورفيلي أو التمثيل الضوئي : ولكي نوضح هذا التفاعل الكيماوى المركب المختص بالتركيب الضوئي بأبسط طريقته يمكنه نقول : ان اوراق الشجر هي رئات وأن لها القدرة في ضوء الشمس على تجزئة ثانى اكسيد الكربون العنيد الى كربون واكسجين وتعبير آخر بلفظ الاكسجين ويحتفظ بالكربون مع هيدروجين الماء الذى يستمده النبات من جذوره ، ومكيميا سحرية ، تصنع الطبيعة من هذه العناصر سكرا او سيلولزا مواد كيميائية اخرى عديدة وهواكه وازهارا وغذى النبات نفسه وينتج فائضا يكفى لتغذية كل حيوان على وجه الارض . . . وفي الوقت نفسه بلفظ النبات الاكسجين الذى تنتج منه والذى بدوره تنتهي الحياة بعد خمسة دقائق . . .

فالحيوانات تلتفث ثانى اكسيد الكربون بينما تلتفث النباتات الاكسجين ولو كانت هذه المقايضة غير قائمة فإن الحياة الحيوانية او النباتية كانت تستنفذ في النهاية كل الاكسجين ، أو كل ثانى اكسيد الكربون تقريبا متى انقلب التوازن تماما ذوى النبات أو مات الانسان فلاحق به الاخر وشيكا . وقد اكتشف أخيرا أن وجود ثانى اكسيد الكربون بمقادير صغيرة هو أيضا ضرورى لحياة الحيوان ، كما اكتُف أن النباتات تستخدم بعض الاكسجين ( ٢ ) فهذا التكامل الهديع بين الخلق دليل على حكمة الخالق سبحانه . . .

( ١ ) احمد زكى كتاب " مع الله في الارض " ط الهيئة العامة للكتاب من ٤١ الى ٨٦ ، ص ٢٨٦ وما بعد ها .  
( ٢ ) كريستوفر موريسون ترجمة محمود صالح الفلكى العلم يدعو للايمان ص ٧٢ .

يقول د / محمد حجازى : " الكون هافيه آية من آيات الله الناطقه برهان من البراهين الساطعة التى تنادى بأن هذا الكون له مدبر يدبر أمره ، واله يرجع الأمر كله ، وهو على كل شىء قدير . ولهذا ينادى الله الناس جميعا " يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين والذين من قبلكم لعلكم تتقون الذى جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناءً وأنزل من السماء ماءً فاخرج به من الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله اندادا وانتم تعلمون " ( ١ ) وقد لفت أنظارنا الى الكون هافيه من عجائب لنستدل بها على الخالق سبحانه وتعالى عما يشركون " .

ولقد أقسم الله ببعض ما فى الكون لعلنا نلتفت ونظننا اله والى من خلقه ونظمه لعلنا نتهب الى رشدنا فنؤمن بالله إيمانا سليما كاملا . . كقوله تعالى

" كلا والقمر ، والليل اذا أدبره والصبح اذا أسفر انها لأحدى الكبر نذيرا للبشر " ( ٢ ) وقوله : " فلا أقسم بالخنس الجوار الكنس والليل اذا عسعس والصبح اذا تنفس انه لقول رسول كريم " ( ٣ ) . . الى غير ذلك من الآيات المتنوعة والمعددة التى أقسم الله تعالى فيها بالسماء والأرض والنفس والشمس والقمر والنجم . . وغير ذلك من خلقه الذى تتجلى فيه صفاته وقد رته وجبروته . . وهذه الآيات التى أقسم الله ببعض المظاهر الكونية من أرض وسماء ونجوم وأفلاك وليل وضهار وفجر وضحى وفلك ونجم وشمس وقمر كان المقصود بها هوفت أنظارنا الى الكون هافيه من أسرار عجيبة هافيه من نظام يدبر محكم ان كل بجرى الى أجل مسمى عنده وكل فى فلك يسبحون ولا يصطدم هذا بذاك ولا يتخلف هذا عن ذاك ولا يبطىء فى سيره ولا يخلت عن موعده

( ١ ) سورة البقره ٢٢ . ( ٢ ) المدثر ٣٢ - ٣٥ .

( ٣ ) التكوير ١٥ - ١٩ .

وصدق الله "وكل شيء عنده بمقدار" ، الذي احسن كل شيء خلقه في كل قسم من هذه الأقسام حكم خاصة وأسرار عجيبية ومناسبات دقيقة . . . ( ١ )

ويقول كذلك : " واقسامه تعالى ببعض مخلوقاته دليل على انه من عظيم آياته ، وقد سادت فكرة تعظيم المقسم به وسط آراء العلماء والباحثين الى وقتنا هذا . . . فالكل يجمع على ان الاقسام ببعض المخلوقات تعظيم لها ، ولفت الاظار إليها حتى تستدل على ان الخالق البارئ المصور كما ذهب الى ذلك القدماء والمحدثون من المفسرين مثل الشهبخ محمد عبده وغيره . . . وهذا رأى حسن ولا مانع ان يلحظ مع ذلك ان هناك علاقة وثيقة بين المقسم به والمقسم عليه ، وأن الغاية البهانية من القسم هو تمثيل الأمور المعنوية بالمشاهد والمحسوس لتمكين في النفس أيها تمكسب ومافيه من معنى الإعظام وإنما يقصد به الى قوة اللفت الى عظمة خالقها معلاحظة ان المقسم به تراعى فيه الصفة التي تناسب الموقف " ( ٢ ) ولذا فقد اعتبر القسم بالكائنات والمخلوقات وما خلقه من نعم على العباد وسبله من وسائل الدعوة لها قيمتها الفنية حيث إنه تهيئه نفسه للدعو ويفيد التكرار الذي يراد لإقناع الناس والترغيب والترهيب ، كما ان هناك موافقة بين طرفي القسم وهذا كله مما يؤثر اثرًا طيبًا في نفس المدعو . . . هذا بالإضافة الى الدلالة العقلية لنعم الله تعالى ومظاهر قدرته في خلقه ودلالة الآيات الكونية المقسم بها على القدرة والعلم والارادة الالهية ومايدعو الى الايمان . . . وقد سبق تقرير دلالة الآيات الكونية والنعم الالهية على الله ( ٣ ) .

- ( ١ ) د / محمد محمود حجازى الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم ص ١٩٠ - ١٩٢ يتصرف .  
 ( ٢ ) المرجع السابق ص ٢٠٦ .  
 ( ٣ ) سبق تقرير الدلالة الفعلية للآيات الكونية بالباب الأول الفصل الثانى البحث الثانى ص

في اطار دلالة الآيات الكونية والنعم الالهيه التي خلقها للانسان  
يجب الاشارة الى ان موضوعات التأمل متعددة ومتنوعة ومجالاته عديدة .

ففي الآيات مجال للتأمل في الكواكب والنجوم والافلاك ومسارات  
هذه الاجرام السماوية مما يهد علماء الفلك والفضاء ويحذ بهم نحو الايمان  
والتسليم .

في مجال النبات والشجر والزراعة وتنوع الثمار والاشجار في اللون  
والطعم والشكل ، من زهور الى ورود الى خضروات وفواكه . . مجال  
نظر وتأمل لعلماء الزراعة . وعمل الزراعة . .

وكذلك في مجال الحيوان واشكاله ووظائفه وتوحشه استثناسه ومنافعه  
والارض وطيقاتها وزراعتها وحياتها . . مجال تأمل للزراع كذلك . . ومعادن  
الارض من حديد الى منجنيز الى فوسفات وذهب وفضه ورماس . . وفسير  
ذلك من بترول ومشتقاته آيات مجال نظر وتأمل لمجتمع الصناع . . فالآيات  
تناسب المجتمعات كلها الحضري الصناعي ، والريفى الزراعى ، والعقلية  
البسيطة ، والعقلية المثقفة المدققة . . ولذا فهى مجال خصب للدعوة  
الى الله امام الدعاء .



### المبحث الرابع

( اثر العقل ودوره في الدعوة الى الله بالقصة وتأمل اخبار الملقين )

وقد اعتمد القرآن الكريم في مجال الدعوة أيضا على تأمل أحوال الامم السابقة ، وقص علينا المزيد منها في مواضع عديدة ، مقصودا بها العبرة والعظة وليس لمجرد سرد الاحداث ، حيث يتناول كل قصة من زاوية معينة في موضع معين في سياق معين ، لإبراز العبرة منها في موضعها . . . فقد ساق القرآن قصة نوح مع قومه والانتها بهم الى اغراق الكفار ونجاة المؤمنين بعد أن سلك معهم كل مسالك الوضوء والدعوة فقد دعاهم ليلا ونهارا ، وسرا وجهرا . . .

وكذا سيدنا هود وسيدنا صالح ، وسيدنا ابراهيم ، وسيدنا موسى وسيدنا عيسى ، وسيدنا يحيى ، وسيدنا زكريا عليهم جميعا السلام ، وقصد جعل الله في كل قصة " آية وعبرة " أي دليل مرهان على قدرة الله تعالى لكل قارىء وتأمل في أحوالهم .

وتأمل آثارهم ما بقى من ديارهم وآثار قوتهم سهيل الى الازعان لقدرة الله تعالى وجبروته ، فقال تعالى : " أولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ، كانوا هم أشد منهم قوة وآثارا في الارض فأخذهم الله بذنوبهم ما كان لهم من اللعن واى . ذلك بأنهم كانت تأتيهم رسلهم بالبينات فكفروا فأخذهم الله انه قوى شديد العقاب " ( ١ ) وقد قال تعالى بعد ان ذكر قصة يوسف كاملة في سورتها ، " لقد كان في قصصهم عبرة لأولئى الالهاب ، ما كان حد ثنا بفترى ولكن تصدىق الذى بين يديه وتفصيل كل شئ " وهدى فرحة لقيم يؤمنون " ( ٢ ) بقول القرطبي : " لقد كان في قصصهم

( ١ ) غافر ٢١ ، ٢٢ .

( ٢ ) سورة يوسف ١١١ .

أى فى قصة يوسف واخوته وابيه ، أوفى قصص الأمم ( عبرة ) أى فكسرة  
وتذكره لحظة لأصحاب العقول . . . ( ١ ) كما ذهل قصص الانبياء متسع  
أقوامهم عندما تحدث عنهم فى سورة الشعراء - يقول الله تعالى :  
" ان فى ذلك لآية لها كان اكثرهم مؤمنين . وان ربك لهو العزيز الرحيم "  
فقد ختم كل قصة بهاتين الآيتين ، فقد ذكرها بعد حديثه عن موسى  
مع فرعون آيتا ٦٢ ، ٦٨ ، وعد قصة سيدنا ابراهيم آيتا ١٠٣ ، ١٠٤  
وعد قصة سيدنا نوح آيتا ١٢١ ، ١٢٢ ، وعد قصة هود آيتا ١٣٩ ،  
١٤٠ ، وعد قصة سيدنا صالح آيتا ١٥٨ ، ١٥٩ ، وعد قصة سيدنا  
لوط آيتا ١٧٤ ، ١٧٥ ، وعد قصة سيدنا شعيب آيتا ١٩٠ ، ١٩١ . .  
فجميع القصص اتفقت على أنها آيات صراحين ، وعلى ان الله تعالى  
عزيز قوى قادر ، رحيم بعبادة ، كما انها ذهل على ان النجاه لسـ  
أس وأطاع ، والهلاك لمن خالف وكفر ، وعلى هذا فهى آيات لنا لتأملها  
والاعتاظ بما فيها ، ترسم لنا طريق النجاه والسعادة وهو الايمان وحسن  
الصلة بالله . . وهذا القصة كوسيلة من وسائل الدعوة له قيمته وجدواه لأن  
النفوس تميل اليها وترتاج لها " وقد كانت القصة تثير العرس وتوتر فيه  
وتجذب انتباهه لبعض مع أحداثها وعناصرها ، وان قريشا كانت تستملحها "  
كما حدث من النضر بن الحارث الذى كان يشتري كتب الاعاجم ويحدث  
بها قريشا ويقول : إن محمدا يحدثكم بحدث عاد وثمود ، وأنا أحدكم  
بحدث بهرام ورستم والأكاسرة وبلوك الحيرة فيستملحون حديثه ويتركون استماع  
القرآن " ( ٢ ) وليس معنى ذلك أن قصصه ساوى قصص القرآن فى العجاز

( ١ ) تفسير القرطبي ج ٣٩ ص ٣٥٠ ط الشعب ، وانظر تفسير ابن كثير

ج ٢ ص ٤٩٨ .

( ٢ ) تفسير الكشاف ج ٣ ص ٢٢٩ .

والبلاغه وانما وافق هواهم وتمصبهم ، فأعرضوا عن القرآن ، وجلسوا الى النضر يسمعون قصصه حقا على القرآن والدعوة .

مفهوم القصة : القصة هي تتبع الخبر " قص أثره اي تتبعه من باب رد ، والقصة : الأثر والحديث ، واقتصر الحديث : رواه على وجهه ، وقص الأثر تتبعه ، وقص الخبر أعلمه " (١) وجاء في الصباح : قصصت الخبر تتبعته ، فنرى أن مفهومها اللغوي يدور حول المتابعة لأثر ، والحديث عنه روايته على وجهه . . . وهذا المفهوم موجود في القصة القرآنية .

وتعرف القصة بأنها : كلام حسن في لفظه ومعناه يشتمل على أحداث حقيقته سابقه يتضمن على ما يهدي الى الدين ويرشد الى الخير .  
 يفرق بين القصة القرآنية والحكاية ، بأنه لا يجوز ان نطلق اسم الحكاية على القصة القرآنية لأن الحكاية يلاحظ فيها المحاكاة والوقوف على ماجرى بغض النظر عن المعبر التي فيها والاستفادة منها ، كما أن الحاكس لا يهدف التأثير والتوجيه من حكايته ، أما القصة فهي تكشف عن آثار الماضي وتنقب عن حوادثه وتعرضها في أسلوب معجز مشتمل على العسيرة والمعظة أخذاً بالعقل والوجدان الى زمن القصة وادوارها وأشخاصها .  
 مهما كانت ، كما ان القصة القرآنية تملك جميع العناصر الفنية للقصة فالزمان والمكان ، والأشخاص ، والحوادث موضوع الحوار كل ذلك واضح فيها الا أنها لكونها هادفة تركز مره على أحد هذه العناصر ، صرة أخرى على غيرها وهكذا تراعى الهدف الذي تدعو اليه " (٢) . .

(١) انظر مختار الصحاح باب الصاد فصل القاف ، وترتيب القاموس المحيط ص ٣٦٢ ج ٣ .

(٢) د / غلوش الدعوة الاسلامة ص ٢٨٨ .

ويستخدم القرآن كل انواع القصة : القصة التاريخية والواقعية المقصودة بأماكنها وأشخاصها وحوادثها والقصة الواقعية التي تعرض نموذجاً لحالة بشرية فيستوى ان تكون بأشخاصها الواقعيين ، اوبأى اشخاص يتمثل فيهم هذا النموذج ، والقصة التمثيلية التي لا تمثل واقعة بذاتها ولكن يمكن ان تقع في أية لحظة من اللحظات في أى عصر من العصور . .

من النوع الأول في القصص التاريخية : قصص الانبياء ، وقصص المكذابين بالرسالات وما أصابهم من جرائم هذا التكذيب وهي قصص تذكر باسماء اشخاصها على سبيل الحصر والتحديد : موسى وفرعون ، وعيسى ونوا اسرائيل ، صالح وثمود ، وهود وعاد . . الخ . .

ومن القصص الواقعية لنموذج بشري : قصة ابني آدم ، قال تعالى " واتل عليهم نهار ابني آدم بالحق ان قريبا قربانا فتقبل من احد هـما ولم يتقبل من الآخر ، قال لاقتلنك قال انما يتقبل الله من المتقين . لكن بسطت الي يديك لتقتلني ما أنا بباسط يدي اليك لاقتلك اني اخاف الله رب العالمين . اني أريد أن ابوبائس واثمك فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين . فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين فبعث الله غراباً يبحث في الأرض ليريه كيف يواري سوءة أخيه قال يا وليستي أعجزت ان اكون مثل هذا الغراب فأواري سوءة أخى فأصبح من النادمين " ( ١ )

من نوع القصص التمثيلية ، قصة صاحب الجنيتين كما صورتها سورة الكهف ، فقال تعالى : " واضرب لهم مثلاً رجلاً جعلنا لأحد هـما جنيتين

من اعناب وحفناهما بنخل وجعلنا بينهما زرعاً • كلتا الجنتين أتت أكلهما  
 ولم تظلم منه شيئاً وفجرنا خلالهما نهراً • وكان له ثمر فقال لصاحبه  
 وهو يحاوره : أنا أكثر منك مالا وأعز نفراً • ودخل جنته وهو ظالم لنفسه  
 قال ما أظن أن تجيد هذه أبداً • ما أظن الساعة قائمة ولين رددت الـ  
 ربي لأجدن خيراً منها منقلباً • قال له صاحبه وهو يحاوره : أكفرت بالذي  
 خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلاً • لئن كنا هو الله ربي ولا أشرك  
 بربي أحداً • ولولا أن دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة الا بالله ان ترن  
 أنا أقل منك مالا وولداً • فعمس ربي أن يومئذ خيراً من جنتك ويرسل  
 عليها حسبانا من السماء فتصبح صعيداً زلقاً • أو يصبح مأوئها غورا فلا  
 تستطيع له طلباً • وأحيط بثمره فأصبح يقلب كفيه على ما أنفق فيها وهى  
 خاوية على عروشها ويقول يا ليتنى لم أشرك بربي أحداً • ولم تكن له فئة  
 ينصرونه من دون الله ما كان منتصراً \* (١) •

وكما ان فى القرآن القصص والمعبرة فان فى السنة قصصا مرويا عن رسول  
 الله صلى الله عليه وسلم كان يقصه على أصحابه عبرة لهم بمن سبقهم من الامم  
 وعظة بأحوال من كان قبلهم من الاقوام وقد زخرت كتب الحديث بامثال  
 هذه القصص الهادية • • قصة الثلاثة الذين آووا الى الغار وانغلق عليهم  
 بابه فتذكر كل من الثلاثة صالح عمله وكانت الصخرة تتزحزح عن الباب قليلا  
 قليلا حتى انفرج الباب واستطاعوا الخروج • • (٢) ومن ذلك ايضا قصة

(١) الكهف الآيات من ٣٢ الى ٤٣ •

(٢) لفظ الحديث مروى فى البخارى - كتاب بدء الخلق - ما جاء عن بنى

اسرائيل مج٤ ص ٢٠٩ •

الاعى والابصر والاقرع الذين لم يشكروا نعمة الله عليهم ان شفــــــــــــى  
كلا منهم من داته فجحد وا فضله وخلوا بما عند هم ٠٠ (١) فهذان  
نموذجان موجزان للقصة النبوية ٠

وعمها فان القصة وتأمل اخبار السابقين وقصصهم وسهلة هامة مســــــــــــن  
وسائل الدعوة : فهي تلازم الداعية وتعلمة انفعالا . بدعوته وتحسمه لها  
واثقا من نصر الله له ونجاح دعوته في نهاية الأمر ، كما أنها تعرف ببيادى  
الدعوة وأسماها مع ذكر أدلة صدق هذه البيادى ٠٠ وذلك من قصص  
الانبياء مع أقوامهم ، كما أنها أيضا تبصر بالمدعوين وطبائعهم وفرائضهم  
ولأن النماذج البشرية من حيث الطبائع والمواقف متكررة تتضح امام الداعية  
فيما الح كلا حسب ما يلائمه ، والقصة بصفة عامة تعتبر موعظه حسنة لأنها  
بمعناصرتها وتأثيرها تلفت نظر المدعو برفق ولين وتعطيه من عبر الماضي  
ما يجعله يقنع ويشعر ان الداعى ينصحه ويقصد نفعه ٠٠ كما أنها مجال  
خصب للترغيب والترهيب اللذين هما جناحا الدعوة ، بل أنهما من أهم  
مؤثراتها لأن اثاره الشوق الى شىء يدعو الى النشاط لتحصيله والحماس  
والاجتهاد من أجله والعكس فى الترهب فهو يدعو الى الترك والابتعاد  
عن المنهى عنه ٠

وانا اتخذ الداعية القصة وسهلة للدعوة فعليه أن يحذر القصص الذى  
بتعارض مع الدين وأصوله ، أو ما يخلق شبهة لدى المدعوين بذكر ما يناقس  
الدين ويرفضه العقل وتآباء الفطرة النقية ، يقول الشيخ على محفوظ " والقصص  
قسمان : مذموم ، صحمود ، فالمذموم نوعان ، أحدهما : الاشتغال  
بالقصص والحكايات عن الامم السابقة التى يتطرق اليها الاختلاف والزيادة

(١) لفظ الحد يث مروى فى البخارى - كتاب بدء الخلق - ما جاء عن بنى  
اسرائيل ج٤ ص ٢٠٨ ٠

والنقصان ، وتخرج عن القصص الواردة في القرآن الحكيم وتزيد عليها ، فان ذلك مما يندر صحته خصوصا ما ينقل عن بنى اسرائيل ما لا يقره عقل ، ولا يؤيده نقل كاسرائيليات الخازن ودائع الزهور ، النوع الثاني — المذموم : الاشتغال بحكاية احوال تومس الى هفوات أو مساهلات يقصر فهم العوام عن درك معانيها ، أو كونها هفوة نادرة الوقوع ، ومردفة بما يقرها ومداركة بحسنات تغطى عليها ، فان العاصي يعتصم بذلك فليس مساهلاته وهفواته ويمهد لنفسه عذرا فيها ويحتج بأنه حكى كيت وكيت عن المشايخ وبعض الاكابر . . . ( ١ ) ولذا فان على الداعي أن يختار من القصص ما صح نقله ، ولم يعارض أصلا ، أو يدعو الى تهوين المعصية والمخالفة للشرع . . . وأن يضع العبرة من قصته واضحة امام مدعويه ، ولا يكتفى بمجرد السرد ، والسرد يتهللهم له أو ثنائهم عليه ومن قصصه الخيالية . . . والافتقدت القصة الحكمة من ذكرها . . . وفقدت كونها وسيلة للدعوة .

ودلالة القصة على ما ذكرت من أجله : دلالة عقلية ، حيث يبرز الداعية الربط بين القصة التي ذكرها وبين موضوعة الذي يتحدث فيه . . . عن طريق الاستقراء أو القياس بأسلوب سهل بسيط لتومي القصة ثمارها وينجح في دعوته بها ، ودلالة القصة يمكن الرجوع اليها في الباب الأول ( ٢ ) من هذا البحث .

( ١ ) الشيخ على محفوظ هداية المرشدين ص ٧٥ .

( ٢ ) الفصل الثاني — الباب الاول — ميخا الاعتماد على التذكير باخبار السابقين ونعم الله —

المبحث الخامس

( أثر العقل ودوره في الدعوة الى الله باستخدام المثل )

ومن وسائل الدعوة التي توضح القضايا وتبين الحق وتجلى الأمور

المثل وهو أما من القرآن أو من السنة . .

مفهوم " المثل " : " مثل الشيء " - بفتحين - صفة ) وهو جملة من القول مقتطعة من كلام ، أو مرسلتها بذاتها ، تنقل ممن وردت فيه الى مشابهة بدون تغيير مثل " الصيف ضيحت اللين " و " الرائد لا يكذب أهله " والاسطورة على لسان حيوان أو جماد كأمثال كليلة ودمنة ، والجمع أمثال " ( ١ ) " وقد جاء في تعريف صاحبى لباب التأويل وفتح البيان للمثل بانه : " عبارة عن قول يشبه قولاً آخر ، بهنهما مشابهة ليهين احد هـ - الآخر ، صوره ، ويقول الشيخ محمد عبده مشيراً الى هذا النوع من المثل " وأبلغه تمثيل المعانى المعقولة بالصورة الحسية وعكسه . . " ( ٢ ) والفرق بين المثل والتشبيه حينئذ ان المثل لا بد أن يكون الأمر الجامع بين طرفيه متحصلاً بالتأويل ، أما التشبيه فقد يكون بينا بلا تأويل أو محتاجاً الى تأويل بسيط ، فكل تشبيه تمثيل ولا عكس " ( ٣ )

( ١ ) انظر مختار الصحاح ص ٤٢٠ ، والمعجم الوسيط ج ٢ ص ٨٥

( ٢ ) د / غلوش الدعوة الاسلامية ص ٣٥٧ عن كتاب فتح البيان في مقاصد القرآن - ابو الطيب القنوجي - القاهرة ط اولى - المطبعة الاميرية

الكبرى ص ٦٢

( ٣ ) المرجع السابق ص ٣٥٨



من أمثلة القرآن :

أ - ذلك التصوير البديع المتقن للحالة النفسية التي يكون عليها يكون  
المشرك العابد لآلهة متعدد يس ، حيث يقع في الحيرة بينهم  
ويدي القلق الشديد الذي يلحقه ، فقال تعالى : " ضرب الله  
مثلاً فيهِ شركاء<sup>رجلاً</sup> متشاكسون ورجلاً سلماً لرجل لرجل ، هل يستويان مثلاً ؟  
الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون " ( ١ ) فعابد الشركاء المتشاكسين  
في حيره من أمره فانه إن أرضى أحدهما أغضب الآخر . . أما العابد  
لواحد فهو عالم بما يرضه وما يغضبه ، فيفعل ما يرضه ويترك ما يغضبه .  
ب - من أمثلة القرآن أيضاً : تصويره ثواب الصدقة ومضاعفة أجرها  
فيقول تعالى " مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة  
انبتت سبع سنابل في كل سنبله مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء " والله  
واسع عليم " ( ٢ )

فإن ذلك تصوير دقيق يمثل واضح جلي يبيلور الحقيقة أمام المتصدقين  
المخلصين من الثواب العظيم والأجر الكبير ، فيها هي الصدقة التي ينفقها  
صاحبها قاصداً بها وجه الله تعالى لا يرائي بها أحداً ، يضاعف أجرها  
اضعافاً كثيرة ، صور لنا هذه الاضعاف تمثيل الله تعالى الصدقة بالحبيبة  
المثمرة الجيدة . . والأمثال في القرآن عنها تقرب المعاني في الأذهان وتغرس  
الحقائق في النفوس لوضوحها ودقتها . .

( ١ ) سورة الزمـر ٢٩ .

( ٢ ) سورة البقرة ٢٦١ .

من أمثلة السنة الشريفة :

- ١ - عند ما يصور لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم مكانة بين الانبياء ورسالاته بين الرسالات ، فيقول عليه الصلاة والسلام : " مثلى ومثل الانبياء كمثل رجل بنى بنياناً ، فمجب له الناس فقالوا : واللله ما رأينا مثل هذا البنيان لولا موضع اللبنة ، فكنت موضع تلك اللبنة (١) فتم الدين ووضح المنهج وكملت نعمة الله على عباده برسالة النبي صلى الله عليه وسلم . . . وقد أدى المثل هذا المعنى بدقه .
- ب - وعند ما يصور لنا علاقة المؤمن بالقرآن مدى استفادته منه وانتفاعه به ، فيقول : " مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن كمثل الاترجة طعمها طيب وريحها طيب ، مثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن كمثل التمرة طعمها طيب ولا ريح لها " (٢) .

فهذه النماذج شاهدة على استعمال رسول الله صلى الله عليه وسلم المثل في دعوته وابطاحها واداء رسالته وتبليغها . . . ولا يخفى ما في الامثال من دقة في تصوير المعنى واداء المراد منها وفهم تلك الامثال منحة من الله للعباد حتى انه وصف من عقلها وفهمها وأدرك مراميها بأنه عالم فقال تعالى : " وتلك الامثال نضربها للناس ما يعقلها الا العالمون " (٣)

والمثل كوسيلة للدعوة ليجاء ليقوم بدوره كما أراد الله ، فهو يتسم بعدة خصائص يمتاز بالدقة والواقعية حيث انه لا يمثل بالغريب وانما يتخير من المحسوسات الموجودة ويجليها بأوصافها وضعها في المثل شاهدة وواضحة

- (١) الحديث رواه مسلم وسبق تخريججه .  
 (٢) رواه مسلم عن قتبه - كتاب صلاة السلفين باب فضيله حافظ القرآن ج٢ ص٤٥١ ط الشعب .  
 (٣) سورة العنكبوت ٤٣ .

على ما يريد ذكره ويانه ومع واقعية المثل نرى دقة وجه الشبه فيما ضرب له المثل ، ووضوحه فيه أكثر من اتضاحه في المثل به ، كما يتسم المثل بالتأثير النفسى وتستمد الامثال القرآنية عناصرها من الطبيعة لتظل قريبة من الانسان ايا كان يعيش معه ويؤثر فيه ، وحتى يؤدى دوره التأثيرى رأينا ان يتخذ من الطبيعة مدانا يقتبس منه صوره ، فمن نباتها نرى الحبة تنبت سبع سنابل ، ترى الشجرة الطيبة والخبيثة ، والسنزوع الذى اخرج شطاه ، ومن حيواناتها ترى الحمار والكلب ، ومن حشراتهما ترى العنكبوت والبعوض ، ومن طيورهما ترى الهدد ، ومن احجارها ترى الرماد والصلد والجبل ، لأن الهدف من المثل اقتراب الصورة وتمكنها من النفس مع شدة وضوحها وتأثيرها على المدعو ( ١ ) .

ومن الهدف من المثل ودوره في إبراز المعانى المرادة بقول الترمذى :  
 " ثم اعلم بان ضرب المثل لمن غاب عن الاشياء وخفيت عليه . . فالعباد يحتاجون الى ضرب الامثال لئلا خفيت عليهم الاشياء ، وضرب الله لهم مثلا من عند أنفسهم لا من عند نفسه ليدركوا ما غاب عنهم ، فاما من لا يخفى عليه شئ في الارض ولا في السماء فلا تحتاج الى الامثال ، فالامثال نموذجات الحكمة لما غاب عن الاسماع والبصار لتهدى النفوس بما أدركت عيانا . . فمن تدبير الله لعباده أن ضرب لهم الامثال من عند أنفسهم ليجتنب اليها ليعقلوا ويدركوا ما غاب عن ابصارهم وسمعهم الظاهرة فس عقل الامثال سماء الله عالما في كتابه لقوله تعالى : " وتك الامثال نضرها للناس هايعقلها الا العالمون " والامثال مرآة النفس وأنوار الصفات ، مرآة القلب . . واذا ضربت الامثال صار ذلك الأمر كالمعاينة كالذى ينظر نفس المرأة فيبصر فيها وجهه ويبصر من خلفه لأن ذلك المثل قد عاينه يبصر الرأس

( ١ ) د / غلوش الدعوة الاسلامية ص ٣٢٥ .

فإذا عاين هذا أدرك ذلك الذي غاب عنه بهذا فسكت النفس وانقادت للقلب (١)  
 فالعقل اذن من الوسائل الهامة في الدعوة لإبراز الحقائق وإيضاح المعاني  
 والدعاء اذا احسنوا استخدموها في التبليغ فان ذلك يثمر ثمرة طيبة فسي  
 قبول الناس للدعوة . .

ولا يخفى ما للعقل فيها من دور هام في تعقل المثل والاستفادة منه  
 ويتضح ذلك اذا علمنا أن المثل يمكن ان تتوفر فيه اركان ، فهناك : الممثل  
 به ، الممثل له ، الوجه المشترك بينهما أو وجه المماثلة فهما يتضح ذلك  
 من المثال التالي : في حديث مثل الصلوات الخمس ، قال رسول الله صلى  
 الله عليه وسلم : " أرايتم لو أن نهرا بباب احدكم يغتسل منه كل يوم خمس  
 مرات ، ما تقولون ؟ هل يبقى من درنه شيء ؟ قالوا : لا ، قال : ذلك مثل  
 الصلوات الخمس يمحوا الله بها خطاياها " ( ٢ ) فالممثل به هو نهر الماء الذي  
 يغتسل منه الانسان خمس مرات والممثل له : اداء الصلوات الخمس كل يوم  
 ووجه المماثلة : الطهارة وازالة الدرن في كل منهما ، الا أن الممثل به  
 محسوس لهم جميعا والوسخ المزال بالماء معروف للجميع ، والممثل له شيء  
 معنوي فالصلاة ادائها مغفرة للذنوب ، وهي وسخ معنوي للقلب تزيله  
 الصلاة لأن الله يغفرها للمصلي فيكون بمثابة الاغتسال في المثل به . . أضف  
 الى ذلك الطهارة الحسية للأعضاء في عملية الوضوء وعلى الداعية عند استعماله  
 المثل في دعوته أن يبرز هذه الجوانب للمدعوين ليدركوا ما فيه من مغزى ومال  
 من توجيه . . واذا علمنا أن طهارة البدن مرغوبة من ذوى الطبائع السليمة  
 والفطر السوية . . فان طهارة القلب مطلوبه وواجبه بالقياس عليها . . وللعقل

( ١ ) الامثال من الكتاب والسنة للترمذى ، تحقيق د / سيد الجميل  
 ط دار ابن زيدون - بيروت لبنان ص ١٤٤ ، ١٦٠ .  
 ( ٢ ) رواه الترمذى كتاب الامثال - باب مثل الصلوات الخمس ج ٥ ص ١٥١ وقال  
 حديث حسن صحيح .

دوره في ادراك المشل وابراز مافيه باسلوب بسيط غير منفر للسامعين  
والمدعويين ولا مانع من تدعيم المشل بما يرى من المواعظ التي تناسبه  
ليستقر في القلب ويومئى ثماره .

\*\*\*

### المبحث السادس

( أثر العقل ودوره في الاتصال بالعقل الفردي ، والجمعي )

فسي الدعوة الى الله . . .

وتتجلى آثار العقل ودوره الفعال في عملية الاتصال بالافراد والجماعات ومخاطبة كل منهم بما يناسبه ويلائمه . . . وليس هذا بدعا من القول فسي الدعوة الاسلاميه أو دخيلا عليها . . . فالرسول صلى الله عليه وسلم بدأ دعوته بتبليغ الافراد ودعوتهم الى الايمان ، فابلغهم دعوته فرادى كدعوته ابا بكر ، وخذجه ، وعليها بن ابي طالب . . . فكانت دعوته فردية وتتمثل وتمثل اتصالا مع العقل الفردي .

وما بدأنا به الباب الاول في الفصل التمهيدي من تعريفات للعقل ، فان كل هذه التعريفات للعقل الفردي ، كقوه مودعة في الانسان للادراك والتمييز .

وعندما أمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم بأن يجهر بالدعوة ويخاطب جميع القبائل وطوائف المجتمع لقوله تعالى " فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين " وصعد النبي جبل الصفا ونادى القبائل واجتمعت ودعاها الى الاسلام ، وعندما أمر عليا بن ابي طالب ان يعد طعاما ويدعو العرب اليه وعند اجتماعهم عرض عليهم الاسلام . . . كل هذه الصور تمثل اتصالا بالعقل الجمعي أو الجماعي الا أن الفرد له اسلوب في اقناعه ، والجماعة لها اسلوب آخر للاقناع مما يقنع فردا قد لا يقنع في جماعة ، لأن سلوك الفرد في الجماعة يتسم بالقوة والشجاعة الذين يتسببهما من الجماعة ، فيختلف عن سلوكه منفردا . . . وفيما يلي بيان لفهم هذه التسمية " العقل الجمعي " أو " الجماعي " لا يوضح معناها . . .

مفهوم العقل الجمعي : " هو من ناحية علم الاجتماع ظاهرة اجتماعية يعبر عن الشخصيات الذاتية للمجتمعات البشرية ، وهو بهذا لا ينحصر نفساً أو روحاً واحدة لمجتمع بشري واحد معين كما يتوهم رجال الفلسفة لأن المجتمع الانساني الواحد لا وجود له في واقع الأمر ، وهو محض تصور خيالي ، وفرض نظري بجانب ما هو قائم بالفعل ، فما هو موجود فعلاً مجتمعات بشرية تختلف وتتباين في الزمان والمكان ، فليس هناك عقل جمعي واحد ، وإنما هناك عقول جمعية متعددة ..

ويعرفه " اسپيناس " : بأنه عقل المجتمع وهو كلي يدرك الاتجاهات العامة للحياة ، وهو يتكون من مجموع العقول الفردية في المجتمع فهو عقل واحد من جهة ، وعقل متعدد من جهة أخرى .. ولذا يسميه العقل المتعدد ويعرفه بأنه : اندماج عقول متعددة في عقل واحد فهو ليس بعقل مطلق له وجود في ذاته ، وبهذا على طريقه جواهر النفس عند الفلاسفة القدماء ، وإنما هو مجزأ بين الأفراد في المجتمع بحكم الضرورة الحيوية وهي الصراع في الحياة وهو عقل موحد بحكم ضرورة حيوية أخرى هي لزوم التعاون في الحياة لمقاومة الخوف ولوغ الآمال .. وهذا التعريف غير مسلم به لما فيه من الخلط بين أسماء تمايزه كالطبيعة الاجتماعية والطبيعة الحيوية ..

ويرى المفكر " جوستاف لوبن " : أن العقل الجمعي - ويسميه بالروح الجمعية عبارة عن حالة نفسية تظهر عندما يلتئم جمع الناس أياً كانوا وهمما اختلفوا في الجنس والأمة ، والمهنة ، والمناسبة التي تجمعهم معا وهي حالة جديدة تتولد من اجتماع الناس بعضهم مع بعض وهي عامل بضعف من العقلية الفردية ويوجهها وجهة مشتركة تتحد في الأفكار والمشاعر مع غيرها في الجمع

الواحد ، وهي راجعة وغير مستمرة ولا مستقرة وإنما تنتهي بانتهاء الجمع  
وذاهبه . .

وهذا التعريف أيضا غير مسلم لما فيه من التناقض في ذكره أن هذه  
الراجعة راجعة غير مستمرة في موضع آخر منه يذكر أنها دائمة . .

ويرى "مكدوجال" : أن العقل الجمعي هو مجموع من الحالات  
العقلية المنظمة والقوى الفكرية المرتبة يقصد بذلك العلاقات العامة  
الدائمة التي تنشأ بين الأفراد فتربطهم بعضهم ببعض ، وتوحد فيما بينهم  
برباط وثيق ولهذا يظهر العقل الجمعي فقط في المجتمعات البشرية المنظمة  
في الوحدات الاجتماعية الكبيرة الراقية . . ومعنى هذا أن العقول الفردية  
في جمع منظم تتداخل وتتضمن بعضها بعضا . .

وهذا العقل الجمعي مكون من أجزاء العقل الفردي ، وعن طريق هذا  
التداخل فيما بين العقل الاجتماعي والعقل الفردي يفرض الأول نفسه على  
الثاني وجعله تابعا له ولحقا به ، ولا يصبح بهذا مجتمعا للعقول الفردية  
وإنما شيء آخر أكبر وأكثر ، صعب في نهاية الأمر عن النظام السائد بأوسع  
معانيه .

وهذا أيضا غير مسلم به لأن مكدوجال بالغ في توحيد العقل الجمعي حتى  
جعله فردا لا يتعدد . .

الاتجاه العلمي الواقعي في تعريف العقل الجمعي ومثله دور كاهن : فهو  
عندما يتمثل في مجموع العادات والعرف والتقاليد والذوق العام والرأي العام

---



هذا الى ذلك من الأمور التي تنتشر بين الناس في مجتمع معين . . . ويعتبر  
 د وركايم العقل الجمعي بعناصره المختلفة ملزماً للناس بمعنى أنه أمر  
 وله هيئته وله جزاؤه ان خولف فهو يضغط عليهم ويقاومهم اذا حاولوا  
 الخروج عن حدوده وضمده أمامهم كضرورة مُحْتَمَّة لا بد من احترامها  
 ولهذا يجب عليهم ان يتمشوا مع سننه ويكيفوا أنفسهم حسب مبادئه  
 وأصوله . وتتوافق في هذا العقل صفة العمومية فهو يحم ويحمود عند أفراد  
 المجتمع الواحد لأنه صدى لحياة مشتركة طويلة الأمد ونتيجة لآثر متبادل  
 بين الأفراد . . . كما أنه متشابه في المجتمعات من النوع نفسه وحينما تتشابه  
 الأشكال الاجتماعية العامة يتشابه العقل الجمعي في داخلية هذه الأشكال  
 بحكم تكهن البنية الاجتماعية وهو عقل أخلاقي . . .

صحف المؤلف د / عبد العزيز عزت على التعريفات السابقة بقوله :

" العقل الجمعي ليس ظاهرة تُفهم بشكل حيوي على طريقة اسبنوسا  
 وليس بمظهر من مظاهر النفس السفلى التي تظهر في الحشود العابرة  
 على طريقة " ليهون " وليس كذلك بمظهر من مظاهر النفس العليا  
 التي تظهر في الجماعات المستقرة المنظمة على طريقة مكدي جال . . .  
 وإنما هو : ظاهرة اجتماعية لها طبيعتها الخاصة وهي الطبيعة الاجتماعية  
 التي تحالف الطبيعة الحيوية والنفسية كما أنه ليس بروح أو نفس أو جوهر  
 روحاني أو ما شاكل ذلك من الافتراضات الفلسفية التصورية . . . وإنما هو  
 نظام اجتماعي واقعي له عناصره وله أوامره ونواهيته وهو يتمشى مع بنية المجتمع  
 المادية والادبية بمعنى ثقافته ومستواه الحضاري . . . فهو ليس على صورة  
 واحدة وإنما كما يتوهم رجال الفلسفة وإنما يشتق وجوده من طبائع

أ- كذا نص التعريف الاصح للعقل الجمعي وهو صفة فاعلية  
 تصرفات مع نغزها للاضمار وجه الربح في هذا التعريف

المجتمعات البشرية نفسها متقدمة كانت أو متأخرة ، قد يمتد أو يحدب ( ١ )

العوامل المكونة للعقل الجمعى :

يرى لوجن أن العوامل التى تكوّن العقل الجمعى أو الروح الجمعية

هى : -

أ - الشعور بعدم المسؤولية ، فالقرد فى الحشد يلقى المسئولية على

الجمعى نفسه ويتحسر عما يمنعه عادة من التعبير عن ميوله ورغباته وفرائضه .

ب - العدوى النفسية : ويقصد بها تلك الظاهرة النفسية التى تسرى

من فرد الى فرد وتجعلهم يرددون الشئ نفسه ، وشكل آلى ، ولذلك

هو يصفها بأنها عامل من عوامل " التحدير " الاجتماعى . . فالمعتقدات

سياسة كانت ام دينية تسرى بين الجماعات بالعدوى . .

ج - عامل الايحاء : وهو حاله يفقد فيها الفرد وجوده الشخصى بحيث

يضعف وجوده الذاتى ويصبح تابعا لاسيد ا ، متحركا حسب ما يملس

عليه ، ويطيع طاعة عمياء الزعيم المسيطر على الجمعى الحاشد " ( ٢ )

ويذكر الاستاذ / الابراشى هو "لغو" علم النفس التربوى " عوامل

تكوين العقل الجمعى فيقولون : " يخضع العقل الجمعى لعوامل اجتماعية

أهمها غريزتا الاجتماع والمحاكاة والأولى تلم شعورهم وتجمع متفرقهم ، والثانية

تحملهم على تقليد بعضهم لبعض فى الأفكار والوجدان والاعمال ، فللمشاركة

الوجدانية والاستهوا والتقليد آثار كبيرة فى العقل الجمعى ، ويضاف الى

---

( ١ ) د / عبد العزيز عزت كتاب العقل الجمعى مؤلفات الجمعية المصرية  
لعلم الاجتماع ص ٣ وما بعد ها - نسخة دار الكتب المصرية ١٩٥٣ القاهرة .

( ٢ ) القرآن وعلم النفس ص ١٠ .

هاتين الغريزتين عامل ثالث يسميه " لى بون " الشعور بالقوة الذي يحس به الفرد حين انضمامه الى مجتمع أو طائفة . . . ومن الممكن اعتبار هذه التقاليد والاعتقادات والمبادئ وغيرها عناصر مكونة لعقل الأمة أو العقل الجمعي لكن فردا ان آثارها تظهر في كل فرد باعتباره عضوا في المجتمع أو فردا من أفراد الأمة " ( ١ )

" ويقابل هذه العوامل صفات لا بد منها هي الشخصيات الضرورية للروح الجمعية ، أو العقل الجمعي ، هي : أولا : الاندفاع والانسحاق بدون تردد أو تدبير ، ثانيا : الببالغة في فهم الحقائق ، ثالثا : عدم الثبات وسرعة التحول من رأى لرأى ومن فعل لفعل " ( ٢ ) . .

اذن من خلال ما سبق يتضح أن العقل الجمعي : هو مجموع العادات والعرف والتقاليد ، والذوق العام والرأى العام ، وأنه نظام اجتماعي واقعي لها امره ونواهيها وله عقوته في توقيح الجزاء مشتق وجوده من طبائع البشر متأثرا بالبيئة والثقافة والعادات والتقاليد للمجتمع . .

وان العوامل المكسونه له هي :-

- ١ - عدم الشعور بالمسئولية في ظل الجماعة .
- ٢ - العدوى النفسيه .
- ٣ - عامل الابهاء والاستهوا .
- ٤ - يضاف الاعتقادات والعادات والتقاليد ، حيث تتأثر بها العقول الفردية ، وتتوافق مع الجماعة .

( ١ ) الابراش وآخرون علم النفس التربوى ج ١ ص ٢٨٦ .

( ٢ ) القرآن وعلم النفس ص ٩١ .

٥ - الثقافة ، والبيئة حيث انه يتبع غريزه الاجتماع والتقليد والمحاكاة . .

وأن للعقل الجمعى سمات وخصائص ، هى : -

- ١ - الانسحاق والاندفاع وراء الجماعة بدون تردد أو تدبير للمواقف .
- ٢ - المبالغة والتحويل فى فهم الحقائق والأمر .
- ٣ - سرعة التغيير وعدم الثبات وسرعة التحول من رأى لرأى ومن فعل لفعل وهذا يتبع عدم التروى ، والاندفاع . .

ولوجود هذه السمات فى العقل الجمعى نجد ان الله تعالى امر رسوله ان يحفظ مدعوه بواحدة أن يقصوا لله مثنى وفردى ثم يتفكروا . لانهم كجماعة يعارضون بدون تدبير أو تأمل فيما يقول ويدعوا اليه . . فقال تعالى " قل انما اعظكم بواحدة ان تقصوا لله مثنى وفردى ، ثم تفكروا ما بصاحبكم من جنة ، إن هو الا نذير لكم بين يدي عذاب شديد " ( ١ ) يقول المفسرون " فهى دعوة الى القيام لله بعيدا عن الهوى ، والمصلحة بعيدا عن ملبسات الارض بعيدا عن الهواتف والد واقع التى تستمر فى القلب فيعمد عن الله ، بعيدا عن التأثير بالتيارات السنائية فى البيئة . . والمؤثرات الشائعة فى الجماعة . . دعوة الى التعامل مع الواقع البسيط لا مع القضايا والدعاوى الراضجة ولا مع العبارات المطاطة التى تعمد القلب والعقل عن مواجهة الحقيقة فى بساطتها . . دعوة الى منطق الفطرة الهادى الصافى بعيدا عن الضجيج والخلط واللبس والرؤية المضطربة والخبث الذى يحجب صفاء الحقيقة . . وأن يقصوا لله مثنى وفردى ليراجع أحدهما الآخر ويأخذ معه ويعطى فى غير تأثير بعقلية الجماهير التى تتبع الانفعال الطارىء لتتبع

---

( ١ ) سبأ ٤٦ .

الحجة في هدو٠٠ وقيل : فرادى مع النفس وجها لوجه في تحبص هادى عميق ٠٠٠ " (١) فهذه دعوة للتشاور في امر النهوة والرساله والدعوة وصدقتها بعيدا عن التأثير برأى الجماعة الناسى٠ من الاجتماع ذاته ، والا فالمدعون للتفكير مثنى فرادى هم انفسهم المجتمعون المتعصبون ، ولكن حاصل جمعهم في مكان واحد يشكل عقلا آخر هو العقل الجمعى الذى يصدر أحكامه بسلاتدبير ولا ترو وقد عبر المفسرون عن ذلك عندما قالو : والذى اوجب تفرقهم مثنى فرادى ان الاجتماع ما يشوس الخواطر ، ويحمى البصائر صنع من الروئية ويخلط القول ، وهقل الانصاف فيه ، ويكثر الاعتساف ويشور عجاج التعصب ولايسمع الا نصرة المذهب ، وان الازدحام ما يشوشر الاقنهام ويخلط الافكار بالاوهام " (٢) فالفردي يبيع لنفسه في ظل الجماعة ما يحظره على نفسه منفردا كالهتافات المختلفه والمظاهرات والتصفيق لشئ٠ ربما لا يفهمه ٠٠ او يوافق الجماعة في رأيها وقد يكون غير مقتنع به ، ولكن يخشى الافصاح عن ذلك خوفا من العقاب الاجتماعى وأبسطة العزل او التسفيه كما يحاول ايجاد المبررات والاسباب للتوفيق بين رأيه وبين رأى الجماعة ويظهر ذلك في العادات والتقاليد كعادات المآتم والافراح فقد يقتنع الفرد بأن فيها خطأ ولكن يخشى المخالفة وسيبرر ان هذه عادة المجتمع واسلوسه فلماذا يخالف هو ؟ ووضح مثال لذلك ما حكته كتب السيرة من موقف الوليد ابن المغيرة من القرآن عندما سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم وشهد

(١) انظر في ظلال القرآن سيد قطب ج٢٢ مجلد ٤ ص٢٩١ ط دار الشروق التفسير الكبير للرازى مجلد ٢ ص٢٤ ج٢ ط دار الفكر - بيروت ، وصعالم التزويل لابن محمد حسين الهنوى هامش الحازن ج٤ ص٢٩٥ ، والتفسير الواضح ج٢٢ ص٥٩ ، والجازن ج٤ ص٢٩٥ .  
(٢) انظر تفسير النفسى ج٣ ص٣٣٠ ، والكشاف ج٣ ص٢٩٥ ، تفسير ابى السعود الفخر الرازى ج٢ ص٤٨٠ .

له قائلًا ما هو من كلام الانس ولا الجن ، وان له لحلاوة وان عليه لطلاوة  
وان اعلاه لثمر وان اسفله لمغدق وأنه يعلو وما يعلو عليه . . . فقد  
نسى تعصبه مؤقتًا ولكنه عاد يبحث عن اتهام للنبي بغير عدم الايمان به  
متأثرًا برأى الجماعة من المتعصبين فقال انه ساحر . . . مع أنه لو ترك  
لفطرته العنان لآس واهتدى . . . ولكنه التعصب والاجتماع على الهوى  
الذى جعله يبحث عن المبررات والاسباب . . .

### الدعاة والعقل الجمعى : الدعاة الى الله يخاطبون العقل الجمعى

غالبًا فالدرس او الخطبة او المحاضرة . . . أو الندوة او غير ذلك من صور  
القول توجه بالقول الى الجماعة . . . والداعى يخاطب كل هؤلاء . . . وكل  
منهم خاضع فى اسلوب تفكيره ومنطقه لظروف مجتمعه وما يمل به عليه عقل  
الجماعة . . . كما يصادف الداعية : المبتدعين أصحاب البدع المتسكبين  
بها ، المتعصبين لها ، وقد رسخها فى نفوسهم مداهنتهم عليها كالموالد  
والمآثم والأفراح ما فيها من عادات تخالف الشرع ما يحبط بها من بدع  
ومنكرات . . . وهذا كله قد مضى عليه زمن طويل حتى ألقه الناس صار عادة  
لهم . . . فالداعية عندئذ مطالب بان يكون فيه عنصر القيادة والتوجيه بالحكمة  
والمهظة الحسنة مبينا الحكم المراد بدقة ووضوح وسهولة وسر مترفقا بهم  
لئلا جانبه لهم ، حرها على عدم الاصطدام بمشاعرهم ووظائفهم  
حتى لا ينطبع فى نفوسهم مخالفته على أمة حال ، وحتى تنشأ الفه بينهم  
حينه فيكونون أرجى قبولًا لدعوته وأسهل فى الاستجابة لها مع وضوح  
الصواب فى الامر موضوع الاصلاح والتفهم فان الللاحاح فى الفكره ، والتكرار

في عملية التوجيه الى الصواب ، مستعملا في ذلك المناسب من الوسائل (٥)  
اثره في تهيئة النفوس لقبول الدعوة وترسيخها فيها . .

وجب أن يراعى الداعية أن مما يصعب عليه مهمته في تفهم خطأ  
الجماعة ان يكون قد سبقه داع آخر وسكت عن هذا الخطأ فيحتجون عليه  
بسكوت سلفه عن ذلك . . وعندئذ يبين الحق ويحذر أن يسب او يحقر  
سابقه حتى لا ينفروا منه . . وخاصة وان السابق هذا قد وافق هواهم . .

وقد افاضت كتب السيرة في ذكر مواقف الرسول صلى الله عليه وسلم  
في مواجهة المجتمع المكي كمقل جمعى بكل ما فيه من عادات وتقاليد  
الجاهلية ومدى نجاحه في تغيير الرأى العام المكي لصالح دعوتهم  
وعقل الداعية هناله دوره الفعال في تحديد الطريقة والاسلوب والوسيلة  
التي تناسب العقل الجمعى لدعوه مراعيًا بيئاتهم وثقافتهم . . مراعيًا  
القضايا التي تهمهم منتهجا في ذلك منهج الرسول صلى الله عليه وسلم  
في تحصيله المجتمع المكي وشر دعوته فيه . . الى رأى عام لصالح دعوتهم  
بما أحسن استخدم أسس وسائل البيان والخطاب والفصاحة والابضاح والكياسة  
والطبر والقطنه والبصيرة . .

المبحث السابع

(أثر العقل ودوره في استخدام وسائل الاعلام المتاحة في الدعوة

الى الله )

كانت وسائل نشر الدعوة في زمن النبوة والخلافة تعتمد على اللقاء الشخصي فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يواجه القوم بشخصه يخاطبهم ويدعوهم ويشرح لهم ومعظمهم ويجادلهم بالتى هي أحسن ، كما أرسل المعلمين ليعلموا ويفقهوا كمصعب بن عمير الذى أرسله مع أهل يثرب ، كما كان يرسل الرسل بالكتب الى الملوك والأمراء يدعوهم الى الاسلام كما أرسله الى كسرى وقبصر والنجاشى وغيرهما ، وكان حاملو هذه الكتب ليسوا مجرد ناقلين رسالة ، وإنما يشرحون ويدعون الى الاسلام ممثلين شخص رسول الله صلى الله عليه وسلم الموقد لهم . . . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم فى نشره الدعوة يسلك جميع المسالك ويستغل جميع الوسائل الممكنة فى عصره ليعلم الدعوة ويعرف بأحكامها . . . فى العصر الحديث تطورت امكانيات التلهيغ ودخلت التكنولوجيا وسائل الاتصال الحديثه وفيما يلى بيان لمدى امكانية استخدامها كوسائل دعوة - صلة العقل بها . . .

تعريف الاعلام : يعرف الاعلام كمنشأ اجتماعى بأنه - كما عرفته أتوجروت - : " الاعلام هو التعبير الموضوعى عن عقلية الجماهير وروحها وهولها ، واتجاهاتها فى نفس الوقت . . . والمتصود بموضوعية الاعلام أنه ليس تعبيراً ذاتياً عن رجل الاعلام . . . لأن دوره يختلف عن دور الاديب او الفنان ان يعتمد التعبير الموضوعى على الحقائق والارقام والاحصائيات وقد عرفه ريدفيلد : " بأنه المجال الواسع لتبادل الوقائع والآراء بين البشر " .



وقد عرفه " ريفير " : بأنه " يشمل كافة طرق التعبير التي تصلح للتفاهم المتبادل " ويذهب " لوندبرج " الى القول بأنه هو دفعة فرعية للتفاعل ، أى أنه شكل من أشكال التفاعل الذى يتم فيه تفضيل استعمال الرموز . وهذه قد تكون على شكل اشارات أو حركات أو رسم او نحت أو كلمات أو أى رمز آخر يمكن ان يدفع الى سلوك " ( ١ ) وهذا تعريف الاعلام بصفه عامه . . . ولكن الاعلام الاسلامى له مفهوم محدد " فالأصل فى الاعلام الاسلامى أنه الاعلام العام غير المتخصص لمجتمع مسلم أو دولة مسلمة أو حكومة اسلامية . . . ولكن الواقع المعاصر لمجتمعاتنا الاسلامية ، ونحن نبدأ خطواتنا مع القرن الخامس عشر الهجرى بحتم علينا القول بأن الاعلام الاسلامى فى ظروفنا المعاصرة هو صورة من صور الاعلام المتخصص وهو " الاعلام الدينى " . . . وإيضاح ذلك أن المجتمع الذى يطبق الشريعة الاسلامية مجتمع شمولى من حيث العقيدة متكامل من حيث التنظيم ، والاعلام فيه لابد أن يعكس ذلك ، ومن ثم فإن كل شىء فيه اسلامى بدءاً من المرح والمراج وحتى يواجه الموت والاعلام فى هذه الحالة اسلامى فى كل شىء . . .

اما المجتمع الذى يطبق جزءاً من الشريعة ويهمل جزءاً فإن الاعلام فيه لا يسمى إعلاماً اسلامياً ، وانما هو خليط من اعلام الدول الغربية الرأسمالية المتقدمة أو الدول الشرقية الشيوعية أو خليط منهما ومن هذا الخليط نجد جانباً له منه يسمى " الاعلام الدينى " أو البرامج الدينية ( ٢ ) . . .

( ١ ) د / محمد سيد أحمد المسئولية الاعلامية فى الاسلام ص ٢٨ مكتبة الخانجي بالقاهرة ط اولى سنة ١٩٨٣ .  
( ٢ ) المرجع نفسه ص ٣٦ .

وعن علاقة الاعلام بالدعوة والصله بينهما ، يقول مؤلف كتاب  
المسئولية الاعلامية في الاسلام ناقلًا عن الدكتور / عمارة نجيب " والدكتور  
عمارة نجيب يفصل الصله بين الدعوة وهى النداء والدعاء ، وبين  
الاعلام ، وهى الدعاة ورجال الاعلام ليصل الى تعريف للدعوة فى الاسلام  
بأنها اعلام بطريق الحق والهدى ، وارشاد الى دين ووصية ، ومنها  
قوله تعالى " وداعيا الى الله باذنه ومراجا منيرا " أى معلما كاشفا  
طريق الحق والارشاد ، وقوله " ادع الى سبيل ربك بالحكمة ، أى اعلم  
غيرك بسبيل ربك ، وكل صور الاعلام عند الدكتور عمارة - تشمل الدعوة  
فالدعوة لا تقتصر على الاخبار السريع كالاعلام ، بل تزيد بشمولها له  
ولما يكون بتكرير وتكثير كالتعليم والتربية وقد تقتصر على مجرد الابلاغ  
واقامة الحجة وحينئذ تترادف مع الاعلام . . اما الوسائل فتتعدد وتتجدد  
بتعدد الامكانات ومحدد الظروف والاحداث والصناعات ، وهذا  
التعريف يحدد شكل الاتصال وأقام عليه الفروق بين الاعلام والدعوة  
ومن خلال الشكل وضع تصور للتعريف ونستطيع ان نقول انه مفهوم  
الهيئة لمعنى الدعوة او مفهوم الحال " ( ١ )

فالاعلام جزء من الدعوة فهى تشملها علما وفنا أى اذا جاء بمعنى  
الاخبار السريع .

وقد تمثل الاعلام الاسلامى فى عصر النبوة فى أمور عديدة ومظاهر  
متنوعة ، نوجزها فيما يلى :-

١ - الخطبة : وقد كانت فى مكان الصدرة ، من وقفته على الصفا يهدأ

( ١ ) المرجع السابق ص ٥٠ ، د / عمارة نجيب كتاب فقه الدعوة والاعلام  
ص ١٨ .

- الطور العلنى للدعوة . . الى خطبته فى حجة الوداع ، فى العصر  
الحدىث تمثل الخطبة مظهرها هامن مظاهر الدعوة والاعلام . . وقد  
كانت سهلة رئيسية للرسول صلى الله عليه وسلم فى شرح أركان الاسلام ،  
وقد استغرق ذلك بطبيعة الحال عصر النبوة كاملا .
- ٢ - اللقاء أو الندوة أو المحاضرة : وهذا يتمثل فى اتخاذ الرسول  
صلى الله عليه وسلم دار الارقم بن عبد مناف مرثزا للدعوة فى الطور  
السرى للدعوة . .
- ٣ - المسجد : وهو من أهم الوسائل ولذا عندما نزل الرسول  
صلى الله عليه وسلم قبا بنى مسجدا ها ، وهو أول مسجد بنى فى  
الاسلام .
- ٤ - بعث المندوب الاعلامى أو المعلم : ويقف فى ذلك مصعب بن عمير  
علما فى تاريخ الدعوة باعتباره أشهر المعلمين الذين بعثهم الرسول  
صلى الله عليه وسلم ليعلم الناس الاسلام وقرئهم القرآن وكان ذلك  
عقب بيعة العقبة الأولى حيث أرسله مع أسعد بن زراره الى المدينة .
- ٥ - استقبال الوفود : حيث أقبلت الوفود فى عام الوفود لترى أمر  
هذا الدين الجديد ولتحدد موقفها منه وكان النبى صلى الله  
عليه وسلم يبعث مع كل وفد اسلامه صاحبها معلما لهم وقبائلهم  
ويجيب على أسئلتهم . . وحضر هؤلاء الوفود استتبع استفسارهم  
عما لا يفهمون . . ولذلك كانت المناظرة والحوار من انفع الوسائل  
كما حدث فى لقائه عليه الصلاة والسلام فى وفد بنى تميم .

---

١ - عصر الامم السامع الهجرى

وصفة عامة ، فان رسول الله صلى الله عليه وسلم بدأ دعوته بالاقراء  
ثم اتسعت دائرة الاعلام بالدعوة ، الى ان كان الجهر بها ، وهذا  
هو الطور العلني في الدعوة ، مما أمر به عليا من اعداد طعام دعا اليه  
القوم ، ثم عرض الدعوة عليهم ، وإعادة ذلك ، مما روى من صعوده الصفا  
ومناداته على التهاول و عرض الاسلام عليهم مخاطبة الجماهير بما يفهمون  
كل هذه يمثل الاتصال النبوي بالجماهير . . . وقد تعرض فيه لحملات  
ضارية من التشويش من أبي لهب ومن غيره بما كانوا يعرضون حتى عن مجرد  
سماعه ، والاستماع الى دعوته : فكانوا يتواصون بقولهم : " لا تسمعوا  
لهذا القرآن والغوا فيه لعلمكم تغلبون " . . . وهذه الصور تتكرر دائما  
مع الدعاة في كل العصور . . .

#### وسائل الاعلام والاتصال في العصر الحديث : اذا كان ما أوجزناه

من الوسائل هو الوسائل الاعلامية في زمن النبوة فإن هذه الوسائل قد تطورت  
اشكالها وحدث تقدم في وسائل الاتصال بالجماهير ، كالأذاعة السمعية  
والمرئية ، والصحف اليومية والاسبوعية والشهرية . . . هذا بالإضافة  
الى الوسائل التقليدية التي سبق ذكرها . . . وعلى هذا فصور الاعلام  
الديني في العصر الحديث . . . تتمثل فيما يلي :-

- ١ - المساجد .
- ٢ - الصفحات الدينية في بعض الجرائد اليومية  
والابواب الثابتة فيها في بعض المجلات .
- ٣ - المجلات الاسبوعية المتخصصة .
- ٤ - الكتب والكتيبات .
- ٥ - البرامج الدينية في الراديو والتلفزيون .
- ٦ - اذاعات القرآن الكريم .
- ٧ - المواد الاعلامية التي تعكس  
صوراً من الثقافة الاسلامية مثل المسلسلات وبعض البرامج الثقافية .

- ٨ - الاذاعات الحية لبعض المناسبات الدينية .
- ٩ - المواد الاعلامية لشهر رمضان والمواسم والاعباد ، وقولان الافتتاح والختام .
- ١٠ - الافلام الروائية مثل الرسالة والقادسية وعمر المختار ، والافلام التسجيلية عن الآثار الاسلامية أو عن مناسك الحج " (١) وهذه الوسائل ليس كلها مسلماً بها ، بل نسلم بما لا يعارض الاسلام ولا يتعارض مع أصوله الثابتة او يخالف أمر او نهياً . . فإن الغاية لا تبرر الوسيلة . .
- مذكور د / عبد الله شحاته نماذج من الاعلام الدينى فيقول : " منها وسائل التبليغ - خطبة الجمعة بالتلفزيون . . وترجع اهميتها الى أنها تذاق على الهواء مباشرة من مسجد التلفزيون ولذلك أثره في ارتباط المشاهدين . . منها الاحاديث الدينية في التلفزيون . . ومذكر منها أمثله فيقول : " فترى من البرامج الدينية برنامج " نوره على نوره " برنامج " ندوة العلماء " برنامج " اقوال الرسول " و " من هدى النبوة " و " في نور القرآن الكريم " و " هُدَى الله " والحدیث الدينى بالاذاعة منها حديث الصباح ، وقره دينية عبارة عن سؤال وجواب في برنامج " ربات البهوت " يوصى الاحد والاربعاء ويقدم صوت العرب " في نور التلاوة " هذا فضلاً عن اذاعة القرآن الكريم التي تقدم القرآن والتفسير والاحاديث الدينية . . " (٢)

(١) كتاب المسئولية الاعلامية ص ٥٦ .

(٢) د / عبد الله شحاته الدعوة الاسلامية والاعلام الدينى ص ٣٣ بتصرف .

والواقع أن هذه الوسائل المذكورة منها ماله اصول في الوسائل التي كانت في عصر النهضة . . . فالدعوة عن طريق الكلمة المكتوبة تطوّر لارسال الرسل بالرسائل ، ولذا فان الصحف والمجلات والصفحات الدينية والنشرات الدورية التي تعدها وزارة الأوقاف والكتب والكتيبات من الوسائل الاصلية المتطورة حسب تطورات العصر .

والمواد المسبوبة او المصورة للتعليم يمكن اعتبارها تطوير لارسال المعلمين . او للاتصال غير المباشر وان كان كل ذلك في المرتبة الدنيا بالنسبة للاتصال المباشر بين الداعية والمدعوين في المسجد في الدروس او المحاضرات أو الخطب . . . ولثومى دور الاتصال المباشر لأن الصلة الروحية غير موجهة بين الآله " المسجل " او " التليفزيون " او " الفيديو " ومن المتلقى عنها . . . ولذا فوجب التعرف على " الاتصال " واهمته في الاعلام بالدعوة .

مفهوم الاتصال : " ذهب اكثر فقهاء الاعلام والدعوة الى تصور الاتصال تصورا شاملا لكل عملية تتكون من : منه ، واستجابة ، فهقول " هُوَ قُلَان " : ان الاتصال هو العملية التي بمقتضاها ينقل القـرد ( القائم بالاتصال او الداعي ) منبهات لكي يعدل سلوكه الاخرى ( مستقبلى الرسالة ) والتعديل يعنى مجرد التغيير ، ويعرفه تشارلس موريس الاتصال بقوله : ان اصطلاح الاتصال حينما نستخدمه بشكل واسع النطاق فانه يتناول اى ظرف تتوافر فيه مشاركة عدد من الافراد في أمر معين . . . صقول ستييفنز : الاتصال هو استجابة الكائن الحى الى منه معين بشكل متميز . . . " ( ١ ) " والاتصال الشخصى المباشر من احدى

( ١ ) د / عمارة نجيب فقه الدعوة والاعلام ص ١٦٦ .

الوسائل في الاعلام والنشر حيث ان له مميزات منها :-  
 أهمية الحوار والمناقشة بين الطرفين وامكانية الاتفاع وتحقيق هدف الاتصال  
 مع توافر الحرية في الرد ، كما أنه يتم بمقمية هروضة ، وتراعى فيه حاجة  
 المتلقى ونوع معرفته ، وضع المعلومات التي يحتاج اليها " ( ١ ) . . .  
 وقد انحصرت اساليب الاتصال الشخصي في المحادثة ، والمناظرة  
 ثم الخطاب والتلفون ، كما ان وسائل الاتصال الجماهيري : هس  
 الراديو والصحيفة والتلفزيون والسبنا . . . وغير ذلك .

ولما كان الاتصال الشخصي الطبيعي من أهم الوسائل وأكد فسى  
 النتائج وأجدي في الدعوة كما سبقت الاشارة آنفا فان ترتيب بقية الوسائل  
 يأتي بعد . . . فالتلفزيون أهم وسائل الاتصال الجماهيري لأنه - كما  
 يقولون - اقرب وسيله للاتصال المواجهي فهو يجمع من الاتصال الشخصي  
 الروية والصوت والحركة واللوى . . . يله الراديو وهو من الوسائل القادرة  
 على جعل الجماهير تحسبالمساهمة والاقتراب الشخصي والواقعي التي  
 يشبه الاتصال المواجهي ، كما انه أكثر الوسائل انتشارا وأسهل تلقيها  
 لأن المتلقى " المستمع " يمكنه القيام بأي عمل مع الاستماع الى الراديو ، اما  
 التلفزيون فيشغل السمع والبصر ويحدد الحركة أماشاشته وعد هسا  
 الصحيفة والمجلة والكتاب والرسالة . . . يقول د / غمارة : " التعاون بين  
 الوسائل المشروعة يزيد فاعلية الاتصال . . . فلا ريب أن تعاون المطبوع  
 والراديو والتلفزيون والرسائل وكل الوسائل المشروعة اسلاميا ، مع الاتصال  
 الشخصي يودي الى زيادة الفاعلية والتأثير والاتفاع وهذا ما انتهى اليه

( ١ ) انظر المرجع السابق ص ١٢٣ .

بالفعل جميع الباحثين في هذا الميدان \* (١) .

وعصمها فإن الاعلام الديني له أهداف لا بد له من تحقيقها \* فتتجلى مهمة الدعوة والاعلام في ضوء الاسلام وتتميز تماما عن غيرها من دعوات واعلام غير المسلمين ، فهى عندنا بيان الحق وتزيينه بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالحسنى بالتعليم والتربية والسياسة والقضاء وكل وسائل التأثير ، وتفهم النفوس على مواجهة ما تزينه الشبهات وتقية صلته بالله وايمانه بانتصار الحق ودعوته وتحصين المسلمين ضد الامراض الخلقية والاجتماعية الزاحفة اليهم من اعداء الاسلام . ولعل اخطر قضية يواجهها الاعلام الاسلامى هو محاولة الوصول الى الناس دون النزول على مراد اهوائهم . . وإنما يحاول رفعها الى مستوى الاسلام بكارم الاخلاق ، وهذا يحتاج الى عقول عميقة تحسن الهجاء الصيغه الحلال للوصول الى ذلك الهدف (٢) .

فموجز القول في ذلك هو : أن هدف الاعلام الاسلامى هو بناء شخصية المسلم ، وتوثيق الصلة بينه وبين ربه ، ومجتمعه حسب توجهات الاسلام . وصونه من الاعلام غير المسلم المغرض الحاقدا على الاسلام .

علاقة العقل بوسائل الاعلام : سبق الحديث عن العقل الجمعى حينما ما فيه من تشويش وشوشرة في حالة الاجتماع - بينما العقل الفردى المفكر بلا تأثير بالجماعة أو الهوى يؤدى الى النتيجة المرجوه التى يبنفس الوصول اليها على نحو ما سبق بيانه في البحث السابق . .

(١) فقه الدعوة والاعلام ص ١٢٩ .  
(٢) سعيد حوى لسباب الاسلام ج٣ ص ١١٢ ، وفقه الدعوة والاعلام ص ٩٠ .



فالعقل له دوره في الفهم والادراك والوصول للحقيقة في وسائل الاتصال الشخصي فقط ، اما في وسائل الاتصال الجماهيرية فهصعب مخاطبته لاختلاف العقول وتفاوت الافهام ، واذ اُثرت فلا تؤثر تأثيرا ايجابيا كما هو مطلوب اذ أن هذا التأثير من نصيب الاتصال الشخصي المعتمد على المواجهة . . يبقى ميدان العقل والاقناع وجذب الناس الى الحق معتمدا على الاتصال الشخصي ، واذا تصارعت فكرتان في اتصال شخصي كان الانتصار للحق والعقل مادام المتصلون بالناس يأخذون الطريق الصحيح لاقناعهم ، ولهذا انتشر الاسلام بهذه الوسيلة وساعدت بقية الوسائل الجماهيرية المشروعة . . ويقول د / عمارة نجيب : " بحكم دراستي لهذه المسائل دراسة عملية حين عملت في الرقابة على المصنفات الفنية ، فقد لاحظت أن المسرحيات العقلية ، وكذلك الافلام التي تخاطب العقل وحده تغش فشلا ذريعا ، ولولا أن الحكومة تدعم الافلام السياسية والمسرحيات التي تؤيد الفكر السياسي . . لما وُجد من ينتجها ويتحمل خسارتها " ( ١ ) لأن الافلام والمسرحيات التي تنجح غالبا هي التي تخاطب الغرائز وتثير الشهوات . .

في نظري أن هذه الوسائل المتاحة لنا في العصر الحديث من مسموعة الى مرئية الى مقروءة . . يمكن تسخيرها لنشر الدعوة وتعليمها للجماهير حسب التصور الآتي لما يجب أن تكون عليه :-

- ١ - انشاء مؤسسة اسلامية للمصنفات الفنية - لانتاج المواد المطلوبة بحيث لا تخضع لمقصر الرقيب - ولتكن تابعه لجمع البحوث الاسلامية مثلا .

( ١ ) د / عمارة نجيب فقه الدعوة والاعلام ص ١٩٨ .

- ٢ - تستخدم هذه المؤسسة في إنتاجها وسائل " التكنولوجيا " الحديثة كتعليم القرآن ، واحكام تلاوته ، وتفسيره على اسطوانات او شرائط كاسيت او شرائط فيديو كاسيت . .
- ٣ - تسجيل احكام العبادات على شرائط " فيديو " او " كاسيت " كتعليم احكام الضوء والصلاة والسنن الفعلية والقولية باللغة العربية صلغات غير عربية مستعانا بالصوت والصورة لنشرها على مسلمي العالم .
- ٤ - انشاء اذاعة دينية اسلامية على غرار اذاعة القرآن ، او تحويل اذاعة القرآن لتبث هذه المؤسسة فنا مع تدعيمها بكل الامكانيات ، وكذا انشاء قناة تليفزيونية تابعه لها - لتعبر عن رأى الاسلام شارحة له لفهمه جميع المسلمين - في كل القضايا المعاصرة التي تتجدد وآخر ماتوصل اليه المجتهدون من الفقهاء واذاعة جلسات مجمع البحوث وأبحاث اعضائه لتخلق وعيا دينيا بين المسلمين وأن يكون بهذه الاذاعة برنامج موجه الى العالم غير الاسلامي باللغات المختلفة عارضا للإسلام موضحا قضاياهم ، وهذا إن لم يجد بسرعة فهو يضع أساسا للمراكز الاسلامية بتلك البلاد لتمارس دعوتها ، هذا بالإضافة الى الوسائل التقليدية كالخطبة والدرس وغيرها من صور المواجهة الشخصية ، وهي في الدرجة الأولى كما سبقت الاشارة اليه . . مع مراعاة ان يتم كل ذلك بأسلوب عقلي يدعو الى الفكر والتسليم . .

\*\*\*

### المبحث الثامن

( أثر العقل ودوره في تحديد نوع وسيلة الدعوة المناسبة لحال

#### المدعوين )

تمهيد : في المباحث السليقة عدونا وسائل الدعوة ومنها أن الله تعالى ذكرها هكذا لتناسب طوائف الناس وطبائعهم حتى تؤتمن دعوتهم ثمارها ، فإن لكل مقام مقالا ، وما يصلح من الأمثلة والآيات لطائفة تعيش في بيئته معينة ، قد لا يجدى مع أخرى تعيش في بيئته مختلفه مجتمع القرية والمدينة . . والداعية الناجح هو الذي يضع نصب عينيه في دعوته ، نوع الثقافة والعادات والتقاليد وعناصر البيئته التي يدعو فيها ويقوم بإصلاحها كما أن عليه ألا ينسى تفاوت العقول واختلاف الطبائع لمدعويه وأن الذين أهملوا عقولهم من عبادة غير الله ، عبادة الأصنام والأوثان والحيوانات وأجرام الطبيعة ضلوا طريق الهدى ولم يعملوا المعقول ليصلوا إلى الحق وسلكوا طريقة ، هان لك الاتقيد الآثام وجمودا على طريقهم ، وارتباطهم بهم عاطفيا . . ومع تقدم العلم الحديث ظهر بطلان تلك المبادات لغير الخالق الباري . . يقول د / روف شلبي : " إن التقدم العلمي الحديث وصعود الانسان على ظهر القمر ووصول سفن الفضاء إلى كواكب أخرى لمهمة سير غورها وكشف طبيعتها ، ومعرفتها محتوياتها يعتبر ذلك صفحة قاسية على عقول اولئك الذين عبدوا الكواكب قديما ، واولئك الذين يصبرون على عبادتها حديثا ، أو ما زالوا يقرون بها مصدرا من مصادر التأله في الدين . . وإن وصول الانسان إلى كوكب من الكواكب التي تعبد وسيروه عليه بأقدامه معناه أن الانسان هو السيد

فوق هذا الكوكب وليس القمر وليس الشمس ولا سواهما من الكواكب والافلاك فكيف يعقل الانسان أن يعبد كوكبا داس عليه واحد من بنى البشر بأقدامه . . . يقول : " بل ان عالم السيرك المعاصر قد افقد النحل والاهواة القديمة التي كانت تعبد الحيوانات والحشرات الضارة مثل الاسد والدب والفيل والثعبان وذلك بعد أن روضها وسخرها لتكسب وسيلة للتسلية من جانب وكسب الارزاق من جانب آخر . . . بلهـ فقط أفقدت هذه الحيوانات قد استهيا الدنية كبل وفقدت قيمتها العاديه كمصدر للخوف أو الفزع للبشر . . . فقد استطاع الانسان المعاصر ان يروض هذه الحيوانات الوحشية الكاسرة فأثبت بذلك غباء الانسان القد بهـ وعجزه وضعفه وقلة تفكيره ، لأنه خاف منها فرفعها الى منزلة التقديس لبطشها ووحشيتها وانذا كان هذا شأن الحيوان الكاسر المتوحش فما بال الحيوان المستأنس الأليف كالبقرة والماعز وجعل أبهى " ( ١ ) .

صح كل هذا نرى من يتعصب للخطأ ويمنعه تكبره وأنفته عن اتباع الحق والاعتراف به ، ويجمد على ما ألفه وارتبطت به عاطفته بميراثه ابائه من ابائه واجدادهم وهؤلاء - كما قلنا - مرضى قلوب يحتاجون الدواء المناسب والتوجيه الصائب لهم ليعودوا الى الحق والفترة السلمية النقية . . . وهذا يتطلب تحديد الوسيلة والاسلوب الذي يناسب هؤلاء (واولئك) والمدار في ذلك على فطنة الداعية ودقة تقييمه للأمر واختياره المقال المناسب لما هو فيه من مقام هووقف ولأن هذا البحث الهدف منه رسم أسلوب تقويم المدعفين ، ونماذجهم من المتعصبين ، والمقلدين ، ودعوة غير المسلمين

د / رؤف شلبي آلهة في الاسواق ص ١١٤ ، ١١٥ .

ونماذج البهات التي يعيشون فيها حيث ان البيئة تؤثر في الفكر استعبادا  
 أو حرية ، نضجا أو فجاجة وتقيدا وانطلاقا ، واستجابة ورفضاً . . . وهذه  
 الأمور تتكون مرتبطة بالمواقف والوجدان والمشاعر ولذا فالداعية  
 يجب ان يكون ملما بالجانب الشعوري وتكون المواقف ، وكيفية ترشيدها  
 واعلاؤها . . . بحيث يجعل كل جماعة في أمة بيئة تتبعه وتستجيب له  
 ويقتدى به . . . وهذا ما سنفصح في المطالب الآتية :-

معنى الانفعال ، والم عاطفة والفرق بينهما : يعرف العلماء الانفعال  
 بأنه " اضطراب حاد يشمل الفرد كله يؤثر في سلوكه وخبرته الشعورية  
 ووظيفته الحسوية " أو هو " استجابة باعثة على الاختلال " وناصره :  
 أ - المثير أو المنبه . ب - الانعاش أو الكائن الحس  
 الذي يشعر بالمثير أو المنبه .

ج - الحالة النفسية والعقلية والشعورية التي هو عليها .  
 د - الاستجابة الشعورية والسلوكية . . . ( ١ ) وقيل في تعريفه أيضا  
 " انه حالة شعورية كاملة تتضمن عنصرا وجدانيا ظاهرا وهلا نشاطيا  
 خاصا يثيره حادثه خاصة محسنة أو معقولة " فمن ذلك نرى أن الانفعال  
 نوع من الوجدان يمتاز بشدة ، فطري شعوري متعلق بشئ ، يتركبه  
 الانسان اذ رآكا حسبا او تصوراه او يتذكره مصحوب بثورة جسمية عقلية  
 عامة . . . ( ٢ )

( ١ ) الدراسات النفسية عند المسلمين ص ٢٥١ .

( ٢ ) الابراش وأخرون علم النفس التربوي ص ١٥٦ ج ٣ .

وأما معنى العاطفة : فهي كما يعرفها علماء النفس " استعداد  
نفسى ينشأ عن تركيز مجموعة من الانفعالات حول موضوع معين نتيجة  
لتكرار اتصال الفرد بهذا الموضوع " (١) وقيل في تعريفها أيضا " انها  
استعداد وجداني مركب وتنظيم مكتسب لبعض الانفعالات الموجهة  
نحو موقف معين يدفع صاحبها للقيام بسلوك خاص " (٢) فالانفعال  
الحاصل نحو شيء معين ينشأ من تكرار تكوين عاطفة نحو موضوعه حيا  
أو كراهية فيتخذ الفرد سلوكا ثابتا نحو موضوع الانفعال ومن هنا تنشأ  
المواقف المختلفة . .

تكوين العاطفة : تتكون العاطفة من التكرار ، والتقليد  
وهي لا تظهر فجأة ، ولكنها تنشأ لأسباب ومثيرات تقتضى ظهورها  
وتنمو نموًا تدريجيًا بكثره مثيراتها ، وتقوى بتوالي الفرص المثيرة لها  
وقد تضعف ثم تنقرض لئلا هذه الفرص أو لعدمها ، فالعاطفة في هذه  
الأحوال كلها تشبه العادة ولذا يقال أحيانًا إن العاطفة هي عادة  
الوجدان ، فالعاطفة تتكون من تكرار انفعالات محددة نحو موضوع واحد  
وتتبع العاطفة قوة ضعفا - تكرار الموقف قلبه وكثره . . (٣) وهذا يؤكد  
لنا إلى أي مدى يكون الارتباط العاطفي بالمسادات والتقاليد الموروثة  
عن القدامى ، ومدى صعوبة انشاء عاطفة نحو شيء جديد . . ولذا  
فإن الشباب أرجى قبولًا للدعوة واستقامة على الحق من الشيوخ . . وذلك  
لطول ارتباط الشيوخ بالخطأ وانطباعه في نفوسهم .

- 
- (١) الدراسات النفسية ص ٢٦٣ .  
(٢) حسن طاطا علم النفس العام ص ٤٢ وانظر علم النفس التربوي  
ج ٣ ص ٢٠٩ .  
(٣) انظر الدراسات النفسية ، علم النفس التربوي ج ٣ ص ٢٢١ وعلم  
النفس العام ص ٤٢ .

### تأثير العاطفة على احكام العقل وأسلوب التفكير :

مما لا شك فيه أن العقل يتأثر بالعاطفة في أحكامه على الأشياء ويتضح ذلك من أقوال علماء النفس والباحثين فيها ، كما يؤكد الواقع الذي نعيشه ونمارسه كل يوم في تعاملنا مع الأشياء والأشخاص ، وحكمنا عليها بقول مؤلف كتاب الدراسات النفسية : " ثم ان العاطفة تسترك أثرها في الحكم الذي يصدره الانسان على الأشياء لأن المرء يفكر من خلال زاوية عاطفته وينظر الى الأمور بمنظارها ويظهر ذلك في قولهم :

وعين الرضا عن كل عيب كليلة . . . ولكن عين السخط تبيد المساويا

وهنا أيضا يكون التعصب للجماعات ، والمذاهب العقائد السياسية والأحزاب ومن هنا يصدر الانسان أحكامه مصطبغة بطابع حبه لوطنه أو مذهبه ، وهذا ما يسمى بمنطق العواطف ، وهو على نوعين :

١ - منطق انشائي يساعد العقل على الابداع والتفكير في الوسائل السليمة تيسر له تحقيق العاطفة وهذا ما اشار اليه الغزالي بالنسبة للعواطف البناءة .

٢ - منطق التبرير ، وهو من أهم عوامل الانحراف لأنه لا يبحث عن الاسباب بقدر ما يعمل على تبرير كل ما يتعلق بموضوع العاطفة ، وهذا ما اشير اليه عند الاستشهاد بالبيت بقوله " وعين الرضا " ( ١ )

" وللعواطف الحسية على الاخص دخل في الحكم الخلقى اذ أنها تجعل الانسان يصدر أحكاما لمصلحته الشخصية او لمصلحة متعلق عواطفه وتعميه عن سيئات أحيائه ، وحسنات أعدائه ، أما العواطف المعنوية فانها

( ١ ) الدراسات النفسية ٢٧١ .

إذا قويت تحملنا على الأحكام الصحيحة كحبة الحق والعدل .. أو بغض الخداع والمواريه " (١) يقول المحاسبي : " إن العاطفه اذا تدخلت في حكمتنا على الاشياء ستكون مفسدة .. والحب والبغض اذا أفرطت انتصا الاعتدال وأفسدا العقل ، وصورا الباطل في صورة الحق .. يقول : " .. والذي يمنع من الفهم الأنفة التي تمنع من الخضوع للحق وحب الغلبة الذي يبعث على الجدل " و يمنع من الاذعان بالاقرار بالصواب " (٢)

فما سبق يتضح لنا أن للعاطفه اثرا بالغا في أحكام العقل وتبرير الاخطاء وان معارضة معارضى الرسل والدعاة انما تكون على أساس مارسخ في نفوسهم ، مما يكون فيها من عواطف نحو موضوعات الدعوة التي جاد لها فيها ، وأصحاب البدع والأهواء والمعانيد الباطلة كما قد ارتبطت عواطفهم بما القوه من الضلال فجادوا ويرروا ما هم فيه على نحو ما وضع من حوارهم مع الدعاه .. والطبع فان تبريرهم الخطأ معتمد على أساس غير عقلسى وانما تقوده وتحرك دفعة العاطفة .. والتعصب ..

( والداعية بصفة عامة عندما يحاور قومه فانما هو دائما يبطل المحاوره أى القوة الاساسية فيها وهو سيكسب عواطف السامعين ومشاعرهم أو شبهتها من هذه العواطف .. وان كانوا مخالفين له .. فان الدين لا يقوم على العقل وحده .. اعنى ليس هو الدافع الوحيد الى الدين بل المشاعر والعواطف عنصر اساسى فى الاتجاه للدين .. والتعصب لفكر ما هو الدافع لرفض الدعوة كما مر ، والمشركون فى مكة هم على شاكلتهم لم يعقلوا ما قال

(١) علم النفس الترسوى ج٣ ص ٢٣٠ .  
(٢) المحاسبي مائمه العقل ص ١٥٧ .



الله لا عجايبهم يرأبهم ولتقليد هم آباءهم وكبراءهم ، وقد كانت لهم عقول غرائز يحقلون بها أمر دنياهم ، ولو تركوا الاعجاب بالرأى وتقليد الكبراء ثم تدبروا لعقلوا ما قال الله (٠٠) (١)

ولذا فان صور التعصب وعدم الاستجابة للدعوة : الكبر والانفسة المانعة من الفهم عن الله ، وحب الغلبة الباعث على الجدل ، والحقن على رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اساسا نفسيا في رفض الدعوة ومقاومتها وهذا كله مضافا الى الحرص والجمود على تقليد الآباء كما تبين لنا من سيرتهم مع الرسل ومناقشتهم في أمر عبادة الاصنام ، أو حرصا على متابعة أخبارهم ورواياتهم كعبدة الاجرام السماوية ، والنار ، والدهريين والطبعميين منكري ما واراهم الحسن وغيرهم ، وهذا كله يتجلى فيه الجانب العاطفى الطاغى على أحكام العقل المؤثر فيها .

وعلى أساس ما سبق يتضح أن الداعية بصادف أمثال هذه النماذج البشرية في طريق دعوتها . . . وذلك يتطلب منه عقلا راجحا واعيا ، وخطبة ثابتة ، وسرعة بديهية - وهذا أبرز صفات الرسل - لتحديد نوع المعارضة التى تصادفه ، ودوافعها - وليكون . . . لبقا ، وخطنا في ادارة الحوار لصالح دعوتها وللوصول الى الحق فيشخص العلة ويحدد موضع الداء ليستطيع وصف الداء . . . ويحدد أولا : هل معارضته مُسَلِّم أو غير مسلم ؟ والدافع للمعارضة والمكابرة هل هو الحقن أو الكبر ؟ أو هو ذلك الارتباط النفسى العاطفى بما كان عليه الآباء والاجيال السابقة من البدع والمنكرات التى صارت عادة ؟ ونوع البيئه التى تجرى فيها المعارضة ، وعلى أساس كل ما سبق يحدد

(١) انظر اسلوب المحاوره فى القرآن ص ٥٢ ، ومائته العقل ص ٢٨ .

المناسب من وسائل الدعوة ، هل يكفى العقل المجرد ، هل تجسدى  
الموظفة ، أو الحكمة ؟ هل يكفيه اثاره انفعاله بآيات الله وتأمل أخصار  
السابقين وكل هذا لا يتأتى الا بالفهم الدقيق لنفسية المدعويين وههارة  
الداعية العقلية واخلاصه في دعوته . . . فما كان من القلب وصل الى القلب  
وما كان من اللسان لا يتعدى الآذان . . . ولعل هذا هو السر في اختبار  
الله الرسل من بين اقوامهم حتى يكونوا على علم بحالتهم النفسية ومعرفته  
عاداتهم وتقاليدهم وحياتهم فيخاطبونهم بما يفهمون . . . وهو "الاصناف  
من المدعويين لكل منهم طريقه تناسبه وأسلوب بلائمه يتبع حالته النفسانية  
وتكوينه الوجداني والعاطفي . . .

#### ١) دعوة غير المسلمين :

تعتمد دعوة غير المسلمين على الحوار العقلى الهادى ، ويتجلى  
هذا الاسلوب في دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم أهل مكة فقد كانوا  
من عبدة الاصنام والأوثان ، كما اتضح في دعوات الرسل السابقين لأقوامهم  
نوح عليه السلام مع قومه ، وهود عليه السلام مع قومه وكذا سيدنا صالح  
وابراهيم وموسى وشعيب عليهم السلام كانوا يدعون غير المسلمين - وتسم  
هذا الاسلوب في دعوتهم بما يلى :

١ - الاعتماد على العقل الحر في تقرير معنى الألوهية ، وصفات الاله  
الحقيقي بالعبادة عن طريق الجدول المشتمل الواضح . . . كما في حوار  
سيدنا موسى مع فرعون ، وحوار سيدنا ابراهيم مع النمرود . . .

- ٢ - التأمل في خلق الله تعالى ومظاهر القدرة والارادة والعلم ومعجزات الخلق البشري لدحض دعاوى الالحاد ، وادعاء " أن الفاعل هو الطبيعة " .
- ٣ - اذا كان هناك غرور المدعوب بالقوة أو السلطان أو المنصب والجاه والمال . . فان التأمل في أخبار السابقين وأحوالهم من الاهلاك والتدمير رد على ذلك موعظة للقياس عليها في الاسباب والنتائج .
- ٤ - كما يراعى جانب اللين في الموعظة وعدم اهانة المدعو أو التعريض به ، ان الله تعالى مع علمه بحال فرعون وتكبره وتجبيره من البغى والظلم والطغيان . . وتقريره ذلك لموسى وهارون عليهما السلام فانه بأمرهما بأن يترفقا به في الدعوة ، فقال تعالى : " اذهبنا الى فرعون انه طغى فقولوا له قولنا لعن الله بتذكر او يخشى " ( ١ ) .
- واعطاء المدعو حقه من التقدير كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم في ارساله الكتب الى قيصر وكسرى ، فعلى سبيل المثال قال في كتابه الى قيصر : " بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد بن عبد الله الى هرقل عظيم الروم ، سلام على من اتبع الهدى ، أما بعد فاني ادعوك بدعاية الاسلام . . الخ " ففي الكتاب تقدير لهرقل واعطائه حقه من التعظيم وبالرغم من ان رسول الله لم يعظم نفسه فيه وانما ذكر اسمه فقط الا انه يقول الى هرقل " عظيم الروم " ، كما قال في كتابه الى كسرى ايضا : " الى كسرى عظيم فارس " ( ٢ ) . . وهكذا في كل كتبه . .

( ١ ) طه ٤٣ ، ٤٤ .

( ٢ ) د / عبد الغفار محمد عزيز الدعوة الاسلامية ص ٢١٤ .

كما يلاحظ مراعاة الجانب النفسى للمدعو كما فى قصة اسلام ابي سفيان فبعد ان أسلم عند النبي صلى الله عليه وسلم بحضور العباس ، قال العباس : يا رسول الله ان ابا سفيان رجل يحب الفخر فاجعل له شهيدا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم : من دخل دار ابي سفيان فهو آمن ، ومن أغلق بابه فهو آمن ومن دخل المسجد فهو آمن . . . (١) فابوسفيان كان له فخر على قومه ، وعندما يسلم ويخرج من المشركين وينضم الى المسلمين سيفقد ذلك . . . وربما منعه ما هو فيه من العزة والفخر بين قومه من الايمان ، فجعل الرسول له فخرا فى الاسلام مراعاة للناحية النفسية فيه ، حتى يقوى ايمانه . . . وهذه جوانب يجب على الدعاة ان يراعوها حتى تقبل دعواتهم .

يضاف الى ذلك وضوح الأدلة التى يوردها الداعى وتوضيح الدعوة للمدعوم مع الاحاطة بعمق عقيدته ومناقشة تلك العقيدة وبيان محاسن الدعوة الاسلامية . . . ومناقشة المدعوى عقيدته واظهار ما فيها من بطلان عن طريق المجادله بالحسنى . . .

وهناك من غير المسلمين بسطاء العقول والتفكير ، الذين لا يتمتعون لفكره أو عقيدة أو عبادته كما فى بعض مجاهل الصحراء والغابات . . . وأمثال هؤلاء يعرض عليهم الاسلام ببساطة شديدة مع الميل الى الجانب الوجدانى والعاطفى . . . ولا يسلك معهم مسلك الجدال الابتداعى كما يدفع الشبهة بأسلوب بسيط هو أقرب الحكمة . . .

(١) القصة بتمامها فى كتاب درامات فى السيرة النبوية د / الطيب النجار ص ٢٦٥ .

ب - دعوة المتعصبين :

والمتعصب كما مر أميل الى العاطفة ، والتسك بما يآلفه من عادات الاقدمين . . . وقد يكون مسلما مبتدعا متمسكا ببدعته متعصبا لها ، يحاول تبريرها والانتصار لها ، أو يلزم رذيلة من الرذائل الى غير ذلك . . . وعندئذ يجب على الداعي ان يكون فطنا في معالجة الامر " فيصرف من يريد ارشاده عن الرذيلة الى الفضيلة بيلسوغ في المقال ، وتعرض في الخطاب ما أمكن ، فالتعرض في ذلك ابلغ من التصريح ، فان التأمل فيه انا آداء الى الشعور بالمقصود منه كان أوقع في نفسه واعظم اثرا في قلبه وادعى الى التنبيه للخطأ مع مانه من مراعاة حرمة المخاطب بترك المجاهرة بالتوبيخ ، والسرفى هذا ان النفوس جبلت على الميل الى العظمة وحب الكرامة وشيت في الغالب على الأنفة والرعونة ونشأت على التقيد بالالف والعادة ، فمن اراد صرفها عن غيرها الى ارشادها وحاول الخرج بها عن مألفها وعاداتها ولم يخرج مسرارة الحق بحلاوة التلطف ولم يسهل صعوبة التكليف بطلاوة الرفق واللين كان الى الانقطاع أقرب منه الى الوصول ودعوته أجد ربالرفض من القبول وكان كمن رام أن يظهر ثوبا من الدنر فأوقد فيه النار . . . ومن ذلك ايضا أن يذكره بخيره وصفه بجميل كأن يبين ماله من حسب وواقبه من فضائل ما عليه من نعمة لهجذب قلبه اليه ويعد به بذلك لقبول الموعدة . . . وهذا الاسلوب حكيم في الدعوة فينبغي للداعي أن يبدأ باحيا احسان الشرف وشعور الفضل والكرامة في نفوس المخاطبين لتستعد بذلك لقبول النصيحة وتتغلب بذلك الشعور على عوامل الهوى والغرابة ، فإن النفس اذا عرفت علوها واستشعرت كرامتها ، وسمعت ما في الرذائل من الخسة حملها

ذلك الشعور ( شعور الرفعة والكرامة ) على النفوس من التسفل بارتكاب تلك القائص وكان ذلك من أحكم الوسائل الى بلوغ الغرض في نفوس السامعين \* (١)

ويجب على الداعي مراعاة أن النصيحة في الملائم للشخص ما بمناسبة فضيحة له ويفرق ابن القيم بين النصيحة والتأنيب بقوله \* ان النصيحة إحسان الى من تنصحه بصورة الرحمة له والشفقة عليه ، والغيرة له وعليه فهو احسان محض يصد ر عن رحمة ورقة مراد الناصح بها وجه الله ورضاه والاحسان الى خلقه فيتلطف في بذلها غاية التلطف ويحتمل أذى النصوح ولائته ويعامله معاملة الطبيب المشفق للمريض المشبوع مرضا وهو يحتمل سوء خلقه وشراسته ونفرتة ، ويتلطف في وصول الدواء اليه بكل ممكن فهذا شأن الناصح أما المؤمن : فهو رجل قصد التعبير والاهانة وندم من أنه وشتمه في صورة النصح . ويفرق أيضا بينهما أي بين الناصح والمؤمن - أن الناصح لا يعاديك اذا لم تقبل نصيحته ويقول أجرى على الله قبلت أو لم تقبل ولا يذكر عيوبك للناس ، والمؤمن بضد ذلك \* (٢)

وعلى هذا يتضح أن أسلوب دعوة المتعصبين على النحو التالي :  
١ - يبين موطئ الخطأ ، والرذيلة ، ويبان وجه الصواب والفضيلة  
بأسلوب واضح وسهل . .

(١) على محفوظ هداية المرشدين ص ١١٦ ، ١١٢ ، ص ١١٤ .

(٢) ابن القيم الروح ص ٤١٣ .

- ٢ - الحفاظ على المشاعر النفسية للمدعو . . . وقد يكون ذلك باطـرا .  
فضله فضائله كأنسان له عقل وكيان . . . وإبراز الصفات الحميدة  
الصادقة فيه لا شعاره بشرف نفسه وسموها ضرورة الارتفاع بهـا  
عن الدنيا .
- ٣ - تكرار النصيحة بأسلوب رقيق وهادئ . يختار له الداعة الوقت  
والحال المناسبين له ، ويتجنب أوقات انفعال المدعو وثورته  
الشديدة حتى لا يخفق في دعوته . . . أى بتحسين الاستعداد العقلى  
والنفسى للمدعو . . . والا فانه يكون قد وضع الشئ في غير موضعة .
- ٤ - استخدام العقل بطريقه حكيمه لتغييره من الرذيلة ويجذبه السـ  
الفضيلة وتطعيم ذلك بما يناسبه من المواعظ بأسلوب الموعظه  
الحسنة . . . وعندئذ تكون الدعوة أرجى قبولا . . . ويكون المدعو  
أكثر قابليه للتخلى عن تعصبه للخطأ . . . وعدم التماهى فيه .

ج - دعوة المقلد بين :

المقلدون كما مر معطلون عقولهم ومنلقوها على ما عليه الآباء والأجداد  
وعندما يوجه الداعة مقلداً الخطأ ما ، يجب أن يراعى أن في ذلك جانبها  
عاطفيا يتعلق بموضوع التقليد . . . فبالإضافة الى عاطفة الحب للآباء  
والتي قد تزيد اذا كان آباؤهم موتى - لتقدير الاحباء للموتى غالباً  
فانه تنشأ عاطفه من الدوام على العادة وإلف السلوك . . . ولذا فان الداعة  
لكى ينجح في دعوته يجب عليه الا يتعرض بالسب أو الاهانة لأشخاص  
المقلدين ( يفتح اللام ) الموتى . . . مراعاة للارتباط العاطفى بينهم وبين

المقلد بين ( بكسر اللام ) والانفروا منه ورفضوا دعوته من أولها دون الاستماع اليها أو مناقشته فيها ، وإنما يتعرض لموضوع التقليد نفسه . . . . .  
حوار سيدنا ابراهيم مع عبدة الاصنام وعبدة الكواكب كمقلد بين لايتهم نفسى  
عبادتهم وعبدةهم لجأ الى أسلوب حكيم حيث تظاهر بموافقة عبدة الكواكب  
فقال عند بزوغ كل من الكوكب والقمر والشمس " هذا ربي " وعند ما غاب  
كل منها وأقل قال : " انى برىء مما تشركون " فالتظاهر بالموافقة ، ثم  
المخالفة لعدم توافر صفات الرب التى أقروا بها جعلهم يشكون فيما يعتقدون  
وهبأهم نفسيا للاستماع الى صفات الرب الحقيقى بالعبادة فقال : " انسى  
وجهت وجهى للذى فطر السموات والارض حنيقا ما أنا من المشركين " ( ١ )  
وعند ما جعل الاصنام جذاذا الا كبيرا لهم ، ثم ناقشهم فى أمرها ولم يكس  
تدافع عن نفسها أو تروى عنها وأثبت لهم عجزها أحدث شكاً فى نفوسهم  
ولو لم يصرحوا به بل منعهم التحصب من الاعتراف ببطلان عبادتهم اياهما  
والاعتراف بما جاء به ابراهيم . . . . . الا ان هذا الشك جعلهم يستمعون  
اليه عندما قال لهم : " هل يسمعونكم اذ تدعون . أو ينفعونكم أو يضرون  
قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون . قال أفأنتم ما كنتم تعبدون أنسى  
وآباؤكم الأقدمون ، فانهم عدوا لى الا رب العالمين " ثم ذكر لهم صفات  
الله بعد ان أثبت لهم بطلان عبادة ما كان يعبد الآباء : " الذى خلقنى  
فهو يهدى بنى . والذى هو يطعمنى وسقئى . واذا مرضت فهو يشفينى  
والذى يمتحنى ثم يحيينى . والذى أطعم ان يغفر لى خطيئتى يوم الدين " ( ٢ )

( ١ ) الانعام ٧٩ .

( ٢ ) الشعراء ٧٢ - ٨٢ .



ولو لم يكونوا متعصبين لآمنوا به جميعا . . . ضلحظ أن شك المقلد  
 " غير المتعصب " في موضوع تقليد ه صغرنته بالحق الذي يرسخ فـسـى  
 نفسه بجعله يترك التقليد ويتبع الحق . . . وكل من آمن بالرسـل كانوا  
 مقلد بن كغيرهم ممن لم يؤمنوا الا أنهم لم يتعصبوا ولم يتنادوا فـسـى  
 عندهم فأمنوا . . . أما الذين ظلوا على كفرهم فهم المتعصبون كـجـبرا  
 وأنفة ه أو خفا على ما هم فيه من منصب وجاء ولذا كان اتباع الرسل  
 من الفقراء ه

يمكن سحب هذا الاسلوب لتطبيقه في مقاومة أية عادة قبيحة

أو رذيلة مذمومة . . . أو بدعة سيئة وذلك على النحو التالي :

- ١ - لفت نظر المقلد الى ان الله تعالى زوده بعقل ه كرمه به عـلـسـى  
 سائر المخلوقات ليميز به بين الحق والباطل كـه والاشادة بعقله  
 الذي يدعوه الى التمييز بين الحق من الباطل والخطأ من الصواب  
 وهذا من قهبل مراعاة مشاعره ه
- ٢ - التشكيك في موضوع التقليد . . . وذلك ممكن عن طريق معارضة  
 بالادلة والرد على ما يستند عليه المقلد من أدله وهآتورات ان وجدت ه
- ٣ - الاعتماد على اثاره انفعالات المدعوه حول موضوع التقليد عـسـن  
 طريق الترغيب في الحق ه والترهيب من مخالفته . . . وأن يكرر الداعيه  
 دعوته بأساليب مشوقة ه ويوفر لهم القدوة الفعلية فان للالحاح فـسـى  
 الفكره وتكرارها أثره البالغ في تكون العادات العقلية ه فلا يقبل  
 عامل التكرار ضرورة بالنسبة للمادة العقلية ه عن ضرورته بالنسبة  
 للنوعين السابقين ه يقصد المادة الحركية والمادة الخلقية  
 فمن أراد أن يصير فقيها في نفسه فلا طريق له الا ان يتعاطى أعمال

الفيحاء • وهو التكرار للفقه حتى يتمطف منه على قلبه صفة الفقه فهصير  
فقه النفس • • يجب ان يكون التكرار مقترنا مع تقارب الزمان حتى اذا  
صار معتادا بالتكرار مع تقارب الزمان حل منها هبة للنفس راسخة  
تقتضى تلك الاعمال وتمعطها بحيث يغير له ذلك بالمادة • (١) فهجب  
على الداعية تكرر الموعظه مرارا وأن يضع البدل الصحيح مكان الباطل  
وأن يد اوم على فعله والإرشاد اليه حتى يرسخ في نفوس المدعوين ويتحول  
الى سلوك مألوف يومي بلا اية معارضات نفسية • • او تكلف نفس له •

وهذا مع النماذج الاخرى من المدعوين يتطلب من الداعية تكرر  
الموعظه والالاحاح في الفكره واهجاد القدوة • • وهذا يقتضى أن يكون  
الداعية دائما بين مدعويه متمتعا بثقتهم وحبيهم له • • وما ينشأ بينهما  
صينه من عاطفة الحب له دور كبير في قبول دعوته • • ونجاح دعوته مرتبط  
بإقبالهم عليه عاطفيا • • والعقل رسول بين الجميع فان العقل اذا صادف  
العاطفة ووافق الهوى • • كان القول محققا • • والدعوة مسموعة • • وهذا  
ما يفترقد غالبا في الرهاظ والدعاة غير الدائمين في أماكن معينة • • فـان  
الداعى المتنقل اذا ذهب الى قومه يدعوهم الى طاعة او ينهاهم عـن  
معصية فان وافقت هواهم سمموها والا اعرضوا عنها • • وعندئذ يكون التغيير  
صعبا لعدم تمكنه من انشاء عاطفة تومي الى الاستماع والامثال لما يقول  
والعقل هنا وأسلوب الموعظه الحسنه المقرضة باللغات العقلية البسيطة  
والتي تناسب مستوى المدعوين الفكرى أسلوب مجد نافع أدعى الى القبول  
لان العقل قدر مشترك بين الجميع والتميز والتأمل متوفر لدى المدعوين

---

(١) الدراسات النفسية ص ٢٢٢ •

وهو الرابط بين الداعي والمدعويين عندئذ .

د - مراعاة الهيئات المتنوعة في الدعوة :

وهي الداعية أن يراعى الهيئة التي يمارس فيها دعوته والقرآن الكريم  
زاجر بالآيات والبراهين المناسبة لكل هيئة من الهيئات . .

ففي الهيئة الزراعية أو المجتمع الريفي : يجب على الداعية  
أن يعتمد في مجال وعظه ودعوته على آيات الله ودلائل عظمته في السزوع  
والثمار فهافت النظر الى قدرة الله تعالى في انبات البذرة وتنوع الشجيرة  
في الشكل والحجم والشمرة ، والزهرة ، واختلاف طعمها من حلو الى مر  
الى حامض ، الى حريف مع أن الجميع يسقى بماء واحد . .

وتسخير الله الحيوان لنا ، وجعله ذلولا وسهلا ليعاون في الحصول  
والجر ، والحصول على اللبن واللحم والتمر . . ويمكن مقارنة هذه  
النعمة من تذليل الله للحيوان - بعدم التذليل في الحيوانات المتوحشة  
التي يستحيل على الانسان ان ينتفع منها لاجل ولا يجبر ولا يلحم . . مع  
أن النمر أصفر حجما من الجمل أو الجاموسة - لا يستطيع انسان أن يقترب  
منه لان الله لم يجعله ذلولا . . بينما يمكن الطفل الصغير ان يقود الجمل  
الكبير . .

وهذه النعم يجب شكر المنعم عليها - لانها تزيد وتدوم بالشكر  
وتزول بالكفر والجحود وتحل محلها النقم . يمكن التشيل بالآفات الزراعية  
لذلك ليهلص الى تأكيد وجوب الطاعة لله عز وجل وشكره باتباع دينه والمحافظة  
على ذلك الدين .

واختصار يجب ان يكون الداعية معايشا بدعوته لنفس البيئته  
فطنا في مخاطبتهم بما يفهمون حتى لا يشعروا بانفصال بين الدعوة  
عن مجالات حياتهم .

في البيئات الصناعية أو المجتمع الحضري في المدن : براعسى  
أيضا أن تكون الامثلة التي يستشهد بها مرتبطة بالبيئة من مظاهر  
التقدم الصناعي ما جمعه الله ، ما خلقه من اسس الصناعة من المسواد  
الخام والقوى المحركة ، فجميع الآلات مصنوعة من الحديد والمواد المحركة  
بنزين أو سولار أو كهرباء كل هذا من خلق الله عز وجل . . حيث ان البترول  
بمشتقاته مستخرج من الأرض . . وفحم الكوك وغيره من المعادن المختلفة  
انما هي من صنع الله وليس للانسان دخل في وجودها الا العمل على  
استخراجها فقط بما آتاه الله من مخترعات هي من نتاج عقله الذي أودعه  
الله فيه . . وهذا مثال يعتبر نموذجا لخطاب مدعوى هذه البيئة  
بما يفهمون . .

يجمع بين هؤلاء وأولئك من البيئات المختلفة التأمل في النفس واخذ  
مادة منه للدعوة ولكن بأسلوب يناسب كل بيئة . . وذلك قدر مشترك بين  
الجميع حضرا وريفيا . . تعطى المادة لكل منهم ولكن في الثوب الملائم  
كاعطاء الطبيب أقراص البرشام يطعمها الحقيقي للرجل الكبير ، ونفس  
الأقراص بعد تخليقها بمادة سكرية مثلا يحطبها للطفل الصغير ، الا أن  
النتيجة واحدة في الحالتين وهي وصول الدواء المطلوب الى كل ولكن  
اسلوب التوصيل هو الذي اختلف .

والداعية اذا دعا أهل المدينة بما يدعو به أهل القرية ، أو العكس  
فانه غالباً قد لا يصادف توفيقاً في دعوته ، لعدم مناسبة الأسلوب نفس  
كلي للمدعويين .

ولذا . . . فانه يتضح دور عقل الداعية في فطنته عند ابراز ما يناسب  
كل بيئة من البيئات من أدلة القرآن المناسبة لها وآياته الدالة على  
قدرته وإرادته . . . كما يتجلى العقل أيضا في تحديد الأسلوب المناسب  
للشخصية التي يدعوها ، والبيئة التي يقوم بالدعوة فيها .

وهذا بالتالى ما يجعله يصل الى ما يصبو ويريد من قبول دعوته  
ونجاحه فيها ، صلاح مجتمعه وهدايته الى طريق الحق والهدى .

#### تعقيب على الفصل :

في هذا الفصل بيننا وسائل الدعوة الى الله ، ودور العقل فيها  
ودقة اختيارها لمناسبتها ، هدى اعتمادها عليه . . . وكذلك بيننا مدى  
ارتباط جميع الوسائل ودخولها في قوله تعالى : " ادع الى سبيل ربك  
بالحكمة والموعظة الحسنة وجاد لهم بالتي هي احسن " . . .

وهذه الوسائل يهبطها جميعا الخط العقلي الواضح ، فالحكمة  
تقوم على اساس الدقة والضبط في عرض الادلة والبراهين على اصحاب  
الفطنة لا يصلح الدعوة اليهم ، حتى انها في احد معانيها بمعنى العقل  
والموعظة الحسنة ، تقوم على العقل أيضا ، فلا يتعظ او يعتبر الاكمل  
ذى عقل ليهب متحرر عن التعصب واليهوى ، ودور الداعية في ذلك مساعداً

المدعين على التوصل الى الموعظة وضمها وادراك مراميها ، ولا يخفى  
 أنها لغير عاقل لاتجدي ، وأما المجادلته بالحسنى فلا يخفى ما فيها  
 من اعتماد كامل على العقل حيث تقارح الحجة بالحجة ، والدليل بالدليل  
 ليتضح برهان الحق وينجلي أمام الدعوى . .

وتأمل الآيات الكريمة ما فيها من مظاهر القدرة ودلائل العلم  
 الإلهي . . وكذلك القصص القرآني ما فيه من ذكر احوال السابقين  
 وتأمل احوالهم وما حاق بهم نتيجة لتكذيبهم . . يتجلى دور العقل  
 في ذلك في الاعتماد عليها في الدعوة حيث يبرز الحقائق ، ويظهر المسبب  
 عن طريق قياس الحال على الحال او استقرار احوالهم للوصول الى  
 الاعتقاد ، والاعتماد بها في الكون من آيات ما حاق بالمكذابين من العقوبات .

ويبرز دور عقل الداعية ايضا في فهم المثل ، وادراك وجه المماثلة  
 فيه لمعرفة المراد منه ، وايصال ذلك الى المدعوين للوصول الى الغاية  
 من ضربه كما يتأكد دور عقل الداعية في مخاطبة الجماعات ، وتكون خطاب  
 العقل الجمعي من الوسائل المذكورة - مع انه من الدائم خطاب الداعية  
 للعقل الجمعي في خطب الجمعة والميدان والندوات وغير ذلك من مجالات  
 التجمع كالاندية . . وعقل الدعوة الفردية . . بينما تتسع دائرة خطاب  
 العقل الجمعي في وسائل الاعلام وهذا يتطلب رجاحة عقل الداعية ليستطيع  
 الوصول بدعوته الى جميع المدعوين وخاصة وأنه اذا تركت شبهة او حشدت  
 ليس فمن الصعب استفسار المدعو من الداعية عن اي شيء . .

وأخيرا تتأكد فطنة الداعية وعقله في تكهيف دعوتها لتلائم البيئة التي  
 تقدم فيها الدعوة وتكييفها الأسلوب في كل بيئة ليصل الى غايته في النهاية

ويحقق الاثر المرجو في استجابة الناس له على مختلف طبقاتهم وتنوعها .  
من ذلك كله : يتضح ما للعقل من دور هام ، وعلاقته وثيقه ووطيد ،  
في الدعوة الى الله تعالى ، حيث ان التبليغ بأية وسيلة يدخله العقل  
صحتد عليه . . . والداعية الناجح هو الذي يحسن الاعتماد عليه  
ويخاطب الناس بما يفهمون حتى لا يكذب الله ورسوله .

\* \* \* \* \*  
\* \* \* \* \*  
\* \* \* \* \*  
\* \* \* \* \*

## أفصل الثالث

مِنْ آثَارِ الْعَقْلِ وَعَلاَقَتِهِ  
بِالْوَحْيِ .

ويشتمل على :

- ١- علاقة العقل بالوحي .
- ٢- نشأة الفرق الإسلامية .
- ٣- ظهور البدع .
- ٤- إثراء الدعوة بالأبحاث والمناقشات العقلية .
- ٥- النهي عن الجدال العقيم سدًا لأبواب الفتن والخلاف .



( تمهيد )

اتضح لنا مما سبق أن العقل له آثار ظاهرة . و دور فعال هو متمركز في عملية تبليغ الدعوة الى الله تعالى ، وانه مرتبط بكل وسائل التبليغ ولا عجب في هذا ، فان علم الدعوة كشمس تبليغ ، وكنهج و دستور يهتدف الى سعادة الانسان في العاجلة والاجلة ، وهداية الدين بما فيه من اوامر ونواهي وكأسلوب عمل وبرنامج حياة وكأساس عقيدة ، منزلة من عند الله تعالى للانسان ، وهو سبحانه علم بحاجات خلقه ، وما يلبي نداء فطرته .

وأن الدعوة لاتباع هذا الدين هو الانسان فهو المخاطب بالاوامر والنواهي اعتمادا على ما أودعه الله فيه من العقل السليم والفطرة النقية من الخشوع والخضوع لله . . . ولذا فان ما أنزل الله من قرآن ووحى متضمنا الشريعة والدين كان موافقا تمام الموافقة ، ولائما تمام اللائمة لاحكام العقل فما من الله به على العقل من الادراك لمراسم الاوامر والنواهي فذلك فضل من الله لعبده ، وأما ما عجز العقل على ادراكه فعليه اتباع ما أنزل الله من كتاب ، وقدم الوحي على العقل لقصور العقل أحيانا كثيرة عن ادراك الخارج على نطاق تصوراته كالغيبات . . . أما الوحي فلا يمكن تصور قصوره او عجزه لأنه صادر عن الله تعالى الذي أحاط بكل شيء علما ، وشملت قدرته كل موجود ، وهدى رحمته كل كائن ، فالوحي هاد للعقل ومرشد له الى الحق والهدى . . . والعقل تابع له ليقوده الى السعادة دنيويا واخرى ولكن الاحداث تتوالى والازمان تتعاقب والقضايا تتجدد سياسيا واجتماعيا بينما يأتي فريق من أهل الهوى والبدع والضلال ممن اسلموا ظاهرا

ولا تزال عقائد هم القديمة في قلوبهم فحاولوا مزج تلك العقائد الباطلة  
 بالاسلام ووظفوا بين باطل اعتقادهم وبين حق الاسلام .. فيبتدعون  
 في الاسلام ما ليس منه صعارض أصوله وغاياته وراميه ، فيسرفون في تأويل  
 الآيات وتفسير الأحكام بما يوافق هواهم وحبولهم .. ويحكمون عكس  
 النص بالعقل ، فجعلوا للعقل سيادة على الشرع .. فكان حاصل ذلك  
 كله ان تفرقت الكلمة وتعميت الفرق وانقسمت الامة ولكل ملة من هذه  
 وعقيدة نصاروا احزابا وشعبا وكل حزب بما لديهم فرحون .. كما انتشرت  
 البدع الدينية والاجتماعية كثرة مرة للتخلي عن الشرع ، والفصل بينه  
 وبين العقل .. في نفس الوقت انبرى اهل الحق والسنة والجماعة  
 للدفاع عن الحق والرد على الباطل والقبه العقائد والمملية  
 والبدع ، وانقدح زناد الفكر وانتج الردود المقتضية العقلية الشرعية  
 وظهرت الاساليب الجدلية ، والعلوم العقلية ، والمصنفات في كل العلوم  
 الشرعية وغير الشرعية مما اكسب الدعوة ثراءً فزودها بذخيرته علمية  
 كبرى يعتمد عليها الدعاة ، كما أثرى الفكر الاسلامي فاكتمت الدعوة  
 مروجه التطبيق في كل المجالات في سائر الأزمان .. فكان هذا الثراء  
 العلمي والتقدم العقلي ثمره من ثمار الاحتكاك بين الافكار والاخذ  
 والرد في سائر القضايا ..

الا ان الجدال بحقه عامة يضحج جهد المفكرين اذا كان غير مفيد  
 وكان جدلا عقيما غير مشر ولا فائدة ترجى من ورائه .. ولذا فقد ذمَّه  
 الاسلام ضهي عنه وهذا صوتا للعقل المسلم من اضاعة الجهد فيما لا يجدي  
 ولا ينفع له لتفرغ لبحث القضايا الطارئة والجد بده وضع لها تصورات

اسلامية بضمها الشرع ويؤيدها العقل ، يقدم بها تصورا اسلاميا  
واقميا مهتدا بكتاب الله حنة رسوله صلى الله عليه وسلم . . وهذا  
ما يجعل الدعوة خالدة باقية - كما اراد الله تعالى - الى يوم  
القيامة . . في هذا الفصل تفصيل وتوضيح لتلك الامور في عدة مباحث  
هي : علاقة الوحي بالمقل ، ظهور الفرق ، ظهور البدع ، انكسار  
الدعوة بالابحاث ، النهي عن الجدال المذموم حفظا للعقل ، وهناك  
ذلك فيما يلي ان شاء الله تعالى .

\*\*\*\*\*

\*\*\*\*\*

\*\*\*

## المبحث الأول

### ( علاقة العقل بالوحي )

جعل الله العقل في الانسان الركيزة التي يتعرف بها على الشرع  
صفهم عن الله عز وجل ، وهو في ذلك لا يحس انفصالا ولا مفارقة  
لأن العقل قد فسرت به الفطرة في بعض تعريفاتها ، والاسلام كمنهج  
والقرآن كدستور يوافق الفطرة ويلبى نداءها وحاجاتها . . . ولذا فان  
العقل والوحي يتعاملان في تناغم محكم دقيق ، وتوافق واتساق مد يد  
ولا عجب في ذلك فان منزل الوحي هو خالق العقول ومدعها أجسادها  
وهلم حاجات جميع خلقه " الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير " . . ؟  
وبرتبة العقل بالنسبة للوحي هي الثالثة بعد الوحي ، والنهية . . . ولذا  
فان الشرع مقدم على العقل . . .

١ - الشرع والعقل متوافقان : فان بينهما توافقا ، فما بأمر  
به الشرع يقره العقل لأن القرآن يخاطب الانسان في وجدانه وفطرته  
وعقله ، وأداته فطرية لا يحارضها العقل ، ومن غير المتصور وغير المنطقي  
أن يأتي الشرع بأدلة مخالفة للقوانين العقلية كالتأمل والاختلاف فانها  
الميزان الذي يزن به الانسان المعلمات الواردة اليه . . . ولهذا فان  
التنازع الموهوم بين العقل والنقل ، أو الأدلة العقلية والأدلة الشرعية  
لا محل له في تراثنا بالصورة التي ظهرت في تراث أهل الكتاب " (١) . . .

(١) انظر منهج اهل الحديث ص ١٥٠ .

والذين خالفوا النظر فيما نقل عن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يراعوا قاعدة ملتزموا بخطواته ، إذ أنهم بدلا من البدء بالنظر فيما قاله الله ورسوله بدأوا بما رأوه بمقولهم كما فعل المتكلمون أو بما ذاقوه بوجود أنهم كما فعل الصوفية ، فإذا وجدوا السنة توافقه - قبلوه - والا لم يبالوا بذلك ، فإذا وجدوا مخالفة ، عرضوا عنها تفوضا أو حرقوها تأصلا . . (١)

يقول الماوردي : " جعل الله ماتمهد به خلقه مأخوذا من عقل متبوع وشرع مسموع ، فالمعقل متبوع فيما لم يمنع منه الشرع ، والشرع مسموع فيما لا يمنع فيه العقل ، لأن الشرع لا يرد بما يمنع منه العقل والمعقل لا يتبع فيما يمنع منه الشرع فلذلك توجه التكليف إلى من كسب عقله ، فأرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون " (٢)

يقول : " أس الفاضل ونبوغ الآداب هو العقل الذي جعله تعالى للدين أصلا ، وللدنيا عمادا ، فأوجب التكليف بكماله وجعل الدنيا مدبره بأحكامه ، وألف به بين خلقه مع اختلاف همهم وآراءهم وتباين أغراضهم ومقاصدهم وجعل ماتمهدهم به قسمين : قسما يجب بالمعقل فوكده الشرع ، وقسما جازى العقل فأوجبه الشرع فكان العقل لهم عمادا " (٣)

(١) المرجع السابق ص ١٥٠

(٢) الماوردي أدب الدنيا والدين ص ٩٨

(٣) المرجع السابق ص ٧

(٢٤) ليس معنى ذلك أن العقل مسموع على الدين ولعل مراد الصياغة حقوق العقل مناط التكليف بالأحكام الشرعية كما هو عليه في قوله تعالى (فأوجب التكليف بكماله) أي بتمامه .

وهذا توافق وتناسق فريد بين العقل والشرع ، ولهذا فإن العقل اذا عارض الشرع والوحي فهو مرفوض ( فقد اقتصر فهم على ما استحسنته عقولهم في فهم القرآن حتى أباحوا الخمر بقوله " ليس على الذين آمنوا وجاهلوا الرغبات أن جناح فيها ظعموا " زاعمين أنها داخله تحت قوله " فيها طعموا " وفي هو لا ، وأمثالهم كان الذم لخروجهم عن الوحي وضمونه ، واجتهادهم مرفوض لتعارضه مع ما انزل الله في تحريم الخمر من آيات ) (١) .

## ٢ - الوحي هاد للعقل وقائده :

والوحي يقود العقل الى ما يصلح دنياه وآخرته ، ومعطيه التصور الصحيح للدين لا يتركه يتخبط تخبطاً أعمى وإنما هو نبراسه وهداه يسه " فانه ليس للفكر البشري ان يتلقى تصور الدين بمقررات سابقة يستند لها من أى مصدر آخر ، أو يستند لها من مقولاته هو نفسه ، وإنما يتلقى موازينه ومقرراته من الدين ذاته ويتكيف به ويستقيم على منهجه ، كما يتلقى الحقائق الموضوعية في هذا الدين من المصدر الالهى الذى جاء بها ، لا من أى مصدر آخر خارجة ، ثم هو الميزان الذى يرجع بكافة ما يعن له من مشاعر وأفكار وقيم وتصورات في مجرى حياته الواقعية كذلك ليزنها عنده صحرف حقها من باطلها ، وصحيحها من زائفها " (٢) فالوحي هنا هو ميزان الحق وصحتكم العقل في كل القضايا ليرسم طريق الهداية ، ومن منطلق التسليم بالنبوة والاقرار بالمعجز ، كان العقل في حاجة الى الوحي ، فهو النور الذى يساعد على أن يسير في دروب الحياة ثابت الخطا رابط الجأش

(١) انظر الابداع في مسار الابتداع ص ٦٢ .

(٢) خصائص التصور الاسلامى وقوماته ص ٤٥ .

وقد جاء رسل الله صلى الله عليهم أجمعين بالوحي لهداية العقول  
وأرشادها الى منهج التفكير الصحيح .

### ٣ - الفرع بجبر قصور العقل :

وما يوجد سيادة الشرع على العقل أن في العقل قصورا  
ذاتيا يجبره الشرع في أمور لا يستطيع العقل ادراكها . .

فبالعقل يتم اثبات شيء ، والعقل ينتفى هذا الشيء مرة أخرى  
والشك نفسه في مقابل اليقينية دليل على القصور العقلي عن البلوغ للحقيقة  
في هذا المجال تكون المادة الصماء أولى من العقل بالقصور " (١) (٤)

من أمثلة هذه العلاقة في جبر القصور ، أمور الآخرة والهمم  
والسؤال والجنه والنار وغير ذلك من السمعات فان العقل قاصر عن  
ادراكها وتصورها التصور الصحيح ، وان الوحي يأتي هنا ليكمل هذا  
النقص للعقل ويجبر قصوره ليكمل له الدين والمعقده الصحيحة الواضحة . .

٤ - و علاقة العقل بالوحي هي تأمله وتدبره وفهم الحكم منه والعمل  
به او القياس عليه ، وهذه الأدلة لاتنافي العقل لأنه مناط التكليف  
ولذلك فانها تسقط بزواله ، وتكليف العاقل بما يتنافى العقل  
كتكليف غير العاقل " (٢) . . وهذا لان للعقل دورا أساسيا  
في فهم النص وتأمله وتدبر معانيه ومراميها فهتدي به الى الحق والصواب  
والنور والهدى .

(١) المعرفة العظمى ص ١٥ .

(٢) مصادر التشريع الاسلامي ص ١٦ .

(٣) ليس المراد حقيقة أم العقل كالمادة الصماء ولكن المقصود بهتدي  
وبصير أم العقل المتأقن للدليل الى حقيقتها مثل المادة الصماء وكما أنه  
غير موهوم

٥ - والوحي مصدر هداية العقل للشيئات :

ولقد ضلت العقول وتاهت وطاعت أحكامها فيما وراء الطبيعة «المينافيزيكا»

ولقد كان ذلك المشغل الشاغل للفلاسفة ، « والفلسفة وإن أمكن أن توصل إلى الحقيقة فهي متهاقته لأن العقل من طبعه أن ينقض العقل ، فادلتها غير معصومة أما الدين فيقصد به الاسلام فأدلته معصومة لأنه من عند الله جل شأنه ، واعمال العقل في مسائل ما وراء الطبيعة بحيث لأنه حكم على أشياء لا اطلاع له عليها ولا قدرة له على رؤيتها ، وقياس الغائب على الشاهد في مسائل ما وراء الطبيعة مغالطة ، وإذا كانت الفلسفة هي وظيفة العقل في جوهره عن النص المعصوم فليس لها عمل في كل بيته لها نهي من عند الله وقد توصل من العلماء إلى هذه الحقيقة كبار من الفلاسفة من قبل الميلاد ، لقد قال « سيمياس » أحد تلامذة أفلاطون : ان الحقيقة هي غاية البحث ، وهالم يكن لدينا نص من الوحي فلا مجال من استعمال العقل مثالن في ذلك مثال من يريد أن يعبر المحيط وليس معه مركب آمن ، فلم يجد غير لوح من السخشب ، فالعقل هو لوح الخشب الذي يتمتع به الفلاسفة للوصول إلى الحقيقة ، والمركب الآمن هو الوحي المعصوم « ( ١ ) . .

فوحي الله هو القول القاطع الفاصل في الإخبار بما وراء الطبيعة من الشبهات وهو لون من جبر قصور العقل ، وانقاده من الضلال ، وهدايته إلى الحق والهدى ، فأحكام الشرع لا يتطرق إليها الشك أو النسيان أو الخطأ .

( ١ ) د / رؤف علي آلهة في الاسواق ص ٥١ .



صقول ابن تيمية : " اذا تعارض الشرع والعقل يجب تقدم الشرع لأن العقل يصدق للشرع في كل ما أخبر به ، والشرع لم يصدق العقل في كل ما أخبر به ، ولا العلم يصدق موقوف على كل ما يخبر به العقل ، وقال بعضهم بكفك من العقل أن يعلمك صدق الرسول ومعاني كلامه وقال بعضهم : العقل متولٍ لولي الرسول ثم عزل نفسه ، لأن العقل دل على أن الرسول يجب تصديقه فيما أخبر وطاعته فيما أمر ، والعقل يدل على صدق الرسول دلالة عامة مطلقة " (١) وقيل أيضا " تأملت في عامة ما تنازع الناس فيه فوجدت ما خالف النصوص الصحيحة الصحيحة فإسبغتها فإسبغتها يعلم بالعقل بطلانها ، بل يعلم بالعقل ثبوت نقيضها الموافق للشرع " (٢)

فهذا يدل على أن العقل والشرع لا يتناقضان ولا يتعارضان ، ولكن اذا ظهر تعارض بينهما قدم الشرع وسار العقل خلف الشرع فقاد له لما اقره من صدق الرسل فيما أخبروا به ، والشرع يتماشى مع العقل وما يهمله الى ان يعجز ثم يقود الى الحق والصواب بمقتضى الايمان والتسليم . .

وخلاصة ما في هذا البحث : أن العقل والوحي لا يتعارضان وتقوم العلاقة بينهما على أساس أن الشرع سيد العقل وقائده وهاديه وصحتكم في قضاياها وجاهاً نقصه وهجزه في الغيبات ، وأنه معه الى ان يعجز فيقود الى الهدى والصواب . .

(١) موافقة صحيح المنقول لمرجع المعقول لابن تيمية ج١ ص ١١٦ .

(٢) المرجع نفسه ص ١٢٢ .

## • البحث الثاني •

### ( نشأة الفرق الاسلاميه )

تبيّن لنا في البحث السابق أن العقل لا يعارضه الوحي ، ولا يناقضه كما أن العقل وسلماته يقر ويسلم بالوحي ، لأن الوحي والشرع يمثلان المنهج المتوافق مع الانسان ظاهراً وباطناً ، ويقول تعالى : " فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً " فعدم وجود الحرج في النفس معناه التسليم النفس مع الشرع ، والتسليم العقلي به ، ولا عجب في هذا ، فالعقل والاسلام هما الفطرة ، وتوافقهما هو الفطرة النقية كما قيل في احد تعاريفها ولكن الشيطان الذي يترهب بالانسان لاغوائه يتدخل بوسوسته ، وما يلقيه في قلبه ليباعد بينه وبين دونه ويصطنع هوة واسعة بين عقل المسلم وبين دونه وما أنزل الله من كتاب . . . وذلك عن طريق الهوى والميل ، فيحكم بما بهوى ، ويفسر النصوص بما يوافق هواه وما يتمصّب له ، وهذا من رذائل هذه النقطه وعدم التسليم بالنصوص ودالاتها القريبه تعدد تالفاهيم وتعدد الآراء صححة كانت او باطله كنتيجة لتأويل النص بالهوى ، واختلفت الفرق التي نسبت الى الاسلام وشذت في معتقداتها حتى جاوزت اصول الدين وتباعدت تصوراتها عن التصور الصحيح للدين ، فضلت وغشوت وخرجت من حظيرة العقيد الحق والاسلام الحنيف .

• وكان أول خلاف نشأ بين المسلمين بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم اختلافهم في الامامة وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قبض ونقل الى الرفيق الاعلى اجتمعت الانصار في سقيفة بني ساعدة بعد بنة الرسول

صلى الله عليه وسلم وأرادوا عقد الإمامة لسعد بن عباد ؓ ، وبلغ ذلك  
أبا بكر وعمر رضوان الله عليهما فقصدوا نحو مجتمع الأنصار في رجال من  
المهاجرين فأعلمهم أبو بكر أن الإمامة لا تكون إلا في قرين ؓ ، واحتج عليهم  
بقول النبي صلى الله عليه وسلم " الإمامة في قرين " فاذعنوا لذلك  
منقادين إلى الحق طائعين " ( ١ )

ضلحظ أن هذا الخلاف السياسي انهاء الاحتكام إلى نص شرعي  
هو قول النبي صلى الله عليه وسلم <sup>الذي</sup> سلم به الجميع وهدأت نفوسهم  
له وسكت قلوبهم به ؓ ، لأنهم لم يتحكم فيهم هوى ؓ ، أو ميل شخصي أو تمصب  
لشيء ما أو ضد به بل أن الجميع انبغى رضا الله تعالى وإصلاح الأمة  
واتباع الشرع والاحتكام إليه .

ولكن لما اتسعت رقعة الاسلام وهم نوره الأرجاء التفت حضارة الاسلام  
بالحضارات الأخرى فجدت في حياة المسلمين في الوقت ذاته من جـراء  
الأحداث السياسية وغيرها مشكلات للتفكير والرأي والمذهبية كان بعضها  
في الوقت المبكر منذ الخلاف المشهور بين علي وصاحبه ؓ ، واشتغل الناس  
بالفلسفة الأخرى والمباحث اللاهوتية التي تجتمعت حول المسيحية  
والتي ترجمت إلى اللغة العربية ونشأ عن هذا الاشتغال الذي لا يخلو من  
طابع الترف العقلي في عهد العباسيين في الأندلس أيضا . . انحرافات  
واتجاهات غريبة عن التصور الاسلامي الأصيل التصور الذي جاء لانقاذ  
البشرية من مثل هذه الانحرافات " ( ٢ ) .

( ١ ) مقالات الاسلاميين ج ١ ص ٣٩ .

( ٢ ) سيد قطب خصائص التصور الاسلامي ص ١٠ .

وتعدد هذه الفرق ونشأتها كان في كثير من الاحيان على أساس  
الجدل والهوى وهارسخ في قلوب أعداء الاسلام الذين دخلوا فيه وقلوبهم  
ملوثة بباطل عقائد هم فأثاروا الجدل والشبهات حول الكثير والمعدود  
من أمور العقيدة . . .

يقول الشهرستاني : " ان الشبهات التي وقعت في آخر الزمان هس  
بمعناها تلك الشبهات التي وقعت أول الزمان ، كذلك يمكن أن نقرر  
في زمان كل نبي ودور صاحب كل ملة وشريعة أن شبهات امته في آخر زمانه  
ناشئة من شبهات خصمه أول زمانه من الكفار والملحدين ، وأكثرها من  
المنافقين وان خفي علينا ذلك في الامم السالفة لتماذي الزمان ، فليس  
يخفى في هذه الامة أن شبهاتها نشأت كلها من شبهات منافقي زمن النبي  
عليه الصلاة والسلام ، ان لم يرضوا بحكمه فيما كان يأمر ونهى وشروا  
فيها لا مسرح للفكر فيه ولا مسرى ، وسألوا عما منعوا من الخوض فيه ، والسؤال  
عنه وجادلوا بالباطل فيما لا يجوز الجدل فيه ، . . . واعتبر حديث ذي  
الحيصرة التميمي ان قال : " اعدل يا محمد فانك لم تعدل ، حتى قال  
عليه الصلاة والسلام " ان لم اعدل فمن يعدل " ؟ فعاد اللعين وقال :  
هذه قسة ما أريد بها وجه الله تعالى " ، وذلك خرج صريح على النبي  
عليه الصلاة والسلام ، ولو صار من اعترض على الامام الحق خارجا ، فمن اعترض  
على الرسول احق بأن يكون خارجا ، او ليس ذلك قولا بتحسين العقل  
وتقبيحه ؟ وحكما بالهوى في مقابلة النص ، واستكبارا على الامر بقياس العقل  
حتى قال عليه الصلاة والسلام : " سيخرج من ضغنى هذا الرجل قوم  
يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية . . . " ( ٢ ) والضغنى هو  
الجنس والأصل " ( ٢ ) . . . فمخالفة النص تبعاً للهوى كان اساساً في الخلاف

( ١ ) الحديث رواه البخاري كتاب التوحيد ج ٩ ص ١٥٥ ط الشعب .  
( ٢ ) الشهرستاني الملل والنحل ج ١ ص ٢١ ط مصطفى الحلبي ١٩٦٧ .

والفرقة وعلى سبيل المثال ماروى من اختلاف بين فرقتي العجاردة الميضية  
 والعجاردة الشعبية : أنه كان لميمون على شعيب مال فتقاضاه ، فقال  
 له شعيب : أعطكته ان شاء الله ، فقال ميمون : قد شاء الله ان تعطنيته  
 الساعة ، فقال شعيب : لو شاء لم اقدر الا أعطكته ، فقال ميمون : فان  
 الله قد شاء ما أمر ، هالم بأمر لم يشأ هالم بشأ لم بأمر ، فتابع ناس  
 ميمونا ، وتابع ناس شعيبا ، فكتبوا الى عبد الكرم بن عجرد وهو في جيش  
 خالد بن عبد الله البجلي يحلمونه قول ميمون وشعيب فكتب عبد الكرم : انا  
 نقول ما شاء الله كان ، هالم بشأ لم يكن ، ولا نلحق بالله سوا فوصل  
 الكتاب اليهم هات عبد الكرم فادع ميمون أنه قال بقوله حين قال لانلحق  
 بالله سوا " وقال شعيب بل قال بقولى حيث قال : ها شاء الله كسان  
 هالم بشأ لم يكن " ( ١ )

فترى أن نشأة هاتين الفرقتين كانت على أساس جدلى واختلاف  
 فى رأى سبيل الى الهوى ، الذى وضع فى الخلاف على أدا المال السى  
 صاحبه . واقتضاه صاحب المال لما له . .

وابرز الاسباب التى أدت الى الخلاف والجدل بالاضافة الى ما مر  
 ما يذكره أحمد أمين من قوله : " ان كثير ممن دخلوا فى الاسلام بمسند  
 الفتح كانوا من دyanat مختلفة يهوديه نصرانية صابونية فزاد شتبه مراهمه  
 وصافيه ودهرين . . الخ وكانوا قد نشأوا على تعاليم هذه الديانات  
 وشبوا عليها ، وكان ممن أسلم علماء فى هذه الديانات فلما اطمانوا وهسدأت  
 نفوسهم واستقرت على الدين الجد يد وهو الاسلام ، اخذوا يفكرون فى تعاليم

( ١ ) مقالات الاسلاميين ج ١ ص ١٧٨ .

دينهم القديم ، وشيرون مسائل من مسائله ، ولبسوها لباس الاسلام وهذا ما يحلل مانري في كتب الفرق من أقوال بعيدة كل البعد عن الاسلام ، فنرى أحمد بن حافظ يقول في التناسخ عنه ما يقول البراهمة ويقول في المسيح ( عليه السلام ) قولاً يشبه قول النصارى الى كتسير من أمثال ذلك . . . ( ١ ) فمن ذلك ومن خلال كل ما سبق يمكن تلخيص اسباب تعدد الفرق والمذاهب المختلفة التي نجت عن تخالف العقل مع الشرع ، ووضي اعمال العقل ، والاجتهادات العقلية الباطلة ، في الآتي :

- ١ - التغييرات السياسية والخلافات التي نشأت عنها ، والتي ترجع الى عصر مبكر عندما تنازع على حمايته ، وانقسام المسلمين فيها الى مؤيدين ومعارضين وشيعة وخوارج . . . وقد أجهد كل فريق عقله وحرف النصوص عن مواضعها ليؤيد وجهة نظره ويقوى رأيه ويظهره على الآخر .
- ٢ - ما أثاره المنافقون الذين دخلوا الاسلام ، وقد كانوا على ديانات تركوها وعقائد نشأوا عليها ورسخت في قلوبهم ، فاتاروا الشبه والخلافات الجدلية ابتغاء ان يلبسوا الاسلام بعقائد هم القديمة فادى ذلك الى الانحراف في الرأي . . . والاختلاف في التأصيل والفرابة في أفكارهم عن الاسلام وجوهره النقي ونعمه الصفي الذكي . . .
- ٣ - احتكاك المسلمين بالحضارات الاخرى وتجدد قضايا حادته بعد اتساع رقعة الاسلام . . . وكان لابد من اعمال العقل لاجساد حلول لما جد من القضايا . . . فكان تعدد الاجتهادات والفرادات .

( ١ ) احمد امين صبحي الاسلام ص ٧ مكتبة النهضة المصرية ط ١٩٧٨ .  
سنة ١٩٧٨ .

والاسراف فيها حتى تعدد اصحاب المذاهب وتوهت الفرق حسب آرائها .  
 ٤ - واخيرا فان كل هذه الامور . . التي تحكمت في مهل الانسنان  
 وهواه ما جعل النصوص تؤول بالعقل المحكم بالهوى والمطفنة  
 مما ادى الى ان الاحكام والنتائج غالبا باطلة . . ان ما وصل اليه  
 اصحاب الهوى يشطط عقولهم خالف نص الشريعة وجوهرها وتباها فطسرة  
 المؤمن الحق الذي وقف امام الشرع مسلما طائعا مثالا في صدر الاسلام  
 واقا امام كتاب الله قائلا معلنا عن طاعته لكل ما فيه : " آما به كل من  
 عند ربنا " .

من هنا . . من ذلك الاختلاف وتلك الاسباب تشعبت الاراء  
 والمذاهب والمقائد التي خالفت ما كان عليه الرسول صلى الله عليه وسلم  
 واصحابه اهل السنة والجماعة وكانت الفرق ذات الاراء المتطرفة والمقائد  
 الزائفة الباطلة ، والتي اخبر عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله :  
 " ستفترق امتي على ثلاث وسبعين فرقة الناحية منها واحدة ، والباقيون  
 هلكي ، قيل من الناحية ؟ قال : اهل السنة والجماعة ، قيلها السنة  
 والجماعة ؟ قال : ما انا عليه اليهم واصحابي " ( ١ ) . . فالفرقة الناحية  
 هي الملتزمة بما انزل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من كتاب وما فيه  
 من توجيهات سالكة مسلك الرسول واصحابه أي ملتزمة السنة الثابتة المنقولة  
 النبا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . .

واما الفرق التي ضلت بمقلتها وهواها فأبرزها . .

١ - المعتزلة : اصحاب واصل من عطاء ، الذي اعتزل مجلس الحسن  
 البصرى مخالفا له في الرأي ، واخذ بقرآن مرتكب الكبيرة ليرحموا من  
 ولا يكافر ، وان الحسن والقبح عقليان ، وأنه يجب على الله فعل الاصلح

( ١ ) الحديث رواه ابوداود - كتاب السنة باب شرح السنة ج ٤ ص ١٩٨ وهو  
 حديث حسن

لعباده وقد افترقوا عشرين فرقة يكفر بعضهم بعضا : الواصلية ، وجوزوا  
 ان يكون عثمان لا مؤمنا ولا كافرا وأن يخلد في النار ، وكذا على مقاتلوه  
والعمريه والهندلية ، من آرائهم ان الحجة فيما غلب لا تقم الا بِحُجْر  
 عشرين ، النظامية من آرائهم أن الله لا يقدر أن يفعل بعباده في الدنيا  
 حالا صلاح لهم فيه ، وأن القرآن ليس بمعجز ، الاسوارية : من آرائهم  
 أن الله لا يقدر على ما أخبرنا بعدمه ، الاسكافية : من آرائهم أن الله  
 لا يقدر على ظلم العقلاء ، الجعفرية : من آرائهم أن الاجماع على  
 حد الشرب خطأ ، البشرية : من آرائهم أن الله قادر على تعذيب  
 الطفل ظالما ، المزاورية : من آرائهم أن الله قادر على أن يكذب  
 ويظلم ، الهشامية : من آرائهم أن الاعراض لا تدل على الله ورسوله  
 ولا دلالة في القرآن على حلال أو حرام ، الصالحية : من آرائهم  
 جواز قيام العلم والارادة والقدرة والسمع والبصر بالمت ، الحابطية : من  
آرائهم القول بأن للعالم الهين ، الحدبية : من آرائهم القول  
 بالتناسخ وأن كل حيوان مكلف ، المعمرية : من آرائهم أن الله لم يخلق  
 شيئا غير الاجسام ، الشمسية : من آرائهم ان اليهود والنصارى والمجوس  
 والزنادقة يصيرون ثرابا ولا يدخلون جنة ولا ناراً ، الخطابية : من آرائهم  
 القول بالقدرة وتسمية المعدوم شيئا وجوهرا ورضا ، الجاحظية : من آرائهم  
 أن النار تجذب أهلها اليها لا أن الله يُدْخِلُهَا والخير والشر من فعل  
 المبد ، والقرآن جسد ينقلب تارة رجلا ، ضاره امرآه ، الكعبية : من  
آرائهم أن فعل الرب واقع بغير ارادته ، الجبائية : من آرائهم  
 أن الله متكلم بكلام يخلقه في جسم ، ولا يُرَى في الآخرة ، والعبد خالق لفعله



البهائية : من آرائهم امكان استحقاق الذم والعقاب بلا معصية  
صأنه لا توه عن كبيرة ، ولله أحوال لا معلومة ولا مجهولة ، ولا قد يمهة  
ولا حادثه . .

٢ - الشيعة : وهم اثنتان وهشرون فرقه يكفر بعضهم بعضا ، وينقسمون  
الى ثلاث فرق كبرى : أ - الشيعة الفلاة ، ب - الشيعة  
الزيدية ، ج - الشيعة الامامية ، فالشيعة الفلاة ، فرقتهم  
السبئية : الذين قال رأسهم عبد الله بن سبأ لعلى " انت الاله  
حقا " ، الكاملية : التي من آرائهم أن الامامه تعود بتناسخ .  
البهائية ، والغيرية ، والجناحية من آرائهم أن الارواح تتناسخ  
وكان روح الله في آدم ، المنصورية : من آرائهم أن الجنة رجل أمرنا  
الله بمولاته وهو الامام ، والنار بالضد وهو ضد ، الخطابية : وقد  
قالوا : الائمة انبياء ، واستباحوا المحرمات وترك الفرائض ، الغراهية  
والذمية : الذين ذموا محمدا لأن عليا هو الاله ، وقد بعثه لهدى  
الناس اليه فدعا الى نفسه ، الهشامية : الذين قالوا ان الله جسم  
وهو طويل عريض ، عميق متساو ، الزوارية : قالوا بحدوث الصفات  
البونسية ، الشيطنية : وقد قالوا ان الله نور غير جثمانى على صورة  
انسان ، الزرامية ، المفضية : وقد قالوا ان الله فوض خلق الدنيا  
الى محمد وقيل الى علي ، البدائية : وقد جوزوا الهداء على الله  
النصيرية ، الاسحاقية : قالوا الله في علي ، الاسماعيلية : واصطل  
دعوتهم على ابطال الشرائع ، لأن الغيابة وهم طائفة من المجوس راموا  
عند شوكة الاسلام تأهل الشرائع على وجوه تعود الى قواعد أسلافهم . .

والشعبة الزيدية ، فرقمهم : الجارودية : وقالوا بالنصر على  
على وصفا لا تسمية ، وكفروا الصحابة بمخالفته ، السليمانية : وهم  
يخطئون الأمة في ببهة ابي بكر وعمر وان قالوا باماتهما ، البتيرية :  
وتوقفوا في عثمان .

والشعبة الامامية فقد قالوا بالنصر على امامة علي ، وكفروا الصحابة  
وتشعبوا الى معتزله والى اخبارية ، والى مشبهة ، وسلفية . .

٣ - الخوارج : فقد تشعبوا الى المحكمة ، الهبسية ، والازارقة  
وهذه الاخيرة قد كثرت عليها بالتحكيم وجعلوا الحق لقاتله ، وكفروا  
الصحابة ، النجادات ، الاصفرية ، الاباضية ، والمجاردة : يرون  
ان اطفال المشركين في النار وتشعبت منهم عشر فرق : الميمونية  
، والحمزية ، والشمسية ، والحازمية ، والخلفية ، والاطرافية  
، المعلوية ، المجهولية الصلته ، والثعالبة . . من عجيب  
الآراء التي تنطق بالشطط العقلي رأى الميمونية في تجهيز نكاح  
البنات للبنين وللبنات ولاولاد الاخوة والاخوات وانكار سورة يوسف .

٤ - المرجئة : سموها هكذا لانهم يرجئون العمل عن النية اولانهم  
يقولون لا تضر مع الايمان معصية ففهم يعطون الرجاء ، فرقمهم :  
البهسية ، المبيدية ، يرون ان الله على صورة انسان ، الفصانية  
الثمانية من آرائهم ان الله لو عفا عن عاص لعفا عن كل ما هو  
مثله وكذا لو اخرج واحدا من النار ، والثمنية .

٥ - المشبهة : سموها هكذا لانهم شبهوا الله بالمخلوقات وان اختلفوا  
في طريقه .

٦ - الجبرية : والجبر اسناد فعل العبد الى الله ، والجبرية

متوسطة تثبت للعبد كسبا كالا شعيرية .

٧ - السنجارية : وهم موافقون لاهل السنة في خلق الأفعال

وللممتزلة في نفس الصفات ، ورفقهم ثلاثة : البرغوثية ، الزعفرانية

، المستدركة . .

صالح القاضي الابجى بعد ذكر هذه الفرق بقوله : " هذه هـس

الفرق الفسالة الذين قال رسول الله فيهم كلهم في النار . . " (١)

فهذه الفرق التي نشأت وتعمبت وافتقرت كما أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اثنتين وبهمين فرقة كلها فسالة ، وقد رأينا قرين كل فرقة نمودجا من آرائها الفسالة الخارجة عن أصول الايمان ، واذلك كله الا شرة مرة من شمار الخلاف بين المسلمين والبعد عن الوحي هانبه والاسراف فس تأهل النصوص واطلاق العنان للتأهل العقلى حتى أخرج الاسلام عن اسلاميته ، والوحي عن هدايته ، فضلت تلك الفرق المتشاحنه وكفرت كل منها الاخرى ، ولم يتفقوا على محتكم أو مرجع يرجعون اليه ، ولا منتهى ينتهون اليه ، واذا وجدوا اختلافوا حوله وجدوا لوا فيه . . فاطلقوا العنان لعقولهم التي قادها الشيطان ولعب بها ، ففتقرت كلمة المسلمين وتباينت آراؤهم .

---

(١) انظر المواقف للابجى من ص ٤١٥ الى ص ٤٣٠ بتصرف شديد وانظر

الاعتصام للساطبى ج٢ ص ٢٠٦ الى ص ٢٢٠ ، وجزر الاسلام - احمد

امين من ص ٢٥٢ صابعد ها . .

ولكن ازاء كل هذا . . . في وسط هذا الخضم الهائل من الضلال  
والفرقة والآراء الفاسدة والمعتقد الباطلة . . . كانت هناك الفرقة الناجية  
أهل السنة والجماعة الذين هم على ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه  
وسلم وأصحابه . . . فردوا على كل ضلال وقاوموا كل هوى وشيطان . . . فسي  
اطار مرسوم الوحي الحكيم مهتدين في ذلك بما أنزل الله من كتاب . . . ومارس  
رسولهم من الهدى والحق . . .

الفرقة المستثناة التي أخرجها من الحكم على فرق الضلال ، عندما  
قال : كلهم في النار الا واحدة . . .

وهذه الفرق تجمعها آفة واحدة هي تخليهم عن الوحي ، والحكم  
عليه بالعقل القاصر العاجز بينما كان العكس هو الصواب .

\*\*\*\*\*

\*\*\*\*\*

\*\*\*

---

### المبحث الثالث

( ظهور البدع )

تقدم في المبحث السابق صورة نتجت من انفصام العقل عن الوحي أو عدم توافق الشرع مع العقل ، وهي تعدد الفرق الاسلامية واختلاف آرائها وتباين معتقداتها حتى ضلت وأضلت ، وذلك لا سرافهم في تأويل النصوص تأويلاً يتفق مع أهوائهم ويهولهم الشخصية . . . وحاولوا إخضاع كل نص شرعي للعقل . . . أي أنهم قدموا العقل على الشرع وحكموا على الوحي به . . . فأدى ذلك إلى حدوث هوة عميقة وفجوة واسعة بينهما ونشأت البدع وانتشرت النصوص بما يوافق تلك البدع أو تبرر أخطاء مروجيها .

كما انتشرت الأساليب والتبريرات العقلية المؤهدة والمعللة لتلك البدع ومنتصر بها المبتدعون . . . وكانت المخالفة والهوة بين حكم الشرع الذي نطق به الوحي . . . وبين تبرير العقل ، وليس ذلك لقصور في العقل وإنما لتأثره في حكمه بالهوى والميل الشخصي للمبتدع . . . والتأويل العقلي عندما أصبح فوضى بدون قيد أو شرط وحين أصبح وسيلة لتبرير الاتجاهات الشخصية بايجاد سند لها من الدين بآية طريقة كانت وقد غير المؤولسون المنحرفون ، وتناسوا حقيقتين هامتين : الأولى ان الاسلام منهج جاء لاتباعه الناس ويسيروا عليه بدلاً من أن يسيروا وفقاً لهوى الناس وتبعاً لآرائهم المختلفة بل هو ميزان لجميع القيم جاء لتوزن به الحقائق والقيم لا ليوزن هو بما يضعه الناس من القيم والمناهج ، والثانية : أن الاسلام دائماً يهدف إلى تحقيق المطالب الأساسية للفرد في حدود القيم والعباديات التي جاء بها دون اضرار بمصلحة الغير . . . ( ١ )

(١) منهج الدعوة إلى الاسلام ص ٩٧ .

تناسوا ذلك فابتدعوا وأولوا وخالفوا ، صبح الشيطان والهوى  
تحالفوا ، والعقل عطلوا ، والوحي أهملوا فتغيرت صورة المجتمع الأوسى  
الملتزم بالنص فانتشرت البدع والخلافات التابعة من الهوى . . . ولـذا  
فقد ذم الدين البدع وحدثات الأمور لما فيها من إضافة ما ليس من الدين  
إليه .

من ذلك ما في الصحيح من حديث عائشة رضی الله عنها عن النبي  
صلى الله عليه وسلم قال : " من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد " (١)  
في روايه للنسائي : " كل محدثه بدعة ، وكل بدعة في النار " (٢) كما  
روى ابن ماجة عن ابن مسعود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :  
" إياكم وحدثات الأمور ، فإن شر الأمور محدثاتها ، وإن كل محدثه  
بدعة ، وإن كل بدعة ضلالة " (٣)

في الموطأ من حديث أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ،  
خرج الى المقبره فقال : السلام عليكم دار قوم مؤمنين وأنا ان شاء بكم  
لاحقون ، وددت أنى قد رأيت اخواننا " فقالوا : يا رسول الله ألسنا  
باخوانك ؟ قال : " بل أنتم أصحابي واخواننا الذين لم يأتوا بعمد  
وأنا فرطهم على الحوض " فقالوا : يا رسول الله كيف تعرف من يأتى بعمدك  
من أمتك ؟ قال : " أرايت لو كان لرجل خيل غرٌّ محجلة في خيل دهم بهم  
الا يعرف خيله ؟ " قالوا : بلى يا رسول الله ، قال : " فانيهم يأتون  
بهم القيامة غرّاً محجلين ، من الضوء ، وأنا فرطهم على الحوض . فلا يذادك

(١) الحديث رواه مسلم كتاب الاقضية ج٤ ص٣١٣ وابوداود ص١٧٠ باب لزوم  
السنة .

(٢) الحديث رواه مسلم من حديث ابن المثنى كتاب الصلاة باب الجمعة  
ج٢ ص٥١٧ .

(٣) الحديث رواه ابن ماجة من حديث المرزبان - المقدمة - باب اتباع  
سنة الخلفاء ح١ ص١٠٠ . وهو حسن لغيره .

رجال عن حوضي ، كما يزاد البعير الضال ، أناد بهم : الا هلم  
الا هلم ، الا هلم ، فيقال : انهم قد بدوا بعدك ، فأقول : فسحقا  
فسحقا \* (١) وهلق الشاطبي بقوله : " حمله جماعة من العلماء  
على انهم أهل البدع وحمله آخرون على المرتدين عن الاسلام " (٢)  
وهذه النصوص قليلة من كثير مما ورد في ذم البدعة وأهلها . . . وكفى  
البتدع سوءا ، أنه بسلوكه المخاير لما كان عليه رسول الله صلى الله عليه  
وسلم وصحابته أنه يتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنه لم يسوء  
الامانة ، يقول الشاطبي : " ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يمت  
حتى أتى ببيان جميع ما يحتاج اليه في أمر الدين والدنيا وهذا لا يخالف  
عليه من السنة . . . فاذا كان كذلك فالبتدع انما محصول قوله بلسان  
حاله أو مقاله : ان الشريعة لم تتم ، وأنه بقي منها اشياء يجيب  
اوستحب استدراكها لأنه لو كان معتقدا لكاملها وتامها من كل وجه  
لم يبتدع ولا استدرك عليها وقائل هذا ضال عن الصراط المستقيم .  
قال ابن الماجشون : سمعت مالكا يقول : من ابتدع في الاسلام بدعة  
بها حسنة ، فقد زعم ان محمدا صلى الله عليه وسلم خان الرسالة  
لأن الله يقول : " اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي " فما لم يكن  
يهتد بنا فلا يكون اليوم دنيا " (٣) . .

وكفى البدعة شرا " أن قباها يمت سنة من السنن ما هو في مقابلتها  
حيما جاء عن السلف في ذلك . فعن ابن عباس رضي عنهما قال : ما باتسى

- 
- (١) الحدیث رواه مالك في الموطأ كتاب الطهارة باب الوضوء ج١ ص ٢٨ ،  
ورواه مسلم كتاب الطهارة .  
(٢) الاعتصام للشاطبي ج١ ص ٧٢ .  
(٣) الاعتصام - الشاطبي ج١ ص ٤٩ .

على الناس من عام الا احدثوا فيه بدعة وأماتوا فيه سنة ، حتى تحميها  
 البدعة وتموت السنن • في بعض الأخبار : لا يحدث رجل بدعة الا ترك  
 من السنة ما هو خير منها ، وعن لقمان بن ادريس الخولاني أنه كان يقول  
 : ما احدثت أمة في دينها بدعة الا رفع بها عنهم سنة ، وعن حسان  
 بن عطية قال : ما احدث قوم بدعة في دينهم الا نزع الله من سنتهم  
 مثلها ثم لم يعد لها الى يوم القيامة " ( ١ ) ••

والبدعة في أصلها تقدم على اساس اتباع الهوى والسبل الشخصي  
 لأن العقل اذا لم يهتد بالشرع ويتبعه ، لم يبق امامه الا الهوى والشهوة •  
 " فمما بعد الحق الا الضلال " فاذا اتبع الوحي وسار على  
 الشرع هداية اما اذا تركه متبعا هواه وشهوته أضله وأغواه •• " الا ترى  
 قول الله تعالى : " يا داود انا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين  
 الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله •• " فحصر الحكم  
 في أمرين لا ثالث لهما عنده وهو الحق والهوى ، ويترك العقل مجردا اذ  
 لا يمكن في المادة الا ذلك • وقال : " ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا  
 واتبع هواه " فجعل الأمر محصورا بين اتباع الذكر واتباع الهوى ، وقال  
 " من أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله " وهو مثل ما قبلها وان هذه  
 الآية صريحة في أن من يتبع هدى الله في هوى نفسه فلا احد أضل منه  
 وهذا شأن المبتدع ، فإنه اتبع هواه بغير هدى من الله وهدى الله  
 هو القرآن " ( ٢ ) واهل الابتداع •• اهل الهوى قد ذمهم الشرع

( ١ ) المرجع السابق ص ٣٠ •

( ٢ ) الاعتصام للشاطبي ج ١ ص ٥١ •



لما في أمرهم من بعد عن الشريعة مما انزل الله من كتاب ووحى هـاد وقد سخروا عقولهم لما يخدم أهواهم ومبولهم ٠٠٠ " روقع الذم عليهم لانهم لم يأخذوا الأدلة الشرعية مأخذ الافتقار اليها ، والتمسوا عليها حتى يصدروا عنها بل قدموا أهواهم واعتدوا على آرائهم ثم جعلوا الأدلة الشرعية منظورا فيها وارء ذلك ٠٠ والاصل في أحكام الشريعة الا يؤخذ منها شيء الا عن الرسول صلى الله عليه وسلم سواء أكان ذلك عن طريق القرآن او الحديث او الاجتهاد في حدود ما أشار اليه الرسول صلى الله عليه وسلم عند عدم وجود نص محدد في الواقعة أو موضوع البحث ٠٠ وكل من خالف ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم فقد خالف المنهج العلمي المقبول فيما يتصل بالتشريع ٠٠ ( ١ ) فالناظر في اساس البدع واسبابها يجد الهوى محور ارتكازها مصدر وجودها خاصة ممن يتمكنون من التعرف على اهل الحق ، او من وصلوا الى مناصب كبيرة في الفتيا والحكم فهم ما اخترعوا ما اخترعوه ، او تمسكوا بما وجدوه ما هو مخالف للسنة الا اتباع الهوى حفظا للشهرة او طمعا في الكسب المادي او تمتعا في مواجهة الخصم أو خوفا من تحمل مسئوليات التغيير ، او مخالفة المرف ٠٠ وبرز مثال على ذلك استدلال السفرق المختلفة على ما ذهب اليه بالقرآن والحديث ٠٠ ( ٢ ) خاضعين فسي

( ١ ) انظر " البدع - تحددها موقف الاسلام منها " د / عزت عيسى

على عطية - دار الكتب الحديثه ص ٢٨٤ .

( ٢ ) المرجع السابق ص ٢٨٦ .

ذلك فوضى التأويل وتقدم العقل على الوحى . .

وانذا كان هذا شأن البدعة والبتدعين وسوء أحوالهم هدى بعد هم  
عن الوحى والنص الشرعى وهدى النبوة . . وتركه او تأويله بما يتفق مع  
أهوائهم وهولهم مخالفتين بذلك كتاب الله سنة رسوله . . فانه يجب علينا  
ان نذكرهم من التحديد معنى " البدعة " للتمييز بينها وبين السنة . .

### تعريف البدعة :

تعرف البدعة في اللغة بأنها الاختراع على غير مثال سابق " فأصل  
مادة ( بدع ) للاختراع على غير مثال سابق ، ومنه قوله تعالى : " بدع  
السموات والأرض " أى اخترعهما من غير مثال سابق متقدم ، وقوله تعالى :  
" قل ما كنت بدعا من الرسل " أى أول من جاء بالرسالة من الله السى  
العباد بل تقدمنى كثير من الرسل ، ويقال : ابتدع فلان بدعة يعنى  
بدأ طريقة لم يسبقه اليها سابق ، وهذا أمر بدع يقال فى الشئ المستحسن  
الذى لا مثال له فى الحسن ، فكأنه لم يتقدمه ما هو مثله ولا ما يشبهه . . ومن  
هذا المعنى سميت البدعة بدعة ، فاستخرجها للسلوك عليها هو الابتداع  
وهيئتها هى البدعة ، وقد يسمى العمل المعمول على ذلك الوجه بدعة  
فمن هذا المعنى سى العمل الذى لا دليل عليه فى الشرع بدعة " ( ١ ) . .  
هذا هو التعريف اللغوى لمعنى " البدعة " . .

واما تعريف البدعة اصطلاحا فيذكر الشاطبى عدة تعريفات لها منها :  
١ - البدعة عبارة عن طريقة فى الدين مخترة تضاهى الشرعية ، يقصد  
بالسلوك عليها المبالغة فى التعبد لله سبحانه " وهذا على رأى من  
لا يدخل العادات فى معنى البدعة وانما يخصها بالعبادات . . ومنهم

( ١ ) الاعتصام ص ٣٦ .

من أدخل العادات فيها ، فيقول :

- ٢ - البدعة : طريقه في الدين مخترعة تضاهي الشرعية بقصد بالسلوك عليها ما يقصد بالطريقة الشرعية . . . ( ١ )
- ٣ - ويرى الشافعي أن البدعة تشمل كل ما حدث بعد الرسول ولذا فإنه يقسمها إلى حسنة وسيئة ، أو محمود ومذمومة ، فقال " البدعة بدعتان : بدعة مذمومة وبدعة محمودة . . . فما وافق السنة فهو محمود ، وما خالف السنة فهو مذموم " ( ٢ )

وتعريف الشافعي السابق يدخل إطار التعريفات العامة الشاملة التي أدخلت الأمور العادية في البدع . . . ومن عرفوا البدعة بمثل التعريف الأول الذي لا يحتبّر الأمور العادية ضمن البدعة ابن رجب الحنبلي . . .

٤ - يقول ابن رجب : " المراد بالبدعة : ما أحدث مما أصل له نفس الشريعة يدل عليه ، أما ما كان له أصل من الشرع يدل عليه فليس ببدعة شرعا وإن كان بدعة لغة . . . ( ٣ )

ويقول الشاطبي : ولأن البدعة " طريقه ابتدعت على غير مثال تقدمها من الشارع . . . فهي خاصتها أنها خارجة عما رسمه الشارع وهذا القيد انفصلت عن كل ما ظهر لبادي الرأي أنه مخترع مما هو متعلق بالدين ولا بد كذلك أن تضاهي الشرعية " يعني أنها تشابه الطريقة الشرعية من أن تكون في الحقيقة كذلك بل هي مضادة لها من أوجه متعددة ، منها : وضع الحدود كالنادر للصيام قائما لا يقعد ، ضاحيا لا يستظل . . . ومنها : التزام الكفيات والهيئات المعنية كالذكر ببهيمة الاجتماع على صوت واحد . . . ومنها

---

( ١ ) انظر المرجع السابق ص ٣٧ .  
( ٢ ) ابن شامة الشافعي الباعث على انكار البدع والحوادث ط ص ١٢٠ .  
( ٣ ) ابن رجب الحنبلي جامع العلوم والحكم ط امر قسمر - الهند ص ١٦٠ .

التزام العبادات المعينة في أوقات معينة لم يوجد لها ذلك التعميم فسي  
الشرعية كالتزام صيام يوم النصف من شعبان وقام ليلته ، وتم أوجه تضاهي  
بها البدعة الأمور المشروعة ، فلو كانت لا تضاهي الأمور المشروعة لم تكن  
بدعة ، لأنها تصير من باب الأفعال العادية \* (١)

وهي هذا فان المبتدع ينفصل بعقله وقلبه عن الشرع والوحي لينفسي  
البدعة ظنا منه انها تقربه الى الله ، وانها لتباعد بينه وبين الهدي  
وتنج به في النار . لانها اعراض عن ذكر الله \* ومن اعراض عن ذكرى فان له  
معيته ضنكا ونحشره يوم القيامة أعسى \* (٢) فهي خارجة عن الديانة  
وتعاليمه متجاوزة الثابت من الأصول ، ماتقره وتهتدي به العقول . متبعة  
ما يزينه الشيطان لأهلها ، جاذبا لهم الى الضلال فضل سمعهم وهم يحسبون  
انهم يحسنون صنعا .

ولا يقول قائل ان البدعة نوع من الاستحسان أو المصالح المرسلية  
وقد اعتبرها علماء الأصول على انها من مصادر التشريع لان هناك فروقا  
واضحة بينها وبينها . .

فلا استحسان هو : من المصادر غير المتفق عليها للتشريع \* وقد عرفه  
ابو الحسن الكرخي ، فقال : هو ان يعدل المجتهد عن ان يحكم في المسألة  
بمثل ما حكم به في نظائرها لوجه أقوى يقتضي العدول عن الأول . . \* (٣)

(١) انظر الاعتصام ص ٣٩٠ ، والابداع ص ٢٦٠ ص ٢٧٠ .

(٢) سورة طه ١٤٤

(٣) الامام محمد ابو زهره اصول الفقه ص ٢٠٧ .

يقول الشيخ على محفوظ : " قال المحقق الشاطبي ما ملخصه  
 واما الاستحسان فلاهل البدع أيضا به تعلق ، والمستحسن اما الشرع  
 واما العقل ، اما الشرع فاستحسانه واستقباحه قد فرع منهما لأن الأدلة  
 اقتضت ذلك فلا فائدة لتسميته استحسانا ، ولا لوضع ترجمة له زائدة  
 على الكتاب والسنة والاجماع ما ينشأ منهما من القياس والاستدلال ، فلم  
 يبق الا أن العقل هو المستحسن ، فان كان بدليل فلا فائدة له هذه  
 التسمية لرجوعه الى الأدلة ، لا الى غيرها ، وان كان بخير دليل  
 فذلك هو البدعة التي تستحسن ، ويشهد لذلك قول من قال فسي  
 الاستحسان : انه ما يستحسنه المجتهد بعقله ويميل اليه برأيه قالوا : وهو  
 عند هؤلاء من جنس ما يستحسن في العوائد ويميل اليه الطباع فيجوز  
 الحكم بمقتضاه اذا لم يوجد في الشرع ما ينافيه والا فلا ، فهو ينقسم  
 الى حسن وقيح ان ليس كل استحسان حقا " (١)

وقد كان الصحابة قد حصروا نظرهم في الوقائع التي لخصها فيها فسي  
 الاستنباط والرد الى ما فهموه من الأصول الثابتة ولم يقل أحد منهم : انسى  
 حكمت بكذا لأن طبعي مال اليه ، أو لأنه يوافق محبتي ورضائي ، وليس  
 قال ذلك لا شئد عليه التكبر وقبل له : من اين لك ان تحكم على عباد الله  
 ببعض ميل النفس وهوى القلب ؟ هذا مقطوع ببطلانه ، بل كانوا يتناظرون  
 ويمترض بعضهم على ما أخذ بعض يحصرون ضوابط الشرع ، وأيضا لورجوع  
 الحكم الى مجرد الاستحسان لم يكن للمناظرة فائدة ، لأن الناس تختلف  
 أهواؤهم وأغراضهم في الأظعمة والاشربة واللباس وغير ذلك ، ولا يحتاجون

(١) الشيخ على محفوظ الابداع في حضار الابتداع ص ١٣٠ وانظر الاعتصام  
 ج ٢ ص ١٣٦ .

الى مناظرة بعضهم بعضا " (١) والاستحسان له أنواع : هي ترك الدليل للعرف ، وتركه للاجماع ، وتركه للمصلحة ، وتركه للتيسير ودفح المشقة فهو : استعمال مصلحة جزئية في موضع يعارضه فيها قياس عام .

ويُنقسم أيضا باعتبار معارضة : الى استحسان السنة ، واستحسان الاجماع وهو ان يترك القياس في مسأله لان عقاد الاجماع على غير ما يؤدى اليه ، واستحسان الضرورة وهو ان يوجد في المسأله ضرورة تحمل المجتهد على ترك القياس والاخذ بمقتضياتها . وهذا هو الاستحسان عند الحنفية والمالكية ، وقد أنكره الشافعية (٢) .

والمصالح المرسله هي : " هي المصالح الملائمة لمقا صد الشارع الاسلامي ولا يشهد لها أصل خاص بالاعتبار أو الالغاء ، فان كان يشهد لها أصل خاص دخلت في عموم القياس ، وان كان يشهد لها أصل خاص بالالغاء فهي باطله والاخذ بها مناهضة لمقاصد الشارع . . . والامام مالك قد أخذ شروطا مفهموه من التعريف اولها الملائمة بين المصلحة التي تعتبر اختلافا قائما بذاته وبين مقاصد الشارع فلا تنافي أصلا من أصوله ولا تعارض دليلا من أدلته ، والثاني : ان تكون معقولة في ذاتها جرت على الاوصاف المناسبة المعقولة التي اذا عرضت على أهل العقول تلقتهما بالقبول ، وثالثها : ان يكون في الاخذ بها رفع حرج بحيث لو لم يؤخذ بالمصلحة المعقولة في موضعها لكان الناس في حرج والله تعالى يتقسطول " هاجمل عليكم في الدين من حرج " (٣) وقد اتفق العلماء على ان الامر

(١) الاعتصام - الشاطبي ج٢ ص ١٥٠ .

(٢) انظر اصول الفقه لابي زهره ص ٢٠٨ وما بعدها ، والوجيز في اصول التشريع الاسلامي د / محمد حسن هيتو - ط مؤسسة الرساله ط اولي ١٩٨٣ بيروت ص ٤٥٥ .

(٣) ابو زهره اصول الفقه ص ٢٢١ .

التعبدة يقتصر فيها على ماورد به النص ، وكما لايمتد فيها بالقياس  
 لايصح العمل فيها بقاعدة المصالح المرسلّة لأنّ القصد بها ارضاء  
 الله تعالى ووسائل رضاه لاتعرف الا منه ، ولأنّ فتح باب العمل بالمصلحة  
 فيها يفتح باب الابتداع في الدين ، وتتغير به شعائره بمرور الزمان \* (١)  
 ومع هذه الاشارة السريعة الى معنى الاستحسان والمصالح المرسلّة (٢)  
 فاننا يمكننا ان نفرق بينهما وبين البدعة : بأن الفرق بين البدعة وبين  
 الاستحسان : ان البدعة لا أصل لها من الشرع وهي خرج عنه ، أما  
 الاستحسان فهو عدول عن حكم الى آخر في مسألة حكم في نظيرتها  
 بمثله لوجود وجه اقوى يقتضى العدول عن الحكم الاوّل .

يفرق بينها وبين المصالح المرسلّة : بأن البدعة ظاهرة في التعبّدات  
 وصامة التعبّدات لايمقل لها معنى على التفصيل ، أما المصالح المرسلّة  
 فعامة النظر فيها انما هو فيما عقل منها وجرى على المناسبات المعقولة التي  
 اذا عرضت على العقول تلتفتها بالقول فلا مدخل لها في التعبّدات ولا فيما  
 جرى مجراها ، فحاصل المصالح المرسلّة يرجع الى حفظ أمر ضروري او رفع  
 حرج لازم في الدين . . . وفرق آخر : وهو ان البدع انما تكون في المقاصد  
 بخلاف المصالح المرسلّة فانها تكون في الوسائل ولهذا أرجعها بعضهم  
 الى قاعدة ( مالا يتم الواجب الا به فهو واجب . . ) فقد علم انهما يفترقان

(١) انظر كتاب اصول التشريع الاسلامي ص ١٧٢ .  
 (٢) الموضوع مبسوط بتطويل في كتب الاصول : كتاب اصول التشريع - الاستاذ  
 على حسب الله ط خامسة ١٩٢٦ من ص ١٦٩ ، الوجيز في اصول التشريع  
 الاسلامي د / محمد حسن هيتومؤسسة الرسالة ص ٤٥٣ ، اصول  
 الفقه - ابوزهره ص ٢٠٧ .

من جهتين : الاولى ان البدع تكون في التعبدات وشأن التعبدات ان لا تكون معقولة المعنى على التفصيل . والمصالح تكون في المعقول معناه على التفصيل ، والثانية ان المصالح هي من باب الوسائل والبدع من باب المقاصد وشأن ما بين الوسائل والمقاصد . . . وعلى هذا فان البدعة لا تلتقى مع الاستحسان او المصالح المرسله ويرد على كل قائل بهذا قوله .

فقد تبين لنا من خلال ما سبق ان البدعة لا أصل من الشرع ولا دليل عليها من نقل ولا عقلية ، اما المصالح والاستحسان فالشرط فيهما ان يكونا لهما أصل شرعي ، والا يعارضها اصلا من اصول الدين ، ولا ضرورتين ضروراته . . . ان لا يعتد بهما عندئذ كدليلين كما يتسمان بالعموم والشمول في كل الاحكام بينما تختص البدعة بان تضاهي الشرعية كما سبق ذكره . . .

#### وتنقسم البدعة الى :-

بدعة حقيقية : وهي التي لم يدل عليها دليل شرعي لا من كتاب ولا من سنة ولا اجماع ولا استدلال معتبر عند اهل العلم لا في الجملة ولا فيس التفصيل . . .

بإيها اضافية : وهي التي لها شائبتان ، احدهما لها من الادلة متعلق فلا تكون من تلك الجهة بدعة ، والاخرى ليس لها متعلق الا مثل ما للبدعة الحقيقية فلما كان العمل له شائبتان لم يخلص لأحد الطرفين هذه التسمية " البدعة الاضافية " اي انها بالنسبة الى احد الجهتين سنة لانها مستندة الى دليل والنسبة الى الجهة الاخرى بدعة لانها مستندة الى شبهة لا الى دليل او غير مستندة الى شيء . . . وعند مقاومة البدعة

( ١ ) الاعتصام - الشاطبي ج ١ ص ٢٨٦ .



يجب على الدعاة ان يتمهوا الى حقيقة هامة هي ان المبتدع دائما يحاول الانتصار لبدعته \* وهو يخترعها ليضاهي بها السنه حتى يكون ملبسا بها على الغير او تكون هي ما تلتبس عليه بالسنه اذ الانسان لا يقصد . . . الاستتباع بأمر لا يشابه المشروع لأنه اذا كان كذلك لاستجلب بابتداعه نفعاً ولا يدفع ضرراً ولا يجيبه غيرُه الهه - ولذا ترى المبتدع ينتصر لبدعته بأمر توهم التشريع ولو بدعوى الاقتداء بفلان المعروف مقامه في أهـل الكمال ، فأتت العرب في تغيير مله ابراهيم عليه السلام كيف تأولوا فيما أحد ثوبه احتجاجاً منهم كقولهم في أصل الاشراك ما نعبد هم الا ليقربوا الى الله زلفى . . . وان الوضع النفسى لهذا المبتدع أنه اسوأ حالاً من العاصى . . . لذلك يجب مراعاة حاله عند نهيه . . . فالمبتدع بدعسه اضافية قد خلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً وهو يرى ان الكل صالح فلا يدخل في عداد من ترجى توبته لأنه لا يرى لنفسه ذنباً حتى يتوب منه بل يرى أن كل ما يعمله حسن . . . وعلى ذلك فهو أسوأ حالاً من العاصى لان العاصى ربما يعرف معصيته ويتوب منها اما هذا . . . فلا يعتقد ان له معصية يتوب منها . . . وهذا يتطلب لباقة وخطنه الداعى وهذه البدع ايضا من اثر الانفصال بين العقل والوحى وثمره مرة لذلك زرعها الشيطان ، ليعسد بين الخلق ورسولهم بما ضلّالهم وتفریق جماعتهم .

\*\*\*

---

( ١ ) انظر الابداع ص ٦٠ بتصرف شديد .

### المبحث الرابع

( اثر الدعوة بالابحاث والمناقشات العقلية والتأليف والتراجم )

ذكرنا فيما سبق أن العقل والوحى متوافقان وهذا بالفطرة ، في ظل هذا التوافق الأخاذ عاش الصحابة في عصر النبوة والخلفاء في انقياد كامل للوحى ، وتسليم له بالعقل والقلب ، وسكون في الوجدان ، الا ان الخلاف بدأ يطل برأسه بين صفوفهم في فتنة عثمان التي انتهت بقتله ، ثم تلاها نزاع على معاوية في موقعة الجمل ، وما نجم عن قضية التحكيم من تأييد أو معارضة لعلى كرم الله وجهه ، وتسلسلت الى القلوب الاغراض الشيطانية مزوجة بالمهول السياسية . . . واخذت كل جماعة تبحث عن سند لها يؤيد ها يؤيد موقفها من الشرع ، فانطلقت العقول الى التأويل تاركة التسليم الذي كان يفتشعبت الفرق وتوحد وتباينت آراؤهم واهواؤهم وقد مؤ العقل على الشرع متجاوزين الاصول ، مباهنين المعقول ، مخالفين المنقول . . . فكانوا يستدلون بالتأويل في النصوص على الشيء ونقيضه . . . كما قامت على اساس ذلك البدع وروجها أهلها محاولين الانتصار لها والابحاز بها الى أدل له اخترعوها من نصوص أولوها ، واحكام عللوها ، واسرفوا في تحليلاتها حتى ضيعوها فتاهت معالم كثير من السنن وحل الخلاف محل الائتلاف ، والخصام محل الوثام . . . كما وضعت آحاد بيت للاستشهاد بها على تلك الاغراض وتأبيد الالهوا . . . ولكن في وسط هذا الخضم المتلاطم من امواج الفتن والخلاف كانت هنا الفرقة الناجية اهل السنة والجماعة الذين تمسكوا بكتب الله تعالى وسنة رسوله . . . والتزموا ما كان عليه الرسول واصحابه الذين رسخ علمهم فسلموا وقالوا : " آنا به كل من عند ربنا " . . . قامت

هذه الفرقة ترد على اهل الفتن ، صجاد لون اهل البدع بالتى هي احسن فتلاقت العقول وحدث بينها احتكاك فكري هائل أثرى الدعوة الاسلاميه بمصنفات وعلوم في مختلف الفنون . . . . . فعندما واجه المسلمون التيارات الفكرية الاجنبية وثنية ودينية : البوذية ، والبرهمنية ، والزرادشتية ، والمناوية ، والمسيحية واليهودية ، والفلسفة الاغريقية هبوا للدفاع عن العقيدة وهذا ما جدت في المجتمع الاسلامى احداث لم تكن في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ، اجتهد المسلمون في البحث عن احكام لها داخل اطار التشريع الاسلامى ، كذلك عندما اختلف المسلمون الى خواجه وشيعة ومرجئة ومعتزلة وصفائية حاول كل فريق الاستدلال على صحة رأيه من الكتاب والسنة ، في كل هذا استُخدم العقل فانجح فكريا ، وكان من نتيجة هذا ظهور المدارس المختلفة في المجتمع الاسلامى فتكثرت : المدارس الكلامية ، وهاهنا الفقه ، وهاهنا الصوفية ، وهاهنا الفلسفة ، وهاهنا تفسير القرآن الكريم ، وهاهنا الحديث وعلومه . . . . . ( ١ )

وقد ظهر أيضا الجدل والناقشات الجدلية بين اهل السنة والجماعة وبين مشيرى الشبه حول العقائد وقد احسن اهل السنة استخدام العقل فسد ذلك مهتديا بالوحي . . . . . وان أبا الحسن الاشعري حامل لواء السنة قد استخدم العقل وكان ايمانه بالنس من غير تأصل في الوقت نفسه يستعمل كل طاقات عقله ليدافع عن البارى تعالى لايشبه المخلوقات لانه خالقها ، وفسد استدلاله الفكرى ما يستمر عن عقل داع يحرس الدين من اهواء المنحرفين . . . . . ( ٢ )

- 
- ( ١ ) د / محمد شامه من مقال حول تدريس الدين في الجامعات مجلة الأزهر .  
 ( ٢ ) الفكر الاسلامى بين العقل والوحي ص ٤٠ .

فكانت ردود اهل السنه والحدیث تعتمد العقل مع حرصهم على  
استمداد ارائهم من أقوال الصحابة والتابعين في هذه الموضوعات .  
واثر ذلك لنا ( كتاب خلق افعال العباد للبخارى ) و ( السرد  
على الجهمية والمعطلة للامام أحمد ) و ( الرد على بشر المريسي ) للامام  
الدارمي . . . وغيرهم .

كما صنف : علم القرآن ، من تفسير وقرآيات ، فهناك الذين  
جمعوا ما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم في التفسير ضمن ما روى في  
ابواب الحديث ، ففي التفسير وجدت طبقة تجمع بجانب الحديث ما روى  
في الامصار من التفسير من هؤلاء : سفیان بن عیینہ - المتوفى عام  
١٩٨ ، وكيع بن الجراح المتوفى عام ١٩٦ ، وشعبة بن الحجاج المتوفى  
عام ١٦٠ ، واسحاق بن راهويه - المتوفى عام ٢٣٨ ، وهؤلاء جميعا  
من ائمة الحديث فكان جمعهم للتفسير جمعا لهاب من ابوابه . . . ( ١ ) . . .  
ثم كانت الخطوة التالية ، وهي انفصال التفسير من الحديث وهذا  
علما قائما بنفسه ، ووضع التفسير لكل آية من القرآن ، أو جزء من آية مرتبه  
حسب ترتيب المصحف ، كما فعل ابن جرير الطبري في تفسيره . . .  
وقد اشتهر من جملة التفسير : تفسير ابن جرير الطبري ، تفسير  
ابن عباس ، تفسير ابن جريج . . . وغير ذلك . . .

( ١ ) احمد امين ضحى الاسلام ص ١٤٠ .

وكان علم القراءات حافظ لرواية القرآن من حيث التلاوة واختلاف اللهجات  
وحصرها في تلاوته حتى يسد الباب امام بغاة الشر من المحرفين .

وقد صنفت ايضا كتب الحديث وعلومه : " فقد بدأ التأليف فيه فـسـى  
العصر العباسي كما بدأ في المعلم الأخرى ، وَوَجِدَت هذه النزعة السـى  
تد من الحديث في اصار مختلفة في عصور متقاربة . . ففى مكة : كان ابن جريج  
المتوفى عام ١٥٠ هـ في المدينة : محمد بن اسحاق المتوفى عام ١٥١ هـ ، مالك  
ابن انس المتوفى ١٢٩ هـ في البصرة : الربيع بن صبيح المتوفى عام ١٦٠ هـ ،  
وسعيد بن عروه المتوفى عام ١٥٦ هـ ، وحماد ابن سلمة المتوفى عام ١٧٦ هـ ،  
والكوفة : سفيان الثوري المتوفى عام ١٦١ هـ ، والشام الاوزاعي المتوفى عام  
١٥٦ هـ ، واليمن : معمر المتوفى عام ١٥٣ هـ . . واهم كتب الحديث الستى  
صنفت : صحيح البخارى ، صحيح مسلم . . وهو يقرن بالبخارى دائماً  
لرفعة درجتها والثوق بهما ، وسند الامام أحمد بن حنبل ، وهو طأ الامام  
مالك . . (١) ، وعلوم الحديث كثيرة ومتنوعة لأن منها ما ينظر في ناسخه ومنسوخه ،  
ومنها النظر في الأساليب ومعرفة ما يجب العمل به من الأحاديث بوقوه على  
السند الكامل الشروط ، لأن العمل انما يجب بما ينطب على الظن صدقه  
من اخبار الرسول صلى الله عليه وسلم فبجتهد في الطريق التى تحصل ذلك الظن  
وهو بمعرفة رواه الحديث بالعدالة والضبط ، وانما يثبت ذلك بالنقل من اعلام  
الدين بتعد بلهم وراحتهم من الجرح والغفلة ويجدد ابن خلدون كتب الحديث  
صذكر كاتبه ، فيذكر البخارى وسلم ثم يضيف قوله : " ثم كتب ابو داود السجستانى

(١) احمد امين ضحى الاسلام ص ١٢١ هـ

وابوعيسى الترمذى ، وابوعبد الرحمن النسائى فى السنن باوسع —  
الصحيح وقصد وا ماوافرت فيه شروط العمل . . . ( ١ ) . .

هذا ولا زالت الدراسات والابحاث فى الحديث وعلومه تتوالى . . . .

فى اطار التشريع : كان الاجتهاد فى الاحكام وكانت مدارس الفقه  
التي \* انقسمت الى قسمين : اهل الراى واهل الحديث وقد تجلست  
اكبر جلاء فى آخر العهد الاموى واول العهد العباسى ، فزاد الخلف  
بين الطائفتين وتيزتا على مرور الزمان ، واصبحت اعلام كل مدرسة —  
المدريستين جليلة واضحة مفاهره لاعلام الاخرى فى الشارة واللون ، وحمل  
اعلام مدرسة الحديث : الحجازيون وخاصة المدنين ، وهلى رأسهم  
مالك بن انس وتلاميذه ، وحمل اعلام مدرسة الراى العراقيون وخاصة  
الكوفيين وهلى رأسهم ابو حنيفة النعمان \* ( ٢ ) . . وظهرت المذاهب  
الفقهية : المذهب الحنفى ، والمذهب الشافعى ، والمذهب الحنبلى  
والمذهب المالكى . . ما اكسب الفقه الاسلامى مرونة وثراء فى الاحكام فسى  
مختلف الاحداث والوقائع المتجددة مع الابهام .

وكذلك ظهر علم اصول الفقه : الذى يعنى بالنظر فى الادلة  
الشرعية من حيث يؤخذ منها الاحكام والتكاليف . . فهو الاطار الذى  
يؤخذ منه الاحكام فيما يتجدد من القضايا ، وذلك ما يجعل الاسلام صالحا  
وساهرا لكل الازمان وليس متخلفا عنها .

---

( ١ ) انظر مقدمه ابن خلدون ص ٣٨٩ هابعد ها .

( ٢ ) ضحى الاسلام ص ١٥١ .

ثم علم الكلام : وهو علم يتضمن الحجاج عن العقائد الالهية  
بالادلة العقلية ورد المبتدعة والمنحرفين في المعتقدات عن مذاهب  
السلف وأهل السنة . . . وموضوعات هذا العلم : الرد على الدهرية  
تنزيه الله تعالى للرد على أهل الكتاب من اليهود والنصارى ، اثبات  
صفات الله ، اثبات ربه الله ، أعمال العباد ، حكم من مات على الكبيرة  
الدلالة على النبوة ، القول في الامامة ومن يصلح لها ومن لا يصلح له . . الخ

علم الجدل : وهو معرفة آداب المناظرة التي تجرى بين أهل المذاهب  
الفقهية وغيرهم فانه لما كان باب المناظرة في الرد والقبول متسعا ، وكل  
واحد من المتناظرين في الاستدلال والجواب يرسل عنانه في الاحتجاج  
منه ما يكون صوابا منه مما لا يكون كاحتجاج الاثمة الى ان يضعوا آدابا واحكاما  
يقف عندها المتناظرون حيث يققون عند حدودها في الرد والقبول وكيف  
يكون حال المستدل والمجيب \* ( ١ ) .

فهذه العلم كلها وتلك الضوابط العلمية التي نظمت عمل العقل حتى  
لا يضل ولا يشط . . . وتدوين هذه المصنفات العلمية من التفسير وعلومه  
والحديث وعلومه ، وفتح باب الاجتهاد واعمال العقل ليثمر المذاهب الفقهية  
التي من اهمها المذهب المالكي . . . والمذهب الحنفي ، والمذهب الشافعي  
والمذهب الحنبلي ، ولكل مذهب ادلته وآراؤه على احكامه وكلها لا تخلو  
من وجاهه واعمال عقل .

---

( ١ ) مقدمة ابن خلدون ص ٤٢٢ .

ها كان من مجادلات مناظرات بين علماء السنه وغيرهم من علماء  
الرأى ، وابينهم صين رؤس الفرق الاسلاميه . . وها صنف للرد على  
هذه الفرق من مؤلفات مصنفات في علم الملل والنحل والادبان ها كان  
من مناظرات ادبيه ، ها صنف فيها من علوم النحو والبلاغه وغير ذلك . .  
هذا بالاضافه الى ما ترجم من مؤلفات الفلسفة اليونانية ها كان من تعليقات  
على هذه الافكار الجديده في المجتمع الاسلامي . . هذا كله اكسب الدعوة  
ثراء فكريا لا يضاها ، منحها زاد عقليا لا يضارع . . وأكسبها مرونة  
وحيوية وتجدد دائما على مر الايام يمكن الدعاه من احسان الدعوة والجدال  
بالحسن ويصقل العقل في منهج فكره واستنباطه ، ويفتح أبواب الاجتهاد  
لايجاد الحلول للقضايا الطارئة اذا لم يكن هناك حكم في قضايا تناظرها  
في الماضي . . وهذا كله يجرى محاطا بسياج حافظ من الاصول الثابتة  
الضابطة للعقل في تفكيره من الوحي السليم ، والارشاد الحكيم .

\*\*\*\*\*

\*\*\*\*\*

\*\*



### ” الببحث الخامس ”

( النهي عن الجد ل المعقّم سدا لايّواب الخلاف والفتن )

اتضح في الفصل السابق أن الجد ل وسيلة هامة من وسائل نشر الدعوة الى الله ، ولكنه جد ل مقيد بأن يكون بالتى أحسن ، هادفا الى الوصول الى الحق وابطاحه ، وليس لمجرد الزام الخصم وافحامه كما انه أيضا لدفع العائل المعاند المكابر في أمر الدعوة ، غير مفتعل ولا مختلق بقصد البهاة والظهور . . . والا كان جد لا عقما غير منمـر ولا موم الى حقيقة لا يباحها . . .

وهذا النوع المعقّم من الجد ل إثمه أكبر من نفعه ، والخسارة أقرب من الكسب بل لا اكون مبالغا اذا قلت انه لا كسب فيه ولا منفعه . . .

وهذا النوع من الجد ل ثمرة من ثمار الفلسفة اليونانية التى تعرض ل مناقشات وجدليات لا طائل من ورائها ولا ثمرة من خلافاتها ، فأن العقلية اليونانية شتان ما بينها وبين العقلية القرآنية العربية ، بقول الحاسبى : ” ان هذا العقل – بقصد العقل القرآنى – بما أنه غريزه طبع الانسان العاقل عليها ، لمعرف فيؤمن ، وؤمن فبعمل ، فان العقل القرآنى لم يعد عقلا يونانيا أعنى عقلا مجردا ، أو جوهر قائما بذاته وإنما اصبح ظاهرة الهية فى الانسان جعلها الله تعالى فيه لمعقل بها حدود الله التى رسمها له ضميره اليها ، وذلك يصبغ العقل القرآنى فى الانسان عقلا واعيا لطاعة الله ، فباتم عن طواعية واختيارهما بأمر الله به ، وينتهس عما نهى عنه لا عقلا منفصلا عن خالقه ، مجردا عن دواعى الحياة التى خلقها الله . . . ” (١) ولعله يقصد بـ ” العقل القرآنى ” أى السدى

(١) مائة العقل ص ١٢٠ .

تربس في اطار التوجهات القرآنية السامة التي اطلقت له عنان الفكر والتأمل ، والبحث والنظر ، والاستنباط والاجتهاد في ضوء توجهاته والاطار الذي رسم له هاديا اباه وحافظا له من الزيغ والضلال ، انسه ذلك العقل الذي سار مع الوحي في تناغم وتناسق وتوافق . . عقل الداعية وعقل المدعو المستجيب الذي لم يتأثر بهوى أو عاطفة ، يضل عن سبيل الحق . .

ولان ذلك الجد ل المعيم لا يرمى الى حق ، ولا يشره ابسة وهو اضاءة للجهد العقلي والجسماني ، يرمي الى الخلاف والفرقة والتشاحن . .

فان الا سلام قد ذمه ونهى عنه : من ذلك مارواه الدارمي عن مسلم ابن يسار انه كان يقول : " اياكم والمرء فانها ساعة جهل العالم صها بيتنى الشيطان زلته " ( ١ ) . . هاذلك الا لتجاوز الحق غالبا وتركه الى الباطل لان الهدف ليس الوصول الى الحق وانما لزام الخصم وافحامه فقط .

من ذلك أيضا : ماروى عن السيدة عائشة رضى الله عنها قالت : تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية : " هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب واخر متشابهات فأما الذين نفسى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله ما يعلم تأويله الا الله ، والراسخون فى العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا هاذكر الا اولوا الالباب " ( ٢ ) . . فقال باعائشة : " اذا رأيتم الذين يجادلون

( ١ ) رواه الدارمي عن حماد بن زيد - باب اجتناب اهل الاهواء والبدع

ج ١ ص ١٠٥

( ٢ ) سورة آل عمران ٧ .

فيه ، فهم الذين عناهم الله ، فاحذروهم " ( ١ ) فالرسول ينهه نفسى هذا الى أن الجد ل موسى الى الفتن والضلال . . .

ولذا فان الله تعالى بغضب على القوم فبسلط عليهم الجد ل ، من ذلك مارواه ابن ماجة أيضا : قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه الا اوتوا الجد ل " ثم تلا هذه الآية : " وقالوا آلآهتنا خير أم هو ؟ ما ضربوه لك الا جدلا بل هم قوم خصمون " ( ٢ ) ( ٣ ) ويروى مسلم بسند ، عن النبى صلى الله عليه وسلم : " ان ابغض الرجال عند الله الالد الخِصم . . . " اى شديد الخصومة والجد ل . . . كما بسد النبى صلى الله عليه وسلم باب الشيطان الذى يفتح الجد ل والمخاصمة فيقول : " أقرأوا القرآن ما انتلفت عليه قلوبكم ، فاذا اختلفتم فقهوا " ( ٤ ) . . . لأن التماضى فى الجد ل والخلاف يفتح باب الفرقة والاختلاف ، كما يسهل طريق الشيطان للإضلال والاغواء .

ويذكر ابن قدامه مضار الجدال وآفاته وآثاره السيئة ، فيقول : " واعلم أن المناظرة الموضوعة لقصد المبالغة والمباهاة منهج الاخلاق المذمومة ولا يهلم صاحبها من كبير ، لاحتقار المقصرين عنه ، وهجب بنفسه لارتفاعه عن كثير من نظرائه ، ولا يهلم من الرياء لأنه مقصود المناظر اليوم علم الناس بغلبته واطلاق السننهم بشكره وبدحه ، فهو يهذب غيره فى العلم التى تعين

- 
- ( ١ ) رواه ابن ماجة - المقدمة - باب اجتناب البدع والجد ل ج ١ ص ١٩ .  
 ( ٢ ) سورة الزخرف ٥٨ .  
 ( ٣ ) رواه ابن ماجة عن ابى امامة - باب اجتناب البدع والجد ل ج ١ ص ١٩ .  
 ( ٤ ) هذا الحديث والذى قبله رواهما الامام مسلم - كتاب العلم - باب اتباع المتشابه من القرآن ج ٥ ص ٥٢٤ .

على المناظرة مما لا ينفج في الآخرة كحسن اللفظ وحفظ النوادر " (١) .

وأخيراً فإن الجد ل قد يخرج الانسان من عقيدته من حظيرة الأيمان اذا تمادى فيه ، من ذلك ما رواه البخاري بسنده عن انس بن مالك يقول : " قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لن يرح الناس بتساءلون حتى يقولوا : هذا الله خالق كل شيء " فمن خلق الله ؟ " (٢) .

فالجدل وصل بالانسان الى هذه النقطة من السؤال الخطأ : من خلق الله ؟ والطبع ان لم يكف عن هذا اللون من الفكر الجدلى المقيم فانه ينتظر الاجابة . . . وعندئذ تكون من الشيطان . . . وليس من العقل ولا من الشرع ، وجب عليه أن يكف " وليستعذ بالله ولينته " . . . وهى أسوأ الفروض فإنه بالجدل مع أصحاب الأهواء المعطلين . وما تشكك ودخل قلبه الرب وهذا أيضاً أمر له خطرة ، لذلك حذر الرسول صلى الله عليه وسلم من مجرد مجالسة أهل الأهواء والجدل ، فقد روى الدارمي عن ابي قلابه قال : " لاتجالسوا أهل الأهواء ولا تجادلوهم فانى لا آمن ان يمسوكم فى ضلالتهم ، أو يلبسوا عليكم ما كنتم تعرفون " (٣) . . . فالجدل عمهـا ذمه الشرع لما فيه من الشر والضلال . . . وله مضار نفسه وخلقيه :

مثل الكبر ، والعجب ، والرياء . . . كذلك ايضاً يفتح باب : الحقد ، والحسد فان المجادل اذا تغلب وانتصر تكبر وأعجب وراعى ، واذا انهزم حقد وحسد و غضب .

من المضار الاجتماعية : أنه يوصل الى الفرقة والاختلاف وتفرق الجماعة

وشبوح المداوة والبغضاء فى المجتمع .

- 
- (١) مختصر منهاج القاصدين ص ١٧ .  
 (٢) رواه البخاري باب ما يكره من كثرة السؤال - كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ج ٩ ص ١١٩ ط الشعب .  
 (٣) رواه الدارمي - باب اجتناب أهل الأهواء والبدع والخصمه ج ١ ص ١٠٨ .

من المضار العقائدية : أنه قد يُخرج الانسان عن عقيدته ودايرة  
المؤمنين بإيراد الجدليات في أمور الالهيات وسائر العقيدة ، وهو  
يورث الشك في قلوب المتناظرين أو المستمعين معا ، كما أنه يفتح باب  
العمل للشيطان للايقاع بالمجادلين واخراجهم عن الحق والهدى واشغال  
جذوة الحقد والغضب ليسعى كل منهما الى مجرد التغلب على صاحبه  
كما أنه دلهل على غضب الله على الناس .. وهو يجر الشر على المجادل حتى  
ولو كسب الجولة .

وأخيرا فان الجدال يعتبر اهدارا للوقت والجهد ، وتبديدا  
للطاقة العقلية التي منحها الله للانسان للوصول الى الحق والتمييز  
بين الخطأ والصواب .. وتعطيلا لها عن المضى في طريق الدعوة ، والاصلاح  
والاجتهاد واستنهاط الأحكام .. وكثير من الدعاة عطلت دعواتهم  
عندما أثار أعداء الاسلام عن قصد قضايا جدلية انشغل الدعاة بالرد عليها  
والتصدى لها - وهي قضايا فرعية أثرت حولها الخلافات المفتعلة لاستنفاد  
طاقة الدعاة فيها طينشغلوا بها عن اساسيات الدعوة والنهوض بالأمم  
في اطار الاهتداء بالوحي المرشد للعقل المسلم .

من هنا نقول ان الاسلام عندما نهى عن هذا النوع من الجدال  
وحذر من متابعة المجادلين بالباطل والاستجابة لهم حتى يقطع عليهم  
الطريق .. ويتفرغ الدعاة للدعوة وقضاياها الحيوية ، وبناء المجتمع على  
اساس من الدين والهدى والحق وكما يتعرض الدعاة لذلك الجدال من الأعداء  
بوجه عام وعلى مستوى المجتمع كله والقضايا في الدولة ، فانهم قد يتعرضون  
على المستوى الضيق المحدود ، فقد يعترض أحد المجادلين عن أحد

الدعاة في مجتمع محدد كالمسجد أو النادي .. أو ما شابه ذلك .

وذلك عن طريق إثارة قضية فرعية في الموضوع ، ويجادل فيها مستفذا  
الطاقة العقلية والجسدية بارهاقه بالمحاورات المصطنعة والمجادلات العقيمة  
مناقشة المسلمات والهديهيات .. في نهاية الأمر يكون الجهد قد استفذ  
والطاقة قد اهدرت في غير ما فائده ولا ثمرة .. ومن هنا كان النهي عن  
الجدل العقيم .. احتراماً للعقل المسلم ، وصحاً لطاقته من الضياع  
فيما لا يجدى - ليمارس نشاطه في التبليغ والجدل بالتى احسن كما امره  
الله تعالى لتعلويه كلمة الاسلام وراية التوحيد .

\*\*\*\*\*

\*\*\*\*\*

\*\*\*\*\*

\*\*

### تعقيب على الفصل :

اتضح لنا من خلال هذا الفصل عدة أمور :

- أ - التوافق الشديد بين العقل والوحي ، وهما متلازمان ، فالعقل يفكر ويجتهد ويتأمل ويستنبط في اطار الوحي والشرع . . . والعقل لا يتقدم على الشرع ولا يحكم عليه بل يسيران معا في التفكير والتأمل الى ان يعجز العقل فيقوده الشرع الى الحقيقة التي قد لا يستطيع أن يدركها ، وهذا امر طبيعي . . .
- ب - اذا خالف العقل الشرع أو قدم عليه ، فانه حتما يضل ، وقد تعددت الفرق التي نسبت الى الاللام تبعا لاهوائها حتى أسرفت في استعمال العقل منفصلا عن الوحي فكانت النتيجة كثرة الاخطاء في الحكم والمعتقدات . . . والتعدد الشديد واخبر الرسول صلى الله عليه وسلم عنهم " بانهم كلهم في النار الا واحده " هي تلك الفرقة التي اهتدى عقلها بالشرع فلا يتقدم عليه ، أهل السنة والجماعة .  
كما انتشرت البدع وامت الفوضى حيث تحكم العقل في الشرع فحدث انفصام بين ما انزل الله وبين ما عليه الناس .
- ج - وتعدد هذه الخلافات في مجالات العقيدة والتشريع ، فان أهل السنة قد هبوا وأعملوا عقولهم ليردوا على العابثين بالدين واحكامه وجادلوا المنحرفين . . . فعقدت المناظرات العلمية ، وصنفت المؤلفات في شتى فروع الدين في الحديث والتفسير والفقه وعلم الكلام . . . للسرد على هؤلاء ، مما يروج من أفكار في الكتب المترجمة عن اليونانية وقد اكسبت هذه الثورة العقلية ، والاحتكام الفكري المستنير بالقرآن والسنة الى اثراء الدعوة اثراء فكريا خلافا ، زيد الدعاء بزيد فكري

هائل يستخدمونه في دعوتهم الى الله تعالى .

د - في نفس هذا الاطار من رعاية الاسلام للمقل وصيانته ، نهساء  
عن نوع من الجد ل ، انه الجد ل العقيم غير المثمر ، المؤدى الى  
الفرقة والاختلاف وذلك صفا لطاقته واحبائه الله به من نور الوحى  
والهدى . . . . . ليستطيع أن يؤدى مهمته فى خدمة الدعوة ونشر  
الدين والهدى ، والبحث فيما يعود على المسلمين فى دينهم وديانهم .

وعلى اساس هذا نخلص الى :-

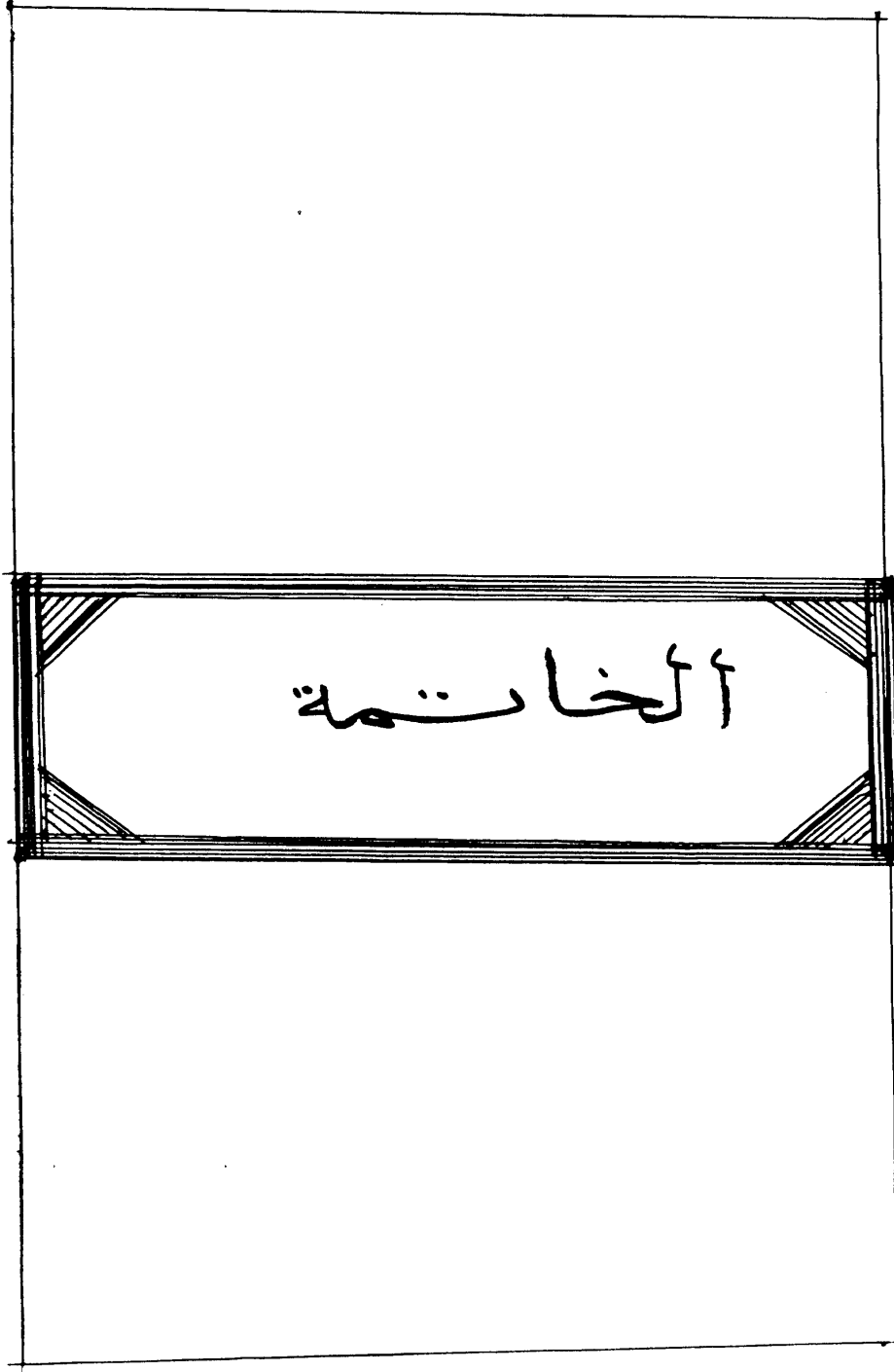
أن العقل البشرى لبؤدى مهمته التى خلق من اجلها فى تبليغ الدعوة  
ونشرها ، او تلقيها وفهمها ، لابد ان يكون ذلك فى اطار الوحى والتشريع  
الالهى . . . . . حتى لا يضل ، وليستنير بنور القرآن والسنة . . . . .

\*\*\*\*\*

\*\*\*\*\*

\*\*\*





بعد عرض هذا البحث نصل الى الامور والحقائق التالية —  
اتضح لنا ارتباط العقل بشخصية الداعية كما أنه مرتبط كذلك بوسائل  
الدعوة جميعها على النحو التالي :

أ - ان معنى العقل متفق عليه بين جميع الباحثين والعلماء فهوة القوة  
المدركة العالمية المميزة في الانسان الفارقة بينه وبين البهائم  
والتي يخاطبها الشرع بأحكامه . . . وقد تبين ذلك من عرض أسئلة  
العلماء وفاهيمهم حول العقل وتحدد بد معناه فلم يختلف هذا  
المفهوم عند علماء اللغة معه عند الصوفية والفلاسفة او المتكلمين  
أو غيرهم من العلماء ، كما اتضح كذلك انه من وظائف القلب ، تلك  
الحقيقة وهي وجود العقل كقوة في الانسان عندما يتحدث عنه نفسى  
هذا البحث ليس من زاوية فلسفية او كلامية . . . او استعراض مناقشات  
حول حقيقته أو كنهه . . . أو غير ذلك من الأبحاث السابقة في العقل  
او التي تدور حوله ، وإنما كان الحديث عنه خلال البحث بعامته على  
أساس أنه موجود فعلا وأن خصائصه ثابتة . . . ولذا فقد كان البحث  
بعد مرحلة التسليم بثبوته ، فكان الحديث عنه كقوة موجودة سلمنا  
بوجودها لها مظاهر ميزها الله بها كـ كيفية استخدام هذه  
القوة الماقله في الدعوة الى الله تعالى كـ هدى امكانية استخدام  
الدعاة لها .

ب - كما اتضح كذلك أن " العقل " هو الرسول بين الداعى والدعوة  
واذا كان من عوامل نجاح الدعوة ان يكون الداعى مألوفاً لدى المدعويين  
عالمياً بأحوالهم عارفاً بعماداتهم ليستطيع معالجتها بأسلوب واقعى  
وفق تعاليم الاسلام ، ولعل هذا هو سر اختيار الله الرسل من بين اقوامهم

فإن العقل إذا استطاع الداعية استخدامه بهذا\* فطنة سهوارة  
 كان رسولا يحمل فكر الداعى ببساطه الى المدعوين ، وإذا وصلت  
 الفكرة اليهم وفهموها ، فإنهم بألقون المعرفة والاستماع الى الدعوة والاستجابة  
 لها ، لأن عقولهم وافقت قلوبهم ولبت نداء\* فطرهم .  
 ج - وهذا ليس افتراضا ولا خيالا ، وإنما هو واقع سلكه الدعاة : رسل  
 الله صلوات الله عليهم جميعا مع اقوامهم وخاطبوا عقول مدعويهم في اغلب  
 مواقف الدعوة على نحو ما انجلي خلال البحث من النماذج التي تسمى  
 عرضها وتحليلها ، كموسى عليه السلام مع فرعون وابراهيم عليه السلام  
 مع النمرود وعبدة الكواكب وعبدة الاصنام ومدى التزامهم العقل والموازين  
 الفعلية القرآنية في حوارهم . . .

د - ولما للعقل من مزايا في الفهم والادراك وتقرير مواقف القبول أو الرفض  
 للدعوة فإن الاسلام قد وضعه في مكانة خاصة من التكريم حيث جعله مصدرا  
 للتشريع ومعرفة الحقائق الایمانية وأسس العقيدة وهذا يبين لنا مدى  
 ثقة الاسلام بالعقل ، ولتستمر هذه الثقة فقد وضع له من التشريعات  
 ما يصونه ويحفظه لتكون له صلاحيات ، الهداية الى الحق والصواب دائما . . .  
 هـ - وقد ارتبط العقل ايضا بكل وسائل الدعوة التي اندرجت تحت قول  
 الله تعالى : " ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم  
 بالتي هي أحسن " لأن الحكمة تعنى استخدام العقل في دعوة الأذكياء  
 القطناء غير المجادلين الذين يطلبون الدليل على ما يسمعون وما يدعون  
 اليه من الحق ، وأما الموعظة الحسنة فربما يظن البعض أنها مجرد اشارة  
 الانفعال أو خطاب للمحافظة . . . والهداف منها تليين القلوب واستحالة  
 النفوس فقط . . . ولكن هذا غير مسلم به كله ، لأن العقل لايد من عمل لله

حتى تتحقق الموعظة لا بد من ادراك موطن المعظه والمعبره واذا اعتبرنا ان " الموعوظ " شعر بالخوف والرهبه ، أو شعر بالشوق والرغبه فانسه لا بد من أن يفهم حاله بحال موضوع الموعظه قهاسا عقلها ربما لا يحسه ولكنه جهد عقلى طبيعى فطرى . . . وهكذا فى كل انفعال لا بد من الادراك العقلى لموضوع الانفعال ، ويتضح هذا المقال بتوضيحه بمثال :

- ١ - فى سورة القمر تحدث الله تعالى عن أم سابقه ربط بينها خط واحد فى السلوك هو عدم قبولهم الدعوة من رسلهم فحاق بهم الهلاك والدمار من الخسف والاغراق ، وارسال الصاعقه فحدث عن قوم نوح ما حاق بهم من الاغراق ، وقوم هود ، وصالح ، وقوم لوط ، وضرعون مع موسى فى الآيات من التاسع الى الثانيه والاربعين ثم قال : " اكفاركم خير من أولئكم أم لكم براة فى الزبر " فهذه عملية فكرية فيها قياس لتتحقق الموعظه هم عصوا وكفروا فاهلكوا ، وانتم عصيتم وكفرتم ، فقيها مصيركم على مصيرهم . . . لأن مقدمات الاهلاك موجوده . . . فيكون ذلك أدعى الى الرهبه والاضماظ .
- ٢ - اذا قلت لرجل ان ظلمت على معصية الله ، فان فلانا كان عاصيا مثلك وقد ابتلاه الله بامراض فى جسمه وتلف فى ماله فاتق الله ولا تعصه فان الرجل الذى يوعظ يقارن بينه وبين ذلك المصاب والمبتلى فيشعر بالانقباض ، ويدرك مدى الخطورة والمكروه المترتب على المعصية فلا بد لتحقيق هدف الموعظة من عمل للعقل عبارة . . . عن مقارنه ثم استقراءه للاحوال ثم قياس على تلك الاحوال . . . واذا غفل المدعون عن ذلك فان دور الداعى يتأكد فى ابراز تلك اللسان المعقلية ، ليرسخ المعنى وهدف الموعظه فى القلوب ولا تكون مجرد انفعال مؤقت ، فالمعقل عطاء أمان للموعظة . . .

ولا يخفى ما في عملية المجادلة بالحسنى من جهد عقلي فهى خطاب مجرد متوجه الى المدعو الذى لا يسلم بالقول بل يرد ويعاند فـجـاد لـينـقدح زنا وفكر الداعية ويوضح دعوته بواسطة العقل لتصادف قلوباً لدى المدعو .

فالوسائل إذن مرتبطة بالعقل جميعاً ، كما أن العقل يحدد نوع الوسيلة ومنهج العقل المناسب لكل جماعة فكرية ونفسية من المدعوين مراعاة مدى القدرة على الإدراك العقلي هدى حريته ، أو تأثيره بالعواطف والأهواء الشخصية . . . وهذه المهمة من كبريات مهام عقل الداعية . . . ليتحقق قول الرسول صلى الله عليه وسلم : " خاطبوا الناس على قدر عقولهم " وفى روايه يقول " خاطبوا الناس بما يفهمون أتريدون ان يكذب الله ورسوله " .

وعلى هذا يتأكد على الدعاة مراعاة الجانب العقلي فى شخصيته المدعو ، كما لا يهمل الجانب العقلي فى أية دعوة أو أية مناسبة فان أمره صلى الله عليه وسلم لنا بأن نخاطب الناس بما يفهمون فان هذا عمل عقلى نتيجة تصدىق الله ورسوله وأدراك الدعوة وحقيقتها . . . والا فالتكذيب بسدل التصديق . . .

و - والعقل مع الشرع يكفلان للمجتمع الوحدة والتماسك والرقى ، والا فالفرقة والاختلاف ثمره من تخالف العقل مع الشرع بتوهم ذلك .

ز - واذن فقد اتضح ايضا ما سبق مدى " عقلانية " الدعوة الى الله كوسائل تبليغ ، وكتشريع ومنهج حياة ودين ، كما ظهر هدف الدراسة وانجلي من ابراز المنهج العقلي فى الدعوة الى الله ، لمسير الدعاة فيها على بينه وصيرة . . . فانه يجب على الدعاة الا يعتمدوا فى دعوتهم على مجرد الموعظة فقط ، وان كان لها دور فعال فى الترغيب

والترهيب ، وانما يجب عليهم مع اى وسيله ان يبرزوا الجانب العقلسى ببساطة شديدة ، يفهمهما المدعوون بمختلف نوياتهم هيأتهم . . . وخاصة وان العقل رسول وصل بين الداعى العاقل والمدعوى العقله ، وخاصة اذا كان بلقاهم لأول مرة وليس لديهم اى انطباع نفسى عنه . . .

ولا تُغفل أيضا ذكر أن العقل كما ان له دورا بارزا في الدعوة كقـسـ تبليغ ، فانه دورة بتجلى في الدعوة كدهن في مجال الاجتهاد والاستنباط والقياس مجال الفقه والتشريع على نحو ما وضع . . .

صما ان للعقل هذه المكانة في عملية الدعوة الى الله وتبليغ دينه وهذا هو المقصود بالدراسة . . . فانه يكون للداعى والمدعو والسدى بعيننا هو عقل الداعية ، لان المدعو اذا فقد عقله فان التكليف مرفوع عنه وغير مخاطب بالاحكام الشرعية . . . .

وعقل الداعية لا بد ان يكون عقلا فطنا فقيها لبقا - ولا عجب فرسل اللعجميما اصغفوا " بالفطانه " والذكاء . . . ولا بد ان يكون الدعاة علسى شاكلتهم أو على الاقل أقرب اليهم عقليا . . .

وعلى هذا فيجب مراعاة عدة أمور تتعلق باعداد الدعاة ليكونوا مؤهلين لحمل الدعوة والتبليغ عن الله تعالى . . .

١ - أولا بالنسبة لاعداد الداعى الى الله صواصفاته :

أ - لا ان تكون دراسة طالب الدعوة على اساس رغبته ، لان حسب الدراسة والميل اليها يحقق اقبال الطالب عليها وتفاؤله في حملها كأمانه لتبليغها الى الناس .

ب - أن تتحقق فيه الفطنة والذكاء ، وأن تكون لديه قدرات عقلية خاصة يتميز بها على مدعوة الذين هم مجال عمله في الدعوة .

وللوصول الى ذلك لابد من مراعاة عدة أمور :-

١ - لابد من قياس ذكاء <sup>الكبرى</sup> المولدين ، وقدراته العقلية عند التحاقه بدراسة الدعوة .

٢ - قياس شدة انفعالاته او ضعفها هدى حفظه لتوازن نفسه ، هدى حساسيته او بلاذته . . . هدى تأثير ذلك على تفكيره وحكمه على المواقف المختلفة . . . فان كثيرا من الدعاة عندما يتعرضون لمواقف اثاره يستجيبون لها ، ويجرهم ذلك الى الخطأ ناسين دعوتهم بها جاءوا من أجله .

٣ - مراعاة السلامة الجسدية ، حتى يتمكن من نشر الدعوة ، وحتى لا يتأثر عقله بعامل جسمه فان العقل السليم في الجسم السليم ، وحتى يستطيع الحركة الدائبة بلا معوقات .

ج - ان يكون الداعي ذا شخصيه موثوره سليمة من الميول النفسية كأن يكون منطويا على نفسه ، أو رعبا خوفا . . . اى يكون متكامل الشخصيه .

د - فتح باب دراسة الدعوة امام الذين أنهاوا دراساتهم العلمية وتزودهم بمعلم الدين ومباحثه ، ووسائل تبليغ الدعوة والتركيز على امكانيات ثقافتهم في الدعوة ، كمن تخصص في الطب مثلا فانه اقدر الى استخدام وسيلة التأمل في النفس والخلق من غيره ، ومن تخصص في الزراعة فانه يكون اقدر على نشر دعوته فسي

البيئات الزراعية .. وهكذا .. وضع المناهج الملائمة  
لكل نوعية .

٢ - والنسبة للاعداد العلمى للداعى دراسيا يجب ان يراعى الآتى :

أ - دراسة علم الدين ، ليكون الداعى عارفا بما يدعو اليه فان  
فائد الشئ لا يعطيه لغيره وليكون على بصيره من دعواته  
ب - دراسة المواد الانسانية كعلم دعوة ، وذلك مثل علم  
النفس ، وعلم الاجتماع ، وعلم النفس الاجتماعى .. ثم علم  
نفس الدعوة وابعازيه في صورة جليله مع تحديد موضوعه .. وذلك  
في اطار اسلامى تطبيقى .

ج - تدريس العلوم العقلية : كعلم المنطق ، وعلم الكلام  
وان يتم ذلك حسب المنهج القرآنى ، وليس المنهج الارسطى  
أو اليونانى .. حتى لا يظل مجرد نظريات تناقش ولكن ليسبرز  
الى المنهج العلمى في الدعوة الى الله ، ولتحقق منهج  
الرسول في الجدول والدعوة بالعقل كما رسمه القرآن الكريم  
حيث يتسم بالوضوح .

د - كما يجب أن يلم الداعى في دراسته بالمذاهب المعاصرة والتيارات  
الحدیثه .. والتعرف على مواطن الضعف فيها ، والتعرف  
على الردود عليها .. حتى لا يتوقف في دعوته امام شئ عاك أو  
فكره أو نوعية من الناس ..

وتأسسها على كل ما سبق يمكننا ان نقول :-

ان الاسلام كدين ، ودعوة يعتمد على العقل في كل حقائقه ودقائقه ، وان  
للمعقل دورا هاما في مرونة الدعوة وسابقتها لكل العصور وتلبية حاجات  
المجتمع من أحكام القضايا الطارئة المتجددة والتي لانع فيها ، كما أنه له



الذوق البارز الواضح في عملية الدعوة الى الله حيث أنه يتوجه بالخطاب الى عقول المدعوين ملها فطرهم ، وهذا الخطاب الموجه الى العقل يعتمد على فطنة الداعية الذي يختار من المنهج العقلي الملائم لعقول المدعوين وادراكاتهم . . . ولما للعقل من هذه الاهمية فسان الاسلام وقف منه موقف الناصح الموجه والراعي والحافظ له من كل ما يعطله وكان لتلك الرعاية والمناخ به آثارها البارزة في رسم منهج عقلى في الدعوة الى الله وارتكازها التام على العقل وسلماته وقدماته ، حيث يبرز المنهج العقلي لرسول الله صلوات الله عليهم في دعوتهم الى الله تعالى ، ويتأكد كذلك دور الدعاة في اتباع ذلك المنهج في الدعوة الى الله ليتحقق الهدى والنور . . . ومع الصلاح البشرية كلها ، وحقق الله الحق بكلماته ولو كره المجرمون .

وصلى الله على سيدنا محمد النبي الامى وعلى آله وصحبه وسلم

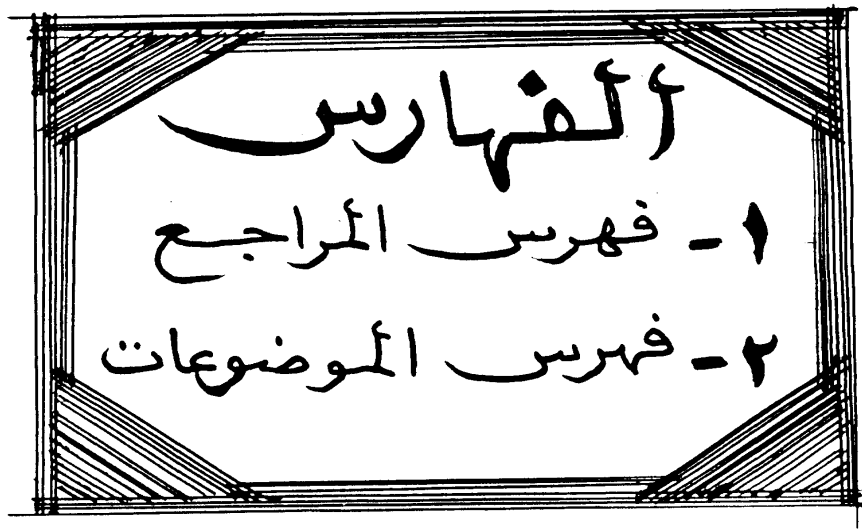
” وآخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين ”

XX

XXXXXXXXXXXXXXXXXXXX

XXXXXXXXXX

XX



( ١ - المراجــــــــع )

القرآن الكريم ( ١ )

- ١ - آلهة في الاسواق - الدكتور / رؤف شلبي - دار السلامة للطباعة والنشر ط الثالثة ١٩٨٤ .
- ٢ - احياء علم الدين - الامام ابو حامد الغزالي - ط الشعب طبعة ثانية .
- ٣ - ادب الدنيا والدين - ابو الحسن البصري - ط دار اولى الالباب طبعة اولى ١٩٨١ .
- ٤ - اسلوب المحاورة في القرآن الكريم - د / عبد الحلیم حفتی - ط الهيئة المصرية العامة للكتاب طبعة ثانية ١٩٨٥ .
- ٥ - اصول الدعوة - الدكتور / احمد غلوش - ط مطبعة دار البيان ١٩٧٩ .
- ٦ - اصول الفقه - الامام محمد ابو زهره - ط دار الفكر - دون سنة طبع .
- ٧ - اصول التشريع الاسلامي - الاستاذ / على حسب الله - دار المعارف بصر طبعة خامسة ١٩٧٦ .
- ٨ - اعلام الموقعين عن رب العالمين - ابن القيم ط الكليات الازهرية - بدون سنة طبع - تعلیق ط عبد الرؤف .
- ٩ - اصول التربية و علم النفس - محمد رفعت رمضان ، محمد سليمان شعلان خطاب عطية على - ط دار الفكر العربی - ط ثالثة ١٩٤٩ .
- ١٠ - اعجاز القرآن - ابوبكر الباقلائي - المطبعة السلفية ١٣٤٩ هـ .
- ١١ - الله - كتاب في نشأة العقيدة الالهيه - عباس محمود العقار - ط دار المعارف طبعة سادسة ١٩٦٩ .
- ١٢ - انوار التنزيل واسرار التأويل - ناصر الدين ابو الخير البيضاوي - ط مصطفى الحلبي ط ثانية بدون سنة طبع .
- ١٣ - ايقاظ الهمم في شرح الحكم - ابن عجيبة الحسيني - مطبعة السعادة ١٩٨١ .

( المجلس ————— )

- ١٤ - الايداع في مضار الابتداع - الشيخ علي محفوظ - ط دار الاعتصام  
ط سابعه ١٩٧٨ .
- ١٥ - الاتقان في علوم القرآن - جلال الدين السيوطي - المطبعة السلفية  
بيروت .
- ١٦ - الاجتهاد ومقتضيات العصر . محمد هشام الايوشي - ط دار الفكر  
الاردن بدون سنة طبع .
- ١٧ - الاجتهاد في الشريعة الاسلامية - د / محمد سعاد جلال - كتاب  
غير دوري يصدر عن دار ثابت للنشر والتوزيع - الكتاب الخامس رجب  
١٤٠٢ - مايو ١٩٨٢ .
- ١٨ - الاحكام في اصول الاحكام - الامدي - ط دار المعارف بمصر ١٩١٤ .
- ١٩ - الادب النبوي - محمد عبد العزيز الخولي - المكتبة التجارية الكبرى  
بدون سنة طبع .
- ٢٠ - الادراك الحسي عند ابن سينا - د / محمد عثمان نجاشي - ط دار  
الشروق طبعة ثالثة ١٩٨٠ .
- ٢١ - الاسترخاء النفسي والعصبي - دافيد هارولد فتك - ترجمة يوسف  
ميخائيل اسعد - دار نهضة مصر للطبع والنشر ١٩٧٧ .
- ٢٢ - الاسلام في عصر العلم - الاستاذ محمد احمد الغمراوي - دار الكتب  
الحدبثة ١٩٧٨ .
- ٢٣ - الاسلام يتحدى - وحيد الدين خان - ط المختار الاسلامي - ترجمة  
ظفر الدين خان - الطبعة الرابعة ١٩٧٣ .
- ٢٤ - الاسلام - سعيد حوى - مكتبه وهبه - ١٩٧٧ .

- ٢٥- الاعتصام - الامام الشاطبي - المكتبة التجارية الكبرى - بسد ون  
سنة طبع •
- ٢٦- الاعجاز الفكري في القرآن - د / سيد الجميلي - ط مكتبة الثقافة  
الدينية ١٩٨١ •
- ٢٧- الاقتصاد في الاعتقاد - الامام الغزالي - دار الكتب العلمية - بيروت  
لبنان ط اولى سنة ١٩٨٣ •
- ٢٨- الامثال من الكتاب والسنة - الحكيم الترمذي - تحقيق د / سيد  
الجميلي ط دار ابن زيد ون بيروت لبنان •
- ٢٩- الانسان بين المادية والاسلام - محمد قطب - ط دار الشروق طبعه  
سادسه ١٩٨٠ •

( ب )

- ٣٠- بداية المجتهد ونهاية المقتصد - ابن رشد - دار الكتب الحديثية  
بد ون سنة طبع •

( المحلي بـال )

- ٣١- الباعث على انكار البدع والحوادث - ط محمود صبيح - ابو شامسه  
الشافعي بد ون سنة طبع •
- ٣٢- البدع - تحددها وموقف الاسلام منها - د / عزت علي عطية  
دار الكتب الحديثية ١٩٧٣ •

( ت )

- ٣٣- تاريخ الفلسفة اليونانية - د / يوسف كرم - ط دار القلم - بيروت لبنان  
بد ون سنة طبع •
- ٣٤- تاريخ العالم الاسلامي - د / محمود محمد زيادة - دار الطباعة  
المحدثة ١٩٦٩ •

- ٣٥ - تجديد الفكر الاسلامى - د / محمد عمارة - سلسلة كتاب الهلال  
عدد ٣٦٠ .
- ٣٦ - تجديد الفكر العربى - د / زكى نجيب محمود - دار الشروق - ط  
سابعه ١٩٨٢ .
- ٣٧ - تحفة الارب في الرد على اهل الصليب - عبد الرحمن الاندلسى  
تحقيق د / محمود حماة ط اولى ١٩٨٣ .
- ٣٨ - تراث الاسلام - شاخت - ترجمة د / حسين مؤنس .
- ٣٩ - ترتيب القاموس المحيط على طريقة الصباح المنير واساس البلاغ  
احمد طاهر الزادى ط مصطفى الحلبي ط ثالثة بد و ن سنة طبع .
- ٤٠ - تفسير القرآن العظيم - ابن كثير - ط عيسى الحلبي - بد و ن سنة  
طبع .
- ٤١ - تفسير المنار - سيد رضا - ط الهيئة العامة للكتاب ١٩٧٢ .
- ٤٢ - تفسير النمنى - عبد الله بن احمد بن محمود النمنى - ط عيسى  
الحلبي بد و ن سنة طبع .
- ٤٣ - تفسير ابى السعود - هامش التفسير الكبير للرازى - ط دار الفكر  
بيروت بد و ن سنة طبع .
- ٤٤ - تنوير المقاييس من تفسير ابن عباس - دار الكتب العلميه - بيروت  
لبنان - بد و ن سنة طبع
- ٤٥ - تهذيب الاخلاق وتطهير الاعراف - ابن مسكويه - دار مكتبة الحياه  
بيروت لبنان ط ٢ .
- ٤٦ - تهافت الفلاسفه - الامام الغزالى - ط دار المعارف - تحقيق  
د / سليمان دنيا ط سادسه ١٩٨٠ .

٤٧ - توضيح البهجوى على الجوهرة - العلامة البهجوى - المطابع  
الاميرية ١٩٦٩ .

( المجلس بـال )

٤٨ - التصوف الاسلامى - اصوله صحاذايره - عبد العزيز سيد الاهل  
سلسلة دارالملت فى الاسلام - العدد ٢٢٩ مارس ١٩٨٠ .

٤٩ - التصوف والحياة المصرية - عبد الحفيظ على - سلسلة البحوث  
الاسلامية .

٥٠ - التفسير الواضح د / محمد محمود حجازى - ط دار التراث ١٩٧٨ .

٥١ - التفسير العلمى للآيات الكونية - حنفى احمد - ط دار المعارف  
١٩٨٠ .

٥٢ - التفسير الكبير - الفخر الرازى - ط دار الفكر بيروت بدون سنة  
طبع .

٥٣ - التفكير فريضه اسلاميه - عباس محمود العقاد - ط اولى - دار القلم  
القاهرة

٥٤ - التفكير الفلسفى فى الاسلام - د / عبد الحليم محمود - الطبعة  
الرابعة - نشر مطبعة الدار المصرية للطباعة والنشر والتوزيع ١٩٧٧ .

٥٥ - التفكير الواضح - هاى روتسليس - ترجمة لطيف دوس - دار نهضة  
مصر للطباعة والنشر ١٩٦٨ .

٥٦ - ثورة العقل فى الفلسفة العربية - د / عاطف العراقى - ط دار المعارف  
طبعة خامسه ١٩٨٤ .

( المجلس بـال )

٥٧ - الثقافة والشخصية - د / سامية الساعاتى - ط مكتبة جامعة عين شمس  
١٩٧٧ .

( جـ )

- ٥٨ - جامع العلوم والحكم - ابن رجب الحنبلى - ط اوتستر - الهند .  
٥٩ - الجامع لاحكام القرآن - القرطبى - ط الشعب .

( ح )

- ٦٠ - الحدود فى الاسلام ومقارنتها بالقوانين الوضعيه - د / محمد  
بن محمد ابو شهبه سلسلة البحوث الاسلاميه العدد ٢٠ .

( خ )

- ٦١ - خصائص التصور الاسلامى ومقوماته - سيد قطب - ط دار الشروق  
ط سابعه ١٩٨٢ .

( المحلى بال )

- ٦٢ - الخصائص العامة للاسلام - د / يوسف القرضاوى - مكتبة وهبه  
طبعه اولى ١٩٧٧ .

( د )

- ٦٣ - دعوة الرسل الى الله تعالى - محمد احمد العدوى - ط مصطفى  
الحلبى ١٩٣٥ .  
٦٤ - دراسات فى السيرة النبوية - د / محمد الطيب النجار - مكتبة  
الجامعة الازهرية ١٩٧٠ .

( المحلى بال )

- ٦٥ - الدين والعقل - د / سليمان دنيا - من سلسلة الدراسات  
الاسلامية  
٦٦ - الدعوة الاسلاميه - اصولها ووسائلها - د / احمد غلوش - ط دار  
الكتاب المصرى القايره ١٩٧٩ .  
٦٧ - الدعوة الاسلاميه ودعاتها - د / محمد طلعت ابو صير - مطبعة السعادة .



٦٨ - الدعوة الاسلامية بين التنظيم الحكومي والتشريع الديني - د / عبد الغفار  
عزيز ط ثانية ١٩٨٣ .

٦٩ - الدعوة الاسلامية والاعلام الديني - د / عبد الله شحاته - ط الهيئة  
العامة للكتاب ١٩٧٨ .

٧٠ - الدراسات النفسية عند المسلمين والغزالي بوجه خاص - عبد الكريم  
العثمان - مكتبة وهبه ط ثانية ١٩٨١ .

٧١ - الدين - د / محمد عبد الله دراز مطبعة السعادة ١٩٦٩ .

( ر )

٧٢ - ركائز الايمان بين العقل والقلب - الشيخ محمد الغزالي ط دار الاعتصام  
ط ١٩٨٢٦ .

٧٣ - روح المعاني - لالوسى - ط دار الفكر ١٩٧٨ .

٧٤ - روح الدين الاسلامي - غفيها عبد الفتاح طبارة - دار العلم للملايين  
بيروت لبنان - ط التاسعة عشرة ١٩٧٩ .

٧٥ - الرسالة القشيرية - الامام ابو القاسم ( الحلبي )  
عبد الكريم القشيري  
تحقيق د / عبد الحلیم محمود ، د / محمود بن الشريف ط دار الكتب  
الحدیث ١٩٧٢ .

٧٦ - الرد على المنطقيين - ابن تيمية - ط لاهور ١٩٧٦ .

٧٧ - الروح - ابن القيم - تحقيق د / محمد انيس بجادة ، د / محمد فهمي  
السرجاني مكتبة نصير - بدون سنة طبع .

( س )

٧٨ - سنن الدارمي - ط دار الكتب العلميه بيروت لبنان نشر دار احبائها  
السنة النهمية بدون سنة طبع .

٧٩ - سنن ابن ماجه - تحقيق محمد فواد عبد الباقي - ط دار الفكر للطباعة  
والتوزيع بدون سنة طبع .

٨٠ - سنن الترمذى ( الجامع الصحيح ) تحقيق ابراهيم عطوة عـوض

ط مصطفى الحلبي ط ثانيه ١٩٧٥ .

٨١ - سنن النسائي - بشرح الحافظ جلال الدين السهوتي - ط اولى

١٩٣٠ دار الفكر للطباعة والنشر بيروت .

٨٢ - سنن ابى داود - مراجعه وضبط وتعليق محمد محى الدين عبد الحميد

ط دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بد ون سنة طبع .

( المجلس بـأل )

٨٣ - السلوك الاجتماعى فى الاسلام - حسن ابوب - دار البحوث العلميه

ط ثانيه ١٩٧٩ .

٨٤ - السيرة النبويه - ابن هشام - تعليق طه عبد الرؤوف - مكتبة الكليات

الازهرية ١٩٧٤ .

( ش )

٨٥ - شرح عبد السلام اللقانى على الجوهرة - مكتبة محمد على صبيح

١٩٥٣ .

( المجلس بـأل )

٨٦ - الشخصيه - ريتشارد لازاروس - ترجمة د / سيد محمد غنيم - مراجعة

د / محمد عثمان نجاتى - ط دار الشروق الطبعة الاولى ١٩٨١ .

( ص )

٨٧ - صحيح مسلم بشرح النووى - تحقيق واشراف عبد الله ابوزنيد - ط

الشعب .

٨٨ - صحيح البخارى - ط الشعب بد ون سنة طبع .

( ض )

٨٩ - ضحى الاسلام - احمد أمين - مكتبة النهضة المصرية ط تاسعه ١٩٧٨ ج٣ .

( ط )

- ٩٠ - الطب النبوي - ابن القيم الجوزية - تعليق عبد الغنى عبد الخالق  
دار احياء التراث العربى بيروت لبنان - الطبعة الثانية ١٩٨٢ .
- ٩١ - الطرق الحكمية فى السياسة الشرعية - ابن القيم الجوزية - دار الكتب  
العلمية بيروت لبنان - تحقيق محمد حامد الفقى بدون سنة طبع .

( ع )

- ٩٢ - علم النفس التربوى - رياض معروض مطبعة العدل ١٩٥٣
- ٩٣ - علم النفس العام - د / محمد خليفه بركات ، د / محمد ابو العلاء  
احمد - مكتبة عين شمس ١٩٧٠ .
- ٩٤ - علم النفس التربوى والتوافق الاجتماعى د / عيد المجيد عبد الرحيم .
- ٩٥ - علم النفس التربوى - الابراشى وآخرون - الدار القومية للطباعة  
والنشر طبعة رابعه بدون سنة طبع .
- ٩٦ - علم النفس التربوى - د / احمد زكى صالح - مكتبة النهضة المصرية  
الطبعة الحادية عشره ١٩٧٩ .
- ٩٧ - علم النفس الحديث - د / سارجنت - ترجمة منير البعلبكي - دار العلم  
للملايين - بيروت ١٩٧٩ .
- ٩٨ - علم النفس العام - محمد حسن ظاظا - سماح رافع - ط الهيئة  
العامة للكتب والاجهزة العلمية ط ١٩٧٠ .
- ٩٩ - علم أصول الفقه - عبد الوهاب خلاف - ط دار القلم بدون سنة طبع .
- ١٠٠ - عجائب القرآن - فخر الدين الرازى - دار الكتب العلمية - بيروت  
لبنان ط ١ سنة ١٩٨٤ .
- ١٠١ - عقيدة المسلم - الشيخ محمد متولى الشعراوى - ط مكتبة السترات  
الاسلامى اعداد عبد القادر عطا ١٩٨٤ .

١٠٢- عقيدة المسلم - الشيخ محمد الغزالي - دار الكتب الحديثه ١٩٧٦ .

١٠٣- عمدة القارى بشرح البخارى للحافظ العيني - القاهرة ط اولسى

الطباعة المنيرية بد ون سنة طبع .

( المجلسى - آل )

١٠٤- العقلية الصوفيه وفسانيه التصوف د / على ريمور . دارالطلبيحة ط اولى ١٩٧٩

١٠٥- العقل المسلم والروية الحضارية ٤ د / عماد خليل - دار الحرمين

١٩٨٣ .

١٠٦- العقل الجمعى - د / عبد العزيز عزت - من مؤلفات الجمعية

المصرية لعلم الاجتماع - نسخة دار الكتب المصره عام ١٩٥٣ القاهرة .

١٠٧- العلم يدعو للايمان - أ كريس موريسون - ترجمة / محمود صالح الفلكى

مكتبة النهضة المصرية ط سابعه ١٩٧٨ .

١٠٨- العقل والمعايير - اندريه لاند - ترجمة د / نظى لوقا - الهيئة

العامة للكتاب ١٩٧٩ .

( ف )

١٠٩- فتح اليارى بشرح صحيح البخارى - ابن حجر العسقلانى - تحقيق

طه عبد الرؤف سعد ، مصطفى الهوارى - السهد محمد عبد المعطس

مكتبة الكليات الأزهرية ١٩٧٨ .

١١٠- فى ظلال القرآن - سيد قطب ط دار الشروق .

١١١- فقه الدعوة والاعلام - د / عمارة نجيب ط اولى ١٩٨٣ .

١١٢- فجر الاسلام - احمد امين - مكتبة النهضة المصرية - ط ١٣ سنة ١٩٨٢ .

( المجلسى - آل )

١١٣- الفتوحات الالهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفيه - تأليف

سليمان ابن عمر العجيلى الشهير بالجمل ط عيسى الحلبى .

- ١١٤ - الفلسفة الاسلامية - د / عوض الله حجازى ، محمد السيد نعيم  
ط ثانية دار الطباعة المحمد به .
- ١١٥ - الفلسفة - سعيد اسماعيل ط ١٩٦٩ مطابع الشعب .
- ١١٦ - الفكر الاسلامى بين العقل والوحى - د / عيد العالى سالم مكرم  
ط دار الشروق ط اولى ١٩٨٢ .
- ١١٧ - الفلسفة الحد يثة فى الميزان كى وتأسيس القواعد من القرآن -  
د / محمد بن فتح الله بدران .
- ١١٨ - قصص الانبياء - عبد الوهاب النجار - العالمية للتوزيع  
( ق )  
ط اولى بد ون سنة طبع .
- ١١٩ - قصص الانبياء - ابن كثير - دار عمر بن الخطاب للطباعة والنشر  
ط اولى ١٩٨١ .
- ( المجلس بـأل )
- ١٢٠ - القرآن وعلم النفس - د / محمد عثمان نجاتى - دار الشروق  
طبعة اولى ١٩٨٢ .
- ١٢١ - القسطاس المستقيم - مجموعة القصود العوالى للامام الغزالسى  
تحقيق الشيخ محمد مصطفى ابوالملا - ج ١ ط مكتبة الجنيدى  
بد ون سنة طبع .
- ١٢٢ - القرآن وعلم النفس - عبد الوهاب حمودة - سلسلة المكتبة الثقافية  
فبراير ١٩٦٢ العدد ٥٥ .
- ١٢٣ - القصص القرآن تفسير اجتماعى - د / واعد البراوى - سلسلة القرآن  
والفكر الحديث - ط دار النهضة العربية ط اولى ١٩٧٨ .
- ١٢٤ - القلق الانسانى مصادره ، تياراته ، علاج الدين له - د / محمد  
ابراهيم الفيهى - مكتبة الانجلوط ثابته ١٩٨٠ .

( ك )

- ١٢٥- الكشاف عن حقائق التنزيل وبيان الآفاق - أبو القاسم جبار اللسه  
محمود ابن عمر الزمخشري الحوازمي - ط دار المعرفة - بيروت لبنان  
بدون سنة طبع .

( ل )

- ١٢٦- لسان العرب - ابن منظور - ط دار المعارف .  
١٢٧- لباب التأويل في معاني التنزيل - علاء الدين علي بن محمد بن ابراهيم  
الهندادى - الشهير بالخازن - ط ثانية - مصطفى الحلبي ١٩٥٥ .  
١٢٨- مائة العقل - الحارث المحاسبى - تحقيق حسين القوتلى - ط دار  
الفكر طبعه ثانية ١٩٧٨ .  
١٢٩- مجمع البيان الحديث في قصص النبيين في القرآن الكريم - سمح عاطف  
زين - دار الكتاب اللبناني ١٩٨٠ .  
١٣٠- مجلة المسلم المعاصر العدد ٢٨ ديسمبر ١٩٨١ .  
١٣١- مجلة الأزهر - مقال حول تدريس الآداب بالجامعات - د / محمد شامة  
عدد نوفمبر ١٩٧٨ .  
١٣٢- محاولة لتفسير الشعور بالعداوة - د / سيد عويس - دار الكاتب  
العربى للطباعة والنشر ١٩٦٨ .  
١٣٣- محاضرات في الاحاديث المختارة من صحيح مسلم - د / محمد السيد ندا  
السيد محمد الحكيم .  
١٣٤- مختار الصحاح - الرازى - ط عيسى الحلبي بدون سنة طبع .  
١٣٥- مختصر منهاج القاصدين - ابن ابن قدام المقدس - ط دار التراث  
للطباعة والنشر والتوزيع - ط اولى ١٩٨٢ .  
١٣٦- معارج القدس في مدارج معرفة النفس - الامام الغزالي - ط دار الآفاق .  
١٣٧- معجم الفاظ القرآن الكريم - مجمع اللغة العربية - ط دار الشروق .  
١٣٨- معراج السالكين - الامام الغزالي - سلسلة الثقافة الاسلامية العدد ٤٥ .

- ١٣٩- مع الانبياء في القرآن الكريم - غفقى عبد الفتاح طباره - ط دار العلم للملايين - ط الثانيه عشره ١٩٨٣ .
- ١٤٠- مع الله في الارض - د / احمد زكى - ط الهيئة العامة المصرية للكتاب ١٩٧٩ .
- ١٤١- معالم التنزيل - ابو محمد الحسين البغوى - ط مصطفى الحلبي ط ثانيه ١٩٥٥ .
- ١٤٢- مقدمة ابن خلدون - مطبعة الحاج عبد السلام بن محمد بن شقرون يدون سنة طبع .
- ١٤٣- مصادر التشريع الاسلامى - عبد الله المشد - من مطبوعات معهد الدراسات الاسلاميه .
- ١٤٤- منهاج علماء الحديث والسنة من اصول الدين - د / مصطفى كمال حلى ط دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع ١٩٨٢ .
- ١٤٥- منهاج السنة - ابن تيممه .
- ١٤٦- منهاج الدعوة الى الله في العصر الحديث - مقداد بالجن - المطبعة المصرية وكتبتها - ط اولى ١٩٦٩ .
- ١٤٧- مقالات الاسلاميين - الاشعري - تحقيق محمد محى الدين - عبد الحميد - مكتبة النهضة المصرية ط ثانية ١٩٦٩ .
- ١٤٨- منهج التربية الاسلاميه - محمد قطب ط دار الشروق - طبعه رابعه ١٩٨٠ .
- ١٤٩- موافقه صحيح المنقول لصريح المعقول - ابن تيممه - دار الكتب العلميه ط اولى ١٩٨٥ .
- ١٥٠- موطأ الامام مالك - تعليق محمد فواد عبد الباقي ط عيسى الحلبي - يدون سنة طبع .

( المحلى بـأل )

- ١٥١- المسئولية الاعلامية في الاسلام - د / محمد سيد أحمد - مكتبة  
الخانجي القاهرة ط اولى ١٩٨٣ .
- ١٥٢- المعجم المفهرس للقرآن الكريم - محمد فؤاد عبد الياقى ط  
الشعب .
- ١٥٣- المعجم الوسيط - د / ابراهيم انيس وآخرون - طبعه ثانوية  
مجمع اللغة العربية .
- ١٥٤- المعرفه العظمى - محمد ابو الفيض المتوفى الحسينى - دار  
نهضة مصر للطبع والنشر ١٩٧٠ .
- ١٥٥- المتخذ من الضلال - ابو حامد الغزالي - مع ابحاث في التصوف  
د / عبد الحلیم محمود - دار الكتب الحديثه - بدون سنة طبع .
- ١٥٦- الطل والنحل - الشهرستانى - تحقيق محمد سيد كيلانى  
ط مصطفى الحلبي بدون سنة طبع .
- ١٥٧- المواقف في علم الكلام - القاضى عبد الرحمن الايجى - مكتبة  
المتنبى بدون سنة طبع .

( ن )

- ١٥٨- نشأة التفكير الفلسفى في الاسلام - د / على سامى النشار  
ط دار المعارف بمصر - ط خامسة ١٩٧١ .
- ١٥٩- نحو تربية اسلاميه - د / حسن الشراوى - نشر مؤسسة شباب  
الجامعة ١٩٨٣ .

( المحلى بـأل )

- ١٦٠- الناسخ والمنسوخ - القاسم هبة الله سلامة ابو النصر - هامش  
كتاب اسباب النزول للواحدى ط عالم الكتب بيروت .



( ٤٥٤ )

( هـ )

١٦١- هداية المرشد بين - الشيخ على محفوظ - المكتبة المحمود بسنة  
التجارية - ط سابعة بدون سنة طبع .

( و )

١٦٢- الوحدة الموضوعية في القرآن - د / محمد محمود حجازي - دار  
الكتب الحديثه ١٩٧٠ .

١٦٣- الوجيز في اصول التشريع - د / محمد حسن هبتو - ط مؤسسة  
الرسالة بيروت - طبعة اولى ١٩٨٣ .

\*\*\*\*\*

\*\*\*\*\*

\*\*\*\*\*

\*\*\*

## ب - فهرست الموضوعات

الموضوع	الصفحة
مقدمة البحث .....	٣
الباب الأول : مكانة العقل في الرسائل السماوية السابقة ..	١١
الفصل الأول : معنى العقل ومفهومه - تقديم .....	١٢
البحث الأول تمهيدى : العقل والشخصية .....	١٣
البحث الثانى : مفهوم العقل في اللغة العربية .....	١٥
البحث الثالث : مفهوم العقل في فكر الفلاسفة والصوفية ..	١٧
البحث الرابع : مفهوم العقل عند المتكلمين .....	٣٨
البحث الخامس : معنى العقل في القرآن الكريم .....	٤٥
البحث السادس : معنى العقل في السنة النبوية .....	٦٤
البحث السابع : مركز العقل في الانسان .....	٧٢
الفصل الثانى : وظيفة العقل في فهم الدعوات وادراكها ..	٨٣
تمهيد للفصل .....	٨٤
مبحث تمهيدى : اتفاق جميع الرسل في الدعوة الى التوحيد وعدم طلب الأجر .....	٨٦
المبحث الأول : الجد ل وسهله من وسائل الدعوة .....	٩٨
المبحث الثانى : الاعتماد على التذكير بنعم الله للايمان به ..	١١٠
المبحث الثالث : تعرضهم لجامدى العقول من المقلدين والمترفين	١٢٣
المبحث الرابع : التزويد بالمعجزات كأدلة وراهمين عقليه ...	١٣٢
المبحث الخامس : اتفاق الدعوة المحمدية مع الدعوات السابقه في تلك الامـــــر .....	١٤٤

الصفحة	الموضوع
١٦٧	الفصل الثالث : وظيفة العقل في الوصول الى حقائق الايمان
١٧١	المبحث الاول : دور العقل في فهم المراعظ ومواطن الاعتبار
١٨١	المبحث الثاني : دور العقل في فهم المعجزات .....
١٨٧	المبحث الثالث : ارتباط العقل بالسلوك .....
١٩٢	خلاصة الباب الاول .....
١٩٥	الباب الثاني : علاقة العقل بالدعوة الى الله .....
١٩٦	تقديم الباب .....
١٩٩	مبحث تمهيدى في معنى " الفطرة " و " الدعوة " .....
٢٢١	الفصل الاول : مكانة العقل في الدعوة الاسلامية ورد آيته ..
٢٢٢	المبحث الاول : اعتبار العقل وسيلة لمعرفة اصول العقيدة ..
٢٣٨	المبحث الثاني تمهيد به بالتشريعات التي تحفظه وتصونه ...
٢٦٠	المبحث الثالث : تحريره من جمود التقليد والتعصب .....
٢٧٠	المبحث الرابع : اغفاره من التفكير التي يعجز عنها ...
٢٧٥	المبحث الخامس : اعتباره مصدرا للتشريع فيما لم يرد فيه نص ..
٢٩١	الفصل الثاني : اثر العقل في الدعوة الى الله ووسائلها ..
٢٩٢	تمهيد للفصل .....
	المبحث الاول : دران وسائل الدعوة حول الحكمة والموعظة
٢٩٦	الحسنة والمجادلة بالتى هى احسن .....
	المبحث الثاني : اثر العقل ودوره في الدعوة الى الله بالمجادلة
٣٠٩	بالحسنى .....
	المبحث الثالث : اثر العقل ودوره في الدعوة الى الله عن طريق
٣١٩	تأمل الآيات الكونية .....

الموضوع	الصفحة
المبحث الرابع : اثر العقل ودوره في الدعوة الى الله بالقصة وتأمل اخبار السابقين .....	٣٢٦
المبحث الخامس : اثر العقل ودوره في الدعوة الى الله باستخدام المثل المبحث السادس : اثر العقل ودوره في الاتصال بالعقل القلبي والجسمي في الدعوة الى الله .....	٣٣٣ ٣٣٩
المبحث السابع : اثر العقل ودوره في استخدام وسائل الاعلام المتاحة في الدعوة الى الله .....	٣٤٩
المبحث الثامن : أثر العقل ودوره في تحديد نوع وسيلة الدعوة المناسبة لحااا المدعوين .....	٣٦٠
تعقيب على الفصل .....	٣٧٨
الفصل الثالث : من آثار العقل وعلاقته بالروحى .....	٣٨١
تمهيد الفصل .....	٣٨٢
المبحث الأول : علاقة العقل بالروحى .....	٣٨٥
المبحث الثانى : نشأة الفرق الاسلامية .....	٣٩١
المبحث الثالث : ظهور البدع .....	٤٠٢
المبحث الرابع : اثر الدعوة بالابحاث والمناقشات العقلية والتأليف والتراجم .....	٤١٥
المبحث الخامس : النهى عن الجدال العقيم سد الابواب الخلف والفتن .....	٤٢٢
تعقيب على الفصل .....	٤٢٨
خاتمة البحث .....	٤٣٠
الفهارس - فهرس المراجع .....	٤٤٠
فهرس الموضوعات .....	٤٥٥

( تم بحمد الله تعالى )